دموع في ليالي الحزن

أحداث استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام

تأليف
الشيخ محمود مهنا العاملي

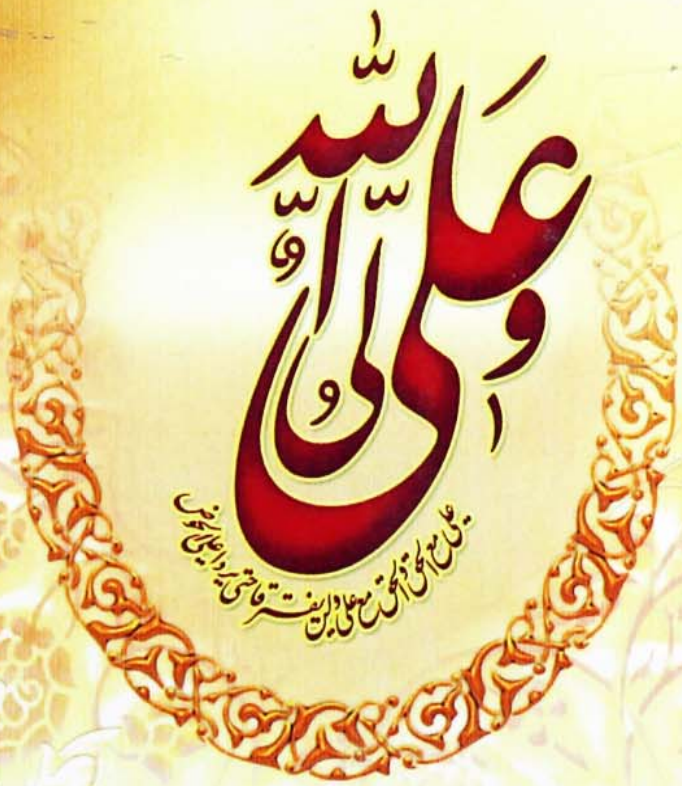

دار الكاتب العربي

دموعٌ في ليالي الحزن

أحداث مقتل أمير المؤمنين عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

دموعٌ في ليالي الحزن

أحداث مقتل أمير المؤمنين عليه السلام

تأليف

الشيخ محمود مهنا العاملي

دار الكاتب العربي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠٣/٢٥٧٩٨٤ - فاكس: ٠١/٥٥٣٤٥٦ - ص.ب: ٢٥/٣٥٥ - غبيري - بيروت

Daralkatebalarabi@hotmail.com

إن كـنـت لـجـهـلـك بـالأيـامِ
جـحـدت مـقـام أبـي شـبـرْ
فـاسـأل بـدراً واسـأل أُحـداً
وسـل الأحـزاب وسـل خـيـبـرْ
قَـاسَـوْكَ أبَـا حَـسَـنٍ بِـسِـوَاكَ
وَهَـلْ بَـالـطَّـوْدِ يُـقَـاسُ الـذَّرّ
أنَّـى سَـاوَوْكَ بِـمَـنْ نَـاوَوْكَ
وَهَـلْ سَـاوَوْا نَـعْـلَـيْ قَـنْـبَـرْ[1]

(١) أبيات من القصيدة الكوثرية للسيّد رضا الهندي.

الإهداء

إلى الفيض الذي لازمت أنواره الأزل..

إلى من نافحت خيوط ضيانه تمادي الزمن..

وعبقت بعطره نسائم الشوق.. وانبثق منه أريج الإحسان..

إلى الممدود بين حروف الصبر.. إلى الممدود بين نحيب الوجدان..

سيدي يا صاحب الزمان...

أبكيك.. بكاء العاشق الولهان..

في ليالي الحزن.. أنظراليهم.. أبحث عنك..

فأعود ململماً جراحاتي في زمن الظلم و الجراحات.. ولا أجدك..

بل أجد قلبي.. وحبي.. ودموعي الناطقة.. أكتب بمدادها حروف شوقي وشكواي وأبعثها إليك..

سيّدي..! لا تشغل روحي بالألم فعند جمال الحق روحي تسجد.. وعند الجمال يسجد الخشوع.. فلا تبخل عليّ بلقائك... فأنا سوف أرحل في عجل.. وسوف أذوب من الوجل..

سيّدي..! يا أبا صالح.. يا من سجيّتك الكرم.. أوفِ لنا الكيل وتصدّق علينا، فإننا جئناك ببضاعة مزجاة راجياً من جنابكم القبول..

خادمكم

محمود

شكر وتقدير

قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[١].

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله..

أشكر الله تبارك وتعالى الذي وفقني لكي أنجز هذا الكتاب وأسأله عزَّ وجلَّ أن يتقبله بقبول حسن ...

وفي رسالة الحقوق لمولانا الإمام علي بن الحسين زين العابدين (صلوات الله عليه) يقول: «أما حق ذي المعروف عليك.. فأن تشكره، وتذكر معروفه، وتكسبه المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عزَّ وجلَّ، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سراً وعلانية»[٢].

أتقدم بجزيل الشكر وفائق التقدير والامتنان إلى كل الأخوة الأعزاء الذين كانت لهم مساهمتهم في إخراج هذا الكتاب من خلال اقتراحاتهم وملاحظاتهم وتشجيعهم ..

سائلاً المولى العليّ القدير أن يمن على الجميع بالنجاح والسداد إنه سميعٌ مجيب..

---

(١) سورة النمل الآية (٤٠) صفحة (٣٨٠).

(٢) الإمام عليّ بن الحسين، رسالة الحقوق، حق ذي المعروف عليك..

كلمةُ لسماحة العلّامة الحجّة آية الله الأستاذ الشيخ عفيف النابلسيّ (حفظه الله)[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين وصلى الله على رسوله المصطفى محمّد وآله الهداة الميامين.

وبعد..

هل بإمكانك كتابة التاريخ الإسلاميّ أو الفقه الإسلاميّ أو شيء في الإسلام دون أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه)..؟!.

وهل باستطاعتك أن تسرد وقائع التأريخ دون المرور بعليٍّ (صلوات الله عليه)..؟!.

وهل غنى السيف إلّا في يده.. أو طرب القلم إلّا من مداده..؟!.

وهل يحاصر عليّ (صلوات الله عليه) في فتح مكة أو هوازن أو حنين..؟!.

وهل هناك شاردة أو واردة في هذا الإسلام المديد المالئ الدنيا وشاغل الناس إلّا كان عليٌّ أصل وجودها أو همزة وصلها..؟!.

---

(١) هو سماحة العلّامة الحجّة آية الله الأستاذ الشيخ عفيف النابلسيّ (حفظه الله) أحد أبرز الوجوه المشرقة والأركان المهمّة في نشر الدعوة والثقافة والجهاد والنضال في لبنان.

فهو في المعارك ضيغمها.. وللرايات قائدها.. وفي الحملات فارسها المرتجى.. وهو في الشجاعة أوحدها.. وفي الكلمة مبدعها.. وفي الليالي محييها وعابدها.. فهو راهب الصومعة المتنوّر.. والمستغرق المحفوف بنور الحق، وهو في المعركة الضارب بالسيفين الطاعن بالرمحين ـ جُمعت في صفاتك الأضداد ـ وهو في الحلبة لاعبها وأوّلها.. وفي الفصاحة سحبانها.. وأمّا في البلاغة فهو ابن بجدتها وقطب رحاها.. ويكفيك منه نهج بلاغته وسماء فصاحته.. وبعد أن انقطع وحلّق النَّبيّ ﷺ إلى جنّة الخلد هطلت عليه وحده ديم المعرفة، وأصبح مصدرها الوحيد فقهاً وعلماً أدباً فضلاً زهداً وورعاً..

فهو أستاذ في المسجد.. والإمام في المحراب.. والخطيبُ على المنبر.. يتكلم والحق في لسانه.. ويحارب والحق في سِنانه.. كيفما مال كان الحق معه وفيه..

وهل يمكنني بعدُ أن أتحدث عن عليٍّ في غزوه أو حربه..؟!.

أو هل يمكنني أن أختصره في قصة أو واقعة أو سانحة أو قصة تاريخيّة أو قصيدة مديحٍ يضوع منها الأدب أو مأثرة يفوح منها طيب ذياك النسب..؟!.

وإذا كان عليٌّ شامخاً شموخ الجبال.. ومجنَّحاً تجنَّح الصقور.. وعالياً كالقمر.. ومشرقاً كالشمس.. وكريماً كالريح الهبوب.. وعطوفاً كالأم.. ورؤوفاً كالاب.. وصلباً كالصخر.. وكبيراً كالجبل.. وإذا كان عليٌّ محور هذه الأمّة وميزانها.. وصمّام أمانها.. ونجمها المضيء.. وشمسها المشعة.. وإذا كان منهجه التواضع.. وملبسه الاقتصاد.. وطعامه الجشب.. وطريقته الزهادة.. يتفجّر العلم بين يديه.. وتحنو شآبيب البلاغة حواليه..

إذن ماذا نقول في عليٍّ..!!

قديماً قال الكتّاب في المتنبّي: إنّه ماليء الدنيا وشاغل الناس..!

وهل المتنبّي إلّا نقطة من ذلك البحر الخضم..! أو حصاة من ذلك الجبل الأشم..؟!!.

فيا سيّدي.. عذراً عذراً.. إذا جفّ القلم وحوصر الكلم وخبا البيان وتلعثم اللسان.. فعذرنا فيك أنّك من لا يُنال كعب قداسته، ولا يلحق غبار سياسته.. يكلّ فرسي عن الجري فيك.. ولساني عن القول بقوافيك.. غير أنّي أعدم القارئ ولا أحرمه لمحة من بهاك ولفتة من سناك.

هذه من علاه إحدى المعالي وعلى هذه فقس ما سواها

فمرحى بالأدب والعلم وكل فنون المعرفة.. ومرحى بالعلم يتجلى والتاريخ ينجلي..

فسلامٌ عليه كلما أشرقت الشمس أو غربت..

وقفة مع الكاتب والكتاب

لقد اطّلعتُ على ما ألّفه الأخ العزيز فضيلة الشيخ محمود مهنا ـ دام توفيقه ـ في مجال السيرة المباركة لمولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) الذي يدور موضوعه بالتحديد حول حادثة استشهاده عليه السلام وهو ما أطلق عليه عنوان ـ دموعٌ في ليالي الحزن ـ ولكثرة الأشغال وضيق الوقت كنتُ أسترق النظر إلى ما كتب.. حتى عنَّ لخاطري لمسة مغرية فانفتحتُ على الكتاب بشوق.. وإذا به يستغرقني.. فكنتُ ألمس من خلال مطالعتي له بريقاً يلمع من بعض مفرداته.. فأجذبها بلذة الحصول على المعرفة.. فوجدتُ أنّ قدرة المؤلّف عميقةٌ.. فصرتُ أتماهى مع هذا المؤلف اللبيب الراشد المحتمي بعليٍّ (صلوات الله عليه)، وقديماً وضع أهل الأدب قاعدة تقول: من يركن إلى عليٍّ يستغني ويستقوي..

فعدتُ أغرف من معين عليٍّ الذي لا ينضب..

هذا..وقد حشد المؤلف الكثير من طرائفِ التاريخ واعتمد في أغلب مطالبه على المصادر الموثوقة بين الطرفين فكان كتاباً وافياً وتأليفاً شافياً حاوياً لجميع تفاصيل القضية المبحوثة.. وبذلك استطاع أن يعطي صورة واضحة عن الحادثة..

أحرّ التهاني أرفعها للأخ العزيز فضيلة الشيخ محمود مهنا مع دعائي له بالتوفيق والتفوّق.. جزاه الله خير الجزاء وجعله ذخراً له في صحيفة أعماله، والحمد لله أوّلاً وآخراً.

عفيف النابلسي
مجمع السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، صيدا
حررت بتاريخ: ١ آذار ٢٠١٣م
الموافق: ١٨ ربيع الثاني ١٤٣٤هـ

مقدّمة المؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على رسوله المصطفى محمّد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

وبعد..

في زمنٍ تعدَّت فيه السفالة الممزَّقة على جسد الطهر الأنيق.. فأروت أرض المعراج من نفحاته القدسيَّة.. إخلاصاً أصبح مرفوضاً عند عشَّاق النفس والذات.. فذابت نسماته التي أرادها أن ترتسم على شفاه الزمن..

كان ابن التأريخ الذي مضى بآهاته وزفراته.. فصبر وفي العين قذى.. وفي الحلق شجى.. يرى تراثه نهباً.. وكان ابن الحاضر المكتوب الذي يبلسم جراحاته بقلم الصبر الجارح.. معلناً لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيضاً..

وكان ابن الغد..! يسترشف الجراحات والطعنات من معين الخداع المنتظر بسيوف الذين رفضوا الإخلاص.. وهم يسمعون ألحاناً قدسيَّة.. ما نبعتَ إلَّا من ينابيع السادات والهداة.. وما عُجنت إلَّا من صفاء عيون الدمع الطاهر..

والقلب النازف يُحدَّث عن طعناتٍ وجراحاتٍ أصابت الطهر في عليائه..

فظهرت حقائق ملوثة، تندي الجبين خجلاً، وتحز في النفس ألماً، وتؤلم ضمير الطاهرين..

فبكى الطهر خشوعاً.. وتساقطت درات الدمع حزناً وألماً.. غابت ألحان الضمائر ورفرفت أعلام الباطل ونعقت أفواه المنافقين والحاقدين..

أشعل شموع الحزن في محاريب الصلاة.. وحلّق في سماءِ المجدِ حيث تراتيل الخشوع.. هناك تجد العارفين..

ورتّل مع المرتّلين سفر الإنشاد ومزامير داوود.. واقرأ من كتاب الصلاة آيات الكهف سورة هود..

واسجد مع الساجدين.. وأذّن من أيات القدر ما يؤذن للفجر بالعروج.. هناك تجد الحقَ صريعاً مخضباً..

والوحي معلناً حداده راثياً.. والصلاة توقفت عن العروج باكية.. وليلة التنزيل غادرت محرابها ..

فابكِ إن كنتَ باكياً.. واطلق آهاتٍ وزفراتٍ.. حزناً وألماً لا لتفاصيل ما حلَّ بالجسدِ الشريف، وإنّما لما جلَّ بهدف السماء، وجهد الأنبياء.. مِمّا أوجب على المحب بكاءً صَعُب على أهل الهدف بيانه..

سلامٌ عليه يوم ولد.. ويوم استشهد.. ويوم يبعث حياً..

وقفة مع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

إنَّ أقل الناس استفادة من أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) هم أتباعه الذين ينتسبون إليه ويقرأون في كتابه..!.

عندما يقرأ الإنسان في كتاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وينظر ويتفكّر في كل القوانين التي تحدَّث عنها وعمل بها ـ وهي التي تلقَّاها من رسول الله ﷺ ـ فإنّه يجد أنّه (صلوات الله عليه) كان موجوداً في ساحة

الفكر الإنساني يعالج كل قضيةٍ من قضايا الإنسان والحياة ودائماً على طول الخط وعرضه.

لا يمكن للزمن أن يستهلك ما سنّه (صلوات الله عليه) من قوانين ومن فكر.. ولا للأيام أن تثنيه.. وسوف يبقى كتابُه (صلوات الله عليه) كتاباً حاضراً في كل ساحات الفكر الإنسانيّ.. يعطي الحياة للأمم والشعوب.. وكما بقي في الماضي كذلك هو باقٍ في الحاضرِ وسيبقى في المستقبلِ يهب الحياة والنور لكل الإنسانيةِ.

إنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان الإنسان الذي عاش الكمال في كلِ أبعادهِ، وعاش الروحانيّة في كل سموِّها، وعاش العنفوان في كل صلابته، وعاش الزهد في كل تخلّيه عن الدنيا وزينتها.. وهو الذي قال لنا ونحن أتباعه وشيعته لن تستطيعوا أن تصلوا إلى تلك الدرجات..!.

ولكن..! أيّها الملتزمون بخط عليٍّ..! عليكم أن تلتزموا مفاهيم الإسلام، وأن تعملوا بقانونه الذي يوصلكم إلى الكمال الشرعي، الذي فرضه الله تعالى على الإنسان من خلال حكمته في معرفة مصالح العباد ومفاسدهم.

يقول (صلوات الله عليه) في بعض كلماته: ـ أنا إمامكم ـ (... **ولكل مأمومٍ إماماً يقتدي به ويستضيءُ بنورِ علمه.. ألا وإنَّ إمامكم قد اكتفى من دنياكم بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورعٍ واجتهاد وعفة وسداد...**)

ومعنى الإمامة هو الإتباع.. والمأموم ينبغي عليه أن يلتزم بكل ما يفعله الإمام ويقوله، لأنَّه (صلوات الله عليه) هو القائد لمسيرته من خلال شرعيته كإمامٍ للأمّة وخليفة لرسول الله ﷺ، وما ذلك إلّا من أجل أن يخرجه من ظلمةَ الجهل إلى نور العلم والمعرفة التي تهدف إلى مراقبة النفس فتردها عن هواها وتمنعها عن غيِّها.

أين نحن من أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في ذلك كله..!.

أين نحن من أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في كل النهج الذي رسمه لنا لكي نسير عليه.. ومجتمعاتنا اليوم تعيش حالة من التفسّخ على جميع الجهات والجبهات وفي جميع المجالات..؟!!.

أين نحن من عليٍّ (صلوات الله عليه) ومجتمعاتنا غارقةٌ بالظلم والفسادِ والمُفسداتِ.. وبالقهرِ والنفاقِ وهتك الأعراض والحرمات..؟!.

لا يظنَّ جاهلٌ ممارقٌ إنّه ببعض العبادات التي تفوح منها رائحة الرياء والنفاق قد أصبح من أتباع عليٍّ..!.

أو أن الإسلام يقبله كعضو منتمياً إليه إذا ما كان ملتزماً بخطه الصيحح..!.

فهل جعلنا إمامنا أمامنا نقتدي بقوله وفعله..؟!.

وهل ما نفعله في كل تحركاتنا وأفعالنا وأقوالنا يريدها الله..!.

وهل هي هدف السماء وجهد الأنبياء..؟!.

وهل لأجل هذا قامت نهضة الإسلام في الأرض ..!.

وهل لأجل هذا نهض الناهضون والمصلحون..!.

كلنا يدعي انتماءً إلى مبادئ عليٍّ (صلوات الله عليه) وعليٌّ يقول:

والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهّدا، وأُجرُّ في الأغلال مصفدا، أحبُ إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيءٍ من الحطام..[1].

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب ـ نهج البلاغة ـ الخطبة رقم (٢٢٢).

كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يجسّد الحق في كل أفعاله وأقواله وتحركاته وسكناته، وفي كل تفاصيل حياته..

ولذلك وجد العقلاء ضالتهم فيه، وأدركوا نجاتهم من خلاله (صلوات الله عليه)، فهو إمام الفقهاء لتبحره في الشريعة وأحكامها.. وإمام البلغاء والفصحاء فلا بلاغة ولا فصاحة بعد بلاغة عليّ وفصاحته.. وهو إمام الزّهاد والعبّاد ومن طريقته أخذوا الزهد ومن محراب عبادته نهلوا..

وهو بطل المعارك والساحات والتحديات.. ولقد كتب أهل الجهاد والنضال اسم عليّ على سيوفهم ورماحهم تبركاً وافتخاراً..

يقول الأديب الشاعر الشيخ صفيّ الدّين الحلّيّ في وصفه لشخصيّة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

جمعت في صفاتك الأضداد ... فلهذا عزّت لك الأنداد
زاهدٌ حاكمٌ حليمٌ شجاعٌ ... فاتكٌ ناسكٌ فقيرٌ جوادُ
ظهرت منك للورى مكرمات ... فأقرت ناسكٌ بفضلك الحسّادُ
أنت سرُّ النبيّ والصنو وابن ... العم والصهرُ والأخ المستجادُ
لو رأى مثلك النَّبيّ لآخاه ... وإلّا فأخطأ الانقيادُ
فيكم بأهل النَّبيّ ولم ... يُلفِ لكم خامساً سواه يزادُ
جلَّ معناك أن يحيط به الشعر ... ويحصي صفاتك النُّقَّادُ[1]

فإذا أراد الإنسان أن يكون منتمياً إلى خط أمير المؤمنين (صلوات الله عله) فعليه أن يكون ملتزماً نهجه وسيرته في الحياة، لأنَّه بذلك سوف يصل إلى الفوز..

ولأنَّه (صلوات الله عليه) كان تلميذ رسول الله ﷺ، ولأنّه كان القرآن

(١) الطهراني، محمّد، معرفة الامام، الجزء (٢) صفحة (٣٥) طبعة دار المحجة البيضاء بيروت.

الذي يتحرك في كل قضايا الإسلام وفي كل ساحات المسلمين.. إنّه يعطينا فكراً ومنهجاً لنسير عليه ونقتدي به في كل مجالات الحياة..

وفي رسالته التي وجّهها إلى عامله على البصرة يبيّن لنا الإمام (صلوات الله عليه) الكثير من الدروس والألتزامات، ما ينبغي أن يجعلها الحاكم دستوراً للسير عليها في حكومته، من خلال حكمه للرعية إذا ما أراد أن يمارس العدل والإنصاف والمساواة.. وأن يجعلها المسلم أيضاً منهجاً في حياته من خلال تقوى نفسه ورعايته لمن تحت يده.. يقول (صلوات الله عليه):

..فوالله ما كنزتُ من دنياكم تبراً، ولا ادّخرت من غنائمها وفراً، ولا حزت من أرضها شبراً ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً..

بلى! كانت في أيدينا فدك...! من كل ما أظلته السماء..

فشحّت عليها نفوس قوم..! وسخت عنها نفوس آخرين.. ونِعم الحكم الله..

وما أصنع بفدك ..!! وغير فدك..!.

والنفس مظانها في غدٍ جدثٍ تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها وأوسعت يدا حافرها لأضغطها الحجر والمدر، وسدَّ فرجها التراب المتراكم وإنَّما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر وتثبت على جوانب المزلق..

ولو شئت..! لاهتديت الطريق.. إلى مصفى هذا العسل.. ولباب هذا القمح.. ونسائج هذا القز...!!.

ولكن هيهات.. أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى..؟

أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحن إلى القد

أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش...!! فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها، أو المرسلة شغلها تقممها، تكترش من أعلافها وتلهو عمّا يراد بها..

أو أترك سدى أو أهمل عابثاً، أو أجر حبل الضلالة، أو اعتسف طريق المتاهة..

وكأني بقائلكم يقول إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان..!

ألا وإنَّ الشجرة البريَّة أصلب عوداً، والروائع الخضرة أرق جلوداً، والنباتات البدوية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً، وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو والذراع من العضد..

والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها، وسأجهد في أن أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد..

إليك عني يا دنيا.. فحبلك على غاربك.. قد انسللت من مخالبك... وأفلتُّ من حبائلك... واجتنبت الذهاب في مداحضك...

أين القرون الذين غررتهم بمداعبك...!!.

أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك...!.

ها هم رهائن القبور.. ومضامين اللحود..

والله لو كنتِ شخصاً مرئياً، وقالباً حسيّاً، لأقمتُ عليكِ حدود الله.. في

عبادٍ غررتهم بالأماني، وأمم ألقيتهم في المهاوي.. وملوكٍ أسلمتهم إلى التلف وأوردتهم موارد البلاء إذ لا ورد ولا صدر..

هيهات..! من وطئ دحضك زلق.. ومن ركب لججك غرق.. ومن ازور عن حبائلك وفق.. والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه..

أُعزبي عني..!

فوالله لا أذل لك فتستذليني، ولا أسلس لك فتقوديني..

وأيّم الله يميناً إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، ولأدعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها.. أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ويأكل عليٌّ من زاده فيهجع..؟

قرت إذاً عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعيَّة.. طوبى لنفسٍ أدت إلى ربها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها.. وهجرت في الليل غمضها حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم.. وهمهمت بذكر ربهم شفاههم، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فاتق الله يا ابن حنيف ولتكفك أقراصك ليكون من النار خلاصك...[١].

ـ بين يدي الكتاب

يعتبر الكتاب الإسلاميّ مصدراً من مصادر بناء الشخصيَّة الإسلاميّة فكرياً وروحياً، فهو مسؤولية كبيرة جداً أمام الأجيال الطالعة، وهذه المسؤولية تقع على عاتق الكاتب ـ قبل القارئ ـ بما يحمله من مفاهيم وأفكار..

---

(١) الإمام عليّ، نهج البلاغة ـ رسالته إلى عثمان بن حنيف ـ عامله على البصرة.

فمن الممكن جداً أن تكون للأفكار المطروحة في أيّ كتاب تأثيرها السلبيّ من جهة طريقة التفكير، فتحرف القارئ عن المسار الفكريّ الصحيح باعتبارها تؤثر على التكوين الفكري عندما يقدمها مادةً للقراءةِ والنظر..

ومن الممكن أيضاً أن تكون للأفكار المطروحة تاثيرها الإيجابي من جهة طريقة التفكير والإنطلاق في الحياة.. فنجد أن القارئ قد يتأثر بما يقرأ ويكتسب ويحاول أن يتبنى الأفكار المطروحة لتكون بعد ذلك ملاذه فيدافع عنها ويحاول أن يطبقها على أساس تغيير الواقع طبقاً لها..

ولذلك الكاتب مسؤولٌ عن الأفكار والأراء التي يطرحها ويكشف النقاب عنها ويصوغها في كتاباته لتكون مادةً للقراءةِ والمطالعة، وبالتالي يجب أن يكون لديه قوّة الدفاع عن تلك الأفكار والأراء من خلال الدليل والبرهان المنطقي لتكون بعيدة كل البعد عن الترّهات والفوضى في الفكر والمفاهيم..

إنَّ من أعظم الطاعات وأعلاها، وأشرف القربات وأغلاها، وأزكى الأعمال وأرقاها، إحياء أمر السادة الهداة، والقادة الولاة، المقربين إلى ربِّ الأرض والسماوات.. ولا سيّما النظر والتفكّر بما حلَّ بهم من المصائب والمحن والبلايا والإحن.. وأفضله البكاء على ما أصابهم من الظلم والأرزاء.. والقهر والبلاء.. من ولاةِ الجورِ وأئمَّةِ الكفرِ..

ورد في الحديث عن مولانا الإمام جعفر بن محمّد الصادق (صلوات الله عليه) أنه سَأل أحد أصحابه وهو الفضيل بن يسار، قال: هل تجلسون إلى بعضكم وتذكرون أحاديثنا..؟

قال فضيل: أجل، جعلتُ فداك.

قال (صلوات الله عليه): ألا إنِّي أحبُ تلك المجالس.. فأحيوا أمرنا.. ورحم الله أمرءاً ذكر أحاديثنا وأحيا أمرنا.

أي فضيل، من ذكرنا أو ذُكرنا عنده، فنزل من عينه دمعٌ بقدر جناح ذبابة غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر..[1].

ولهذا.. عزمتُ على التأليفِ والكتابةِ، وكنتُ متعطشاً أن تفسح لي الأيام بفرغة، والأوان ببرهة..

ولكن..! صروف الزمان.. وتصادم بوائق الحدثان.. وتزاحم أفواج المحن.. تلاطم أمواج الفتن.. كان يضرب دون بلوغ الغرض والمراد.. إلى أن هيأ الله لنا أسباب الركون إلى عليٍّ (صلوات الله عليه) فبذلتُ الجهد واستسعدتُ الطبع لتأليف كتابٍ وافٍ يتكفل ببيان تفاصيل قضية استشهاد سيّد الأوصياء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وما ابتلي به في تلك الليالي.

إنّ نظرةً سريعة إلى ما كُتب وأُلّف حول قضية استشهاده (صلوات الله عليه) تدرك أنّك لن تجد كتاباً وافياً ولا تأليفاً شافياً مستقلاً يحكي تفاصيل القضية..!

اللهم إلّا ضمن الموسوعات الكبيرة، أو كتاباتٍ متواضعة. علماً أنّ ذلك ممّا يثاب عليه الثواب الجزيل والثناء الجميل.. وذلك مرده إلى الله.

ولذلك.. عزمتُ على تأليفِ كتابٍ جامعٍ يحكي تفاصيل القضية بحيث يستغني القارئ بالإجمال عن أن يبحث في كتاب آخر حول هذه الحادثة.

وسألتُ الله تعالى أن يشدَّ أزري، ويحط بكرمه وعفوه وزري، ويشرح لإتمامه صدري، فاستجاب دعائي ونهضت عزيمتي إلى أن تم الأمر بحوله وقوته عزَّ وجلَّ.

وأستطيع القول أنّني قد اعتمدتُ على أمهاتِ المصادر التاريخية والحديثيّة القديمة والحديثة وأخذتُ منها ما هو موضع حاجة الكتاب موضوع البحث.

وقد اعتمدتُ في أغلب مطالب الكتاب على منهجية التالية.

---

(١) المجلسيّ، محمّد، بحار الأنوار، الجزء (٧١)، صفحة (٣٥١)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

أوّلاً: الاعتماد على النصوص الحديثية والتاريخية المعتبرة في البحث العلمي.

ثانياً: أن لا تكون النصوص الحديثية والتاريخية التي نقلها المؤرخون عن الصحابة والتابعين مخالفة للنّص القرآنيّ ولا للنصوص الشرعية الثابتة ولا للعقل.

أما طريقة عرض البحث ـ المؤلف من عشرة أقسام ـ فاعتمدتُ فيه طريقة البحث في المقاتل الحسينيّة القديمة ـ الخاصة بمولانا سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين (صلوات الله عليه) ـ فإنّها كانت تعرض.

أوّلاً: جملة من فضائل ومناقب النَّبيّ ﷺ.

ثانياً: جملة من مناقب السيّدة الطاهرة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها).

ثالثاً: جملة من مناقب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

رابعاً: يُختم بذكرِ طرفٍ من مناقبِ الإمامين الحسنين (صلوات الله عليهما).

خامساً: يبدأ عرض الأحداث من حين موت معاوية بن أبي سفيان إلى خروج الإمام (صلوات الله عليه) من المدينة وإعلانه النهضة إلى أحداثِ الكوفةِ وما جرى لمسلم بن عقيل (رضوان الله عليه) إلى الفاجعة العظمى والرزيّة الكبرى وما حدث بعدها من سبي للعائلة الحسينيّة.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّه في بعض المقاتل الحسينيّة كانت تعرض أيضاً جملة من مناقب السيِّدة الطاهرة الفاضلة خديجة بنت خويلد (رضوان الله عليها) وكذلك كانت تعرض بعض مناقب السيّدة الجليلة فاطمة بنت أسد (رضوان الله عليه) في قسم المناقب والفضائل.

وفي هذا الكتاب بدأنا الحديث على الشكل التالي.

أوّلاً: إيمان أباء النَّبيّ ﷺ وخصوصاً جده عبد المطَّلب وبعضاً من مناقبه.

ثانياً: إيمان عمّه أبو طالب (رضوان الله عليهما) وذكرنا بعض الأدلة على ذلك وطرفاً من مناقبه.

ثالثاً: ذكرنا شيئاً من مناقب وفضائل السيِّدة الفاضلة فاطمة بنت أسد (رضوان الله عليها).

رابعاً: ختمنا باب المناقب والفضائل بذكر بعض مناقب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

خامساً: ذكرنا بعض الأحاديث الواردة على لسان النَّبيّ ﷺ وعلى لسان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) التي صرحت بمصيبته (صلوات الله عليه) وبأسم القاتل..

سادساً: دخلنا في بحثٍ تحليلي حول شركاء الجريمة.

سابعاً: بدأنا عرض أحداث ليالي الحزن بما تتضمّنُه من أحداث قبل جرح الإمام (صلوات الله عليه) وأحداث الضربة ومن ثُمّ ذكر الوصايا والأحداث إلى دفن الإمام (صلوات الله عليه) والمراثي..

ثامناً: تحدثنا عن سبب إخفاء القبر الشريف وظهوره في زمن مولانا الإمام أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه).

تاسعاً: بحثنا موضوع زيارة القبور لنصل إلى شعيرة الزيارة لمرقد النَّبيّ الأعظم ﷺ وأضرحة أئمَّة أهل البيت (صلوات الله عليهم) وتحدثنا عن أهدافها وآدابها.

عاشراً: ختمنا بذكر مجموعة من المراثي لجملة من الخطباء والأدباء والشعراء.

ولا يخفى على القارئ الكريم أننا عمدنا إلى شرح كثيرٍ من المفرداتِ اللغوية ـ ممَّا يحتاج إلى بيان ـ التي وردت في النصوص التاريخيةِ والأخبار

الشرعية وخصوصاً التي وردت في وصايا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فبيَّنته بأخصر ما يمكن ليتوضح المعنى لدى القارئ.

وعمدنا أيضاً إلى عرض بعض تراجم أصحاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مِمّا كان له ذكرٌ في هذه القضية كالأصبغ بن نباتة، وحُجر بن عَدي، وعبد الله بن عباس، وغيرهم (رضوان الله عليهم) بهدف التعرُّف على هذه الوجوه المشرقة.

أيضاً عرضنا جملة من تراجم بعض الشخصيات الإسلاميّة الذين ورد ذكرهم في البحث.

وقد بذلتُ جهداً كبيراً في إخراج هذا الكتاب بهذه الصورة.. وأسميته ـ دموعٌ في ليالي الحزن ـ وقد شَرعتُ في تأليفه يوم ذكرى مولد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) المصادف في الثالث عشر من شهر رجب الأصبّ سنة ـ١٤٣٣ـ للهجرة النبويَّة الشريفة، وكان الفراغ من مسودته في يوم ذكرى مولد الرسول المصطفى ﷺ غروب ليل السابع عشر من ربيع المولد سنة ـ ١٤٣٤ـ للهجرة النبويَّة الشريفة.

ختاماً:

أسأل الله العليَّ القدير أن يمنَّ علينا بحسن العاقبة، وأن يتقبله منّا بقبولٍ حسنٍ، وأن ينفع به المؤمنين والمؤمنات، ليكون ذخراً لنا ليوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنونٌ إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم، وأن يرزقنا شفاعة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وشفاعة أهل البيت (صلوات الله عليهم) وأن يحشرنا معهم إنَّه قريب مجيب.

محمود مهنا العامليّ
جبل عامل ـ صدّيقين
حرر بتاريخ: ٢٠ جمادى الثانية ١٤٣٤هـ
الموافق: ٢ أيار سنة ٢٠١٣م

تقسيم الكتاب:

جرى تقسيم هذا الكتاب إلى عشرة أقسام في كل منها جملة من الأبواب والفصول والمطالب.

- **القسم الأوّل**: وفيه عرضٌ لمنهج البحث، ثُمَّ عرضٌ لمصادر البحث، وتعريفٌ ببعضِ المؤرخين، ثُمَّ عرضٌ لدوافعِ تأليفِ هذا الكتاب.
- **القسم الثاني**: في الفضائل والمناقب، بحثتُ فيه حول إيمان آباء النَّبيّ ﷺ ثُمَّ التعريف بشيبةِ الحمدِ، وشيخ البطحاء، ثُمَّ عرضتُ بعض فضائلِ إبي طالبٍ (رضوان الله عليه) وإثباتِ إسلامهِ، ثُمَّ عرضتُ بعض فضائلِ ومناقبِ الصحابية الجليلة فاطمة بنت أسد (رضوان الله عليها)، وختمتُ هذا القسم بعرضِ طرفٍ من سيرة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وذكر شيءٍ من فضائلهِ ومناقبهِ.

وفيه مدخلٌ وثلاثة أبواب.

ـ المدخل فيه ثلاثة مطالب:

ـ المطلب الأوّل: إيمان آباء النَّبيّ ﷺ.

ـ المطلب الثاني: التعريف بشيبة الحمد.. نسبه.. ديانته.. كفالته للنَّبيّ.. موقفه من أبرهة.. وغيرها.

ـ المطلب الثالث: التعريف بشيخ البطحاء.. كفالته للنَّبيّ.. مواقفه.

أما أبواب هذا القسم فهي ثلاثة أبواب:

ـ الباب الأوّل: في مناقب وفضائل أبي طالب، وفيه تمهيدٌ وأربعةُ فصولٍ.

ـ **الفصل الأوّل**: يتحدث عن روايات الحاقدين حول إسلام أبي طالب، وفيه جملة من المطالب.

ـ **المطلب الأوّل**: حديث الضحضاح.

ـ **المطلب الثاني**: حديث المشرك الضال.

ـ **المطلب الثالث**: حديث لأستغفرن لك.

ـ **المطلب الرابع**: عقيدة تكفيريّة.

ـ **المطلب الخامس**: نظرةٌ في أحاديثِ الحاقدين.

ـ **الفصل الثاني**: إسلام أبي طالب.. نظرة في آراء المذاهب.

ـ **الفصل الثالث**: الأدلة على إسلام أبي طالب وفيه أربعة مباحث.

ـ **المبحث الأوّل**: الآثار الأدبية لأبي طالب.

وفيه جملة من الشواهد.

ـ **المبحث الثاني**: نماذجٌ من سيرةِ أبي طالب.

وفيه جملة من المواقف.

ـ **المبحث الثالث**: أخبار في إيمانِ أبي طالب.

وفيه جملة من الأخبار.

ـ **الفصل الرابع**: في ذكر الأسباب التي لأجلها كتم أبو طالب إسلامه.

❁ ❁ ❁

ـ **الباب الثاني**: يتحدّث حول مناقب وفضائل فاطمة بنت أسد.

وفيه تمهيدٌ وثلاثةُ مطالب

ـ **المطلب الأوّل**: فاطمة بنت أسدّ من السابقات إلى الإيمان بالنَّبيّ ﷺ ودينه.

ـ **المطلب الثاني**: بكاء النَّبيّ على فاطمة بنت أسدّ عند موتها.

ـ **المطلب الثالث**: حول جملة من مناقب وفضائل فاطمة بنت أسدّ.

❁ ❁ ❁

ـ **الباب الثالث**: في مناقب وفضائل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وفيه تمهيد وجملة من المطالب.

ـ **المطلب الأوّل**: إيجاز عن سيرة أمير المؤمنين وحياته.. ولادته.. جهاده.. حياته العائلية والأسرية.. خلافته.. وحكومته.. شهادته.

ـ **المطلب الثاني**: وليد الكعبة المعظمة.. كرامة ولادة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في الكعبة الشريفة.

ـ **المطلب الثالث**: علي حُبه جُنة..

حب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من ضروريات الدين ومنجاة من النار.

ـ **المطلب الرابع**: علي أفضل من أنبياء أولي العزم.. عرضٌ لحديث المفاضلة وأن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أفضل من جميع الأنبياء حتى أولي العزم منهم باستثناء النَّبيّ الأعظم محمّد ﷺ.

ـ **المطلب الخامس**: فضائله في علمهِ ومعرفتهِ وحكمتهِ، وأنه أعلم الأمّة بعد رسول الله ﷺ.

ـ **المطلب السادس**: أمير المؤمنين يتحدث عن علمه.. حديث سلوني قبل أن تفقدوني.

ـ **المطلب السابع**: بولاية عليٍّ تقبلُ الأعمال وتزكى الأفعال.

ـ **المطلب الثامن**: في أنه (صلوات الله عليه) قسيمُ الجنّة والنار.

ـ **المطلب التاسع**: فضائله في جهادهِ، وأنه بطلُ المعاركِ الإسلاميّة وبسيفه قام الإسلام.

ـ **المطلب العاشر**: شفاعةُ أمير المؤمنين لشيعته ومحبيه يوم القيامة.

ـ **المطلب الحادي عشر**: فضائله.. جملة من الفضائل مثل كلام الشمس، إحياء الموتى، حديث الطائر، لقب أبي تراب وغيرها.

ـ **المطلب الثاني عشر**: جملة من أقوالِ المفكرين في مدح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

ـ **المطلب الثالث عشر**: جملة من المقطوعات الشعرية في حق أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

❁ ❁ ❁

- **القسم الثالث**: فيه تمهيدٌ حول علم الإمام بقاتله وعرضٌ لبعض الأحاديث الواردة في شهادة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وهي على قسمين:

الأوّل: فيه بيانٌ لبعض الأحاديث الواردة بهذا الشأن على لسان رسول الله ﷺ.

الثاني: خصوص بعض الأحاديث الواردة بهذا الشأن على لسان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

وفيه مبحثان:

ـ **المبحث الأوّل**: النَّبيّ ﷺ يُخبر باستشهاد أمير المؤمنين، وفيه جملة من المطالب.

ـ **المطلب الأوّل**: الشهادة من ورائك.

ـ **المطلب الثاني**: إنّك مقتول.

ـ **المطلب الثالث**: بأبي الشهيد.

ـ **المطلب الرابع**: قاتله أشقى الآخرين.

ـ **المطلب الخامس**: قاتله أشقى هذه الأمة.

ـ **المطلب السادس**: قاتله أشقى الناس.

ـ **المطلب السابع**: قاتله أشقى الأوّلين والأخرين.

ـ **المطلب الثامن**: نبيّ الله موسى يخبر بشهادة أمير المؤمنين.

ـ **المبحث الثاني**: أمير المؤمنين يخبر بشهادته، وفيه جملة من المطالب.

ـ **المطلب الأوّل**: معرفة الإمام بقاتله.

ـ **المطلب الثاني**: ما ينتظر أشقاها.

ـ **المطلب الثالث**: يقتلني رجل خامل الذكر.

ـ **المطلب الرابع**: هذا قاتلي.

❁ ❁ ❁

- **القسم الرابع**: خيوط المؤامرة... ضبط خيوط مؤامرة اغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وفيه لمحةٌ حول معركةِ صفين، ولمحةٌ حول معركةِ النهروان، ثُمَّ اتفاق الخوارج في مكة على قتلِ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ثُمَّ دخول ابن ملجم إلى الكوفة ونزوله عند الأشعث ولقائه مع قطام وما جرى بينهما من اتفاق، وفيه مبحثان وجملة من المطالب.

ـ **المبحث الأوّل**: لمحةٌ حول معركة صفين، وما جرى فيها من خديعةِ رفع المصاحف وفرض لجنة التحكيم، وما أفرزته من الخوارج.

ـ **المبحث الثاني**: لمحةٌ حول معركةِ النهروان، وما جرى فيها من محاربة الإمام عليّ (صلوات الله عليه) للخوارج، وانتصاره عليهم وما أفرزته من حقدٍ وبغض.

ـ **المطلب الأوّل**: يتحدث عن اتفاق الخوارج في مكة.. حيث اتفق مجموعة من الخوارج على قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، بزعمهم أن هؤلاء الثلاثة أساس الإضطرابات في الأمّة الإسلاميّة.

ـ **المطلب الثانيّ**: عبد الرحمن بن ملجم في الكوفة.. ونزوله عند الأشعث.. وترصده لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

ـ **المطلب الثالث**: ابن ملجم وقطام.. اتفاق على الزواج.. مهر قطام.. دم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

ـ **المطلب الرابع**: قطام تطلب معاوناً لابن ملجم.. شبيب بن بجرة.. لعلمها بأنَّ ابن ملجم لن يستطيع وحده القيام بهذه المهمة..

ـ **المطلب الخامس**: حوار بين ابن ملجم وشبيب.

ـ **المطلب السادس**: ابن ملجم يلتقي بأمير المؤمنين.

ـ **المطلب السابع**: قطام معتكفة في المسجد الأعظم.

❁ ❁ ❁

● **القسم الخامس**: شركاء الجريمة..

شركاء الجريمة في قضية اغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) على قسمين:

القسم الأوّل: شركاء مباشرون وهم: ابن ملجم، شبيب بن بجرة، وردان بن مجالد.

القسم الثاني: شركاء غير مباشرين، وهم معاوية والأشعث والخوراج وقطام.

ـ **القسم الأوّل**: وفيه تمهيد وجملة من المباحث.

ـ **المبحث الأوّل**: مهمة البرك بن عبد الله التميميّ.

ـ **المبحث الثاني**: مهمة عمرو بن بكر التميميّ.

ـ **المبحث الثالث**: مهمة عبد الرحمن بن ملجم المراديّ.

ـ **القسم الثاني**: شركاء غير مباشرين وفيه جملة من المباحث.

ـ **المبحث الأوّل**: معاوية المخطط الأوّل.. وفيه تمهيدٌ وجملة من المطالب.

ـ **المطلب الأوّل**: حقائقٌ وقرائن.

ـ **المطلب الثاني**: مشروعية الحراسة في الإسلام.

ـ **المطلب الثالث**: وثيقة تاريخيّة.

ـ **المطلب الرابع**: شبهة ورد.

ـ **المبحث الثاني**: شراكة الأشعث بن قيس.. وفيه تمهيد وجملة من المطالب.

ـ **المطلب الأوّل**: ترجمة الأشعث.

ـ **المطلب الثاني**: الأشعث يفرض التحكيم.

ـ **المطلب الثالث**: أمير المؤمنين يلعن الأشعث.

ـ **المطلب الرابع**: الأشعث والبيت المشؤوم.

ـ **المبحث الثالث**: دور قطام

ـ **المطلب الأوّل**: قطام.. أحقادٌ.. وضغائن..

ـ **المطلب الثاني**: مبالغات في دور قطام

ـ **المطلب الرابع**: الخوارج.. كفرٌ ونفاق.

ـ بعض أخبار ابن مجلم

ـ **المطلب الخامس**: هل انتصر معاوية على أمير المؤمنين.

❁ ❁ ❁

● **القسم السادس**: أحداث شهادة أمير المؤمنين.

وفيه ستة فصول تم من خلالها:

ـ عَرضٌ للأحداث التي حصلت ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك حيث ضُرب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

ـ جملة وصاياه.. وأحاديثه مع زواره.. وأولاده..

ـ شهادته.. ودفنه.. ورثاء أبنائه وأصحابه.. وما إلى ذلك

ـ **الفصل الأوّل**: أحداث الليلة التاسعة عشر من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة،

وفيه جملة من المطالب:

ـ **المطلب الأوّل**: أمير المؤمنين ضيف عند الحوراء.

حيث كان (صلوات الله عليه) يفطر كل ليلة عند أحد أبنائه وفي هذه الليلة

كان إفطاره في منزل ابن أخيه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب زوج الحوراء زينب (سلام الله عليها).

موعظة أمير المؤمنين عند الإفطار.

يتحدث أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في موعظته عن أن ما من مؤمن كثر مطعمه ومشربه إلّا طال وقوفه بين يدي الله تبارك وتعالى.

أمير المؤمنين على مائدة الإفطار.

حيث كانت مائدة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لبنٌ وملحُ جريشٍ وخبزُ شعيرٍ ولم يرضى أن يتناول إفطاره حتى يُرفع أحد هذه الأصناف.

ـ المطلب الثاني: أمير المؤمنين في محراب العبادة.

صلاة.. تسبيح.. قراءة قرآن..

مناجاة مع الله.

اللهم مللتهم.. وملوني.. ما ينتظر أشقاها..

رؤيا أمير المؤمنين لرسول الله.

اللهم أبدلني بهم خيراً منهم..

أمير المؤمنين في محراب العبادة مرة أخرى.

صلاة.. دعاء..

ـ المطلب الثالث: حديث أمير المؤمنين مع السيَّدة زينب.

أمير المؤمنين ينعى نفسه.. قَرُبَ الأجل.. وانقطع الأمل..

صوائح تتبعها نوائح.

أراد الخروج من الدار.. خرجت وراءه إوزٌ.. رفرفن وصحن في وجهه..

رؤيا أمير المؤمنين الثانية.

جبرائيل على جبل أبي قبيس ينعى أمير المؤمنين..

ـ المطلب الرابع: الدخول إلى مسجد الكوفة الأعظم.

المرادي وصاحبيه في المسجد.. الأشعث يحث ابن ملجم على التنفيذ.. حجر بن عدي يعلم بالمؤامرة قبل الوقوع..

أمير المؤمنين في المسجد الأعظم.

دخل المسجد.. أيقد النائمين.. الصلاة خير العمل.. لو شئت لأنبأتك بما أخفيته..

ـ المطلب الخامس: الفجر يأذن بالصلاة..

وخضب بدمه الزاكي.. خطبٌ أذاب من البتول فؤادها..

أمير المؤمنين في محراب الشهادة.

فزت ورب الكعبة.. هذا ما وعدنا الله ورسوله..

ملاك الوحي يعلن شهادة أمير المؤمنين.

تهدمت والله أركان الهدى..

زينب تنعى أباها.

واأبتاه.. واعلياه..

الناس تنعى أمير المؤمنين.

قتل إمام العابدين.. والمجاهدين..

أبناء أمير المؤمنين في المسجد الأعظم.

ليت الموت أعدمنا الحياة ولا نرى يومك هذا..

ـ المطلب السادس: الإمام الحسن يصلي بالناس.

أمير المؤمنين يصلي مومياً..

الناس في المسجد الأعظم.

الناس تهرع نحو المسجد الأعظم.. إلهي أسألك مرافقة الأنبياء..

أمير المؤمنين يخبر بمصيبة الحسنين.

يا أبا محمّد ستقتل مسموماً.. وأخوك الحسين مذبوحاً..

رواية ثانية حول ضرب أمير المؤمنين.

النجاء النجاء.. فقد فضحك الصبح..

رواية ثالثة حول ضرب أمير المؤمنين.

لا يفوتنكم الرجل..

ـ المطلب السابع: فرار ابن ملجم ومعاونَيه.

مقتل شبيب بن بجرة.. فرار وردان وابن ملجم..

إلقاء القبض على ابن ملجم.

المغيرة بن نوفل بن عبد المطَّلب يلقي القبض على ابن ملجم..

أمير المؤمنين يتحدث مع ابن ملجم.

أمير المؤمنين يسأل قاتله عن السبب الذي دفعه لارتكاب هذا الجرم..

حذيفة النخعي يروي.

رفقاً بابن ملجم..!!.

أمير المؤمنين يوصي بابن ملجم.. إرفق بأسيرك..

❁ ❁ ❁

ـ الفصل الثاني: أحداث اليوم التاسع عشر من شهر رمضان.

وفيه جملة من المطالب:

ـ المطلب الأوّل: أمير المؤمنين يُحمل إلى داره.

حُمل أمير المؤمنين إلى داره.. ربط الله قلبك بالصبر.. وأجزل لك ولإخوتك عظيم الأجر..

فضة تريد الانتقام من ابن ملجم

إن كنتِ باكية فابكي على نفسكِ..

زينب وأم كلثوم في محضر أمير المؤمنين.

من للصغير حتى يكبر ومن للكبير بين الملأ..

لا ألفينَّكم تخوضون دماء المسلمين.

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾

ـ المطلب الثاني: الأصبغ بن نباتة في عيادة أمير المؤمنين.

حدثني.. فإني لا أسمع منك بعد هذا اليوم..

حديث أمير المؤمنين مع الأصبغ.

ألا من عقّ والديه فلعنة الله عليه..

رواية ثانية لحديث أمير المؤمنين مع الأصبغ.

ـ المطلب الثالث: أعهد عهدك يا أمير المؤمنين.

يا بني إنّي موصيكم بتقوى الله وطاعته..

ـ المطلب الرابع: الوصيّة العامة.

الله الله في الإسلام.. في القرآن.. في الصلاة.. في الصيام.. في الجيران..

ـ المطلب الخامس: إنّها والله الجنّة.

نفذ القضاء.. وأبرم المحتوم.. وجرى القلم بما فيه..

أمير المؤمن يعزي ابنته زينب.

لو رأيتِ مثل ما رأيتُ لما بكيتِ على أبيكِ..

ـ المطلب السادس: الأشعث يتأكد من قتل أمير المؤمنين.

الأشعث يستطلع الأخبار..

ـ المطلب السابع: لا تبغيا الدنيا.

عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنوا إليكم وإن فُقدتم بكوا عليكم..

وصيّته إلى محمّد بن الحنفية.

لا تقطعن أمراً دون الحسن والحسين..

وصيّته للحسنين بابن الحنفية.

إنّه سيفكما..

ـ المطلب الثامن: وصيّة أمير المؤمنين لولده الحسن.

لقد وجدتك بعضي.. بل وجدتك كلي..

❁ ❁ ❁

ـ الفصل الثالث: أحداث ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان.

وفيه جملة من المطالب:

ـ المطلب الأوّل: سلوني قبل أن تفقدوني.

أنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض..

حجر بن عدي يرثي أمير المؤمنين.

يا أسفي على المولى التقيّ..

ـ المطلب الثاني: خففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم.

ابن عباس لم يسأل إشفاقاً.. أمير المؤمنين يبدأ بالسؤال

أمير المؤمنين يتحدث.

لا تشركوا بالله... ولا تضيعوا سنة رسول الله..

وصيّة أمير المؤمنين بابن ملجم.

إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور..

ـ المطلب الثالث: إسلام جماعة من اليهود.

تكدّرت المياه.. سكن الهواء.. إسودّ الجو.. أسلم اليهود..

ـ المطلب الرابع: مجدداً مع الأصبغ.

لا يحبّني عبدٌ إلّا رآني حيث يسرّه..

❁ ❁ ❁

ـ الفصل الرابع: أحداث يوم العشرين من شهر رمضان.

وفيه جملة من المطالب:

ـ المطلب الأوّل: زينب تسأل عن حديث أم أيمن.

أمير المؤمنين يُصبِّر الحوراء على السبي..

ـ المطلب الثاني: حديث أم أيمن كاملاً.

ـ **المطلب الثالث**: زينب تطلب كفيلاً من أبيها.
يا أبتاه لأنعمنّك عينا..

* * *

ـ **الفصل الخامس: أحداث ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان**
وفيه جملة من المطالب:
ـ **المطلب الأوّل: وصيَّة أمير المؤمنين لولده العباس.**
يا نفس من بعد الحسين هوني..
ـ **المطلب الثاني: وصيَّة التجهيز والدفن.**
غسلني.. كفنّي.. حنطني.. صلّي عليَّ
أمير المؤمنين يوصي بإخفاء قبره.
إخفوه... لئلا يحفروه..
أمير المؤمنين يعزي الحسنين بمصائبهما.
اصبرا حتى يحكم الله..
ـ **المطلب الثالث: أمير المؤمنين في ذمة الله.**
الله خليفتي عليكم..
يومٌ كيوم وفاة رسول الله.
بنفسي ومالي ثُمَّ أهلي وأسرتي..
ـ **المطلب الرابع: بكاء الأرض والسماء.**
ما رُفع حجر إلّا وتحته دمٌ طري..
نوح الملائكة والجن على أمير المؤمنين.
عليٌّ رقى فوق الوغى..
ـ **المطلب الخامس: أمير المؤمنين على المغتسل.**
قلّبته الملائكة.. وغسّله خليفة رسول الله..
ـ **المطلب السادس: الخضر يرثي أمير المؤمنين.**

رحمك الله يا أبا الحسن كنت سيف الإسلام الأوّل..

ـ المطلب السابع: موكب التشييع.

من أجلك تعلمت البكاء.. إلى الله المشتكى..

فرحة الغري.

هذا قبرُ نبيِّ الله نوح..

جمعٌ من الأنبياء والملائكة تحضر التشييع.

وحضر رسول الله الدفن..

ـ المطلب الثامن: رثاء صعصعة بن صوحان.

بكيتك يا عليُّ بِدرّ عيني..

ـ المطلب التاسع: رثاء عبد الله بن عباس.

إن نقصان الأرض نقصان علمائها..

عبد الله بن عمر يرثي أمير المؤمنين.

أمير المؤمنين الطرف الأكبر في العلم..

❁ ❁ ❁

ـ الفصل السادس: أحداث اليوم الواحد والعشرين من شهر رمضان.

وفيه جملة من المطالب.

ـ المطلب الأوّل: بروحك إنّني علّقت روحي.

اللهم إنّي أسألك بحق هذه الحفرة المنوّرة..

ـ المطلب الثاني: خطبة رثائية للإمام الحسن.

ما خلّف خضراء ولا بيضاء..

ـ المطلب الثالث: أخذ البيعة.

هذا وصي إمامكم فبايعوه..

خطبة البيعة.

نحن عترة رسول الله الأقربون..

رثاء الإمام الحسن لأمير المؤمنين.

أين من كان لعلم المصطفى في الناس بابا..

ـ المطلب الرابع: فقد جعلنا لوليه سلطانا.

ـ المطلب الخامس: السيّدة زينب تندب أباها.

ألا يا عين.. فابكي أمير المؤمنينا..

ـ المطلب الثامن: إسلام راهب من اليهود.

سألتُ عن عليٍّ فأسلمت..

❁ ❁ ❁

● **القسم السابع:** فرح الخوارج بمقتلِ أمير المؤمنين.

يتحدث هذا القسم من الكتاب عن شماتة أعداء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بقتله...

وفيه ثلاثة مطالب

ـ المطلب الأوّل: معاوية يفرح بمقتل أمير المؤمنين.

اليوم قرَّت عيني..

ـ المطلب الثاني: عائشة تفرح بمقتل أمير المؤمنين.

جاءها الخبر.. فسجدت..

ـ المطلب الثالث: الخوارج يفرحون بمقتل أمير المؤمنين.

يا ضربة من تقيٍّ..!

❁ ❁ ❁

● **القسم الثامن:** ظهور القبر المطهر

يتحدث هذا القسم عن الضريح المقدس لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من حين الدفن إلى حين ظهوره والكشف عنه وعن سبب خفائه وزيارات أهل البيت (صلوات الله عليهم) له.

وفيه جملة من المطالب:

ـ **المطلب الأوّل: روايات في فضل الغري.**

أنت زائر عظام آدم وبدن نوح وجسم عليٍّ..

ـ **المطلب الثاني: أمير المؤمنين في مدفن نوح.**

ـ **المطلب الثالث: سبب إخفاء القبر الشريف.**

لأي حال دفن في الليل..؟!

الإختلاف في مكان القبر.

الناس أعرف بقبور آبائهم..

ـ **المطلب الرابع: ظهور القبر الشريف.**

هذا قبر جدي عليٍّ..

الرشيد يزور القبر الشريف.

فنزل هارون وصلى عند القبر..

❁ ❁ ❁

● **القسم التاسع:** زيارة أمير المؤمنين.

يتحدَّث هذا القسم عن زيارة مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وشرعيتها.. وعرضنا آراء أصحاب المذاهب من أهل السنة.. وكلمة للشيخ المظفر.. آداب الزيارة وأهدافها.. بعض شبهات الوهابيّة وردها..

وفيه تمهيدٌ وجملة من المطالب:

ـ **المطلب الأوّل:** مشروعيّة الزيارة.

من زار قبري وجبت له شفاعتي..

رأي أئمّة المذاهب الأربعة.

زيارة القبور راجحة..

أحاديث في فضل الزيارة ومشروعيتها.

تمام الحجة لقاء الإمام..
ابن تيميّة يحرّم زيارة القبور.
يحرم شدّ الرّحال إلى قبر النَّبيّ وقبور الآل..!.
ـ **المطلب الثاني: أحاديث في فضل زيارة أمير المؤمنين.**
ألا تزور من يزوره الله..؟!.
ـ **المطلب الثالث: أفضل من زيارة الحسين.**
وزيارة عليّ تعدل حجتين..
ـ **المطلب الرابع: كلمة للشيخ المظفّر.**
الزيارة من أفضل الطاعات والقربات بعد العبادات الواجبة..
من فوائد الزيارة..
الأدب الروحي..
ـ **المطلب الخامس:** آداب آداء الزيارة.
آداب تحقق رفع معنوية المسلم...
ـ **المطلب السادس:** أهداف آداب الزيارة.
ليست الزيارة إلّا السلام على المعصوم...
ـ **المطلب السابع:** أوقات الزيارة.
الزيارة راجحة في أي وقت..

❁ ❁ ❁

- **القسم العاشر:** في رثاء أمير المؤمنين.

يتحدث هذا القسم عن أهمية نظم الشعر بحق أهل البيت (صلوات الله عليهم).. وفيه عرضٌ
لبعض القصائد الرثائية الواردة بحق مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لعدد من الشعراء.
وفيه تمهيد وجملة من القصائد:

ـ القصيدة الأولى: للسيد حيدر الحلي.

قم ناشد الإسلام عن مصابه..

ـ القصيدة الثانية: للسيد حيد الحلي.

أقائمُ بيتِ الهدى الطاهرِ..

ـ القصيدة الثالثة: للسيد جعفر الحلي.

لبس الإسلام إبراد السواد..

ـ القصيدة الرابعة: للسيد مهدي الأعرجي.

رزءٌ به قد هدت قوائمه..

ـ القصيدة الخامسة: للسيد مهدي الأعرجي.

مصاب قد لوى للدين جيدا..

ـ القصيدة السادسة: للسيد مهدي الأعرجي.

مصاب دهى الإسلام فانهد جانبه..

ـ القصيدة السابعة: للسيد مهدي الأعرجي.

سيف أشقى الخلق من أب وجد..

ـ القصيدة الثامنة: للأديب محمّد رضا الأزري.

مصاب رمى ركن الهدى فتصدعا..

ـ القصيدة التاسعة: للشيخ كاظم البستي.

خطبٌ ألم بركن الدين فانهارا..

ـ القصيدة العاشرة للسيد صالح القزويني.

تالله لا أنساه في محرابه..

ـ القصيدة الحادية عشر: للشيخ سلمان البحراني.

أي رزءٍ شجى الرسول النَّبيّا..

القسم الأول

مقدمات بحث الكتاب

وفيه جملة من المباحث:

- المبحث الأوّل: منهج البحث في هذا الكتاب
- المبحث الثاني: تعريف بأمهات المصادر التاريخية
- المبحث الثالث: الدوافع وراء تأليف هذا الكتاب

ـ المبحث الأوّل: منهج البحث في هذا الكتاب

يتمثل منهج البحث في هذا الكتاب في ثلاثة اتجاهات:

ـ **الاتجاه الأوّل**: المنهج الروائي وذلك من خلال عرض الحدث التاريخي أو الرأي الديني وذلك من خلال أربعة أصول:

الأصل الأوّل: النصوص والروايات الواردة عن أئمّة أهل البيت (صلوات الله عليهم) والتي عرضت سيرة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، فإن الروايات الواردة عنهم (صلوات الله عليهم) هي أهم المصادر بعد القرآن الكريم، وليس لأحد أن يناقش في الروايات المنقولة عنهم بطريق صحيح.

هذا ولا شك أنّه قد ورد عن أهل البيت (صلوات الله عليهم) آلاف النصوص والروايات التي تحدثت عن سيرة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

الأصل الثاني: الروايات الواردة عن أصحاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) خاصة، وهم الذين عاشوا معه ولازموه وكانوا من حواريه أمثال عبد الله بن عباس، والأصبغ، وعبد الله بن جعفر، وغيرهم.

الأصل الثالث: النصوص التاريخية المشهورة بين المؤرخين، وإذا وجدنا نصين لحادثة واحدة بينهما اختلاف قمنا بنقل كلا النصين.

الأصل الرابع: النصوص التاريخية الواردة في الكتب المعتبرة المضبوطة بالضابطة العلميّة من عدم التناقض والتنافي بين النصوص، وأن لا تكون مخالفة

للواقع المحسوس، وأن لا تكون مخالفة للشريعة، وأن لا تكون مخالفة لحكم العقل ولا للفطرة السليمة.

ـ **الاتجاه الثاني**: المنهج التحليلي وذلك من خلال معرفة البواعث والأهداف والغايات من وراء عملية اغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ويتمثل ذلك بفهم النصوص التاريخية والقرائن والشواهد.

ـ **الاتجاه الثالث**: المنهج التوثيقي: وذلك من خلال توثيق المتون الروائية، والنصوص التاريخية، وأقوال العلماء والمفكرين والشعراء والأدباء.

ـ المبحث الثاني: مصادر البحث التاريخي

من أهم مصادر البحث التاريخي التي لا بد للباحث أن يتأمل فصولها وينظر في صفحاتها ويتبين فقراتها ويبحث في كلماتها جملة من المصادر نورد الحديث عنها على الشكل التالي:

ـ أوّلاً: تأريخ الأمم والملوك:

كتاب ـ تأريخ الأمم والملوك ـ يُعدُّ من أهم كتب التاريخ، وهو يتحدث عن التأريخ القديم بإسهاب، ويتحدث أيضاً عن سيرة النَّبيّ ﷺ وعن سيرة الخلفاء، ويحتوي على أحداث واقعة استشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ووصاياه وما رافق ذلك من أحداث وذلك في شهر رمضان المبارك سنة أربعين للهجرة.

وقد اعتمدنا في ذلك على طبعة دار الكتب العلميَّة الصادرة في بيروت عام (١٩٩٧م) المكونة من خمسة مجلدات وقد وردت واقعة استشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في المجلد الثالث في أحداث سنة أربعين للهجرة صفحة (١٥٣).

يقول العلّامة الشيخ محمّد مهدي شمس الدين ﷺ في معرضِ حديثه عن كتاب ـ تاريخ الأمم والملوك ـ:

(سنعتمد بشكل أساسي على محمّد بن جرير الطبريّ في كتابه. . . وقد آثرناه على غيره من الموسوعات لأنه يتيح للباحث فرصة معرفة سند الرواية، والتأكيد من أنها رواية شاهد عيان، كما يتيح للباحث فرصة المقارنة والترجيح لِما يغلبُ فيه من نقل عدة روايات للحادث الواحد)[1].

أما مؤلف الكتاب فهو محمّد بن جرير ويكنى أبا جعفر، صاحب التاريخ، عامي المذهب محدّث ومؤرخ من علماء القرن الثالث الهجري، ولد في العام (٢٢٤) وتوفي في العام (٣١٠) فيكون عمره (٨٦) سنة.

قال المسعودي في مروج الذهب حول الكتاب: وأما تأريخ أبي جعفر محمّد بن جرير الطبريّ الزاهي على المؤلفات، والزائد على الكتب المصنفات، فقد جمع أنواع الأخبار وحوى فنون الآثار وأشتمل على صنوف العلم وهو كتاب تكثر فائدته وتنفع عائدته، وكيف لا يكون ذلك؟! ومؤلفه فقيه عصره وناسك دهره، إليه انتهت علوم فقهاء الأمصار وحملة السنن والآثار، وكذلك تأريخ أبي عبد الله إبراهيم بن محمّد بن عرفة الواسطي النحوي الملقب بنفطويه فمحشو من ملاحة كتب الخاصة مملو من فوائدها الشاذة وكان أحسن أهل عصره تأليفاً وأملحهم تصنيفاً. انتهى.

وقال ابن خُلّكان: أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبريّ وقيل يزيد بن كثير بن غالب صاحب التفسير الكبير والتأريخ الشهير كان إماماً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتأريخ وغير ذلك،. وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله، وكان من الأئمّة المجتهدين

(١) شمس الدين، محمّد، أنصار الحسين، صفحة (٣) طبعة مؤسسة الكتاب الإسلامي بيروت.

لم يقلد أحداً وكان أبو الفرج بن المعافى بن زكريا النهرواني المعروف بابن طرار (طراوي) على مذهبه وكان ثقة في نقله، وتأريخه أصح التواريخ وأثبتها[1].

ـ ثانياً: الطبقات الكبرى:

الطبقات الكبرى، كتاب في ثمانية مجلدات عرض فيه المؤلف لترجمة وأخبار الخلفاء والصحابة والتابعين.

مؤلفه هو أبو عبد الله محمّد بن سعد الزهريّ البصري، كان أحد الفضلاء الأجلاء كثير العلم غزير الحديث والرواية كثير الكتب من علماء القرن الثاني الهجري، ينقل منه سبط ابن الجوزي كثيراً في التذكرة.

ولد سنة (١٦٨) للهجرة بالبصرة، فنسب إليها، وارتحل إلى بغداد وأقام فيها ملازماً لأستاذه الواقدي يكتب له، حتى عرف باسم «كاتب الواقدي»، وكانت له رحلة إلى المدينة والكوفة، وقد كان أحد أجداده مولى لبني هاشم، ولكن ابن سعد نفسه كان قد تحلَّل من عهدة الولاء، وفي نسبته أنه زهري، وهي نسبة غريبة بعدما صرّحت الروايات بولاء أهله لبني هاشم.

وأثناء حلّه وترحاله، كان شغله الشاغل هو لقاء الشيوخ وكتابة الحديث وجمع الكتب، ولذلك اتصل بأعلام عصره من المحدثين فروى عنهم وقيَّد مروياته، وأفاد منها في تصنيف كتبه حتى وصف بأنه كان كثير العلم، كثير الحديث والرواية، كثير الكتب. وهذا الخبر قد يدل على أن نشاطه لم يقف به عند تأليف الطبقات، وعلى سعة باعه في نواحٍ علمية كثيرة فإن المصادر لم تذكر له من المؤلفات إلّا كتابين آخرين - عدا الطبقات الكبير - وهما كتاب الطبقات الصغير، وهو مستخرج من المؤلف الأوّل، وكتاب أخبار

(١) القمي، عباس، الكنى والألقاب، صفحة (٢٤٣).

النَّبيّ - وهو الكتاب الوحيد الذي ذكره ابن النديم - وربَّما لم يكن شيئاً سوى الجزأين الأوّلين من الطبقات الكبير، أي أن الكتب الثلاثة في حقيقتها كتاب واحد، وتسكت المصادر عما سوى ذلك من مؤلفات. توفي ابن سعد في بغداد سنة (٢٣٠) للهجرة.

ونستطيع أن نقول إن ابن سعد كان على إتصال بأكبر رجال الحديث في عصره، سواء أكانوا شيوخاً أم تلامذة. وقد ذكر قضية استشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ضمن ترجمته له (صلوات الله عليه) في المجلد الثاني، وقد اعتمدنا على طبعة دار صادر الصادرة في بيروت عام (١٩٦٨م).

ـ ثالثاً: مروج الذهب ومعادن الجواهر:

مؤلفه أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، هو من ذرية عبد الله بن مسعود.. رحالة بحاثة علامة مؤرخ من علماء ومؤرخي القرن الثالث الهجري، من أهل بغداد أقام بمصر وتوفي فيها، ويظهر من كلمات الرجاليين أنه كان شيعياً، له كتاب إثبات الوصيَّة لعليّ عليه السلام، وقد ذكره علماء الرجال بالمدح والثناء وترحّم عليه الكشيَّ رحمه الله في معجم رجاله، وليس صحيحاً أنَّه من المعتزلة كما ذكر الذهبيَّ، له مصنفات كثيرة، يقع كتابه مروج الذهب في أربع مجلدات وبدأ حديثه في كتابه من ذكر المبدأ وشأن الخليقة وخلق البشريَّة من نبينا آدم عليه السلام إلى نبينا إبراهيم عليه السلام وساق الحديث إلى ذكر الملوك والأمم والبلدان إلى نبينا محمّد صلى الله عليه وآله وذكر معاركه وطرفاً من سيرته، وذِكر الخلفاء وما جرى معهم مع أبناء زمانهم، ففي المجلد الثاني من الكتاب ذكر المسعودي مقتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) تحت عنوان ـ مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ صفحة (٤٤٣) وقد اعتمدنا في هذا الكتاب طبعة دار القارئ الصادرة في بيروت عام (٢٠٠٥م).

ـ رابعاً: كتاب الفتوح:

مؤلفه أحمد بن أعثم الكوفيّ، من مؤرخي القرن الثالث الهجري كان معاصراً للطبري والمسعودي. ألف كتاباً قصصياً عن الخلفاء الراشدين وغزواتهم وينقل الكثير من المؤرخين أنه كان متأثراً بمذهب الشيعة، وقد اهتم اهتماماً ملحوظاً في تاريخه بفترة حكم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وكذلك ذكر واقعة الطف مفصلاً وما جرى على أهل بيت النَّبيّ ﷺ، وقد وصفه ياقوت الحموي بالتعصب للشيعة ولذلك ضعَّف حديثه.

وقد بدأ حديثه في كتابه من حين وفاة النّبيّ ﷺ واستلام أبي بكر للخلافة. وفي المجلد الثاني صفحة (٢٧٦) ذكر ابن أعثم الكوفيّ أحداث استشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه). كتابه الفتوح يقع في خمسة مجلدات، وقد اعتمدنا طبعة دار الأضواء الصادرة في بيروت عام (١٩٩١م).

ـ خامساً: تاريخ مدينة دمشق:

المؤلف هو علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر رحَّالة طاف الدنيا في طلب الحديث والتاريخ من علماء القرن الخامس الهجري. سمى ابن عساكر تاريخه ـ تاريخ مدينة دمشق ـ وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها في موسوعة ضخمة مؤلفة من ثمانين مجلداً، وقد اختصرت هذه الموسوعة بطبعة حُذف منها الأسانيد والمكررات، ويفهم من تسميته هذه أنّه أرّخ لمدينة دمشق في مرحلة ما أو في عصره، والذي يعرض للكتاب يرى أن ابن عساكر لم يخص دمشق أو نواحيها فقط بل تعداها في الكلام فكتب لبلاد الشام كلها ويصبح التخصيص في التسمية قاصراً عن الإحاطة بمضمون شموليّة الكتابة والمواضيع والتراجم التي تطرأ إليها.

يقول الدكتور شكري فيصل: إن المؤلف لا يقدم لنا تاريخاً دمشقياً ولا

تاريخاً شامياً فحسب وإنما يقدم تاريخاً حضارياً لهذه البلاد كلها التي إنتشر فيها الإسلام وسادت فيها العربية وإنساحت فيها مهاجرة العرب المسلمين بين أقصى الشرق فيما وراء النهر وبين أطراف المحيط. . ولقد خص الحافظ المجلدة الأولى بفضائل الشام وفتوح الشام عامَّة وبعض المجلدة بخطط دمشق وذكر مساجدها وكنائسها وأبوابها ودورها وأنهارها وقنواتها ثُمَّ بدأ بالترجمة لكل من دخلها أو اجتاز بنواحيها من أنبيائها وهداتها وخلفائها وولاتها وفقهائها وقضاتها وعلمائها ورواتها وقرائها ونحاتها وشعرائها ورواتها.

ولا يخفى على من تفحَّص في هذه الموسوعة القيِّمة أن يجد ترجمة مطوَّلة واسعة ووافية لأهل البيت (صلوات الله عليهم) وقد ذكر ابن عساكر أحداث استشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ضمن هذه الموسوعة في المجلد (٤٢). وقد اعتمدنا في ذلك على طبعة دار الفكر الصادرة في بيروت عام (١٩٩٨).

ـ سادساً: تاريخ اليعقوبيّ:

كتاب تاريخ اليعقوبيّ يحكي سيرة مجموع من الأنبياء (صلوات الله عليهم) من نبي الله آدم عليه السلام مروراً بأنبياء أولي العزم (صلوات الله عليهم) ويحكي أيضاً سيرة ملوك اليونان والروم والهند وبابل وغيرهم وصولاً إلى السيرة المباركة للنبيّ المصطفى ﷺ إلى سيرة الخلفاء وصولاً إلى سيرة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وخلافته وخلافة الإمام الحسن (صلوات الله عليه) وقد ذكر أيضاً حكومة بني أمية وحكام الدولة المروانيّة والدولة العباسيّة وقد ذكر أيضاً شهادة الأئمّة (صلوات الله عليهم) على أيدي حكام الجور.

المؤلف هو أحمد بن أبي يعقوب من علماء القرن الثالث الهجري، وكتابه في مجلدين. ذكر قضية استشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بشكل مختصر جداً وقد اعتمدنا طبعة دار صادر الصادرة في بيروت.

ـ سابعاً: مقاتل الطالبيين:

هو من المصادر الهامَّة والمعتمدة في البحث التاريخي، وفيه ذكر أخبار من قتل من آل أبي طالب (رضوان الله عليه) من أول شهيد استشهد مع النَّبيّ ﷺ في معركة مؤتة وقد لقبه النَّبيّ ﷺ بـ(جعفر الطيار) وهو جعفر بن أبي طالب. ثُمَّ شهادة الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه). ثُمَّ شهادة الإمام الحسن (صلوات الله عليه). ثُمَّ ذكر شهادة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) وشهادة أهل بيته الكرام عليهم السلام.

مؤلفه هو علي بن الحسين بن محمّد الأصبهاني ينتهي نسبه إلى بني أمية من علماء القرن الرابع الهجري. له كتاب الأغاني، كان حافظاً للشعر والأدب والأخبار والآثار، وقد اختلفوا في مذهبه فذهب البعض إلى تشيُّعه، وقال آخر أنه من الزيدية.

ولكن من يتصفح كتاب الأغاني يجد أن الرجل قد مدح عبيد الله بن زياد وذكر فضائل أبيه زياد، وذكر فضل يزيد بن معاوية، وقد أشاد بأخلاق بني أمية، وذكر محاسن هشام بن عبد الملك، وقد افترى على السيِّدة الطاهرة سكينة بنت الحسين (صلوات الله عليه) افتراءات كاذبة ودنيئة من أنها (صلوات الله عليها) كانت تقصد مجالس الشعراء وما إلى ذلك..!!

ولذلك يقول المحقق السيِّد المقرَّم (أعلى الله مقامه): (ولم يثبت تشيُّعه من طرق صحيحة، وإن أرسله المؤرخون، حتى انطلى على جملة من الشيعة فذكروه في رجالهم وذهب عنهم أن هذه الأكذوبة أمرٌ دُبِّر بليلٍ، إنَّما افتعلوها ليحمِّلوا الشيعة أوزاراً مِمّا أثبته من المنكرات. ومِمّا يشهد بعدم وثوق أولئك المؤرخين بتشيعه مع إرسالهم له أنا نراهم يبخسون في تراجمهم حقوق علماء الإمامية، ويرمونهم بالطامات من عيب في الدين أو نقص في المروءة أو مروق عن الورع مع إكبارهم لكل من مال عن أهل البيت،

فإعظامهم هذا الرجل بالمدح البالغ حده مع وقوفهم على خلاعته وخفة عقله وبذاءة لسانه وفسق جوارحه ليس إلّا ما ذكرناه من تحامله على أهل البيت، ومن انضوى إلى رايتهم ودعا إلى مبدئهم واعترف بنزاهتهم إعلاماً بأن الرجل من الشيعة وهو أعرف بما هم عليه،ولكن النظرة الدقيقة في التاريخ تفيدنا أن الرجل كما أنه مرواني النسب مرواني النزعة)[1].

ـ ثامناً: الإمامة والسياسة:

وهو مؤلفٌ من جزأين يحكي تاريخ الخلفاء الراشدين ثُمَّ حكَّام بني أمية ثُمَّ حكَّام بني العباس حتى المأمون العباسي، وقد عرض الكلام عن قضية أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في الجزء الأوّل.

مؤلفه هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري من أئمَّة الأدب والتاريخ الذين يشار إليهم بالبنان وهو من علماء القرن الثالث الهجري وقد اعتمدنا طبعة مؤسسة الحلبيّ الصادرة في القاهرة.

ـ تاسعاً: شرح النهج لابن أبي الحديد:

هو من أطول شروح نهج البلاغة، ويشتمل على جملة من العلوم والآداب والمعارف، وقد أسهب المؤلّف في عرض القضايا التاريخيَّة وعرض فيه لكثير من فضائل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وأهل البيت عليهم السلام وكذلك عرض قضية استشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في أكثر من موضع وكذلك لوصاياه وما رافق ذلك من أحداث وقضايا.

مؤلفه هو عزَّ الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمّد . .بن أبي الحديد المدائنيّ المعتزلي، من علماء القرن السادس الهجري، أحد جهابذة العلم

(١) المقرّم، عبد الرزاق، السيّدة سكينة، صفحة (٦١)، طبعة دار الأضواء بيروت.

في العصر العباسي الثاني، فقيهاً أصولياً متكلماً جدلياً أديباً ناقداً خبيراً بمحاسنِ الكلام ومساوئه وكان أديباً متضلّعاً في فنون الأدب.

وقد اعتمدنا على طبعة دار الكتب العلميَّة الصادرة في بيروت عام (١٩٩٨م)، المؤلَّفة من عشرين جزءاً في عشرةِ مجلدات.

ـ عاشراً: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد:

كتاب يحكي تواريخ الأئمّة المعصومين (صلوات الله عليهم) والنصوص الواردة بتنصيبهم والدالة عليهم، ويتضمن أيضاً طرفاً من أخبارهم ومعاجزهم ومدَّة حياتهم، وسيرة وفاتهم وما إلى ذلك، والكتاب مؤلف من جزأين.

الأوّل: يحكي سيرة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ومناقبه وفضائله ومختصر من كلامه وحديثه، وقد تعرض المؤلِّف فيه إلى حادثة استشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

الثاني: يحكي سيرة الأئمّة الأحد عشر من الإمام الحسن المجتبى إلى القائم المهدي (صلوات الله عليهم أجمعين).

ويتألَّف الكتاب بقسميه من أربعة وأربعين باباً، الجزء الأوّل منه أربعة أبواب، والثاني أربعون باباً.

مؤلف الكتاب هو أبو عبد الله، محمّد بن النعمان، بن عبد السلام.. البغداديّ الكرخي، الملقب بالشيخ المفيد، وله لقب آخر حيث كان يعرف بـ (ابن المعلم).

هو رئيس المحدثين وشيخ المتكلمين، ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة والرفعة من أعاظم علماء الطائفة.. قال النجاشيّ في حقه: (...شيخنا

وأستاذنا رضي الله عنه، فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية والعلم).

وقال الشيخ الطوسيّ في حقه: (..محمّد بن النعمان المفيد يكنى أبا عبد الله المعروف بابن المعلم ومن جملة متكلمي الإمامية انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، وكان مقدماً في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدماً، فيه حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاظر الجواب وله قريب من مائتي مصنف كبار وصغار وفهرست كتبه معروف..) وقد نُقل عن ابن إدريس رحمه الله في ذيل ما أستطرفه من كتاب العيون والمحاسن قال: (..وكان هذا الرجل كثير المحاسن حديد الخاطر جم الفضائل غزير العلم..) ولا بد أن يُعلم أن الشيخ الطوسيّ رحمه الله ذكر في كتاب الاحتجاج الجزء الثاني توقيعين وردا للشيخ المفيد من الناحية المقدسة[1].

ـ الحادي عشر: إعلامُ الوَرى بأعلام الهُدى:

هو من الكتب والمصادر التاريخية الهامَّة، وقد رتبه المؤلِّف على أربعة أركان، وفرَّع من هذه الأركان أبواب، ومن الأبوابِ فصولٌ عرض فيها سيرة النَّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام (صلوات الله عليهم)، وخصّص المؤلِّف رحمه الله الركن الثاني من هذا الكتاب لوصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته من بعده الإمام عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) مستعرضاً فيه مجمل جوانب حياته المباركة، ودوره المتميز في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده، والمحن والفتن التي لازمته حتى استشهاده، وخصَّص المؤلِّف رحمه الله الركن الثالث من الكتاب لباقي الأئمّة المعصومين عليهم السلام حتى الإمام الحسن العسكري عليه السلام فجعله أبواباً وفصولاً متعددة، وأما الركن الرابع والأخير من

(١) النجاشيّ، الرجال، صفحة (٣٩٩)، رقم الترجمة (١٠٦٧)، منشورات جماعة المدرِّسين قم المقدسة، وأيضا كتاب السرائر لأبن إدريس.

الكتاب فقد جاء مختصاً بصاحب العصر والزمان المهدي المنتظر (صلوات الله عليه)، وتناول فيه الكثير من الروايات المتَّصلة به وبغيبته الصغرى والكبرى وعلامات ظهوره وظهوره المبارك.

والكتاب من تأليف أمين الإسلام الشيخ أبي عليٍّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ من أعلام القرن السادس الهجري، وهو يُعد بلا شك من أجلّة علماء الشيعة ومؤلّفيهم، وممّن لم يختلف مترجموه في الإقرار بفضله وجلالته، وتبحّره في شتى العلوم، ووثاقته؛ فهو من الذين طبق صيتهم الآفاق، وخلّفوا الكثير من الآثار المباركة في شتى المعارف والعلوم.. وتُعدّ مؤلفاته مرجعاً ومصدراً لا غنى للباحثين والدارسين عن ارتيادها والتزوّد من معارفها.

قال الخونساري وهو من علماء التراجم في حقه: الشيخ الشهيد السعيد، الحبر الفقيه الفريد، الفاضل العالم المفسّر، المحدّث الجليل، الثقة الكامل، النبيل..

وفي المقابس قال عنه الشيخ أسدّ الله الكاظمي: الشيخ الأجل الأوحد، والأكمل الأسعد، قدوة المفسّرين وعمدة الفضلاء المتبحّرين، أمين الدين أبي عليٍّ.

وقال الحرُّ العامليّ في أمل الآمل مترجماً له: الشيخ الإمام، أمين الإسلام، أبو عليٍّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ، ثقة فاضل، ديّن عين، له تصانيف.

وذكر جملة من تصانيفه..[1].

وقد اعتمدنا على طبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث الصادرة في مدينة قم المقدسة.

---

(١) الطبرسيّ، الفضل، أعلام الورى، الجزء (١)، صفحة (٢٤)، طبعة مؤسسة آل البيت لأحياء التراث قم.

ـ الثاني عشر: الكافي:

هو من أشرف الكتب وأتمّها وأوثقها وأجمعها.. ومن أجلّ كتب الإمامية وأكثرها فائدة حيث جمع هذا الكتاب من الأحاديث الشرعية والأسرار الدّينيّة ما لا يوجد في غيره.

قال المولى محمّد أمين الأسترآبادي في الفوائد المدنيّة: (وقد سمعنا عن مشايخنا وعلمائنا أنه لم يصنف في الإسلام كتاب يوازيه أو يدانيه..)[1]. وعددُ أحاديث الكافي ستة عشر ألف حديث ومائة وتسعة وتسعون حديث.

وقد قسّم المؤلّف كتابه إلى ثلاثة أقسام:

الأوّل: الأصول وهو في جزأين الأوّل يتحدّث عن العقل والجهل وفضل العلم والتوحيد، ويبحث عن حجج الله تعالى، وأيضاً يبحث عن المعصومين (صلوات الله عليه).. عن تاريخهم وحياتهم وفي هذا الجزء ذكر الكلينيّ رثاء الخضر لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وروايات حول الضريح المقدس وتاريخ الولادة والشهادة وما إلى ذلك من التفاصيل، والجزء الثاني يتحدث عن الإيمان والكفر والدعاء والقرآن والعِشرة.

الثاني: الفروع فهو في خمسة مجلدات كلها في الفروع الفقهيّة وقد ذكر في الجزء الخامس منها وصيّة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في آخر لحظات حياته.

الثالث: الروضة وهي مجموعة أحاديث ووصايا وفضائل ومناقب.

مؤلف هذا الكتاب هو ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكلينيّ رحمه الله، كان حجّة عدلاً عالماً متعمقاً من أفاضل حملة العلم والأدب وشيوخ رجال الفقه

---

(١) الكليني، محمّد، الكافي، الجزء (١)، صفحة (٢٢)، طبعة دار التعارف بيروت.

والسنن وكبار أئمَّة الإسلام، وقد صرَّح علماء الرجال بحقه أنَّه كان أوثق الناس.

وقد اعتمدنا على طبعة دار التعارف الصادرة في بيروت عام (١٩٩٨م).

ـ الثالث عاشر: كتاب سُليم بن قيس الهلالي:

هو أول مُصنّف عقائدي حديثي تاريخي من القرن الأوّل الهجري، وقد عُرض هذا الكتاب على ستةٍ من أئمَّة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، فقد تم عرضه على الإمام أمير المؤمنين والحسن والحسين وعلي بن الحسين زين العابدين (صلوات الله عليهم)، كما عرضه الصحابيَّ الجليل والراوي الثقة أبان بن أبي عياش رحمه الله على الإمام زين العابدين، والباقر (صلوات الله عليهما)، ثُمَّ عرضه الثقة الجليل حمّاد بن عيسى رحمه الله الناقل الرابع للكتاب على الإمام الصادق (صلوات الله عليه).

وهو أبجد الشيعة وسرٌ من أسرارِ آل محمّد (صلوات الله عليهم)، وقد اعتمده العلماء وأخذوا منه حتى قال مولانا أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه): (..من لم يكن عنده من شيعتنا ومحبينا كتاب سليم بن قيس الهلاليّ فليس عنده من أمرنا شيء ولا يعلم من أسبابنا شيئاً..).

مؤلفه الصحابيَّ الجليل سُليم بن قيس الهلالي ولد قبل الهجرة بسنتين، وتوفي سنة (٧٦) للهجرة.

وقد ذكر سُليم وصايا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) التي عهد بها إلى أولاده وأصحابه ومن وصله كتابه من المؤمنين والمؤمنات وهي وصاياه بعد جرحه قبل وفاته، وقد اعتمدنا على طبعة دار الحوراء الصادرة في بيروت سنة (٢٠٠٥م)[1].

---

(١) الهلالي، سليم، كتاب سليم، صفحة (٢٤)، طبعة دار الحوراء بيروت.

ـ الرابع عشر: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة:

كتاب في ثلاثة أجزاء عرض فيه المؤلّف سيرة النّبيّ ﷺ ومولده ونسبه ومدّة حياته ومعاجزه، ثُمَّ ذكر فضل بني هاشم وشرفهم وفضائل أهل البيت (صلوات الله عليهم)، ثُمَّ ذكر سيرة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وغزواته وحروبه ومناقبه وشهادته ووصاياه ومدّة خلافته وإمامته وعدد أولاده، ثم ذكر سيرة السيّدة الزهراء (سلام الله عليها) ومصائبها ومطالبتها بفدك وخطبتها، ثُمَّ عرض لسيرة الأئمّة من الحسن المجتبى إلى المهدي القائم (صلوات الله عليهم أجمعين).

وقد اعتمدنا على طبعة شركة الألفين الصادرة في الكويت.

أما مؤلّف هذا الكتاب، فهو العلّامة المحقق أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي رحمه الله من علماء القرن السابع الهجري.

يقول الشيخ جعفر السبحانيّ فيه: فخر الشيعة وتاج الشريعة محي آثار المناقب والفضائل، من ضم إلى أدبه علماً وحلماً، وإلى كرائم أخلاقه تفانياً في نصرة الدين ونشر العلم وولاء العترة الطاهرة فجاء منبثق أنوار المناقب ومزدهر غرر المفاخر حتى اعترف بفضله القريب والبعيد وأذعن بكماله العدو والصديق أعني به شيخنا ومؤلفنا المبجل بهاء الدين أبا الحسن علي بن فخر الدين عيسى بن أبي الفتح الأربلي..[1] وقد مدحه وأثنى عليه المؤالف والمخالف.

ـ الخامس عشر: مناقب آل أبي طالب:

وهو من الكتب القيّمة والمعتمدة يضم الكثير من الروايات المتعلّقة

---

(١) الأربلي، علي، كشف الغمة، الجزء (١)، صفحة (٧)، طبعة مكتبة الألفين الكويت.

بمناقب وفضائل النَّبيّ الأعظم محمّد ﷺ وأهل بيته الأطهار (صلوات الله عليه).

وقد عرض المؤلّف حادثة استشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بشكلٍ مختصرٍ جداً لأنّ هذا الكتاب لم يكن لعرض مصائبهم بالذات.

وقد اعتمدنا طبعة دار المرتضى الصادرة في بيروت لعام (٢٠٠٧م). حيث طبع الكتاب في مجلد واحد ضخم.

أما مؤلف الكتاب فهو رشيد الدين أبو جعفر، محمّد بن عليّ بن شهر آشوب المازندراني، من علماء القرن السادس الهجري، قالوا في حقه: (..فخر الشيعة ومروِّج الشريعة، محي آثار المناقب والفضائل، البحر المتلاطم الزخار الذي لا يساجل شيخ الإمامية، وقد اعترف علماء العامَّة بفضله وجلالة قدره، حفظ القرآن وعمره ثماني سنوات، عاش ما يقارب المائة عام).

ـ السادس عشر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار:

بحار الأنوار معجزة الآثار ومنارة الأحاديث والأخبار والأفكار، كتاب موسوعي بل دائرة معارف إسلامية جمع الفقه وأصوله والتفسير والتاريخ والفلك والفلسفة والكلام.. و.. و.. وغير ذلك.

خصَّص المؤلَّف قسماً وافراً من كتابه في سيرة النَّبيّ ﷺ وأهل البيت (صلوات الله عليهم) وذكر فضائلهم ومناقبهم.

إن من يتصفح كتاب البحار يدرك عظمة هذا العمل الجبار الذي لا يمكن لشخص إنجازه إلّا إذا كان مكللاً بالعناية الإلهيَّة.

وقد عرض المؤلَّف رحمه الله حادثة استشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ضمن الكتاب بشكلٍ وافر.

مؤلَّف الكتاب هو العلّامة محمّد باقر المجلسيّ ﷺ فهو كالشمس في رابعة النهار من حيث شهرته في الأقطار.

وقد اعتمدنا على طبعة مؤسسة الوفاء الصادرة في بيروت عام (١٩٨٣م) المؤلفة من (١١٠) مجلدات.

- السابع عشر: منتهى الأمال في مصائب النَّبيّ والآل

ذكره الأغا بزرك الطهراني في الذريعة، وهو مقتل كتبه مؤلَّفه باللغة الفارسيَّة، وقد تُرجم إلى العربيَّة، وهو مرتب على أربعة عشر باباً على عدد المعصومين (صلوات الله عليهم)، مؤلَّفه الحاج الشيخ عباس بن محمّد رضا القميّ ﷺ من علمائنا الإمامية، عالم بالأخبار والآثار والرجال، مُحدَّث، فقيه، كتب في سيرة النَّبيّ ﷺ وأهل البيت (صلوات الله عليهم).

وكتابه منتهى الآمال في مصائب النَّبيّ والآل، مؤلف من جزأين الأوّل يحكي سيرة أصحاب الكساء (صلوات الله عليهم) وذكر بعض أخبارهم ومصائبهم، والجزء الثاني، مخصص لبقية الأئمّة المعصومين (صلوات الله عليهم) قال المؤلَّف في مقدَّمة كتابه: (..جرى في خاطري العزم على تأليف كتاب في ذكر مواليد ومصائب سيَّد المرسلين وعترته الطيبين (صلوات الله عليهم أجمعين) مع ذكر طرف من فضائل أولئك العظام ومناقبهم وأخلاقهم...)[1].

وقد اعتمدنا طبعة الدار الإسلاميّة الصادرة في بيروت عام (٢٠٠٣م).

- الثامن عشر: جلاء العيون:

ذكره الأقا بزرك الطهراني في الذريعة، كتاب مؤلَّف من أربعة عشر باباً على عدد المعصومين (صلوات الله عليه) يحكي سيرة النَّبيّ الأعظم ﷺ

(١) القميّ، عباس، منتهى الأمال، الجزء (١)، صفحة (٦)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

والسيّدة الزهراء (صلوات الله عليها) وأئمّة أهل البيت (صلوات الله عليهم). والكتاب يقع في ثلاثة أجزاء.

وقد اعتمدنا طبعة دار المرتضى الصادرة في بيروت عام (٢٠٠٧م).

مؤلّف الكتاب هو السيّد عبد الله شبّر رحمه الله المتوفى سنة (١٣٤٢) للهجرة من مشاهير العلماء الذين لهم الصيت الذائع في الفنون الإسلاميّة كلها فهو إلى جنب فقاهته التي هي الأصل في ثقافته معروفٌ بتبحره في التفسير والحديث والكلام وغيرها، وقد كتب في مدحه والثناء عليه أصحاب المعاجم الرجالية الحديثة مثل السيّد الخونساري في كتابه (روضات الجنات) والسيّد حسن الصدر في كتابه (تكملة أمل الآمال) والشيخ الكاظمي في كتابه (تكملة الرجال) وغيرهم[1].

ـ التاسع عشر: مثير الأحزان:

وهو من أهم الكتب في ذكر مصائب أهل البيت (صلوات الله عليهم)، والكتاب على قسمين:

الأوّل: يتضمّن مقتل الإمام الحسين (صلوات الله عليه) ومصائب أهل بيته وأصحابه وحمل السبايا إلى الشام.

الثاني: يتضمّن عدّة مجالس مرتبة في ذكر رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) والأئمّة من أبنائه (صلوات الله عليهم)، وقد عرض المؤلّف لذكر حادثة استشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ووصاياه، وقد اعتمدنا طبعة دار المحجّة البيضاء ودار الرسول الأكرم الصادرة في بيروت سنة (٢٠٠٢م).

أما مؤلّف الكتاب فهو الشيخ شريف الجواهري من علماء القرن الثاني

---

(١) شبّر، عبد الله، مصابيح الأنوار، الجزء (١)، صفحة (٥)، طبعة مؤسسة النور بيروت.

عشر، من أشهر أهل العلم والفضل في عصره، عالمٌ جليل، فقيه ورع، شاعر أديب، ثقة عدل تقي متضلع، كان واعظاً متكلماً يرغب إلى محافل سيد الشهداء (صلوات الله عليه)[١].

ـ المبحث الثالث: الدوافع وراء تأليف هذا الكتاب

تكمن الدوافع وراء تأليف هذا الكتاب إلى الأمور التالية:

أوّلاً: نشر مظلوميّة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) والتعرّف إلى قضية استشهاده عليه السلام، من خلال مشروعية إحياء أمر أهل البيت الأطهار (صلوات الله عليهم).

ثانياً: عدم وجود كتاب مستقل وشامل يحكي قضية استشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كما هي عادة المقاتل بالنسبة لقضية استشهاد الإمام الحسين (صلوات الله عليه).

نعم هناك بعض الكتب المتواضعة التي تعرضت بإيجاز لهذه القضية، ولكنَّها لا تفي بالغاية المطلوبة، إذ دائما ما نجد القارئ ـ وللإحاطة بتفاصيل الحادثة ـ يرجع إلى كتب أخرى تحكي سيرة أهل البيت (صلوات الله عليهم). وهي كتب عامة غير مخصصة لهذه الغاية، وربما كانت هذه المطالب ـ في كثير من الأحيان ـ موجودة ضمن موسوعات قد يصعب على الكثيرين تناولها.

فلأجل ذلك كان من الضروري وجود كتاب مستقل يبحث هذه القضية بالخصوص من دون أن يُضطر إلى مراجعة كتب آخرى.

ثالثاً: حاجة الخطباء والمبلغين ـ وخصوصاً المتأخرين منهم ـ الذين قد لا يعرضون الكثير من الأحداث التي وقعت في قضية استشهاد أمير المؤمنين

---

(١) الجواهري، شريف، مثير الأحزان، صفحة (٢١)، طبعة دار المحجة البيضاء ودار الرسول الأكرم بيروت.

(صلوات الله عليه) لعدم توفرها في كتاب مستقل يسهل عليهم البحث والإطلاع عليها.

لذلك وجدنا أن الحاجة ملحّة وماسّة لوجود كتابٍ مستقلٍ شاملٍ يحكي جميع ما حكته المصادرالمعتبرة في موضوع البحث.

القسم الثاني

في الفضائلِ والمناقب

وفيه مدخلٌ وأبواب:

❖ المدخل

وفيه جملة من المطالب

❖ المطلب الأوّل: إيمان آباء النَّبيّ

❖ المطلب الثاني: التعريف بشيبة الحمد

❖ المطلب الثالث: التعريف بشيخ البطحاء

ـ المطلب الأوّل: إيمان آباء النَّبيّ

اتفقت كلمة الإمامية على أن آباء النَّبيّ ﷺ من نَّبيّ الله آدم عليه السلام إلى عبد الله بن عبد المطَّلب (رضوان الله عليهما) كلهم مؤمنون موحدون.

قال العلّامة المجلسيّ رحمه الله: بل كانوا من الصديقين، إما أنبياء مرسلين، أو أوصياء معصومين، ولعلّ بعضهم لم يظهر الإسلام، لتقيّة، أو لمصلحة دينيّة[1].

وقال الشيخ الصدوق رحمه الله في ذلك: . . . إنّ أم النَّبيّ ﷺ آمنة بنت وهب كانت مسلمة أيضاً[2].

وقال أبو حيان الاندلسيّ: ذهبت الرافضة إلى أن آباء النَّبيّ ﷺ كانوا مؤمنين[3].

وذهب بعض علماء العامة إلى إيمانهم أيضاً.

وممَّن صرَّح بايمان عبد المطَّلب (رضوان الله عليه) وغيره من آبائه ﷺ، المسعوديّ واليعقوبيّ، وهو ظاهر كلام الماورديّ، والرازي في كتابه أسرار

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (١٥)، صفحة (١١٧)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) الصدوق، محمّد بابويه، الاعتقادات، صفحة (١١٠)، طبعة مركز الأبحاث العقائدية قم.

(٣) العامليّ، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النَّبيّ الأعظم، الجزء (٢)، صفحة (١٤٨)، طبعة دار الهادي بيروت.

التنزيل، والسنوسيّ، والتلمسانيّ مُحشّي الشفاء، والسيوطيّ، وقد ألّف هذا الأخير عدّة رسائلٍ لإثبات ذلك.

ومعنى ذلك: هو أنّه ليس في آباء الرسول ﷺ إلّا الخير والبركة، وهذا ما ورثه الرسول عنهم، ويتأكد بذلك طهارته ﷺ من الأرجاس والرذائل، وحتى ما يكون عن طريق الوراثة، فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة، وهو ما أثبته العلم الحديث أيضاً، حيث لم يبق ثمّة أيّة شبهة في تأثير عامل الوراثة في تكوين شخصيّة الإنسان وفي خصاله ومزاياه.

أما المشهور من غير الإمامية، فذهبوا إلى كفر والدي النَّبيَّ ﷺ، فضلاً عن باقي آبائه وأجداده، وقد ألّف بعض علمائهم رسائل لإثبات كفرهم، مثل إبراهيم الحلبيّ، وقد إتّهموا السيوطيّ الذي يقول بإيمانهم بأنّه متساهلٌ لا عبرة بكلامه ما لم يوافقه كلام النّقاد.

وفيما يلي نذكر بعض الأدلة على إيمانهم:

الدليل الأوّل: إجماع الطائفة الحقة، فقد أجمعت الطائفة الإمامية على أن جميع آباء النَّبيّ ﷺ وأجداده كانوا موحدين لله تعالى، وهذا الإجماع وإن كان معلوم المستند، إلّا أنّه يكشف عن رأي الطائفة.

والمستند في ذلك القرآن الكريم والأخبار الواردة عن النبيَّ وآله الأطهار عليهم السلام. مع العلم أن الإحاطة بجميع الأخبار الواردة في هذا المجال متعسرٌ، إن لم يكن متعذراً.

الدليل الثاني: جملة من الآيات الكريمة.

الآية الأولى: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[1]

(١) سورة الشعراء، الآيتان (٢١٨ ـ ٢١٩).

وقد ورد في تفسير الآية أن معناها: وتقلبك في أصلاب الموحدين من نبيّ إلى نبي حتى أخرجك نبياً.

ورد عن الصحابيّ الجليل عبد الله بن عباس (رضوان الله عليه)، في رواية عطاء وعكرمة وهو المروي عن أبي جعفر الباقر، وأبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليهما) أنهما قالا: أنَّ النَّبيَّ ﷺ ما زال يُنقل في أصلاب النّبيّين نبيّ بعد نبيّ حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام[1].

الآية الثانية: قال الله تبارك وتعالى على لسان نبيّه إبراهيم الخليل (صلوات الله عليه) ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[2] مع قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾[3].

أي في ذريّته، فيدل على أنه لا بد أن تبقى كلمة الله في ذرية إبراهيم، ولا يزال من ذريته من يعبدون الله على الفطرة، ويلتزمون بشريعته (صلوات الله عليه) حتى مجيء رسول الله ﷺ، ولعلّ ذلك استجابة منه تعالى لدعاء إبراهيم عليه السلام الذي قال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[4] وقوله تبارك وتعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِىْ﴾[5].

وسيبقى هذا الدعاء يشمل من ذرية نبي الله إبراهيم عليه السلام إلى يوم القيامة، وواضح لو أنه تعالى قد استجاب لنبيه إبراهيم عليه السلام في جميع ذريته لما كان أبو لهب مثلاً من أعظم المشركين، وأشدهم تحريضاً وأذىً على رسول الله ﷺ وهذا ما يفسر الإتيان بمن التبعيضية في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِىْ﴾.

---

(١) الطبرسيّ، الفضل، مجمع البيان، الجزء (٧)، صفحة (٢٨٤)، طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.
(٢) سورة البقرة، الآية (١٢٨).
(٣) سورة الزخرف، الآية (٢٨).
(٤) سورة إبراهيم، الآية (٣٥).
(٥) سورة إبراهيم، الآية (٤٠).

الدليل الثالث: الأخبار، وهذا هو الدليل المعتمد، وإليك بعض الأحاديث.

الحديث الأوّل: فقد ورد عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتى أخرجني في عالمكم، ولم يدنّسني بدنس الجاهلية[١].

ولو كان في آباء النَّبيِّ ﷺ كافرين، لم يصفهم ﷺ بالطهارة، فمع وصفه لهم بالطهارة، يكونون حينئذٍ منزهون عن الكفر، لأنّ الشرك ملازم للنجاسة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[٢].

الحديث الثاني: ورد عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم[٣].

من هذه الأدلة يتبيَّن لنا أن آباء النَّبيِّ ﷺ كلهم موحدون على شريعة نبيِّ الله إبراهيم (صلوات الله عليه) ولم يمسهم شركٌ أو كفرٌ لا من جهةِ الآباءِ ولا من جهةِ الأمهاتِ.

ـ المطلب الثاني: التعريف بشيبة الحمد

هو عبد المطَّلب، بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٤].

قالوا: إن هذا هو المتفق عليه من نسبه الشريف، أما ما فوقه ففيه اختلاف

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (١٥)، صفحة (١١٧)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.
(٢) سورة التوبة، الآية ٢٨).
(٣) الصدوق، محمّد بابويه، الاعتقادات، صفحة (١١١)، طبعة مركز الأبحاث العقائدية قم.
(٤) الزهريّ، محمّد سعد، الطبقات الكبرى، الجزء (١)، صفحة (٥٥)، طبعة دار صادر بيروت.

كثير، غير أن مِمّا لا شك فيه هو أن نسب عدنان ينتهي إلى نبيِّ الله إسماعيل عليه السلام[١].

وهو الملقَّب بشيبة الحمد؛ لشيبة كانت في رأسه، وقيل: (اسمه شيبة)، وكنيته: أبو البطحاء، لأنَّهم استسقوا به سقياً فكنَّوه به[٢].

وكان هذا الرجل قد بلغ في قريش خاصة والعرب عامة منزلة لم يكد يبلغها أحد.. حتى قالت العرب فيها قولتها المعروفة: لو كان نبي على عهد عبد المطَّلب لكان هو نبيَّ العرب[٣].

السقاية:

وَلِي عبد المطَّلب بن هاشم الرفادة والسقاية، فلم يزل ذلك بيده يطعم الحاج ويسقيهم في حياض من أدم بمكة، فلمَّا سُقي زمزم ترك السقي في الحياض بمكة وسقاهم من زمزم حين حفرها.

وكان يحمل الماء من زمزم إلى عرفة فيسقيهم، وكانت زمزم سقياً من الله، أُتي في المنام مرات فأُمر بحفرها ووُصف له موضعها، فقيل له: أحفر طيبة، قال: وما طيبة؟ فلما كان الغد أتاه فقال: أحفر برة، قال: وما برة؟ فلما كان الغد أتاه وهو نائم في مضجعه ذلك فقال: أحفر المضنونة، قال: وما المضنونة؟ أبن لي ما تقول، قال: فلما كان الغد أتاه فقال: أحفر زمزم، قال: وما زمزم، قال: لا تنزح ولا تذم، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم؛ قال: وكان غراب أعصم لا يبرح عند الذبائح مكان الفرث والدم؛ وهي شرب لك ولولدك من بعدك.

---

(١) العامليّ، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النَّبيّ الأعظم، الجزء (٢)، صفحة (٤٣)، طبعة دار الهادي بيروت.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (١٥)، صفحة (٤٠٥)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٣) بحر العلوم، محمّد علي، بين يدي الرسول الأعظم، صفحة (٣)، طبعة دار الزهراء بيروت.

قال: فغدا عبد المطَّلب بمعوله ومسحاته معه ابنه الحارث بن عبد المطلب، وليس له يومئذ ولد غيره، فجعل عبد المطَّلب يحفر بالمعول ويغرف بالمسحاة في المكتل فيحمله الحارث فيلقيه خارجاً، فحفر ثلاثة أيام ثُمَّ بدا له الطوي فكبر وقال: هذا طوي إسماعيل: فعرفت قريش أنّه قد أدرك الماء..[1].

روى ابن سعد في طبقاته بإسناده إلى مخرمة بن نوفل الزهريّ قال: سمعت أمّي رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف تُحدّث وكانت لدى عبد المطلب.

قالت: تتابعت على قريش سنون ذهبن بالأموال وأشفين على الأنفس، قالت: فسمعت قائلاً في المنام: يا معشر قريش! إنّ هذا النَّبيّ المبعوث منكم، وهذا إبّان خروجه، وبه يأتيكم الحيا والخصب، فأنظروا رجلاً من أوسطكم نسباً طوالاً عظاماً أبيض مقرون الحاجبين أهدب الأشفار جعداً سهل الخدين رقيق العرنين، فليخرج هو وجميع ولده، وليخرج منكم من كل بطن رجل، فتطهروا وتطيبوا ثُمَّ استلموا الركن، ثُمَّ أرقوا رأس أبي قبيس، ثُمَّ يتقدم هذا الرجل فيستسقي وتؤمّنون فإنّكم ستسقون، فأصبحت فقصت رؤياها عليهم، فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب، فاجتمعوا إليه، وخرج من كل بطن منهم رجل، ففعلوا ما أمرتهم به، ثُمَّ علوا على أبي قبيس ومعهم النَّبيّ صلى الله عليه وآله وهو غلام، فتقدم عبد المطَّلب وقال: اللهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك، وإماؤك وبنات إمائك، وقد نزل بنا ما ترى، وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف وأشفت على الأنفس، فأذهب عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب! فما برحوا حتى سألت الأودية، وبرسول الله صلى الله عليه وآله سقوا؛ فقالت رقيقة بنت أبي صيفي بن هشام بن عبد مناف:

---

(١) الزهريّ، محمّد سعد، الطبقات الكبرى، الجزء (١)، صفحة (٨٣)، طبعة دار صادر بيروت.

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا[١] واجلوَّذ[٢] المطر
فجاد بالماء جوني له سبل[٣] دانٍ فعاشت به الأنعام والشجر
منّاً من الله بالميمون طائره وخير من بشرت يوماً به مضر
مبارك الأمر يستسقى الغمام به ما في الأنام له عدل ولا خطر[٤]

وقد بلغ عبد المطَّلب (رضوان الله عليه) من الشرف والرفعة والمنزلة في قومه ما لم يبلغه أحد من قبل، فهو جدُّ رسول الله ﷺ وكفيله، وسيِّد قريش غير مدافَع، قد أعطاه الله من الشرف ما لم يعطِ أحداً، وسقاه زمزم وذا الهُدُم، وحكَّمته قريش في أموالها، وأطعم في المَحل[٥] حتى أطعم الطير والوحوش في الجبال.

قال أبو طالب (رضوان الله عليه):

ونُطعمُ حتى تأكُلَ الطيرُ فضلَنا إذا جَعَلَتْ أيدي المُفيضينَ تَرْعَدُ[٦]

على ملة إبراهيم:

كان عبد المطَّلب (رضوان الله عليه) على ملَّة نبيّ الله إبراهيم الخليل عليه السلام. فرفض عبادة الأصنام ووحَّد الله عزَّ وجلَّ، وسنَّ سنناً نزل القرآن بأكثرها، وجاءت السُنَّة من رسول الله ﷺ بها وهي: الوفاء بالنذور، ومائة من الإبل

---

(١) الحيا، الخصب والمطر ـ المعجم الوسيط ـ مادة حيي، طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.
(٢) إجلوذ، مضى وأسرع وامتد ودام.. والمطر ذهب وامتد وقت تأخره وانقطاعه، وبه السير دام مع السرعة ـ المعجم الوسيط ـ مادة اجلوَّذ ـ صفحة (١٢٩) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.
(٣) جوني له سَبَلٌ أي مَطَرٌ جَوْدٌ هاطِلٌ ـ راجع المبارك الجزري ـ النهاية في غريب الحديث والأثر طبعة المكتبة العلميّة ـ بيروت.
(٤) الزهريّ، محمّد سعد، الطبقات الكبرى، الجزء (١)، صفحة (٩٠)، طبعة دار صادر بيروت.
(٥) انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلأ ويقال أرض محل لا مرعى بها ويقال رجل محل لا ينتفع به والبعد والشدة ـ جمعه ـ محول وأمحال. أنظر ـ المعجم الوسيط ـ مادة محل.
(٦) اليعقوبيّ، أحمد يعقوب، تاريخ اليعقوبيّ، الجزء (٢) صفحة (١١)، طبعة دار صادر بيروت.

في الديّة، وألا تنكح ذات محرم، ولا تؤتى البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموؤدة، والمباهلة، وتحريم الخمر، وتحريم الزنا، والحدُّ عليه، والقرعة، وألا يطوف أحدٌ بالبيت عرياناً، وإضافة الضيف، وألا ينفقوا إذا حجّوا إلّا من طيِّب أموالهم، وتعظيم الأشهر الحُرم، ونفي ذوات الرايات.

هكذا كان عبد المطّلب (رضوان الله عليه) مجاهراً بدينه، داعياً إلى الخلق الكريم، والمبادئ السامية التي جاءت بها الأديان، وكان له في هذه الخصال دور لا يشاركه فيه أحد، حتى أنَّ قريشاً كانت تسميه إبراهيم الثاني.

وكان يفرش له بفناء الكعبة والناس من حوله يهابونه، فلا يقرب فراشه أحد إلّا رسول الله ﷺ قد كان يتخطّى رقاب عمومته، ويجلس على فراش جدِّه، ولما حاولوا منعه قال لهم: دعوا ابني، إنَّ لأبني هذا شأناً...

عبد المطّلب وأبرهة:

وعندما قصد أبرهة الحبشي مكة المكرمة لهدم الكعبة الشريفة توجّه عبد المطّلب (رضوان الله عليه) في جوف الليل إلى الكعبة وأخذ بحلقة بابها يدعو الله ويقول:

اللهم أنيس المستوحشين، ولا وحشة معك، فالبيت بيتك، والحرم حرمك، والدار دارك، ونحن جيرانك، إنَّك تمنع عنه ما تشاء ورب الدار أولى بالدار.

ثُمَّ راح ينشد من إنشائه:

يا ربِّ لا أرجو لهم سِواكا يا ربِّ فأمنع منهمو حِماكا

إنَ عــدُوَّ الــبــيــت مــن عــادكــا امـنـعـهـمـوا أن يُـخـربـوا فـنـاكـا[١]

وما هذا إلّا دليلٌ واضح وبرهان ساطع على إيمان عبد المطَّلب (رضوان الله عليه) وتوكله على ربِّ البيت حيث نجده قد إلتجأ إلى الله تبارك وتعالى يتوسَّل إليه ويدعوه.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: إنَّ الله يبعث جدِّي عبد المطَّلب أُمَّة واحدة في هيئة الأنبياء وزيِّ الملوك[٢].

وقد ورد أيضاً عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: يا علي، إنّ عبد المطَّلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذبح على النصب، ويقول: أنا على دين إبراهيم عليه السلام[٣].

وعن مولانا الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق (صلوات الله عليه)، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم أجمعين) عن النَّبيِّ ﷺ أنّه قال في وصيّته له: يا عليّ، إنّ عبد المطَّلب سنَّ في الجاهلية خمس سننّ أجراها الله له في الإسلام.. حرَّم نساء الآباء على الأبناء فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[٤] ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدّق به، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾[٥]، ولمَّا حفر زمزم سمّاها سقاية الحاج، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[٦]

---

(١) البحانيّ، جعفر، سيد المرسلين، الجزء (١)، صفحة (٢٨٧)، طبعة دار البيان العربي بيروت.
(٢) الغروي، محمّد هادي، موسوعة الفكر الإسلاميّ، الجزء (١)، الحديث رقم (٥٢٧)، طبعة مؤسسة الهادي، قم.
(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، جزء (١٥)، صفحة (١٢٧)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.
(٤) سورة النساء، الآية (٢٢).
(٥) سورة الأنفال، الآية (٤١).
(٦) سورة التوبة، الآية (١٩).

وسنّ في القتل مأة من الإبل فأجرى الله عزّ وجلّ ذلك في الإسلام، ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسنّ فيهم عبد المطّلب سبعة أشواطٍ، فأجرى الله ذلك في الإسلام.

يا عليّ..! إنّ عبد المطّلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذبح على النصب، ويقول: أنا على دين أبي إبراهيم عليه السلام[1].

قال العلّامة المجلسيّ رحمه الله: لعلّه ـ أي عبد المطّلب رحمه الله ـ فعل هذه الأمور بإلهامٍ من الله تعالى، أو كانت في ملّة إبراهيم عليه السلام فتركتها قريش فأجراها فيهم، فلمّا جاء الإسلام لم ينسخ هذه الأمور لِمَا سنّه عبد المطّلب[2].

كفالته للنبيّ:

ولقد تكفّل عبد المطّلب (رضوان الله عليه) رياعة رسول الله صلى الله عليه وآله ورعايته بعد وفاة أبيه عبد الله وكان عبد المطلب، يرعاه خير رعاية، ولا يأكل طعاماً إلّا إذا حضر، وكان عارفاً بنبوته؛ فقد روي أنّه قال عنه لمن أراد أن ينحيه عنه، وهو طفل يدرج: دعوه إنَّ لأبني هذا لشأناً[3].

وقد ورد عن الصحابية الجليلة أم أيمن (رضوان الله عليها) أنّها قالت: كنتُ أحضن النَّبيَّ صلى الله عليه وآله ـ أي أقوم بتربيته وحفظه وصونه ـ فغفلتُ عنه يوماً فلم أدر إلّا بعبد المطّلب قائماً على رأسي يقول:

يا بركة.

قلت: لبيك.

قال: أتدرين أين وجدت ابني؟

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (١٥)، صفحة (١٢٧)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الحسني، هاشم معروف، سيرة المصطفى، صفحة (٤٦)، طبعة دار التعارف بيروت.

قلت: لا أدري.

قال: وجدته مع غلمان قريباً من السدرة، لا تغفلي عن ابني، فإنَّ أهل الكتاب يزعمون أنَّه نبيَّ هذه الأمَّة، وأنا لا آمن عليه منهم[١].

إلى غير ذلك من الدلائل والإشارات التي رسخت هذا الاعتقاد في نفس عبد المطَّلب (رضوان الله عليه)، وجعلت له ﷺ مكانة خاصة عنده.

ولمَّا بلغ بعبد المطَّلب (رضوان الله عليه) الأجل أوصى إلى أبي طالب (رضوان الله عليه) برسول الله ﷺ ليكفله، ويقوم بشؤونه، ويحرص على حياته، وقال له: قد خلَّفتُ في أيديكم الشرف العظيم الذي تطؤون به رقاب الناس وأنشأ يقول:

أوصيك يا عبد مناف بعدي ... بمفرد بعد أبيه فرد
فارقه وهو ضجيع المهد ... فكنت كالأم له في الوجد
تدنيه في أحشائها والكبد ... فأنت من أرجى بنيي بعدي
لدفع ضيم أو لشد عقد[٢]

توفِّي عبد المطَّلب (رضوان الله عليه) ولرسول الله ثماني سنين، وكانت قد أتت على عبد المطَّلب مائة وعشرون سنة[٣]. وقيل: مائة وأربعون سنة. وأعظمت قريش موته، وغُسل بالماء والسدر ودُفن بالحجون، وقيل: إنَّه حُمل على أيدي الرجال عدَّة أيَّام إعظاماً وإكراماً وإكباراً لتغييبه في التراب[٤].

---

(١) السبحانيّ، جعفر، سيد المرسلين، الجزء (١)، صفحة (٢٨٩)، طبعة دار البيان العربي بيروت.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (١٠٨)، صفحة (٢٠٥)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.
(٤) الشامي، محمّد الصالحي، سبل الهدى والرشاد، الجزء (٢)، صفحة (١٣٥)، طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

ـ المطلب الثاني: التعريف بشيخ البطحاء

هو عبد مناف بن عبد المطلب، بن هاشم[١] شيخ البطحاء، ورئيس مكّة، وشيخ قريش، أبو طالب عمّ الرسول ﷺ وكافله، وأبو الأئمّة (صلوات الله عليهم أجمعين)، كان أبو طالب (رضوان الله عليه) شيخاً وسيماً جسيماً، عليه بهاء الملوك ووقار الحكماء، وكانت قريش تسمّيه: (الشيخ)، وكانوا يهابونه، ويخافون سطوته، وكانوا يتجنّبون أذيّة رسول الله ﷺ في أيّامه، فلمّا توفّي (رضوان الله عليه)، اجترؤا عليه وإضطر إلى الهجرة من وطنه مكة المكرمة إلى المدينة المنوّرة.

قيل لأكثم بن صيفي ـ حكيم العرب ـ: ممّن تعلّمت الحكمة والرياسة، والحلم والسيادة؟

قال: من حليف الحلم والأدب، سيّد العجم والعرب، أبو طالب بن عبد المطّلب[٢].

وجرى ذات يوم كلام خشن بين معاوية بن أبي سفيان وصعصعة وابن الكواء، فقال معاوية: لولا أنّي أرجع إلى قول أبي طالب لقتلتكم وهو:

قابلت جهلهم حلماً ومغفرة والعفو عن قدرة ضرب من الكرم[٣]

وكان أبو طالب (رضوان الله عليه) مستودعاً للوصايا فدفعها إلى رسول الله ﷺ وهو الذي كفله وحماه من قريش ودافع عنه.

وعن فاطمة بنت أسد (رضوان الله عليها) أنّها قالت: أنّه لمّا ظهر أمارة وفاة عبد المطّلب قال لأولاده: مَنْ يكفل محمّداً؟

---

(١) الأربلي، علي، كشف الغمة في معرفة الأئمّة، الجزء (١)، صفحة (٢٣)، طبعة شركة مكتبة الألفين.

(٢) القمّي، عباس، الكنى والألقاب، الجزء (١)، صفحة (١١٠).

(٣) المسعودي، علي، مروج الذهب، الجزء (٣)، صفحة (٥٣)، طبعة دار القارئ بيروت.

قالوا: هو أكيس منّا، فقل له يختار لنفسه.

فقال عبد المطلب: يا محمّد! جدك على جناح السفر إلى القيامة، أي عمومتك وعماتك تريد أن يكفلك؟

فنظر في وجوههم ثُمَّ زحف إلى عند أبي طالب، فقال له عبد المطلب: يا أبا طالب! إنّي قد عرفت ديانتك وأمانتك، فكن له كما كنت له..[1].

تحقيق حول التسمية:

عبد مناف..

يقول الحاقدون أن ـ مناف ـ اسمٌ لصنم وقد سُمي به أبو طالب، وهو قد رضي بهذا الاسم فعرف به فكيف يمكن القول بأنّه كان مسلماً..؟!!.

ومن سمى ولده بهذه التسمية لم يكن موحداً..!!

إذ كيف يكون موحداً وقد تبارك باسم صنمٍ..؟!!

إنّ هذا الأمر دليلٌ على أنّه كان من أهل الشرك ولم يكن من أهل التوحيد..!

ويمكن الإجابة على ذلك بما يلي:

ذكر أهل التحقيق من علماء اللغة والسيرة أن التسمية يراد بها الإنافة والرفعة والعلوّ..

قال الزبيدي: جبل عالي المناف.. أي مرتفع.. ومنه سُمي عبد مناف الجد الرابع للنّبيّ محمّد ﷺ الذي كان يُلقب بقمر البطحاء.

وقد نقل الزمخشري هذا القول في كتابه[2].

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (١٧)، صفحة (٣٦٣)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) تاج العروس الجزء (٦) صفحة (٢٦٣).

وعليه فلا يبقى دليلٌ على أن تسمية عبد مناف كانت نسبة إلى ذلك الصنم.

كفالته للنبيّ:

ورث أبو طالب (رضوان الله عليه) زعامة أبيه عبد المطَّلب، وكفالته لرسول الله ﷺ، فكان خير كافلٍ ومعين، وقد كان كأبيه سيِّداً شريفاً مهيباً.

وكان أبو طالب لا مال له، حتى قال عنه ولده أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): أبي ساد فقيراً، وما ساد فقيرٌ قبله[1].

وكان (رضوان الله عليه) يحب النبيَّ ﷺ حباً شديداً لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلّا إلى جنبه، ويخرج فيخرج معه، وصب به أبو طالب صبابة لم يصْبُ مثلها بشيء قط، وكان يخصه بالطعام، وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، فكان إذا أراد أن يغذيهم قال: كما أنتم حتى يحضر ابني، فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا، فيقول أبو طالب: إنّك لمباركٌ! وكان الصبيان يصبحون رمصاً[2] شعثاً، ويصبح رسول الله ﷺ دهيناً كحيلاً[3].

توفي أبو طالب (رضوان الله عليه) بعد وفاة السيِّدة خديجة بنت خويلد (رضوان الله عليها) بثلاثة أيَّام ـ أي قبل هجرة الرسول من مكَّة إلى المدينة بثلاث سنين ـ في شهر رمضان وقيل بل في شوال أو في ذي القعدة، وله ست وثمانون سنة، وقيل بل تسعون.

ولمَّا قيل لرسول الله ﷺ: إنَّ أبا طالب قد مات، عظُم ذلك في قلبه،

---

(١) اليعقوبيّ، أحمد يعقوب، تاريخ اليعقوبيّ، الجزء (٢)، صفحة (١٤)، طبعة دار صادر بيروت.

(٢) يقال: رمصت العين رمصاً اجتمع في موقها وسخ أبيض ويقال: رمص فلان فهو أرمص وهي رمصاء (جمع) رمص. أنظر ـ المعجم الوسيط ـ مادة رمص.

(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (١٥)، صفحة (٣٣٥)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

واشتدَّ له جزعه، ثُمَّ دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرَّات، وجبينه الأيسر ثلاث مرَّات، ثُمَّ قال: يا عم ربيّت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عنّي خيراً[١].

ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: وصلتك رحم وجُزيتَ خيراً[٢].

توضيح: إن هذه الكلمة تعني أن الرحم صارت سبباً لصلتك لنا.. وربما كانت هذه الكلمة دعاء له بأن تصله الرحم.

وقال: اجتمعت على هذه الأُمَّة في هذه الأيَّام مصيبتان لا أدري بأيِّهما أنا أشدُّ جزعاً[٣].

يعني: مصيبة خديجة وأبي طالب (رضي الله عنهما)، وسمَّى النَّبيُّ ﷺ هذا العام بعام الحزن.

وقال ﷺ: ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب[٤].

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (١٨)، صفحة (١٨١)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.
(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٢٢)، صفحة (٢٦١)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.
(٣) اليعقوبيّ، أحمد يعقوب، تاريخ اليعقوبيّ، الجزء (٢)، صفحة (٣٥)، طبعة دار صادر بيروت.
(٤) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (١٩)، صفحة (١٧)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

الباب الأول

في مناقب وفضائل أبي طالب

وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

- الفصل الأوّل: روايات الحاقدين حول إسلام أبي طالب
- الفصل الثاني: الأدلة على إسلام أبي طالب
- الفصل الثالث: سبب كتمان أبي طالب لإسلامه

تمهيد:

اتفق علماء الإمامية وعلماء الزيديَّة وجماعة من علماء أهل السنة تبعاً للشواهد التاريخية والنصوص النبويَّة والآثار الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة (صلوات الله عليهم) على أنَّ أبا طالب (رضوان الله عليه) عمّ النَّبيّ ﷺ كان من أبرز المسلمين والمؤمنين والمصدقين برسول الله ﷺ ولم يخرج من الدنيا إلّا بقلبٍ ينبض بالإسلام.. بل كان من أوصياء نبيّ الله إبراهيم الخليل عليه السلام.

واشتهر إسلامه في مذهب الشيعة حتى أن المخالفين كلهم نسبوا ذلك إليهم وتواترت الأخبار من طرق الخاصة والعامة في ذلك، وصنّف كثيرٌ من علمائنا ومحدثينا كتباً في ذلك كما لا يخفى على من تتبّع كتب الرجال.

قال ابن الأثير في جامع الأصول: وما أسلم من أعمام النَّبيّ ﷺ غير حمزة والعباس وأبي طالب عند أهل البيت عليهم السلام، ونقل الطبريّ وغيره من علمائهم الأخبار والأشعار الدالة على إيمانه، وذكر ابن بطريق في المستدرك دلائل كثيرة على إيمانه[1].

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: اختلف الناس في إسلام أبي طالب، فقالت الإمامية وأكثر الزيدية: ما مات إلّا مسلماً، وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك، وقال أكثر الناس من أهل الحديث والعامة ومن

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٥)، صفحة (١٣٩)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

شيوخنا البصريين وغيرهم: مات على دين قومه، ثُمَّ قال: قالوا وقد نقل الناس كافة عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى أرحام الزكية. فوجب أن يكون آباؤهم كلهم منزهين عن الشرك، لأنّهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهرين[١].

وقد ورد عنه ﷺ أنّه قال: كنتُ أنا وعليّ نوراً في جبهة آدم عليه السلام، فانتقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام المطهّرة الزاكية حتى صرنا في صلب عبد المطّلب، فانقسم النور قسمين، فصار قسم في عبد الله وقسم في أبي طالب، فخرجت من عبد الله وخرج عليّ من أبي طالب، وهو قول الله جلّ وعزّ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[٢][٣].

ولكن.. قلم الحقد ولسان العداء لعلي وآل علي (صلوات الله عليه وعليهم) أرخى بظلامته على شيخ البطحاء والدرع الواقي لخاتم الأنبياء، حتى قال بعض كتّاب السيرة.

..في عقيدتي أنَّ التاريخ ما ظلم أحداً كما ظلم أبا طالب وما أساء المسلمون إساءة أفحش وأعظم من إساءتهم لمحمّد ﷺ في عمه أبي طالب[٤].

لقد ظلم التاريخ أبا طالب (رضوان الله عليه) كأشد ما يكون الظلم وذلك من خلال ما أثاره الحاقدون والمبغضون ـ لأبنائه وبالخصوص أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ـ من قضايا العقيدة، فيما يخص إيمانه بنبوة الإسلام حتى قالوا بكفره وعدم إيمانه ولم يكن ذلك إلّا من باب الطعن على أبنائه وخاصة

---

(١) المدائنيّ، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الجزء (١٤)، صفحة (٣٧)، طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

(٢) سورة الفرقان، الآية (٥٤).

(٣) الريشهريّ، محمّد، موسوعة الإمام عليّ في الكتاب والسنة والتاريخ، الحديث رقم (٣١٦٨)، طبعة دار الحديث قم.

(٤) الحسنيّ، هاشم معروف، سيرة المصطفى، صفحة (٢٠٣) طبعة دار التعارف بيروت.

أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، بل ترقى بعضهم من باب تبريرِ هذا المعتقد إلى توسيع دائرة التكفير لتشمل آباء النَّبيَّ وأجداده (رضوان الله عليهم) وأيضاً قالوا بكفر أبوي النَّبيَّ ﷺ عبد الله بن عبد المطّلب وآمنة بنت وهب (رضوان الله عليهما)

لقد كان أبوه عبد المطّلب (رضوان الله عليه) من أوصياء النّبيَّ إبراهيم الخليل ﷺ وكذلك سائر آبائه إلى نبيّ الله إسماعيل ﷺ كلّهم كانوا أوصياء، وكان أبو طالب (رضوان الله عليه) وصيّاً بعد أبيه عبد المطَّلب، وعاش حليف الإيمان ولم يسجد لصنمٍ قطّ.

بل قد ورد عنهم (صلوات الله عليهم): ليس مِن شيعتنا مَن لم يقل بإسلام أبي طالب[1].

كان أبو طالب الأخ الشقيق الوحيد لعبد الله بن عبد المطّلب والد النَّبيَّ، وقد عهد اليه والده عبد المطّلب بكفالة النَّبيَّ ﷺ فكان عند حُسن الظنّ به، حدباً عليه، وإنعطافاً إليه، ورعايةً له وعناية به، حيث لم يجعله فقط، كواحد من أبنائه، بل كان يقدمه عليهم أجمعين وكان مِمّا زاد في إعزازه عنده واهتمامه بشأنه أن زوجته فاطمة بنت أسد (أم علي ـ وجعفر) كانت من أوائل النساء اللواتي تدخل في الإسلام مع خديجة الكبرى زوج رسول الله ﷺ مع ما هو معلوم من تأثير كل أم على بنيها ـ ذكوراً وإناثاً ـ ومع ما هو معلومٌ أيضا، من أن تقاليد ذلك الزمن كانت تقضي بألّا يقرَّ الزوج زوجته إذا خرجت عن عقيدته إلى عقيدةٍ أخرى، ومن ثُمَّ فكيف يتصور ـ أن يقرّها أبو طالب ـ وهو من هو في قومه ـ على إسلامها بينما يكون هو باقياً ومصراً على أن يكون على غير الإسلام..؟

(١) الصدر، علي الحسيني، العقائد الحقة، صفحة (٢٠٦).

وروي أنَّ العباس سأل النَّبيَّ ﷺ بالمدينة، فقال: يا رسول الله، ما ترجو لأبي طالب..؟

فأجابه النَّبيَّ ﷺ بقوله: أرجو له كل الخير من الله عزَّ وجلَّ[١].

وقد أفاد العلّامة المجلسيّ رحمه الله فقال: إجماع الشيعة على إسلام أبي طالب وأنّه قد آمن بالنَّبيَّ ﷺ في أوَّل الأمر ولم يعبد صنماً قطّ، بل كان من أوصياء إبراهيم عليه السلام...

وقد تواترت الأخبار من طرق الخاصّة والعامّة بذلك، وصنّف كثير من علمائنا ومحدّثينا كتاباً مفرداً في ذلك كما لا يخفى على من تتبّع كتب الرجال[٢].

وقال الطبرسيّ رحمه الله: قد ثبت إجماع أهل البيت (صلوات الله عليهم) على إيمان أبي طالب، وإجماعهم حجّة لأنّهم أحد الثقلين اللذين أمر النَّبيَّ ﷺ بالتمسّك بهما[٣].

وكفى لأبي طالب فخراً أنّه والد الأمير وذريّة إبراهيم الخليل وشيخ الأبطح وكفيل الرسول ودرعه الواقي وسيّد القوم، عاش النَّبيَّ في كفالته وترعرع في بيته واستقام الإسلام بسيف ابنه.

---

(١) المدائنيّ، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الجزء (١٤)، صفحة (٣٩)، طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٥)، صفحة (١٣٨)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٣) المصدر السابق.

الفصل الأوّل

روايات الحاقدين حول إسلام أبي طالب

تمهيد:

يرى بعض المعتزلة وأكثر جمهور العامة أنَّ أبا طالب (رضوان الله عليه) مات على غير ملة الإسلام وأن نصرته وحمايته للنبيِّ ﷺ كانت بسبب القرابة العائلية، ومن قبيل النخوة والقبلية، وبالتالي لم يكن أبو طالب مؤمناً بدعوة النَّبيِّ ﷺ وقد اعتمدوا في ذلك على مجموعة من الروايات نعرض منها بعض النماذج ضمن مطالب:

ـ المطلب الأوّل: حديث الضحضاح

الحديث الأوّل: رواه البُخاريّ في صحيحه بإسناده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ، يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ[1].

الحديث الثاني: رواه البُخاريّ في صحيحه بإسناده عن العباس بن عبد المطَّلب (رضي الله عنه) أنَّه قال للنبيِّ (صلى الله عليه [وآله] وسلَّم): ما

(١) البُخاريّ، محمّد إسماعيل، صحيح البُخاريّ، الحديث رقم (٣٨٨٥)، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.

أغنيت عن عمك، فإنَّه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار[١].

الحديث الثالث: روي عن أبي سعيد الخدري قال: أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) يقول وذكر عنده عمه أبو طالب فقال: لعله أن تصيبه شفاعتي فتجعله في ضحضاح من النار تبلغ كعبيه يغلي منها دماغه[٢].

الحديث الرابع: رواه ابْنِ عَبَّاسٍ (رضوان الله عليه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ): إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً أَبُو طَالِبٍ فِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ[٣].

وفي صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطَّلب أنه قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال: نعم هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار.

وفي لفظٍ قال: وجدته في غمرات من النار فأخرجته الى ضحضاح.. وفيه عن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) قال: أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه[٤].

والمقصود أن شيخ البطحاء أبو طالب المحامي والمدافع عن رسول الله ﷺ هو في ضحضاح من نار.

والضَّحضاح في العربية أُريد به: القليل من العذاب مثل الماء الضحضاح الذي هو ضد الغَمْر، وقيل لأعرابي إن فلاناً يدعي الفضل عليك فقال لو كان

---

(١) المصدر السابق، الحديث رقم (٣٨٨٣).

(٢) السجستاني، محمّد حبان، صحيح ابن حبان، الحديث رقم (٦٢٧١).

(٣) الشيبانيّ، أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الحديث رقم (٢٦٩٠)، طبعة مؤسسة قرطبة القاهرة.

(٤) حكمي، حافظ أحمد، معارج القبول، الجزء (٣) صفحة (١١٧٠) طبعة دار ابن القيم، الدمام.

أطول من مسيرة شهر ما بلغ فضلي ولو وقع في ضَحْضاح لغَرِقَ. . أي لو وقع في القليل من مياه شَرَفي وفضلي لغرق فيه، وفي هذا المعنى جملة من الأحاديث.

إعلم أنَّ حديث ـ الضحضاح من النار ـ إنَّما يرويه الناس كلهم عن رجل واحد وهو المغيرة بن شعبة، وبغضه لبني هاشم ـ ولاسيما لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه)ـ مشهور معلوم فهو من ألدَّ أعداء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وقصة فسقه غير خافية، وهو الذي إتُّهم بالزنا في البصرة وشهد عليه الشهود فخلَّصه الخليفة!![1].

ـ المطلب الثاني: حديث المشرك الضالّ

وفيه جملة من الأحاديث نعرض منها حديثاً واحداً.

روى ناجية بن كعب قال: أن علياً (رضي الله عنه) قال: لمّا مات أبو طالب أتيتُ رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، فقلت: إنَّ عَمَّك الشيخَ الضَّالّ قد مات.

قال: إذهب فَوَارِ أباك، ثُمَّ لا تُحدِثَنَّ شيئاً حتى تأتيَني، فوارَيتُه فجئتُه، فأمرني فاغتسلت، فدعا لي. أخرجه أبو داود.

وعند النسائي: أنَّه أتى النَّبيَّ (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) فقال: إنَّ أبا طالب مات، فقال: إذهب فوارِهْ، قال: إنَّه مات مشركاً، قال: إذهب فواره، فلمّا واريته رجعتُ إليه، فقال لي: اغتسل[2].

---

(١) المدائنيّ، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الجزء (١٢)، صفحة (١٤٣)، طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

(٢) البيهقيّ، أحمد ابن الحسين، السنن الكبرى، الجزء (٣)، صفحة (٣٩٨)، طبعة دار الفكر بيروت.

ـ المطلب الثالث: حديث لأستغفرنَّ الله لك

وفيه جملة من الأحاديث

الحديث الأوّل: حكى البُخاريّ في كتاب الجنائز من حديث المسيب بن حزن قال: لمَّا حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة.

قال رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) لأبي طالب: يا عم قل: لا إله إلّا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله.

فقال أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطَّلب؟

فلم يزل رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب، آخر ما كلمهم هو على ملَّة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلّا الله، فقال رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم): أما والله لأستغفرن لك ما لم أنْه عنك.

فأنزل الله تعالى فيه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]... الآية[١].

الحديث الثاني: في معارج القبول كان أبو طالب عمّ النَّبيّ (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) أخاً شقيقاً لأبيه عبد الله وأمه فاطمة بنت عمرو كفل أبو طالب رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) بعد موت جده عبد المطَّلب وهو ابن ثمان سنين ولمَّا بعث آواه الله تعالى به وحماه وهو مع ذلك على دين قومه ولله في ذلك حكمة، وقد حرص النَّبيّ (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) على هداية عمه كل الحرص ولم يكن ذلك حتى خرجت روحه وهو يقول على

---

(١) البُخاريّ، محمّد بن إسماعيل، صحيح البُخاريّ، الحديث رقم (١٣٦٠)، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.

ملّة عبد المطّلب وأنزل الله تعالى في ذلك تعزية لنبيّه ﷺ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[1] .

وقال النَّبيّ (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم):

لأستغفرن لك ما لم أنه عنك. . فنهاه الله تعالى عن الاستغفار له بقوله عزَّ و جلَّ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾[2] الآيات[3].

الحديث الثالث: وفي حديث الزهريّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

لمَّا حضرت أبا طالبٍ الوفاةُ جاءهُ رَسولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فوجد عندهُ أبا جهل وعبد اللهِ بن أَبي أمية بن المُغيرة.

فقال النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لأَبي طالبٍ: أَيْ عمّ، قُل: لا إله إلّا اللَّهُ كلمةً أُحاجَّ لك بها عند الله.

فقال أَبُو جهل وعبدُ اللهِ بنُ أَبي أمية: أَترغبُ عنْ ملَّة عبد المُطَّلب. .؟

فلم يزلِ النَّبِيُّ ﷺ يعرِضُها عليه ويُعِيدانه بِتِلك المقالة حتَّى قال أَبُو طالِبٍ آخر ما كلَّمهُم هو على ملَّة عبد المُطَّلب، وَأَبى أن يقُولَ: لا إِلَهَ إِلّا اللَّهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَا وَاللَّهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

---

(١) سورة القصص، الآية (٥٦).

(٢) سورة التوبة، الآية (١١٣).

(٣) حكمي، حافظ أحمد، معارج القبول، الجزء (٣) صفحة (١١٧٠) طبعة دار ابن القيم، الدمام.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

رَوَاهُ البُخاريّ فِي الصَّحِيح، عَنْ أَبِي الْيَمَانِ، وَأَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ مَعْمَرٍ وَغَيْرِهِ، عَنِ الزهريّ[1].

ـ المطلب الرابع: عقيدة تكفيريّة

وفي مقام التعليق على هذا الحديث قال ابن تيميَّة في حديثه عن الشفاعة:

ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع.. وهذه هي الشفاعة المثبتة أثبتها بإذنه في مواضع أي بشرط الإذن، والإذن إما إذن كوني، وإما إذن شرعي.

فالمأذون له بالشفاعة لا يمكن أن تحصل منه الشفاعة إلّا أن يأذن الله كوناً بأن يشفع فإذا منعه الله كونا أن يشفع لم تحصل منه الشفاعة ولا تحركت بها لسانه.

ومعنى الإذن في باب الشفاعة بأن تكون خالصة وخالية من الشرك، وأن يكون المشفوع له ليس من أهل الشرك.

ويخُصُّ من ذلك أبو طالب، حيث يشفع له النَّبيّ (عليه الصلاة والسلام) في تخفيف العذاب عنه فهي شفاعة.

الشفاعة الخامسة: وهي خاصة بالنبيّ ﷺ وهي شفاعته في عمه أبي طالب.

أبو طالب مات على الشرك وعلى دين عبد المطَّلب المشرك، قال: هو على ملّة عبد المطّلب، ومات على ذلك، فصار من أهل النار الخالدين فيها.

ولكن الله عزّ وجلّ يُشفّع رسوله عليه الصلاة والسلام في تخفيف العذاب

---

(١) البيهقيّ، أحمد حسين، الأسماء والصفات، الجزء (١) صفحة (٣٧٠) طبعة دار السوادي جدة.

عنه، فيكون في ضحضاح من نار ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، مع أنه أهون أهل النار عذاباً[١].

ـ المطلب الخامس: نظرة في أحاديث الحاقدين.

فيما يلي نعرض إلى دراسة هذه الروايات ليتبين لنا أنَّ هذه النصوص وغيرها التي تثبت أنَّ أبا طالب (رضوان الله عليه) مات على غير ملة الإسلام لا شك أنَّها روايات حاقدة تكذبها عشرات الأحاديث والأدلة القاطعة وتثبت بطلانها.

والكلام في جهتين:

ـ الجهة الأولى: أسانيد هذه الروايات

لا شك أن هذه الأحاديث قد وردت في كتب الصحاح عند أهل السنة، وبالنظر إلى رواتها نجد أنَّ الذين رووا هذه الأحاديث هم على التوالي:

١ ـ سفيان بن سعيد الثوري

٢ ـ عبد الملك بن عمير

٣ ـ عبد العزيز بن محمّد الدراوردي

٤ ـ المغيرة بن شعبة.

أقوال علماء الرجال:

١ ـ سفيان بن سعيد الثوري، قال الذهبي في بعض ترجمته: كان يُدلّسُ عن الضعفاء[٢].

---

(١) آل الشيخ، صالح عبد العزيز، التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صفحة (٣١٣)، طبعة دار التوحيد الرياض.

(٢) الذهبيّ، محمّد أحمد، ميزان الاعتدال، الجزء (٢)، صفحة (١٦٩)، طبعة دار المعرفة بيروت.

٢ ـ عبد الملك بن عمير، قال الذهبي في ترجمته: طال عمره، وساء حفظه.

وقال أبو حاتم: ليس بحافظ.. تغيّر حفظه.

وقال أحمد: ضعيف، يغلط.

وقال ابن معين: مخلط.

وقال ابن خراش: كان شعبة لا يرضاه.

وذكر الكوسج عن أحمد بن حنبل أنه قال: أنه ضعفه جداً.

قلت: لم يورده ابن عدي، ولا العقيلي، ولا ابن حبان، وأما ابن الجوزي فذكره وحكى الجرح، وما ذكر التوثيق[1].

فإنَّ هذه الصفات كافية لأن تبطل الأحاديث الواردة عنه.

٣ ـ عبد العزيز بن محمّد الدراوردي، قال الذهبي: غيره أقوى منه.

وقال أحمد بن حنبل: إذا حدّث من حفظه يتهم، ليس هو بشيء، وإذ حدث من كتابه فنعم.

وقال أحمد أيضاً: إذا حدّث من حفظه جاء ببواطيل.

وقال أبو حاتم: لا يحتج به.

وقال أبو زرعة: سيّئ الحفظ[2].

ـ الجهة الثانية: متن هذه الروايات

إن من ينظر في هذه الأحاديث يجدها مخالفة تماماً لما عليه طريقة الإسلام في الكتاب والسنة، وذلك من خلال أن العقيدة الإسلاميّة تنفي أن يخفف الله تبارك وتعالى العذاب عن الكفار والمشركين أو أن يشفع النَّبيّ ﷺ لأحدٍ من الكافرين أو المشركين.

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ

(١) المصدر السابق، صفحة (٦٦٠).

(٢) المصدر السابق، صفحة (٦٣٤).

فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[1].

إنّ هذه الكلمات القرآنية تُثبت لنا نفي تخفيف العذاب عن الكفار وتنفي أيضاً شفاعة أحدٍ لهم، في حين أنّ الأحاديث التي تقول: لأستغفرنَّ الله لك. تثبت أن النَّبيّ يشفع للكافرين أو لبعض الكافرين كما في قضية عمّه، وهذا مخالفٌ لمّا عليه ظاهر القرآن، وعليه فإنّ النَّبيّ ﷺ لا يجوز له أن يُخفّف العذاب لهم أو يشفع لهم يوم القيامة.

ومن السنة الشريفة أيضاً هناك أحاديث تثبت لنا نفي الشفاعة للكافرين؛ فقد ورد عن الصحابيّ الجليل أبي ذر الغفاريّ (رضوان الله عليه) عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: أعطيتُ الشفاعة وهي نائلة من أمتي من لا يشرك بالله شيئاً[2].

وأيضا ما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: وشفاعتي لمن شهد أن لا إله إلّا الله مخلصاً وأن محمّداً رسول الله يصدق لسانه قلبه وقلبه لسانه[3].

وبالتالي إذا كان الحديث يخالفُ ما عليه ظاهر القرآن الكريم فلا يؤخذ به.

---

(١) سورة فاطر الآيتان (٣٦ ـ ٣٧).

(٢) المنذري، عبد العظيم، الترغيب والترهيب، الحديث رقم (٥٥٠٠٠) طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

(٣) المصدر السابق الحديث رقم (٥٥٠٥).

الفصل الثاني

الأدلة على إسلام أبي طالب

تمهيد:

ونحن في هذا المقام نريد أن نعرض جملة من الأدلة التي من خلالها يمكن القول بإيمان أبي طالب. ونطرحها في ثلاثة مباحث.

المبحث الأوّل: الآثار الأدبيَّة.

المبحث الثاني: نماذج من سيرته الشريفة.

المبحث الثالث: الأحاديث الواردة في شأنه.

وبهذه الطرق نثبت إيمان أبي طالب (رضوان الله عليه) ونقطع على المغرضين والحاقدين والحاسدين كل طريق لبث سمومهم.

المبحث الأوّل:
الآثار الأدبية لأبي طالب

إنَّ نظرة عابرة في ألآثار الأدبية الواردة على لسان شيخ البطحاء (رضوان الله عليه) وفي القصائد والأراجيز التي نطقت بها شفتاه لتوضّح روعة بيان مواقفه، وسحر جمال مشاعره، وطهارة إيمان تصديقه وإسلامه، وشجاعة يجسَّد من خلالها بطولاته ومواقفه ونصرته لنبيِّ الإسلام وأتباعه، الذي تكفَّل رعايته منذ صغره، وحامى عنه وعن رسالته، وذبّ عنه ونصره، ومدحه أمام الحاقدين.

ونستعرض فيما يلي بعض القصائد التي تثبت لنا إيمانه وإسلامه بوضوحٍ لا إبهام فيه.

ـ قصائد الإيمان والإسلام

وفيه جملة من الشواهد

ـ الشاهد الأوّل: أبيات إلى ملك الحبشة

روى الواقدي بإسنادٍ له قال: إنّ رسول الله ﷺ لمّا كثر أصحابه، وظهر أمره، اشتدّ ذلك على قريش وأنكر بعضهم على بعض، وقالوا: قد أفسد محمّد بسحره سفلتنا وأخرجهم عن ديننا، فلتأخذ كل قبيلة من فيها من المسلمين، فيأخذ الأخ أخاه وابن العم ابن عمه فيشده ويوثقه كتافاً ويضربه ويخوفه وهم لا يرجعون، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾[1].

فأمر النَّبيّ ﷺ بعض المسلمين بالهجرة إلى الحبشة قائلاً لهم: إنّ فيها ملكاً لا يُظلم عنده أحد.

فخرج جماعة من المسلمين إلى الحبشة يتقدمهم جعفر بن أبي طالب، فنزلوا على النجاشيّ ملك الحبشة فأقاموا عنده في كرامة ورفيع منزلة وحسن جوار، وعرفت قريش ذلك فأرسلوا إلى النجاشيّ عمرو بن العاص وعمّارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي، فلمّا قدم عمرو وعمّارة في رهط من أصحابهما على النجاشيّ تقدم عمرو فقال: أيّها الملك، إن هؤلاء قوم من سفهائنا صباة، قد سحرهم محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب، فادفعهم عنك فإن صاحبهم يزعم أنّه نبيّ قد جاء بنسخ دينك ومحو ما أنت عليه.

فلم يلتفت النجاشيّ إلى قوله ولم يحفل بما أرسلت به قريش، وجرى على إكرام جعفر وأصحابه وزاد في الإحسان إليهم.

---

(١) سورة النساء، الآية (٩٧).

ولمّا بلغ لشيخ البطحاء موقف ملك الحبشة أخذ يمدحه قائلاً:

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفرا وعمرو وأعداء النَّبيّ الاقارب
وهل نال أفعال النجاشيّ جعفرا وأصحابه أم عاق ذلك شاغب[١]
تعلم خيار الناس إنك ماجد كريم فلا يشقى لديك المجانب[٢]
وتعلم بأن الله زادك بسطة وأسباب خير كلها لك لازب[٣]

فلمّا بلغت الأبيات إلى النجاشيّ سُر بها سروراً عظيماً[٤] ولم يكن يطمع أن يمدحه أبو طالب بشعر، فزاد في إكرامهم وأكثر من إعظامهم، فلمّا علم أبو طالب سرور النجاشيّ قال يدعوه إلى الإسلام ويحثه على اتباع النَّبيَّ ﷺ.

ليعلم خيارُ الناس أنّ محمّداً نبيٌّ كموسى والمسيحِ بن مريم
أتى بهدى مثلما أتيا به فكلٌّ بأمر الله يهدي ويعصمِ[٥]

وفي رواية ثانية أنَّه قال:

ليعلم خيار الناس أن محمّداً وزير لموسى والمسيح ابن مريم
أتانا بهدي مثل ما أتيا به فكل بأمر الله يهدي ويعصم
وأنَّكم تتلونه في كتابكم بصدق حديث لا حديث المبرجم[٦]
وإنَّك ما تأتيك منها عصابة بفضلك إلا ارجعوا بالتكرم

---

(١) الشاغب، هو تهيج الشر وإثارة الفتن والإضطراب والجلبة والخصام.. وشاغب بينهم بمعنى هيَّج الشرّ بينهم.. ويقال: شغب فلان، أحدث فتنة وجلبة.. وعن الطريق وغيرها حاد. أنظر ـ المعجم الوسيط، ـ مادة شغب.

(٢) المجنب، الكثير من الخير والشر جمعه مجانب ـ أنظر المعجم الوسيط ـ مادة مجنب.

(٣) يُقال: لزب الشيء لزوباً ثبت فهو لازب يقال صار الأمر ضربة لازب واشتد ـ المعجم الوسيط ـ مادة لزب.

(٤) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٥) صفحة (١٢٢) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٥) السبحانيّ، جعفر، سيرة سيد المرسلين، الجزء (١)، صفحة (٥٢٥)، طبعة دار البيان العربيّ بيروت.

(٦) المبرجم، يقال البرجم الكلام الغلظ ـ المعجم الوسيط ـ مادة برجم.

فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا فإن طريق الحق ليس بمظلم[١]

فهل من يدعو إلى الإسلام يكون غير مسلم؟

وهل من الإنصاف أن ينسب الكفر والضلال لقائل هذه الأبيات والكلمات؟!!

إنّه لمن الظلم والجفاء أن ينسب إلى أبي طالب (رضوان الله عليه) الكفر، وهو يشهد بأنَّ محمّداً نبيٌ كموسى والمسيح عليهما السلام.

ـ الشاهد الثاني: لا أخذل النَّبيَّ

روى عمران بن حصين قال: كان والله إسلام جعفر بأمر أبيه، وذلك أنه مرَّ أبو طالب ومعه ابنه جعفر برسول الله ﷺ وعليٌّ عن يمينه، فقال أبو طالب لجعفر: صلِّ جناح ابن عمك.

فجاء جعفر فصلى مع النَّبيّ ﷺ فلما قضى صلاته قال له النَّبيّ ﷺ: يا جعفر وصلت جناح ابن عمك، إنّ الله يعوضك من ذلك جناحين تطير بهما في الجنّة.

فأنشأ أبو طالب يقول:

إنَّ علياً وجعفرا ثقتي عند ملم الزمان والكربِ
والله لا أخذل النَّبيّ ولا يخذله من بنيَّ ذو حسبِ
حتى ترون الرؤوس طائحة منا ومنكم هناك بالقضبِ[٢]
نحن وهذا النَّبيّ أنصره نضرب عنه الاعداء كالشهبِ[٣]

---

(١) البطريق، يحي بن الحسين، العمدة، صفحة (٨)، طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين قم.

(٢) القضبِ، القضب نحو فلس، سمي بذلك لأنه يقضب مرة بعد أخرى، أي يقطع ـ مجمع البحرين ـ مادة قضب.

(٣) الشهبِ، الشعلة الساطعة من النار ـ المعجم الوسيط ـ مادة شهب.

إن نلتموه بكل جمعكم فنحن في الناس ألام العربِ[١]

وروي عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أنَّه قال:

قال لي أبي:

يا بنيَّ إلزم ابن عمك فإنَّك تسلم به من كل بأس عاجل وآجل ثُمَّ قال لي:

إنّ الوثيقة في لزوم محمّد فاشدد بصحبته على أيديكا[٢]

ـ الشاهد الثالث: نبياً كموسى

هذه الأبيات قالها شيخ البطحاء عندما حاصرت قريش النَّبيَّ ﷺ في شعب أبي طالب، قال:

ألا أبلغا عنّي على ذات بيننا لؤيّاً[٣] وخصّا من لؤيّ بني كعبِ
ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً نبيّاً كموسى خُطّ في أوّلِ الكتبِ
وأنّ عليه في العبادِ محبّةً ولا خير ممّن خصّه الله بالحُبِ
فلسنا وربّ البيت نُسلم أحمداً لعزّاء من عضّ الزّمان ولا كربِ
أليس أبونا هاشم شدّ أزره وأوصى بنيه بالطّعان وبالضربِ
ولسنا نملّ الحرب حتّى تملّنا ولا تشتكي ما قد ينوب من النكبِ[٤]
ولكنّنا أهلُ الحفائظ والنّهى[٥] إذا طار أرواح الكماةِ[٦] من الرّعبِ[٧]

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٥) صفحة (١٢٢) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.
(٢) النيسابوري، الحاكم، المستدرك على الصحيحين الحديث رقم (٤٢١٦).
(٣) لؤياً، لؤي بن غالب أحد أجداد النَّبيّ ﷺ.
(٤) النكب، النكب شبه ميل في الشيء وداء يصيب مناكب البعير وغيره يمشي منه منحرفاً ـ المعجم الوسيط ـ مادة نكب.
(٥) النهى، العقل.
(٦) الكمي: الشجاع المتكمي، أي المتستر في سلاحه، والجمع الكماة كقضاة.
(٧) ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبويّة الجزء (١) صفحة (٣٥٢).

ـ الشاهد الرابع: أنت النَّبيّ محمّد

في الرواية أنَّه لمَّا بلغ أبو طالب أنّ أحد مشركي قريش، وضع أقذاره على ظهر النَّبيِّ ﷺ، وهو ساجدٌ في الصلاة، وأنّه يسخر من حركاته فيها، ويظاهره في هذه السخرية بعض الحاضرين، جاء مسرعاً مغضباً إلى حيث يوجد النَّبيِّ ﷺ حينئذٍ، وسأل من فعل به هذا..؟!!.

فلمَّا علم أنَّه الشاعر ابن الزبعرى لطمه لطمةً أدمته، وألقى عليه نفس القاذورات، ولوّث بها لحيه، ثُمَّ توجَّه إلى النَّبيِّ ﷺ فقال له: ارضيت..؟

ولم يلبث أن جادت قريحته بشعر يتحدى فيه كل من يقف في وجه النَّبيّ ﷺ، ودعوته فيقول:

أنت النَّبيّ محمّد قِدماً أعز مسودُ
أني تُضام ولم أمت وأنا الشجاع العربدُ[1]
وبطاح مكة لا يرى فيها نجيع أسودُ
وبنو أبيك كأنهم أُسد العرين توقدوا
نعم الأرومة[2] أصلها عمرو الحطيم الأوحدُ
ولقد عهدتك صادقاً بالقول لا تتزيدُ
ما زلت تنطق بالصواب وأنت طفل أمردُ[3]

ـ الشاهد الخامس: أنصر رسول الله

ومن أدب شيخ البطحاء (رضوان الله عليه) يخاطب أخاه الحمزة (رضوان الله عليه) وكان يكنى أبا يعلى فيحثه على نصرة النَّبيّ ﷺ يقول:

---

(١) العِرْبَدُ كقِرْشَبٌ يعني: بكسر فسكون ففتح مع تشديد الدال وتُكْسَرُ الباءُ الموحَّدة: الشَّدِيدُ من كُلِّ شَيءٍ يقال غَضَبٌ عِرْبِدٌ أي شَدِيد قال: ـ لَقَد غَضِبْنَ غَضباً عِرْبِدَاً ـ أنظر الزَّبيدي، محمّد ـ تاج العروس ـ مادة ع ر ب د.

(٢) الأرومة، الأصل. أنظر ابن منظور ـ لسان العرب ـ مادة أرم.

(٣) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٥)، صفحة (١٦٤)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

فصبراً أبا يعلى على دينِ أحمدٍ وكن مظهراً للدين وفقت صابرا
وحط من أتى بالحق من عند ربه بصدقٍ وعزم لا تكن حمزُ كافرا
فقد سرني إذ قلت إنَّك مؤمنٌ فكن لرسول الله في الله ناصرا
وبادِ قريشاً بالذي قد أتيته جهاراً وقلّ ما كان أحمد ساحرا[1]

ـ الشاهد السادس: دون نفسك نفسي

ومن أدبه المشهور أيضا قوله يخاطب النَّبيَّ ﷺ ويكّن جأشه ويأمره بإظهار الدعوة:

لا يمنعنك من حق تقوم به أيدٍ تصولُ ولا سلق بأصوات
فإنَّ كفك كفي إن بُليت بهم ودون نفسك نفسي في الملمات[2]

ومن ذلك قوله:

إذا قيل من خير هذا الورى قبيلا وأكرمهم أسره
أناف لعبد مناف أب وفضله هاشم العزه
لقد حلَّ مجدُ بني هاشمٍ مكان النعائمِ والنثرة[3]
وخيرُ بني هاشمٍ أحمد رسولُ الإلهِ على فتره[4]

ومن ذلك قوله:

لقد أكرم اللهُ النَّبيّ محمّداً فأكرم خلقُ اللَّهِ في الناسِ أحمد
وشقّ له من اسمه ليجله فذو العرش محمودٌ وهذا محمّد[5]

---

(١) المصدر السابق صفحة (١٦٤).
(٢) المصدر السابق.
(٣) النثرة، كثرة الأبناء حيث كانت هذه من مفاخر العرب ـ لسان العرب ـ مادة نثر.
(٤) المصدر السابق، صفحة (١٦٥).
(٥) المصدر السابق، الجزء (١٦)، صفحة (١٢٠).

وقوله أيضاً:

يا شاهد الله علي فاشهد أني على دين النَّبيّ أحمد
من ضلّ في الدين فإني مهتد[1]

ـ الشاهد السادس: ولقد علمتُ بأن دين محمّد

جاء مشركو قريش مرة إلى أبي طالب يقولون له: يا أبا طالب.. هذا عمّارة بن الوليد، أنهد فتى في قريش، وأشعره وأجمله، فخذه فلك عقله ونصرته، واتّخذه ولداً، وأسلم لنا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك وفرّق جماعة قومك وسفّه أحلامهم، وعاب آلهتهم فنقتله.. وإنّما رجلٌ برجلٍ..

فقال لهم: والله لبئس ما تسومونني.. أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟..

ثُمَّ أنشد أبو طالب يقول:

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسّد في التراب دفينا
فأصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشر بذلك وقَر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنّك صادقٌ ولقد صدقت وكنت ثَمَّ أمينا
ولقد علمتُ بأنّ دين محمّد من خيرِ أديانِ البريةِ دينا[2]

فهل يصح أن تصدر هذه الأبيات من مشركٍ كافرٍ..؟!.

لقد كان أبو طالب (رضوان الله عليه) يحذّر من الإعلان عن إيمانه خيفة أن يسقط محله عند قريش فلا تتسنى له نصرة الرسول المبعوث ﷺ، ولو كان يريد عدم الخضوع للدين لما صدرت منه هذه الأبيات التي ينص فيها بأن دين محمّد ﷺ من خير أديانِ البريةِ دينا، وأنّه ﷺ صادقٌ في دعوته أميناً على أمته.

---

(١) المصدر السابق، الجزء (٣٣)، صفحة (٣٥٣).

(٢) السبحانيّ، جعفر، سيد المرسلين، الجزء (١)، صفحة (٥٢٥)، طبعة دار البيان العربي بيروت.

ـ الشاهد السابع: بعض من القصيدة اللامية

هذه بعض أبياتٍ من القصيدة اللامية وهي قصيدة مشهورة وشهرتها كشهرة ـ قفا نبك ـ ويقول فيها ابن أبي الحديد: وإن جاز الشك فيها أو في شيء من أبياتها جاز الشك في ـ قفا نبك ـ وفي بعض أبياتها.

ونذكر فيما يلي بعض الأبيات منها حيث يقول أبو طالب (رضوان الله عليه):

أعوذ بربِ البيتِ من كلِ طاعنٍ ... علينا بسوءٍ أو يلوح بباطلِ
ومن فاجرٍ يغتابنا بمغيبة ... ومن ملحقٍ في الدين ما لم نحاولِ
كذبتم وبيت الله يبزى محمّد ... ولمّا نطاعن دونه وننـاضلِ
وننصره حتى نصرع دونه ... ونذهل عن أبنائنا والحلائلِ
وحتى نرى ذا الردع يركب ردعه ... من الطعنِ فعل الأنكب المتحاملِ
وينهض قوم في الحديد إليكم ... نهوض الروايا تحت ذات الصلاصلِ
وإنا وبيتُ الله من جد جدنا ... لنلتبسن أسيافنا بالأماثلِ
بكلِ فتىً مثل الشهاب سميدع ... أخي ثقة عند الحفيظة باسلِ
وما ترك قوم لا أبا لك سيدا ... يحوط الذمار غير نكس مواكلِ
وأبيضٌ يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأراملِ
يلوذ به الهلاك من آلِ هاشمٍ ... فهم عنده في نعمةٍ وفواضلِ
وميزانُ صدقٍ لا يخيس شعيرة ... ووزانُ صدقٍ وزنه غيرُ عائلِ
ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب ... لدينا ولا نعبأ بقول الأباطلِ
وأيده ربُّ العبادِ بنصرهِ ... وأظهر ديناً حقه غيرُ زائلِ[1]

---

(١) المدائنيّ، عز الدين ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الجزء (١٤) صفحة (٤٥) طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

ـ الشاهد الثامن: رسول الإله

ومن وثائقه الأدبية التي تثبت إيمانه بالله الواحد وأنه على دينِ رسول الله ﷺ قوله:

نصرتُ الرسول رسول المليك ببيض تلألأ كلمع البروقِ
أذبُّ وأحمي رسول الإلهِ حماية حامٍ عليه شفيقِ
وما إن أذبُّ لأعدائهِ دبيب البكارِ حذار الفنيق[1]
ولكن أزير[2] لهم سامياً كما زار ليثٌ بغيل مضيق

وقد ورد أن الحاكم العباسي عبد الله المأمون كان يذكر هذه الأبيات ويقول: أسلم أبو طالب والله بهذا القول[3].

ـ الشاهد التاسع: نبي أتاه الوحي

ومن وثائقه الأدبية التي تُثبت أنّه (رضوان الله عليه) كان ينصر النَّبيّ ﷺ ويدفع عنه أذى قريش قوله في قصيدة له:

فبلغ عن الشحناء[4] أفناء غالبٍ لوياً وتيماً[5] عند نصر الكرائمِ
لانا سيوف الله والمجد كله إذا كان صوتُ القومِ وجي الغمائمِ
ألم تعلموا أن القطيعة مأثم وأمر بلاء قاتم غير حازمِ
وأن سبيل الرشد يعلم في غد وأن نعيم الدهر ليس بدائم
فلا تسفهن أحلامكم في محمّد ولا تتبعوا أمر الغواة الأشائمِ[6]

---

(١) الفنيق، هو فحل الأبل ـ المعجم الوسيط ـ مادة فنق.
(٢) الأزير، من المؤازرة، المعاونة ـ تاج العروس ـ مادة وزر.
(٣) المصدر السابق، صفحة (٤٣).
(٤) الشحناء، العداوة و البغضاء.
(٥) تيم بن غالب بن فهر أخو لؤى ابن غالب ويعرف بالادرم
(٦) الأشائمِ، مفرده أشأم من الشؤم.

تمنيتم أن تقتلوه وإنّما أمانيكم هذي كأحلامِ نائم
وإنكم والله لا تقتلونه ولمّا تروا قطف اللحى والغلاصمِ[1]
ولم تبصروا والأحياء منكم ملاحماً تحوم عليها الطير بعد ملاحمِ
وتدعو بأرحام أواصر بيننا فقد قطع الأرحام وقع الصوارمِ
زعمتم بأنا مسلمون محمّداً ولمّا نقاذفُ دونه ونزاحمِ
من القوم مفضال أبي على العدى تمكن في الفرعين من آل هاشمِ
أمين حبيب في العباد مسوم بخاتم ربٍّ قاهر في الخواتمِ
يرى الناس برهانا عليه وهيبة وما جاهل في قومه مثل عالمِ
نبي أتاه الوحي من عند ربه ومن قال لا يقرع بها سن نادم
تطيف به جرثومة هاشمية تذبب عنه كل عات وظالمِ[2]

ـ الشاهد العاشر: أفيقوا بني غالب

جاء أبو جهل بن هشام إلى رسول الله ﷺ وهو ساجد وبيده حجر يريد أن يرميه به، فلمَّا رفع يده لصق الحجر بكفه فلم يستطع ما أراد.

فقال أبو طالب (رضوان الله عليه):

أفيقوا بني غالبٍ وانتهوا عن الغي من بعض ذا المنطقِ
وإلا فإني إذن خائفٌ بوائق في داركم تلتقي
تكون لغيركم عبرة ورب المغارب والمشرق
كما نال من كان من قبلكم ثمود وعاد وماذا بقي
غداة أتاهم بها صرصر وناقة ذي العرش قد تستقي
فحل عليهم بها سخطه من الله في ضربة الأزرق[3]

(١) الغلاصم، الغلصم هو الحلقوم. أنظرفخر الدين الطريحي ـ مجمع البحرين ـ مادة غلصم.
(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٥)، صفحة (١٦٠)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.
(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٥) صفحة (١١٩) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

ـ الشاهد الحادي عشر: أوصي بنصر نبي الرحمة

ومِمّا ذكر له قوله في وصيته:

أوصي بنصر نبيّ الخيرِ أربعة ابني علياً وشيخ القومِ عباسا
وحمزة الأسد الحامي حقيقته وجعفرا أن تذودا دونه الناسا
كونوا فداء لكم أمّي وما ولدت في نصر أحمد دون الناس أتراسا[1]

ومن أشعار أبي طالب (رضوان الله عليه) قوله:

يرجون منا خطةً دون نيلها ضرابٌ وطعنٌ بالوشيجِ المقومِ
يرجون أن نسخى بقتلِ محمّد ولم تختضب سم العوالي من الدم
كذبتم وبيت الله حتى تقلقوا جماجم يلقى بالحطيمِ وزمزمِ[2]

هذه جملة من شعر شيخ البطحاء (رضوان الله عليه) الطافح بالإيمان الخالص والإسلام الصحيح.

وقد ورد عن مولانا الإمام جعفر الصادق (صلوات الله عليه) أنّه قال: كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يعجبه أن يُروى شعر أبي طالب، وأن يدوّن.

وكان يقول: تعلّموه وعلّموه أولادكم، فإنه كان على دين الله.. وفيه علم كثير[3].

إعلم أن أشعار شيخ البطحاء (رضوان الله عليه) التي عرضناها تُمثّل جزءاً صغيراً من أدبه المبارك، ويمكن القول أن أشعاره التي يُستدلّ فيها على إيمانه وإسلامه والتزامه بعقيدة التوحيد كثيرة جداً تزيد على ثلاثة آلاف بيت، وكل بيتٍ منها كافٍ لإثبات إيمانه وإسلامه.

---

(١) الأمينيّ، عبد الحسين، موسوعة الغدير، الجزء (٧) صفحة (٣٤٢) طبعة دار الكتاب العربي بيروت.
(٢) المدائنيّ، عز الدين، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الجزء (١٤) صفحة (٤١) طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.
(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٥) صفحة (١١٥) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

ولا يمكن التفريق في الإعلان عن الإسلام بين أن يكون الكلام منظوماً أومنثوراً طالما أنه يتضمّن الإقرار بالإسلام.

ألا ترى أنّه لو توسّط يهوديٌّ جماعةً من المسلمين وأنشد شعراً قد ارتجله ونظمه متضمناً الإقرار بنبوة النَّبيّ محمّد ﷺ لكنّا نحكم بإسلامه، فكأنّه تشهّد بالرسالة المحمّدية؟!!.

ألا يأخذك العجب والاستغراب بعد اطّلاعك على كل هذه الأدلّة والبراهين عندما تنظر في أقوال وأشعار أبي طالب (رضوان الله عليه)، وتجد من يحكم بكفره وضلاله؟!.

هل يبقى لديك احتمالٌ للقولِ ـ بعد اطّلاعك على كلّ هذه الشواهد والأدلّة ـ بأنَّ أبا طالب مات على الكفر!!.

وهل الإسلام إلّا الإيمان بالتوحيد والإقرار بنبوة النَّبيِّ ﷺ؟!.

فإذا كان الإيمان بالتوحيد والإقرار بنبوَّة محمّد لا يكفي للإسلام فما هو الإسلام!!

وكيف يكون الإنسان مسلماً؟!.

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: فكل هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر لأنَّه إنَّ لم تكن آحادها متواترة فمجموعها يدل على أمرٍ واحدٍ مشتركٍ وهو تصديق النَّبيِّ ﷺ. ومجموعها متواتر كما أن كل واحدة من قتلات أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الفرسان منقولة آحاداً ومجموعها متواتر يفيدنا العلم الضروري بشجاعته. وكذلك القول فيما روي من سخاء حاتم وحلم الأحنف وذكاء إيَاس و...[1].

(١) المدائنيّ، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الجزء (١٤)، صفحة (٤٥)، طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

لا شك ولا ريب أنَّ هذه الأشعار لو قالها غيرُ أبي طالب (رضوان الله عليه) لحكم الجميع بإسلامه وإيمانه العميق.

ولكن!!

حيث أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) موجودٌ في الساحة السياسية...

وحيث أنَّ الأجهزة الحاكمة ـ الأمويَّة والعباسيَّة ـ كانت تعمل بكل جهدها ضد آل أبي طالب...

وحيث أنَّ إثبات إسلام أبي طالب يُعدَّ فضيلة بارزة من فضائله (صلوات الله عليه) في حين أنَّ كفر آباء الخلفاء يُعدَّ منقصة ومثلبة لهم، فقد وضعوا الأحاديث والأكاذيب الدالة على كفره وضلاله.

إنَّ الذي يتربى على الخبث والعداء، ويتغذى من سموم الشجرة الخبيثة، ويقتل أولاد رسول الله ﷺ وقد أعماه الحقد لن يتورَّع أبداً عن نسبة الكفر إلى أبي طالب (رضوان الله عليه) أو إلى آباء وأجداد رسول الله ﷺ.

إنهم يريدون بهذه النسبة أن يسجلوا منقصة بحقِ ولده أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)!! فيقول القائل: إنَّ أباء النَّبيّ ﷺ ماتوا على الكفر فيدخلون أبا طالب (رضون الله عليه) تحت هذه القاعدة، وهو ما صرَّحوا به.

إنَّ الأحاديث التي وضعت في كفر أبي طالب (رضوان الله عليه) كانت صناعة حكّام ومرتزقة العصر الأموي، وقد جاء المتأخرون وبنوا عليها، ولذلك تجد عروة ابن الزبير، وشهاب الزهريّ والمغيرة ابن شعبة قد وضعوا هذه الأحاديث ارضاءً لمعاوية، وما ذلك لذنبٍ اقترفه أبو طالب (رضوان الله عليه). إلّا لأنَّ أبا طالب والدُ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

المبحث الثاني:
نماذج من سيرة أبي طالب

تمهيد:

الطريق الثاني للتدليل على إيمان أبي طالب (رضوان الله عليه) هو من خلال سيرته الجليلة ومواقفه البارزة من رسول الله ﷺ ودعوته وكيف دافع وذب عنه وحماه، وكيف دافع عن أصحابه وأتباعه، وكيف قاوم أهل الشرك والضلال ورفض كل سياسة الترهيب والترغيب التي مارستها قريش ضده.

فقد حدثنا التاريخ عن مواقف مشهودة وقفها شيخ البطحاء أبو طالب (رضوان الله عليه) دفاعاً عن النبيِّ ﷺ وعن رسالته وعن دينه وعن قرآنه وعن أتباعه بل إنَّ كل موقف من مواقفه يُعدّ دليلاً كافياً على إيمانه وإسلامه وإخلاصه لله ولرسوله، فإذا كانت هذه الأعمال كفراً فكيف يكون الإسلام..؟! فإن كنت تعجب فعجب قولهم: (أبو طالب مات كافراً).

وفيما يلي نعرض بعضاً من سيرته ومواقفه.

ـ الموقف الأوّل: من ابن الزبعَري

وذلك لمَّا تجاسر على رسول الله ﷺ. فقد روى الصحابيَّ الجليل الأصبغ بن نباتة (رضوان الله عليه) قال:

سمعتُ أمير المؤمنين علياً (صلوات الله عليه) يقول: مرَّ رسول الله ﷺ بنفرٍ من قريش، وقد نحروا جزورا، وكانوا يسمونها الظهيرة، ويذبحونها على النصب، فلم يسلِّم عليهم، فلمَّا انتهى إلى دار الندوة قالوا: يمرُّ بنا يتيم أبي طالب فلا يسلّم علينا؟!.

فأيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه؟!

فقال عبد الله بن الزبعري السهمي: أنا أفعل.

فأخذ الفرث[١] والدم فانتهى به إلى النَّبيِّ ﷺ وهو ساجد فملأ به ثيابه ومظاهره، فانصرف النَّبيِّ ﷺ حتى أتى عمّه أبا طالب (رضوان الله عليه) فقال: يا عم من أنا..؟

فقال أبو طالب (رضوان الله عليه): ولِمَ يا بن أخ..؟

فقصّ عليه القصة... فقال أبو طالب: وأين تركتهم..؟

فقال ﷺ: بالأبطح.

فنادى أبو طالب (رضوان الله عليه) في قومه: يا آل عبد المطلب، يا آل هاشم، يا آل عبد مناف، فأقبلوا إليه من كل مكان ملبين.

فقال: كم أنتم؟

قالوا: نحن أربعون.

قال: خذوا سلاحكم، فأخذوا سلاحهم، وانطلق بهم، حتى انتهى إلى أولئك النفر، فلمّا رأوه قاموا وأرادوا أن يتفرقوا، فقال لهم: ورب هذه البنية (الكعبة) لا يقومنَّ منكم أحد إلّا جلّلته بالسيف.

ثُمَّ أتى إلى صفاة[٢] كانت بالأبطح[٣] فضربها ثلاث ضربات حتى قطعها

---

(١) الفرث، الكرش شقت وأخرج منها الفرائة الجمع فروث، قال الله تعالى في محكم التنزيل ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ سورة النحل، الآية (٦٦). ـ مجمع اللغة العربية ـ المعجم الوسيط، مادة ـ ف ر ث ـ صفحة (٦٧٨)، طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٢) الصفاة: الحجر العريض الأملس ويقال: ما تفرّع له صفاة لا يناله أحد بسوء، وقلت صفاته ضعف وما تندى صفاته هو بخيل شحيح. ـ مجمع اللغة العربية ـ المعجم الوسيط، صفحة (٥١٨) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٣) الأبطح: المكان المتسع يمرّ به السيل فيترك فيه الرمل والحصى الصغار ومنه أبطح مكة، جمع أباطح، المصدر السابق صفحة (٦١). الإبطَحُ: بالفتح ثُمَّ السكون وفتح الطاءِ والحاء وكل مسيل فيه دُقاق الحصا فهو أبطَح، وقال ابن دريد: الأبطَح والبطحاء الرمل المنبسط على الأرض، وقال أبو زيد: =

ثلاثة أفهار[١] ثُمَّ قال: يا محمّد سألتني من أنت..؟ ثُمَّ أنشأ يقول، ويومي بيده إلى النَّبيّ ﷺ:

أنت النَّبيّ محمّد قرم أعز مسود
لمسودين أطائب كرموا وطاب المولد
نعم الأرومة أصلها عمرو الخضم الأوحد
أني تضام ولم أمت وأنا الشجاع العربد
وبنو أبيك كأنهم أسد العرين توقد
ولقد عهدتك صادقا في القول ما تتفند
ما زلت تنطق بالصواب وأنت طفل أمرد

حتى أتى على الأبيات كاملةً ثُمَّ قال أبو طالب (رضوان الله عليه): يا محمّد، أيّهم الفاعل بك..؟. فأشار النَّبيّ ﷺ إلى عبد الله ابن الزبعرى، فدعاه أبو طالب (رضوان الله عليه) فوجأ أنفه حتى أدماه، ثُمّ أمر بالفرث والدم، فأمره على رؤوس الملأ كلهم، ثُمّ قال: يا ابن أخ ارضيت..؟

ثُمّ وجّه أبو طالب (رضوان الله عليه) كلامه إلى النَّبيّ ﷺ قائلاً: سألتني من أنت..؟

أنت محمّد بن عبد الله.. حتى نسبه إلى نبيّ الله آدم ﷺ ثُمّ قال: أنت والله أشرفهم حسباً، وأرفعهم منصباً، يا معشر قريش، من شاء منكم أن يتحرّك فليفعل، أنا الذي تعرفوني[٢].

= الأبطح أثرُ المسيل ضيقاً كان أو واسعاً. والأبطح يضاف إلى مكة! والى منىً لأنَّ المسافة بينه وبينهما واحدة وربما كان إلى منى أقرب وهو المُحصب وهو خَيف بني كنانة وقد قيل أنه ذو طُوىً وليس به، وذكر بعضهم أنَّه إنَّما سمي أبطح لأنَّ آدم ﷺ بَطح فيه. أنظر، الحموي، ياقوت، معجم البلدان مادة (إبط).

(١) الفهر: حجر ناعم صلب يستعمل لسحق الأدوية. انظر المعجم الوسيط مادة (فهر).

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٥) صفحة (١٢٦) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

ـ الموقف الثاني: موقفه من قضية عثمان بن مظعون.

هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي، أبو السائب: وكان من حكماء العرب في الجاهلية، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى[1]، شهد بدراً، ومات بعدها في السنة الثانية من الهجرة، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع.

كان عثمان بن مظعون يقف بباب الكعبة يعظ الناس أن لا يعبدوا الأصنام، فوثب عليه فتية من قريش وضربوه فوقعت ضربة أحدهم على عينه ففقأتها، وبلغ أبا طالب ذلك فغضب غضباً شديداً وقام في أمره حتى أخذ بثأره، وكانوا قد اجتمعوا إلى أبي طالب وناشدوه أن يدعها ويؤدون له الدية، فأقسم لهم: إني لا ارضى حتى أقلع عين الذي قلع عينه، فكان ما أراد، وقد ذكر هذه الحادثة في أبيات له، منها:

أمن تذكر أقوام ذوي سنة ... يغشون بالظلم مِن يدعى إلى الدينِ
لا ينتهون عن الفحشاء ما أمروا ... والعذرُ فيهم سبيلٌ غير مأمونِ
ألا ترون أذل الله جمعكم ... أنا غضبنا لعثمان بن مظعونِ
إذ يلطمون ولا يخشون مقلته ... طعناً دراكاً وضرباً غير موهونِ
فسوف نجزيهم إن لم تمت عجلا ... كيلا بكيل جزاء غير مغبونِ

إلى أن قال:

أو يؤمنوا بكتابٍ منزلٍ عجب ... على نبيّ كموسى أو كذي النونِ

---

(١) لقد كان رسول الله ﷺ يعرف أوضاع المسلمين المؤلمة جداً فكان يحظى بحماية بني هاشم وشيخ البطحاء، وكان الهاشميون يحمونه من كل أذى، ولكن الذين آمنوا به ممّن ليست لهم حماية من الإماء والعبيد والأحرار المستضعفين فقد كان عددهم كبيراً وكانوا يتعرضون لشتى صنوف العذاب والإيذاء والتنكيل والمضايقة لهذا أذن النَّبيّ ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة قائلاً لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنَّ بها ملكاً لا يظلم عنده أحدٌ وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مِمّا أنتم فيه. (أنظر السبحانيّ، جعفر، سيد المرسلين، الجزء (١) صفحة (٤٥٠) طبعة دار اليان العربي بيروت).

يأتي بأمرِ جلي غير ذي عوجٍ كما تبين في آياتِ ياسينِ[١]

ـ الموقف الثالث: إجارته أبا سلمة المخزومي.

وقد أسلم أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، فأرادت قريش أن تعذبه لتصرفه عن الإسلام فلجأ إلى أبي طالب، وكان بينه وبين أبي طالب قرابة من جهة الأم، فخلّصه من العذاب، فجاء وفد من مخزوم إلى أبي طالب وقالوا له: يا أبا طالب، هبك منعت منا ابن أخيك محمّداً، فما بالك ولصاحبنا تمنعه منا؟! فأجابهم: إنه استجارني وهو ابن أختي، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي..[٢].

تكفّل أبو طالب (رضوان الله عليه) النَّبيَّ صلى الله عليه وآله وحماه وحمى أصحابه وأتباعه من أذى قريش وبطشهم في السنين الأولى من بعثته، وكان (رضوان الله عليه) ضمن من حاصرتهم قريش في الشِّعب المعروف بـ(شعب أبي طالب) بسبب دفاعه عن النبي صلى الله عليه وآله.

ولمّا توفي (رضوان الله عليه) في السنة العاشرة من البعثة سمى النَّبيَّ صلى الله عليه وآله ذلك العام بـ(عام الحزن) وكانت في تلك السنة وفاة السيّدة الفاضلة الجليلة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (رضوان الله عليها).

وقد ورد عن النَّبيَّ صلى الله عليه وآله قوله: ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب[٣].

وكان أبو طالب (رضوان الله عليه) يذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله ويمنع منه ويحول بين كفار قريش وبينه أن يروّعوه أو يؤذوه ويأمره بتبليغ رسالة ربه.

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٥) صفحة (١٦١) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) المدائنيّ، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الجزء (١٤) صفحة (٣١) طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (١٩)، صفحة (١٧)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

فلم يزل ممنوعاً من الضيم والأذى حتى مات أبو طالب (رضوان الله عليه)، وأمر ابنه علياً (صلوات الله عليه) بموازرته ونصرته، فوازره أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ونصره وجعل نفسه دونه في كل شديدةٍ، وفي كل ضيقٍ، وفي كل خوفٍ، واختص الله بذلك أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من بين قريش وأكرمه من بين جميع العرب والعجم.

المبحث الثالث:
أخبار في إيمان أبي طالب

تمهيد:

من الأدلة التي دلت على إسلام شيخ البطحاء (رضوان الله عليه) الروايات التي وردت على ألسنة المعصومين (صلوات الله عليهم) وألسنة الصحابة (رضوان الله عليهم) ونعرض فيما يلي جملة منها.

ـ **الحديث الأوّل**: روى أصحاب المجامع الحديثية أن رجلاً من رجال الشيعة ـ وهو أبان بن أبي محمود ـ كتب إلى مولانا أبي الحسن علي بن موسى الرضا (صلوات الله عليه) يسأله عن إيمان أبي طالب (رضوان الله عليه) فكتب يقول:

جعلتُ فداك قد شككتُ في إسلامِ أبي طالب؟

فكتب إليه الإمام (صلوات الله عليه) يقول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[1] وبعدها: إنَّك إن لم تقرَّ بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار[2].

---

(١) سورة النساء، الآية (١١٥).

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٥) صفحة (١٥٦) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

ـ **الحديث الثاني**: ورد في كتب الأخبار أنَّ سائلاً سأل مولانا الإمام أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه) عمَّا يقوله الناس إن أبي طالب في ضحضاح من نار؟

فقال الباقر (صلوات الله عليه): لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه..

ثُمَّ قال: ألم تعلموا أن أمير المؤمنين علياً (صلوات الله عليه) كان يأمر أن يحج عن عبد الله وآمنة وأبي طالب في حياته، ثُمَّ أوصى في وصيته بالحج عنهم، إلى آخر ما أورده في ذلك[١].

ـ **الحديث الثالث**: ورد في كتب الأخبار أنَّ أبا بكر جاء بأبيه أبي قحافة إلى النَّبيَّ ﷺ عام الفتح يقوده وهو شيخٌ كبير أعمى، فقال رسول الله ﷺ ألا تركت الشيخ حتى نأتيه؟

فقال: أردت يا رسول الله أن يأجره الله، أما والذي بعثك بالحق لأنا كنتُ أشدُ فرحاً بإسلامِ عمّك أبي طالب مني بإسلام أبي، ألتمس بذلك قرّة عين عينك.

فقال ﷺ صدقت[٢].

ـ **الحديث الرابع**: رواه الصحابيَّ الجليل الأصبغ بن نباتة (رضوان الله عليه) قال: سمعت أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: والله، ما عبد أبي ولا جدي عبد المطَّلب ولا هاشم، ولا عبد مناف صنماً قط..

قيل له: فما كانوا يعبدون؟!

قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم، متمسكين به[٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق صفحة (١٥٧).

(٣) المصدر السابق الجزء (١٥)، صفحة (١٤٤).

ـ **الحديث الخامس**: ورد أن مولانا عليَّ بن الحسين زين العابدين (صلوات الله عليه) سُئل عن هذا؟ ـ أي عن إسلام أبي طالب ـ فقال: واعجبا إنّ الله نهى رسوله أن يقرَّ مسلمة على نكاح كافرٍ، وقد كانت فاطمة بنت أسدّ من السابقات إلى الإسلام ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات[1].

ـ **حرمة بقاء المسلمة على زوجية الكافر**:

اتفقت كلمة فقهاء الإسلام على أنّه إذا أسلمت زوجة الكافر وكان إسلامها بعد الدخول توقف إنفساخ العقد على انقضاء العدة، فتعتد منه عدة الطلاق من حين إسلامها.. فإن انقضت العدة وهو على كفره تبين أنها قد بانت منه حين إسلامها.. وإن أسلم قبل إقضائها تبين بقاء النكاح... ويدل على ذلك مضافا إلى أنه من بديهيات الدين قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١][2].

وأجمع المفسرون من الفريقين أنّ المقصود بالآية الكريمة أهل الشرك الذين يعبدون الأوثان فلا تشمل أهل الكتاب على تفصيلٍ مذكور في محله..

يقول صاحب الحدائق رحمه الله: ومن هنا يظهر أن غير الكتابي [يعني عبدة الأوثان] محل اتفاق فيما ذكرناه من الحكم وأنه مع عدم الدخول يجب أن يفسخ العقد، ومع الدخول يقف على انقضاء العدة..

فإنّه إن كانت المسلمة هي الزوجة فلا سبيل للكافر عليها كما تقدم دلالة الآيات عليه.. ولا تحلّ له..

---

(١) المصدر السابق الجزء (٣٥) صفحة (١٥٧).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٢١).

وإن كان هو الزوج فقد عرفت أنّ المسلم إنّما يجوز له التزويج بالكتابية على الخلاف المتقدم هذا في الابتداء وأما الاستدامة فقد تقدم أن الجواز متفق عليه..

وأما غير الكتابية فلا دليل على جوازه بل الآيات والأخبار دالّة على المنع منه وبالجملة فالمسالة ليس محلّ إشكال..[١].

ويقول الشهيدان (رحمهما الله): لو أسلم أحد الزوجين الوثنيين المنسوبين إلى عبادة الوثن وهو الصنم، وكذا من بحكمهما من الكفّار غير الفرق الثلاثة [اليهود والنصارى والمجوس] وكان الإسلام قبل الدخول بطل النكاح مطلقاً، لأنّ المسلم إن كان هو الزوج استحال بقاؤه على نكاح الكافرة غير الكتابية، لتحريمه ابتداء واستدامة، وإن كان هي الزوجة فأظهر...[٢].

وذلك باعتبار أن تحريم نكاح المسلمة على الكافر مِمّا لا إشكال ولا خلاف فيه.

يقول علماء المذهب الحنفي: يشترط إسلَامُ الرَّجُلِ إذا كانَت المرأَةُ مُسلِمةً...

فلَا يَجُوزُ إنكَاحُ المُؤمِنَةِ الكَافِرَ، لِقَولهِ تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ ولِأَنَّ فِي إنْكَاحِ الْمُؤمِنَةِ الْكَافِرَ خَوفَ وُقُوعِ المُؤمِنَةِ فِي الْكُفرِ؛ لأَنَّ الزَّوجَ يدعُوهَا إلَى دِينِهِ، وَالنِّسَاء في العَادَاتِ يَتبَعْنَ الرِّجالَ فيمَا يُؤثِرُونَ مِن الْأَفعَالِ وَيُقَلِّدُونَهُم في الدِّينِ إلَيهِ وَقَعَت الإشَارَةُ فِي آخرِ الْآيَةِ بقَوْلِه عزَّ وجلَّ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ لِأَنَّهُم يَدعُونَ الْمُؤْمِنَاتِ إلَى الْكُفرِ، والدُّعَاءُ إلى الْكُفرِ دُعَاءٌ إلَى النَّارِ؛ لأَنَّ الْكُفْرَ يُوجِبُ النَّارَ، فَكَانَ نِكَاحُ الْكَافِرِ

(١) البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة، الجزء (٢٤)، صفحة (٣٢)، طبعة دار الأضواء بيروت.

(٢) ترحيني، محمّد، الزبدة الفقهيّة في شرح الروضة البهية، الجزء (٦)، صفحة (٣٤٠)، طبعة دار الهادي بيروت.

الْمُسلِمةَ سبباً داعياً إلَى الْحَرَام فكان حراماً، وَالنَّصُّ وَإِنْ وَرَدَ فِي الْمُشْرِكِينَ لَكِنَّ الْعِلَّةَ، وَهي الدُّعاءُ إلَى النَّارِ يَعُمُّ الْكَفَرةَ أَجمَعَ فَيَتَعَمَّمُ الحُكمُ بِعُمُومِ الْعِلَّةِ فَلَا يَجُوزُ إنْكَاحُ الْمُسلِمَةِ الْكِتَابِيَّ كَما لا يَجُوزُ إنكَاحُهَا الْوَثَنِيَّ وَالْمَجُوسِيَّ؛ لأَنَّ الشَّرع قَطَعَ وَلَايَةَ الكَافِرِينَ عَنْ الْمُؤمِنِينَ بِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ فَلَوْ جَازَ إنْكَاحُ الْكَافِرِ الْمُؤمِنَةَ لَثَبَتَ لَهُ عَلَيْهَا سَبِيلٌ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ.

ويقول في موضع آخر: وَإِنْ أَسْلَمَتْ الْمَرْأَةُ لَا تَقَعُ الْفُرْقَةُ بِنَفْسِ الْإِسْلَامِ عِنْدَنَا، وَلَكِنْ يُعْرَضُ الْإِسْلَامُ عَلَى زَوْجِهَا، فَإِنْ أَسْلَمَ بَقِيَا عَلَى النِّكَاحِ، وَإِنْ أَبَى الْإِسْلَامَ، فَرَّقَ الْقَاضِي بَيْنَهُمَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْمُسْلِمَةُ تَحْتَ نِكَاحِ الْكَافِرِ، وَلِهَذَا لَمْ يَجُزْ نِكَاحُ الْكَافِرِ الْمُسْلِمَةَ ابْتِدَاءً، فَكَذَا فِي الْبَقَاءِ عَلَيْهِ..[1].

ويقول علماء المذهب المالكي: وَالحَاصِلُ أَنَّ الإِجْمَاعَ مُنعَقِدٌ عَلَى حُرْمَةِ نِكَاحِ الْكَافِرِ الْمُسلِمَةَ كمَا فِي التَّوضِيحِ وَيُفْسَخُ..[2].

ويقول علماء الشافعية: ولو أسلمت (زوجةُ كَافِرٍ وَأَصرَّ) زَوْجُهَا على كفرِهِ كِتَابِيّاً كان أو غَيرَهُ (فَكَعَكْسِهِ) الْمَذْكُورِ فَإِن كَان قَبْل نَحوِ وَطءٍ تَنَجّزَت الْفُرقَةُ أَوْ بَعدَهُ وَأَسلَمَ فِي الْعِدَّةِ دام نِكَاحُهُ وَإِلَّا فالْفُرْقَةُ من حِينِ إسْلَامِهَا[3].

ويقول علماء الحنابلة: إن كان الزوج هو الذي أسلم فحينئذٍ ننظر في زوجته، فإن كانت من جنس ما تحلّ زوجة للمسلم ـ وحينئذٍ تكون كتابية؛ لأنَّ غير الكتابية وهي الوثنية ما يحل نكاحها ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾[4].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع.

(٢) جامع الأمهات ـ لابن الحاجب الكردي المالكي ـ الجزء (١)، صفحة (٢٦١).

(٣) تحفة المحتاج في شرح المنهاج ـ باب نكاح المشرك.

(٤) شرح زاد المستقنع، لمحمّد المختار الشنقيطي، رقم الدرس (٢٧٩).

وبذلك تعلم أنّه قد أجمع أصحاب المذاهب الإسلاميّة على حرمة الزواج من الكافر.. ولو أسلمت الزوجة وبقي الزوج كافراً فإنّها لا يحلّ لها أن تبقى معه لأنّه لم يجعل الله للكافرين على المسلمين سبيلا.. وبالتالي إن لم يُسلم الزوج خلال مدّة العدّة فإنّه يفرّق بينهما.. ولا فرق في ذلك بين من كان يعبد الأوثان أو ما لا يؤمن بالله أبداً..

وبالتالي فكيف يصح بقاء فاطمة بنت أسد المسلمة منذ الأيام الأولى لبداية الدعوة زوجة عند أبي طالب (رضوان الله عليه) إن لم يكن هو مسلماً..؟!.

ـ **الحديث السادس**: ورد أن قوم من الزيدية قالوا: إن أبا طالب (رضوان الله عليه) أسند المحدثون عنه حديثاً ينتهي إلى أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: سمعت أبا طالب يقول بمكة: حدثني محمّد ابن أخي أن ربه بعثه بصلة الرحم، وأن يعبده وحده لا يعبد معه غيره، ومحمّد عندي الصادق الأمين[١].

ـ **الحديث السابع**: رواه مشهور الرواة عن النَّبيَّ ﷺ أنّه قال: أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنّة[٢].

حديث مشهور صحيح عند الفريقين، ومن الواضح جداً أنَّه ﷺ لم يقصد بحديثه الشريف هذا أن كل من تكفل يتيماً فهو في الجنّة، لأننا نعلم على نحو اليقين أن بعض الكافلين للأيتام لا يستحقون ذلك المقام الرفيع وهو جوار سيد الأنام في الجنّة لأنَّهم يجمعون بين كفالة اليتيم والمعاصي والكبائر والذنوب العظيمة التي يستحقون بها دخول النار، ومن الواضح جداً أن دخول الجنّة ليس مشروطاً بكفالةِ اليتيم.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق صفحة (١١٧).

وإنّما قصد ﷺ بحديثه الشريف جده عبد المطّلب وعمه أبا طالب، الذين قاما بأمره وتكفلاه وربياه صغيراً حتى أنّه ﷺ كان يُعرف في مكة المكرمة بيتيم أبي طالب بعد وفاة جده عبد المطلب.

وفي مقام التعليق على هذا الحديث يقول آية الله الشيخ وحيد الخرساني: الحديث فيه إشارة فسّرها الأئمّة عليهم السلام بأبي طالب (رضوان الله عليه)، الذي كفل أعظم يتيم على وجه الأرض، وآمن به أحسن إيمان، وحماه ورعاه أحسن رعاية (رضوان الله عليه)[١].

ويقول العلّامة المجلسيّ رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: وقد كنتُ سمعتُ جماعةً من أصحابنا العلماء، مذاكرة يروون عن الأئمّة الراشدين من آل محمّد (صلوات الله عليهم)، أنهم سُئلوا عن قول النَّبيّ ﷺ، المتّفق على روايته المجمع على صحته: (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنّة) فقالوا: أراد بكافل اليتيم عمه أبا طالب، لأنّه كفله يتيماً من أبويه ولم يزل شفيقاً عليه[٢].

ـ **الحديث الثامن**: قد اشتهر بل استفاض الحديث عن رسول الله ﷺ أنَّه قال لعقيل بن أبي طالب (رضوان الله عليه): أنا أحبك حبين حباً لك وحباً لحب أبي طالب عليه السلام لك، فإنّه كان يُحبّك[٣].

ـ **الحديث التاسع**: ورد عن مولانا أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق (صلوات الله عليه) أنَّ رسول الله ﷺ قال: إنّ أصحاب الكهف أسروا الإيمان، وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرتين وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك، فآتاه الله أجره مرتين[٤].

---

(١) الخراساني، الوحيد، الحق المبين في معرفة المعصومين، تقرير علي الكورانيّ، المحاضرة (٢٣)، راجع أيضاً كتاب الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم ـ صفحة (٣٣٧).

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٥) صفحة (١١٧) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٣) المصدر السابق صفحة (١٥٧).

(٤) المصدر السابق صفحة (١٥٨).

ـ **الحديث العاشر**: في الحديث الصحيح المشهور يقول: إنَّ جبرئيل عليه السلام قال له صلى الله عليه وآله ليلة مات أبو طالب: اخرج منها فقد مات ناصرك[١].

ـ **الحديث الحادي عشر**: روي بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبد المطلب، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة أن أبا طالب (رضوان الله عليه) ما مات حتى قال: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله.

والخبر مشهور في أنَّ أبا طالب (رضوان الله عليه) عند الموت قال كلاماً خفياً فأصغى إليه أخوه العباس ثُمَّ رفع رأسه إلى رسول الله فقال: يا ابن أخي والله لقد قالها عمّك، ولكنّه ضعف عن أن يبلغك صوته[٢].

ـ **الحديث الثاني عشر**: روي عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أنَّه قال: ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله من نفسه الرضى[٣].

ـ **الحديث الثالث عشر: وصيَّة أبي طالب عند وفاته**: ورد في الحديث عن مولانا الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق (صلوات الله عليه) قال: لمَّا حضر أبا طالب الوفاة جمع وجوه قريش فأوصاهم فقال: يا معشر قريش، أنتم صفوة الله من خلقه، وقلب العرب، وأنتم خزنة الله في أرضه وأهل حرمه، فيكم السيّد المطاع، الطويل الذراع، وفيكم المقدم الشجاع الواسع الباع..

اعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المفاخر نصيباً إلّا حزتموه ولا شرفاً إلّا أدركتموه، فلكم على الناس بذلك الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب وعلى حربكم إلب، وإني موصيكم بوصيَّة فاحفظوها..

أوصيكم بتعظيم هذه البيّنة.. فإنّ فيها مرضاة الربّ وقواماً للمعاش وثبوتاً للوطأة، وصلوا أرحامكم ففي صلتها منسأة في الأجل وزيادة في

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

العدد، وإتركوا العقوق والبغي ففيهما هلكت القرون قبلكم، أجيبوا الداعي وأعطوا السائل فإنّ فيها شرفاً للحياة والمماة، وعليكم بصدقِ الحديث وأداءِ الأمانةِ فإنّ فيهما نفياً للتهمة وجلالةً في الأعين، واجتنبوا الخلاف على الناس وتفضّلوا عليهم فإنّ فيهما محبة للخاصة ومكرمة للعامة وقوّة لأهل البيت.

وإنّي أوصيكم بمحمّد خيراً، فإنّه الأمين في قريش، والصدّيق في العرب، وهو جامع لهذه الخصال التي أوصيكم بها، قد جاءكم بأمرٍ قبِلَه الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وأيّم الله لكأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل العزّ في الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدّقوا كلمته وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أخطأهم لديه، قد محّضتّه العرب ودادها، وصفت له بلادها، وأعطته قيادها، فدونكم يا معشر قريش ابن أبيكم وأمكم، كونوا له ولاة ولحربه حماة، والله لا يسلك أحدٌ منكم سبيله إلّا رشد، ولا يأخذ أحدٌ بهداه إلّا سعُد، ولو كان لنفسي مدة وفي أجلي تأخير لكفيته الكوافي ولدفعت عنه الدواهي، غير أني أشهد بشهادته وأعظم مقالته..[1].

ـ **الحديث الرابع عشر: شفاعة أبي طالب**: روي عن مولانا الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق (صلوات الله عليه) عن آبائه (صلوات الله عليهم) قال: أنَّ أمير المؤمنين كان ذات يوم جالساً في ـ الرحبة ـ والنّاس حوله مجتمعون، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين! أنْتَ بالمكان الذي أنزَلَكَ اللّهُ بهِ وأبوك معذّب في النار..؟!

(١) المصدر السابق صفحة (١٠٦).

فقال له عليُّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه): مه..! فضّ الله فاك..! والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً لو شَفَعَ أبي في كلِّ مذنبٍ على وجه الأرض لشفّعه الله فيهم، أبي معذّب في النّار وابنه قسيم الجنّة والنار..؟!

والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً إنَّ نور أبي يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلائق كلّهم إلّا خمسة أنوارٍ، نور محمّد صلى الله عليه وآله ونوري، ونور الحسن، ونور الحسين، ونور تسعة من ولد الحسين، فإنّ نوره من نورنا خلقه الله تعالى قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألفي عام[1].

ـ **الحديث الخامس عشر**: رواه الصحابيّ الجليل عبد الله بن عبّاس (رضوان الله عليه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بعثني الله نبيّاً، فأتيتُ بني أميّة.. فقلتُ: يا بني أمية إني رسول الله إليكم.

قالوا: كذبت ما أنت برسولٍ.

ثُمَّ أتيتُ بني هاشم فقلت: إنّي رسول الله إليكم، فآمن بي عليُّ بن أبي طالب سرّاً وجهراً.. وحماني أبو طالب جهراً وآمن بي سرّاً، ثُمَّ بعث الله جبرئيل بلوائه فركزه في بني هاشمٍ، وبعث إبليس بلوائه فركزه في بني أمية، فلا يزالون أعداءنا وشيعتهم أعداءَ شيعتنا إلى يوم القيامة[2].

ـ **الحديث السادس عشر**: ورد في الحديث عن الصحابيّ الجليل أبي بصير (رضوان الله عليه)، عن مولانا أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه) أنه قال: مات أبو طالب بن عبد المطّلب مسلماً مؤمناً وشِعره في ديوانه يدلُّ على إيمانه، ثُمَّ محبته وتربيته ونصرته ومعاداة أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وموالاة أوليائه، وتصديقه إياه بما جاء به من ربه، وأمره لولديه علي وجعفر بأن يسلما ويؤمنا بما يدعو إليه، وأنّه خير الخلق، وأنّه يدعو إلى الحق والمنهاج

---

(١) الطبرسيّ، أحمد علي، الاحتجاج، الجزء (١)، صفحة (٣٤١) طبعة مركز الأبحاث العقائدية قم.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٢٤) صفحة (٧٦) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

المستقيم، وأنّه رسول الله ربَّ العالمين، فثبت ذلك في قلوبهما، فحين دعاهما رسول الله ﷺ أجاباه في الحال، وما تلبثا لمّا قد قرره أبوهما عندهما من أمره، وكانا يتأملان أفعال رسول الله ﷺ فيجد أنّها كلها حسنة يدعو إلى سداد واستناد، فحسبك إن كنت منصفاً منه هذا أن يسمح بمثلِ عليٍّ وجعفرٍ ولديه - وكانا من قلبه بالمنزلةِ المعروفةِ المشهورةِ لمّا يأخذان به أنفسهما من الطاعة له، والشجاعة وقلة النظير لهما - أن يطيعا رسول الله ﷺ فيما يدعوهما إليه من دين وجهاد، وبذل أنفسهما، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه من غير حاجة إليه لا في مالٍ ولا في جاهٍ ولا غيره، لأنّ عشيرته أعداؤه، وأما المال فليس له، فلم يبق إلّا الرغبة فيما جاء به من ربه[1].

فهذا الحديث بيّن حال أبي طالب (رضوان الله عليه) فيه أحسن تبيين، وينبّه على إيمانه أجلّ تنبيه، ولقد كان هذا الحديث كافياً في معرفة إيمانه (رضوان الله عليه) لمن كان منصفاً لبيباً عاقلاً أديباً.

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحارالأنوار، الجزء (٣٥) صفحة (١١٧) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

الفصل الثالث

سبب كتمان إسلام أبي طالب

هناك جملةٌ من الأسباب دعت شيخ البطحاء (رضوان الله عليه) أن يكتم إيمانه ويخفي إسلامه عن المجتمع القرشي الذي كان بغالبيته يعيش حالة الاعتقاد الوثني نعرض بعضاً منها:

ـ السبب الأوّل: بقاء السيطرة على قريش

كان أبو طالب (رضوان الله عليه) سيّد قريش غير مدافع، ورئيسها غير منازع، وكانت قريش تحت سيطرته تسمع له وتنقاد لأمره وتطيعه ولا تخالف له رأياً، وكانت منقادة إليه وإلى سيادته انقياداً مطلقاً على الرغمِ من شركهم وضلالهم وإصرارهم على عبادةِ الأصنامِ والأوثان.

وقد أدرك (رضوان الله عليه) أنّه إن هو أعلن عن توحيده وإيمانه وإسلامه سوف يفقد السيطرة على قريش، وسوف تنقلب عليه وتحاربه.. وبالتالي سوف لن يكون مسموع الكلمة مطاعاً، بل مطَالَباً وملاحقاً من قبلِ قريشٍ، كما كانت تطالب وتلاحق كل من أعلن عن توحيده وإسلامه.

وإذا أصبح مطالباً ملاحقاً حينئذٍ فلن يكون بمأمنٍ لا هو ولا رسول الله ﷺ، ولن يستطيع أن ينصره وأن يذب عنه.

ـ السبب الثاني: تأمين الحماية لرسول الله ﷺ

إنّه من أجل عدم إفساد قاعدة الدفاع عنه ﷺ وعن أصحابه وأتباعه.. ومن أجل حماية دعوته، وإظهار رسالته، وتثبيت أمره، ودوام حرمته، والأخذ بحقه، وإعزاز كلمته، وحماية أنصاره وأصحابه، وعدم التغرير بهم، كان أبو طالب (رضوان الله عليه) يخالطهم ويعاشرهم ويحضر مجالسهم ويشهد مشاهدهم، ويخبر النَّبيّ ﷺ بمخططاتهم وتأمرهم، ويكتم إيمانه وإسلامه عنهم.

وهكذا يكون مثلُ أبي طالب (رضوان الله عليه) في كتمان إيمانه كمثلِ أصحابِ الكهف، ومثله كمثلِ مؤمنِ آلِ فرعون.

وقصة أصحاب الكهف وكتمان إيمانهم مع قومهم مشهورة حكاها القرآن الكريم.. وفي القرآن الكريم والسيرة والآثار أمثلةٌ كثيرةٌ حول من كتم إيمانه وأظهر الكفر وخير شاهدٍ على قانون التقية هذا ما حصل مع الصحابيِّ الجليل عمّار بن ياسر (رضوان الله عليه) الذي شاهد بأم عينه مقتل أبويه (رضوان الله عليهم) على أيد قريش في بداية الدعوة إضطرته إلى أن يذكر النَّبيّ ﷺ بالسوء وكان تحت التعذيب والإرهاب أنزل الله تعالى في حقه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[1].

وقد جاء في الحديث عن مولانا الإمام أبي محمّد الحسن بن علي العسكري (صلوات الله عليه) أنَّه قال: إنَّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى رسول الله ﷺ: إنّي قد أيدّتك بشيعتين: شيعة تنصرك سرّاً، وشيعة تنصرك علانية، فأمّا التي تنصرك سرّاً فسيّدهم وأفضلهم عمّك أبو طالب، وأمّا التي تنصرك علانية فسيّدهم وأفضلهم ابنه عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، ثُمَّ قال: وإنّ أبا طالب كمؤمنِ آلِ فرعون يكتم إيمانه[2].

---

(١) سورة النحل، الآية (١٠٦).

(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٥)، صفحة (١٣٦)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

وقد ورد عن مولانا أبي عبد الله الإمام جعفر الصادق (صلوات الله عليه) أنَّه قال: إنّ جبرئيل عليه السلام أتى النَّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد، إنّ ربّك يقرئك السلام، ويقول لك: إنّ أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين[1].

(١) المصدر السابق صفحة (١٥٨).

الباب الثاني

في مناقب وفضائل فاطمة بنت أسدّ

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب

- المطلب الأوّل: فاطمة بنت أسدّ من السابقات إلى الإسلام
- المطلب الثاني: النَّبيّ يبكي فاطمة بنت أسدّ
- المطلب الثالث: مناقب وفضائل

تمهيد:

فاطمة بنت أسدّ بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمها فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤيّ.. وهي ابنة عم زائدة بن الأصم بن هرم بن رواحة جدّ خديجة بنت خويلد بن أسدّ بن عبد العزى بن قصي من قبل أمها..

وكانت فاطمة بنت أسدّ زوج أبي طالب بن عبد المطَّلب (رضوان الله عليهما) فولدت له طالباً وعقيلاً وجعفراً وعلياً وأم هانئ وجمانة وريطة بني أبي طالب، وكلُ واحدٍ منهم أسنّ من صاحبه بعشر سنين..[1].

ـ المطلب الأوّل: فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام

فاطمة بنت أسدّ هي أوَّل هاشميةٍ ولدت لهاشمي، وهي من أوائل النساء اللواتي أسلمن.. فقد أسلمت بعد السيِّدة خديجة بنت خويلد (رضوان الله عليها)، وهاجرت إلى الله ورسوله، وكانت إمرأة صالحة، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيل[2] في بيتها، وتوفيت بعدما هاجرت.

كانت من سيّدات النساء في إيمانها وطهارتها ونبّلها، وقد برّت بالنَّبيّ ﷺ وتولت تربيته ورعايته، وكانت ترعاه وتعطف عليه أكثر مِمّا تعطف على أبنائها،

---

(١) الأربلي، علي عيسى، كشف الغمة، الجزء (١) صفحة (٦٢) طبعة مكتبة الالفين، والبغداديّ، محمّد بن سعد، الطبقات الكبرى، الجزء (٨) صفحة (٥١) طبعة دار صادر بيروت.

(٢) من القيلولة.

ولذلك شعر النَّبيّ ﷺ أنَّ أمّه قد بعثت من جديد، ليتحسس من خلالها عطف الأم من حسن الرعاية وجميل العطف والحنان، فكانت أمّه..

قدّمت له أعظم الخدمات.. وقد قطع ﷺ شوطاً من حياته تحت رعايةِ هذه السيّدة الفاضلة الزكية التي ما تركت لوناً من ألوان الرعاية والبرّ والحنان إلّا قدّمتها إلى الرسول ﷺ.

وكان ﷺ يخاطب فاطمة بنت أسدّ بـ(يا أماه) حيث كانت من أعزّ الناس عنده.

وكانت فاطمة بنت أسدّ مكيّة مدنيّة، وأيضاً كانت بدرية من النساء اللواتي حضرن معركة بدر الكبرى بعد الوقعة.

هذا.. وقد شهدت السيَّدة الجليلة فاطمة بنت أسد (رضوان الله عليها) زواج ولدها أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من السيَّدة الزهراء (سلام الله عليها) وأيضاً شهدت ولادة حفيديها الإمامين الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) فقد كانت ولادة مولانا الإمام الحسين (صلوات الله عليه) في السنة الثالثة للهجرة ووفاتها (رضوان الله عليها) في السنة الرابعة للهجرة.

ـ المطلب الثاني: النَّبيّ يبكي فاطمة بنت أسدّ

في السنة الرابعة للهجرة النبويّة الشريفة في شهر جمادى الأولى توفيت الصحابية الجليلة فاطمة بنت أسدّ (رضوان الله عليها) بالمدينة حيث كانت قد هاجرت إليها عند هجرة النَّبيّ ﷺ.

تقول الروايات: لمّا ماتت فاطمة بنت أسدّ أقبل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وهو باكٍ فقال له النَّبيّ ﷺ: ما يبكيك يا أبا الحسن لا أبكى الله لك عيناً..؟

قال (صلوات الله عليه): توفيت أمّي يا رسول الله، فقال له النَّبيَّ ﷺ: بل وأمّي يا عليّ!!.

ثُمَّ دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها وبكى لها ثُمَّ قال: رحمك الله يا أمّي كنتِ أمّي بعد أمّي، تُجوِعين وتُشبِعيني، وتُعرِين وتكسوني، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله تعالى والدار الآخرة[1].

ثُمَّ قال ﷺ: فلقد كانت تُجوِّع أولادها وتشبعني، وتشعث أولادها وتدهنني، والله لقد كانت في دار أبي طالب نخلة وكنا نتسابق إليها من الغداة لنلتقط ما يقع منها في الليل وكانت (رضوان الله عليها) تأمر جاريتها وتلتقط ما تحتها من الغلس ثُمَّ تجنيه فيخرج بنو عمي فتناولني ذلك[2].

قال اليعقوبيّ: وكانت فاطمة بنت أسدّ مسلمة فاضلة، ويروى أنّها لمَّا توفيت قال رسول الله: اليوم ماتت أمّي، وكفّنها بقميصه، ونزل في قبرها واضطجع في لحدها، فقيل له: يا رسول الله لقد اشتدّ جزعك على فاطمة.

قال: إنَّها كانت أمّي، إنّها كانت لتجيع صبيانها وتشبعني، وتشعثهم وتدهنني، وكانت أمّي[3].

ثُمَّ نهض ﷺ وأخذ في جهازها ثُمَّ أمر أن تغسل ثلاثاً فلمَّا بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله ﷺ بيده الشريفة، ثُمَّ خلع قميصه فألبسها إياه وكفنت فوقه ثُمّ دعا رسول الله ﷺ بعض أصحابه فحفروا قبرها، وكان في حال تشييع جنازتها يرفع قدماً ويتأنى في رفع الآخر وهو حافي القدم؛ فلمَّا صلى عليها كبر سبعين تكبيرة ثُمّ وسّدها في اللّحد بيده الكريمة بعد أن نام في قبرها ولقّنها الشهادتين ثُمّ قال: يا الله الذي يُحيي ويُميت وهو حيٌ لا

---

(١) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار المصطفى، صفحة (٢٥٧).

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٦)، صفحة (٢٤١)، مؤسسة الوفاء بيروت.

(٣) يعقوب، أحمد، تاريخ اليعقوبيّ، الجزء (٢)، صفحة (١٩٠)، طبعة دار صادر بيروت.

يموت، اغفر لأمّي فاطمة بنت أسدّ ولقّنها حجتها، ووسّع عليها مدخلها بحقِ نبيّك محمّد والأنبياء الذين من قبلي، فانّك أرحم الراحمين.

فلمّا بلغوا لحدها، كبّر عليها رسول الله ﷺ أربعاً وأدخلها اللحد.

فلمّا أُهيل عليها التراب وأراد الناس الانصراف جعل يقول ﷺ: ابنك ابنك لا جعفر ولا عقيل، ولدك عليٌّ ابن أبي طالب.

فقالوا له: يا رسول الله فعلت فعلاً ما رأينا قط مثله.. مشيت متأنياً حافي القدم وكبرت سبعين تكبيرة ونمت في لحدها وجعلت قميصك عليها وقلت لها ابنك ابنك لا جعفر ولا عقيل..

فقال ﷺ: أما التأني في وضع أقدامي في حال تشييع الجنازة فلكثرة ازدحام الملائكة وأما نومي في لحدها، فإني ذكرت لها في حال حياتها ضغطة القبر فقالت: واضعفاه..!! فنمتُ في لحدها لأجل ذلك حتى كفيتها ذلك، وأما تكفينها بقميصي فإنّي ذكرتُ لها القيامة وحشر الناس عراة، فقالت: وافضيحتاه..!! فكفنتها به لتقوم يوم القيامة مستورة.. وأمّا قولي لها ابنك فإنّه نزل الملكان وسألاها عن ربها؟ فقالت: الله ربي، وقالا لها: من نبيك..؟ فقالت: محمّد، وقالا لها: من وليّك وإمامك..؟ فاستحيت أن تقول: ولدي، فقلتُ لها: قولي ولدك عليّ بن أبي طالب.. ابنك ابنك، فأقرّ الله تعالى بذلك عينها[1].

وأيضاً ورى الخوارزمي بإسناده عن الصحابيّ الجليل عبد الله بن عباس (رضوان الله عليه) قال: لمّا ماتت فاطمة أم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) بعث إليها رسول الله ﷺ قميصه واضطجع في قبرها، فقيل له: يا رسول الله لقد فعلت بهذه شيئاً لم تفعله بأحد؟

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٦)، صفحة (٢٤١)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت. الكلينيّ محمّد يعقوب، الكافي، الجزء (١)، صفحة (٥٢٥)، طبعة دار التعارف بيروت.

فقال: إني كنتُ يتيماً في حجرها فأحسنت إليَّ، وكانت من أحسن الناس إليَّ صنعاً بعد أبي طالب[١].

وعن مولانا أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) قال: نزل جبرئيل عليه السلام على النَّبيّ ﷺ فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرؤك السلام ويقول: إنّي قد حرّمتُ النّار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك، فالصلب صلب أبيك عبد الله بن عبد المطَّلب والبطن الذي حملك فآمنة بنت وهب وأما حجر من كفلك فحجر أبي طالب.

وفي رواية ابن فضال وفاطمة بنت أسدّ[٢].

ـ فضيلة عند القبر الشريف

ثُمّ إنّ رسول الله ﷺ دفن فاطمة بنت أسدّ في موضعِ المسجد الذي يقال له اليوم: (قبر فاطمة) وفيه دلالة كما عند السمهودي على أنّ قبرها كان عليه مسجد يُعرف به ذلك الزمان، وهو في المائة الأولى من الهجرة، كما كان على قبر حمزة بن عبد المطَّلب مسجداً يومئذٍ وكما بُني على قبر العبّاس بن عبد المطَّلب قبّة دفن فيها الحسن والسجاد، والباقر، والصادق، (صلوات الله عليهم) ففي المائة الأولى والثانية كانت القبة على قبر العبّاس موجودة[٣].

وروى داود الرقيّ قال: دخلتُ على أبي عبد الله (صلوات الله عليه) ولي على رجلٍ مال قد خفتُ تواه[٤] فشكوتُ إليه ذلك، فقال لي: إذا صرت بمكة فطفّ عن عبد المطَّلب طوافاً وصلّ ركعتين عنه، وطفّ عن أبي طالب طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطفّ عن عبد الله طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن

---

(١) الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين، الجزء (١) صفحة (٦٠) طبعة دار أنوار الهدى قم.
(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٥) صفحة (١١٣) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.
(٣) المقرّم، عبد الرزاق، العباس، صفحة (٢١٥) طبعة دار الأضواء بيروت.
(٤) الخسارة والضياع والهلاك، راجع ابن منظور ـ لسان العرب ـ مادة توى.

آمنة طوافاً وصلّ عنها ركعتين، وطفّ عن فاطمة بنت أسدّ طوافاً وصلّ عنها ركعتين، ثُمّ أدع أن يردّ عليك مالك.

قال: ففعلت ذلك ثُمّ خرجت من باب الصفا وإذا غريمي واقفٌ يقول: يا داود حبستني تعال اقبض مالك[1].

ـ المطلب الثالث: مناقب وفضائل

نذكر فيما يلي جملة من الفضائل والمناقب الخاصة بالسيّدة الجليلة فاطمة بنت أسد (رضوان الله عليها).

ـ أوّل من تبارك بنورِ رسول الله

روى ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكلينيّ رحمه الله بسنده عن مولانا الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق (صلوات الله عليه) قال: لمّا جاء آمنة بنت وهب المخاض حضرتها فاطمة بنت أسدّ فلم تزل معها حتى طلقت ووضعت، فقالت إحداهما للأخرى: هل ترين ما أرى؟

فقالت: وما ترين؟

قالت: هذا النور الذي قد سطع ما بين المشرق والمغرب.

وجاء أبو طالب فاخبرته فاطمة بالنور الذي قد رأت، فقال أبو طالب: أما إنّك ستلدين غلاماً يكون وصي هذا المولود[2]

ـ أوّل من بشّرت بولادة النّبيّ

في الرواية عن مولانا أبي عبد الله (صلوات الله عليه) قال: إنَّ فاطمة بنت

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٥) صفحة (١١٣) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) الكلينيّ، محمّد يعقوب، أصول الكافي، الجزء (١)، صفحة (٥٢٤)، طبعة دار التعارف بيروت.

أسدّ جاءت إلى أبي طالب لتبشره بمولدِ النَّبيّ ﷺ فقال أبو طالب: إصبري سبتاً[١] أُبشرك بمثلهِ إلّا النبوّة.

وقال: السبت ثلاثون سنة.

وكان بين رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام ثلاثون سنة[٢].

ـ أم الوصيّ

ورد في الرواية عن المفضل بن عمر قال: سمعتُ أبا عبد الله (صلوات الله عليه) يقول: لمّا ولد رسول الله ﷺ فتح لآمنة بياض فارس وقصور الشام، فجاءت فاطمة بنت أسدّ أم أمير المؤمنين إلى أبي طالب ضاحكةً مستبشرةً فأعلمته ما قالت آمنة.

فقال لها أبو طالب (رضوان الله عليه): وتتعجبين من هذا!! إنّك تحبلين وتلدين بوصيه ووزيره[٣].

ـ الكعبة فتحت بابها

ورد في الحديث عن الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير قال: قال يزيدُ بن قعنب: كنتُ جالساً مع العباس بن عبد المطّلب وفريقٌ من بني عبد العزى، بازاءِ بيتِ الله الحرام إذ أقبلت فاطمة بنت أسدّ أم أمير المؤمنين، وكانت حاملاً به لتسعةِ أشهرٍ، وقد أخذها الطلق، فقالت: يا ربّ إني مؤمنةٌ بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدقةٌ بكلامِ جدي إبراهيم الخليل، وإنّه بنى البيت العتيق فبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق المولود الذي في بطني إلّا ما يسّرت عليّ ولادتي.

---

(١) السبت بالسين المهملة ثُمّ الباء الموحدة ثُمّ التاء المثناة الفوقانية وقد يزاد النون قبل الموحدة: الدهر والبرهة من الزمان وخص في الحديث بالثلاثين.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (١٥)، صفحة (٢٩٥)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٣) المصدر السابق صفحة (٥٢٦).

فراينا البيت قد إنشق عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا وعاد إلى حاله فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أنّ ذلك من أمر الله تعالى[١].

ورواه الطوسيّ في (أماليه) بسنده عن الصادق (صلوات الله عليه) عن آبائه، قال: كان العباس بن عبد المطّلب ويزيد بن قعنب جالسين ما بين فريق من بني هاشم إلى فريق من عبد العزى، بإزاءِ بيتِ اللّهِ الحرام، إذ أتت فاطمة بنت أسدّ حاملة بأمير المؤمنين فوقفت بإزاء البيت الحرام ـ وقد أخذها الطلق ـ فرمقت بطرفها نحو السماء ودعت فلمّا دعت رأينا البيت قد انفتح من ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا ثُمَّ عادت الفتحة والتزقت بإذن الله.

وبقيت فاطمة في البيت ثلاثة أيام، وأهل مكة يتحدثون بذلك في أفواه السكك، وتتحدث المخدرات في خدروهن فلمّا كان بعد ثلاثة أيام انفتح البيت من الموضع الذي كانت دخلت فيه، فخرجت فاطمة وعليٌّ على يديها[٢].

ـ أوّل النساء بايعت رسول الله

في الخبر عن ابن عمرانه أنَّه قال: ثلاث لعليٍّ وددت أن تكون لي واحدة منهن كانت أحب الي من حمر النعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾[٣].

وروى الزبير بن العوّام قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يدعو النساء إلى البيعة

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٥)، صفحة (٨)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.
(٢) الطوسيّ، محمّد حسن، الأمالي، الحديث رقم (١٥١١)، طبعة دار الثقافة قم.
(٣) سورة الممتحنة، الآية (١٢).

حين نزلت هذه الآية، فكانت فاطمةُ بنتُ أسد أم عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) أوّل امرأةٍ بايعت[١].

ـ أوّل النساء هجرة إلى رسول الله

ورد عن مولانا الإمام جعفر بن محمّد الصادق (صلوات الله عليه): إنّ فاطمة بنت أسدّ أوّل إمرأة هاجرت إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة على قدميها، وكانت أبرّ الناس برسول الله ﷺ.

وسمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الناس يحشرون يوم القيامة عراة. فقالت: واسوأتاه، فقال لها: إنّي أسأل الله أن يبعثك كاسية، وسمعتَهُ يذكر ضغطة القبر، فقالت: واضعفاه، فقال: إنّي أسأل الله أن يكفيك ذلك[٢].

وقد ورد أنّ النَّبيَّ ﷺ خرج من مكة المكرمة قاصداً المدينة المنورة، ولحق به نفرٌ من المستضعفين من المؤمنين وفيهم الصحابية الجليلة أم أيمن (رضوان الله عليها) مولاة رسول الله ﷺ وبات أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) تلك الليلة ومعه الفواطم: أمه فاطمة بنت أسدّ (رضي الله عنها) وفاطمة الزهراء (سلام الله عليها) بنت رسول اللّه ﷺ، وفاطمة بنت الزبير يُصلّون ويذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ولم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر فصلى بهم عليٌّ (صلوات الله عليه) صلاة الفجر.

ثُمَّ سار لوجهه يجوب منزلاً بعد منزلٍ لا يفتر عن ذكر الله، وكذلك الفواطم وغيرهن ممّن صحبه حتى قدموا المدينة، وقد نزل الوحي قبل قدومهم بما كان من شانهم (فتلاه عليهم): ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٦) صفحة (١٢٢) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) الريشهريّ، محمّد، موسوعة الإمام عليّ في الكتاب والسنة والتاريخ، الجزء (١) صفحة (٤٣) الحديث (١٧) طبعة دار الحديث قم.

وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ * رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ * فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[1].

فالذكر عليٌّ (صلوات الله عليه) والأنثى الفواطم المتقدم ذكرهن، فعليٌّ (صلوات الله عليه) من الفواطم وهنّ من عليٍّ (صلوات الله عليه).

﴿...فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[2].

وقال له: يا عليّ، أنت أوّل هذه الأمّة إيماناً بالله ورسوله، وأوّلهم هجرة إلى الله ورسوله وآخرهم عهداً برسوله، لا يُحبّك والذي نفسي بيده إلّا مؤمنٌ قد امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يُبغضك إلّا منافقٌ[3].

ـ النَّبيّ يهدي إليها خماراً

يروي الخوارزمي بإسناده عن جعدة بن أبي هبيرة عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قال: أُهدي إلى رسول الله ﷺ حلّة مسيرة بحرير، فقال لي: اجعلها خمراً بين الفواطم، فشققت منها أربعة أخمرة: خماراً لفاطمة

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٩٠ ـ ١٩٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٩٥).

(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (١٩) صفحة (٦٧) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت. البحراني، هاشم، حلية الأبرار، الجزء (١) صفحة (١٥٩).

بنت أسد، وخماراً لفاطمة بنت محمّد، وخماراً لفاطمة بنت حمزة ولم يذكر الرابعة[١].

ـ كفنها عمامة رسول الله

يروي الخوارزمي بإسناده عن الصحابيّ الجليل الأصبغ بن نباتة (رضوان الله عليه) عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قال: ماتت أمّي فاطمة فجئت إلى النَّبيَّ ﷺ فقلت: ماتت أمّي فاطمة.

فقال ﷺ إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وأخذ عمامته ودفعها إليَّ وقال: كفّنها فيها فإذا وضعتها على الأعواد فلا تُحدّثنّ شيئاً حتى آتي، فأقبل النَّبيَّ ﷺ في المهاجرين وهم يمشون ولا ينظرون إليه إعظاماً له، حتى تقدَّم رسول الله ﷺ فكبَّر عليها أربعين تكبيرة ثُمّ نزل في قبرها ووضعها في اللّحد ثُمّ قرأ آية الكرسي، ثُمّ قال: اللهم اجعل من بين يديها نوراً ومن خلفها نوراً وعن يمينها نوراً وعن شمالها نوراً اللهم إملأ قبرها نوراً، ثُمّ خرج من قبرها فقال له المهاجرون: يا رسول الله قد كبَّرت على أم عليَّ ما لم تكبره على أحد..؟

فقال ﷺ: كان خلفي أربعون صفاً من الملائكة فكبّرتُ لكلِ صفٍّ تكبيرة. وروي أنّه لمّا دفنها كان ﷺ يقول: (هذه أمّي من بعد أمّي)[٢].

---

(١) الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين، الجزء (١) صفحة (٦٢) طبعة دار أنوار الهدى قم.

(٢) المصدر السابق.

الباب الثالث

في مناقب وفضائل أمير المؤمنين

وفيه تمهيد وجملة من المطالب.

- المطلب الأوّل: موجزٌ من سيرةِ أمير المؤمنين
- المطلب الثاني: وليدُ الكعبةِ المعظمة
- المطلب الثالث: عليٌّ حُبه جُنة
- المطلب الرابع: عليٌّ أفضل من أنبياء أولي العزم
- المطلب الخامس: فضائله في علمه ومعرفته وحكمته
- المطلب السادس: أمير المؤمنين يتحدث عن علمه
- المطلب السابع: بولايته تقبل الأعمال
- المطلب الثامن: قسيم الجنّة والنار
- المطلب التاسع: فضائله في جهاده
- المطلب العاشر: شفاعة أمير المؤمنين
- المطلب الحادي عشر: فضائل
- المطلب الثاني عشر: أقوال المفكرين في أمير المؤمنين
- المطلب الثالث عشر: أمير المؤمنين على لسان الشعراء

تمهيد:

تعتبر المعجزة[١] من أدلّة صدق الأنبياء والمرسلين (صلوات الله عليهم) في دعواهم النبوّة والرسالة لأنّه يوجد بين المعجزة وبين صدق دعوى النُبوّة علاقة منطقية باعتبار أنّ الذي يأتي بالمعجزة إن كان صادقاً في دعواه فإنّ من الطبيعي جداً أن يُثْبِتَ مطلبه وإن كان كاذباً في دعواه لن يمكّنه الله من الإتيان بالمعجزة، وكذلك موضوع الكرامات التي تخص الأوّلياء، فإنّ الكرامات التي تخص أئمّة أهل البيت (صلوات الله عليهم) تكون حينئذٍ من أدلّة إمامتهم.

---

(١) كل عمل خارق للعادة ولقانون الطبيعة له وجهان:

الوجه الأوّل: أن يكون الإتيان بالأمر الخارق للعادة مقترناً مع دعوى النبوّة فهذا يسمى (معجزة).

الوجه الثاني: أن يكون الإتيان بالأمر الخارق للعادة من غير إدّعاء للنبوّة فهذا لا يسمى معجزة وإنّما يسمى (كرامة) وقد حدثنا القرآن الكريم عن أشخاص صالحين جرت على أيديهم أمور خارقة لقانون الطبيعة والعادة ولكنّهم لم يكونوا أنبياء، وذلك كالمائدة السماوية التي كانت تنزل على السيّدة مريم ابنة عمران (سلام الله عليه) وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ سورة آل عمران الآية (٣٧).

وكذلك انتقال عرش بلقيس ملكة سبأ في سرعة خاطفة من اليمن إلى فلسطين على يد فردٍ بارزٍ من أنصار نبيّ الله سليمان عليه السلام أسمه ـ آصف بن برخيا ـ قال الله تعالى حول هذا الحدث: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ سورة النمل ـ الآية (٤٠).

فإنّهم (صلوات الله عليهم) أخبروا بإمامتهم ووصايتهم عن الله تعالى مقروناً بأمور ساطعة خارقة للعادة وآياتٍ لامعة تعتبر شواهد قطعيّة، ودلائل وجدانية على صدق كلامهم، وصحّة إمامتهم، وحقيقة تنصيبهم من قبل ربّهم وإلّا لم يكونوا قادرين على إتيان ما لم يقدر عليه إلّا ربّ العالمين، ولمّا كانوا مؤيّدين بالآيات التي تكشف عن كونها من آيات الحقّ المبين.

وقد تصدى العديد من علماء المسلمين من الطرفين لجمع هذه الكرامات والفضائل فألّف المحدّث الجليل الحرّ العامليّ رحمه الله كتاباً من ثلاثةِ أجزاءٍ جمع فيه مجموعة من الفضائل والكرامات أسماه: (إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات) والّف السيّد الجليل هاشم البحرانيّ رحمه الله كتاباً أسماه: (مدينة المعاجز) للغاية نفسها، وألّف ابن حمزة الطوسيّ رحمه الله كتاباً أسماه: (الثاقب في المناقب) والمجلّد الحادي والأربعين والثاني والأربعين من ـ بحار الأنوار ـ لشيخ الإسلام المجلسيّ رحمه الله. وقد تصدّى الكثير من المحدثين إلى ذكر فضائل ومناقب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ضمن مؤلفاتهم وكذلك صنع أصحاب الصحاح من علماء الحديث.

ونحن نورد فيما يلي موجزاً صغيراً عن حياة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وبعده نعرض بعض النصوص الواردة على لسان النَّبيِّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وأهل البيت (صلوات الله عليهم) والصحابه (رضوان الله عليهم) في بيان مقامه وعظيم فضله (صلوات الله عليه).

ـ المطلب الأوّل: موجزٌ من سيرة أمير المؤمنِين

والده عبد مناف ـ بن عبد المطَّلب بن أبي نضلة هاشم، وأسم عبد المطَّلب شيبة الحمد، المكنى بأبي طالب.

كفيل النَّبيّ صلى الله عليه وآله ومربِّيه وحاميه، وأمّه فاطمة بنت أسدّ بن هاشم، وكانت من رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلةِ الأم، لأنَّه ربي في حجرها، وهو ابن ثماني سنين،

وكانت من سابقات المؤمنات إلى الإيمان، وهاجرت مع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وكفّنها النَّبيّ ﷺ عند موتها بقميصه ليدرأ به عنها هوام الأرض، وتوسّد في قبرها لتأمن من ضغطة القبر، ولقّنها حجتها.

ولد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بمكة المكرَّمة في البيت الحرام داخل الكعبة الشريفة يوم الجمعة في الثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة، ولم يولد قط في بيت الله مولود سواه، لا قبله ولا بعده، وهذه فضيلة خصه بها الله إجلالاً لمحله ومنزلته، وإعلاءً لقدره.

كان أوَّل من آمن من الرجال برسالة الإسلام وصدَّق بدعوة الرسول الأكرم ﷺ وقد نصّبه النَّبيّ ﷺ خليفة ووزيراً منذ دعوة الأقربين. وقد فداه بنفسه ليلة الهجرة فنزل في ذلك مدح من السماء على لسان الوحي.

حضر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) حروب النَّبيّ ﷺ بكاملها فكان بطل المعارك الإسلاميّة، ما عدا غزوة تبوك التي لم يلقَ المسلمون فيها كيداً، وقد استخلفه النَّبيّ ﷺ على المدينة، وقال له: أنت مني بمنزلةِ هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي.

أزواجه وأولاده: تزوج أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه) من السيّدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، فولدت له الإمامين المعصومين الحسن والحسين والسيّدتين الجليلتين زينب الكبرى وأختها أم كلثوم (صلوات الله عليهم أجمعين).

وقد تزوّج أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بعد السيّدة الزهراء (سلام الله عليها) بنساء كثيرات، منهن:

ـ أُمامة بنت أبي العاص، وولدت له محمّداً الأوسط، استشهد في كربلاء في واقعة الطف.

ـ خولة الحنفيّة، وولدت له محمّداً الأكبر المعروف بابن الحنفيّة.

ـ وأم حبيبة بنت ربيعة ولدت له عمر ورقية.

ـ وفاطمة بنت حرام ـ أو حزام على اختلاف الروايات ـ الكلابيّة، أم البنين، ولدت له العباس وجعفراً وعبد الله وعثمان، استشهدوا في واقعة الطف فداءاً لمولانا أبي عبد الله الحسين (صلوات الله عليه)

ـ ليلى الدارميّة، ولدت محمّداً الأصغر المكنى بأبي بكر، وعبد اللّه، استشهدا في واقعة الطف.

ـ وأسماء بنت عميس، ولدت له يحيى وعوناً.

ـ وأم مسعود الثقفيّة، ولدت أم الحسن ورملة.

وتزوج غير هؤلاء، ورزق منهن بناتاً، وهن: نفيسة، وأم هاني، ورقيّة الصغرى، وأم الكرام، وجمانة، وأمامة، وأم سلمة، وميمونة، وخديجة، وفاطمة.

ومجموع أولاده سبع وعشرون، منهم أربعة عشر ذكراً، والباقي إناث.

ـ في ذكر بعض خصائصه

ولد في الكعبة الشريفة، وتربى في حجر رسول الله ﷺ منذ أن كان صغيراً، كان أوّل القوم إسلاماً، وأقدمهم إيماناً، من خصائصه مبيته على فراش رسول الله ﷺ ليلة الهجرة، ومؤاخاة النَّبيَّ ﷺ له.

ومن خصائصه أنَّه زوج الزهراء البتول، وإنَّ ذرّية رسول الله ﷺ منه.

ومن خصائصه أنَّ النبيَّ ﷺ حمله على كتفه حين طرح الأصنام من على الكعبة الشريفة.

ومن خصائصه أنَّ النَّبيّ ﷺ تفل في عينيه يوم خيبر، ودعا له بأن لا يصيبه حرٌّ ولا قرٌّ.

ومن خصائصه أنَّ النَّبيَّ ﷺ صرَّح بأنَّ حبّه إيمان، وبغضه نفاق، وقد

باهل نصارى نجران به وبزوجته وأولاده دون سائر الأصحاب، وقد بلّغ عنه سورة براءة، يوم الفتح.

ومن خصائصه (صلوات الله عليه) أنَّ النَّبيَّ ﷺ نصَّبه خليفةٍ للمسلمين يوم الغدير بأمر من الله.

ومن خصائصه أنَّه القائل سلوني قبل أن تفقدوني.

ومن خصائصه أنَّه تولى تغسيل النَّبيَّ ﷺ وتجهيزه والصلاة عليه.

ومن خصائصه أنّ الناس جميعاً من أرباب الأديان وغيرهم ينظرون إليه أنّه من أعاظم الرجال الذين عرفهم التاريخ، إلى غير ذلك من الخصائص التي يطول المقام بذكرها.

ـ استشهاده:

قُبض أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ليلة الجمعة، لتسع بقين من شهر رمضان المبارك سنة أربعين للهجرة قتيلاً مسموماً بسيف أشقى الأشقياء في الأوّلين والآخرين الخارجي عبد الرحمن بن ملجم المراديّ، وكان عمره الشريف يوم استشهاده ثلاث وستون سنة، قضى مع رسول اللّه ﷺ ثلاثة وثلاثين عاماً، منها عشر سنوات قبل النبوة، وثلاثة عشر في مكة قبل الهجرة، وعشرٌ في المدينة بعد الهجرة، وعاش بعد النَّبيّ ﷺ ثلاثين سنة إلّا خمسة أشهر، وأياماً، ومدة خلافته خمس سنين، وثلاثة أشهر، وسبع ليال، وتولى غسله وتجهيزه الإمامين الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر.. وحمله الحسن والحسين إلى النجف، ودفناه هناك ليلاً، وأخفيا موضع قبره بأمر منه، فلم يزل مخفياً، حتى دلّ عليه مولانا الإمام أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) في عهد الدولة العباسيّة[1].

---

(١) أنظر الأربلي، علي، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، والمسعودي، مروج الذهب، والطبريّ، تاريخ الأمم والملوك.

ـ المطلب الثاني: وليد الكعبة المعظمة

تمهيد:

إن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في كل مراحل وتفاصيل حياته وسيرته يشكّل حدثاً هاماً جداً في التأريخ الإسلاميّ.. فإذا أراد الباحث أن يقف على تفاصيل سيرته فإنَّه سوف يجد نفسه أمام وقائع غريبة وخارقة لعادات البشر.. فإذا أردت أن تستحضر حدث ولادته (صلوات الله عليه) فإنّك تستطيع أن تحكم أن للمولود شأناً عظيماً عند الله تبارك وتعالى.

حديث الولادة:

وُلد (صلوات الله عليه) في أعظم وأقدس بقعةٍ في الأرض ألا وهي بيت الله الحرام الذي فتح باب كعبته الشريفة ليستقبل أم المولود فاطمة بنت أسدّ (رضوان الله عليها) عندما جاءها المخاض استجارت بالله ولاذت بالبيت العتيق فنشقّ جدار الكعبة الشريفة في حدثٍ لم يحدث لأحدٍ قبله ولم يحدث لأحدٍ بعده، دخلت فاطمة فوضعت حملها، وبقيت ثلاثة أيامٍ في ضيافةِ بيت الله تأكل من ثمار الجنّة.

تقول الروايات: لمَّا قربت ولادة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أتت فاطمة بنت أسدّ (رضوان الله عليها) إلى بيت الله وقالت: ربِّ إنِّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب مصدقة بكلام جدي إبراهيم فبحق الذي بنى هذا البيت وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت عليّ ولادتي. فانفتح البيت ودخلت فيه فاذا هي بحواء، ومريم، وأسية، وأم موسى، وغيرهنّ فصنعن مثل ما صنعن برسول الله ﷺ وقت ولادته، فلمّا ولد سجد على الأرض يقول: أشهد أن لا إله إلّا الله.. وأشهد أنّ محمّداً رسول الله.. وأشهد أنّ علياً وصي محمّد رسول الله.. بمحمّد يختم الله النبوة.. وبي تتم الوصية.. وأنا أمير المؤمنين.

فسلّم على النساء، وسأل عن أحوالهن، وأشرقت السماء بضيائه، فخرج أبو طالب (رضوان الله عليه) يقول: أبشروا فقد ظهر وليُّ الله يختم به الوصيين، وهو وصي نبيّ ربِّ العالمين.

ثُمّ أخذ أبو طالب (رضوان الله عليه) علياً فسلّم عليٌّ عليه فسأله عن النسوة فذكر له[1].

يقول الشاعر:

نطقت دلايله بفضل صفاته ... بين القبايل وهو طفل يرضع

قال أبو عليّ همّام: إنَّه لمَّا ولد عليٌّ (صلوات الله عليه) أخذ أبو طالب (رضوان الله عليه) بيد فاطمة بنت أسدّ (رضوان الله عليها) وعليٌّ عليه السلام على صدره وخرج إلى الأبطح ونادى:

يا ربَّ ذا الفلق الدجيّ ... والقمر المبتلج المضيّ

بين لنا من حكمك المقضيّ ... ماذا ترى في اسم الصبيّ

قال لجأ شيء يدبّ على الأرض كالسحاب حتى حصل في صدر أبي طالب (رضوان الله عليه) فضمه مع عليٍّ (صلوات الله عليه) إلى صدره فلمّا أصبح إذا هو بلوحٍ أخضرٍ فيه مكتوب:

خصصتما بالولد الزكيّ ... والطاهر المنتجب الرضيّ

فاسمه من شامخ عليّ ... علي اشتق من العليّ

---

(١) لقد حدثنا الله تعالى في كتابه العزيزعن نبيّ الله عيسى (صلوات الله عليه) الذي تكلّم في المهد عندما أتت أمه الطاهرة السيّدة الجليلة مريم ابنة عمران (سلام الله عليها) إلى قومها تحمله وقد أصيب الجميع بالدهشة والحيرة فمريم التي نُذرت للمعبد.. قد وضعت طفلاً..! فبدأ اللغط بين الحضور.. قال الله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا * يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا * وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا * وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ سورة مريم (٢٧-٣٣).

فعلقوا اللوح في الكعبة وما زال هناك حتى أخذه الحاكم الأموي هشام بن عبد الملك فأجمع أهل البيت (صلوات الله عليهم) أنّه في الزاوية اليمنى من ناحية البيت.

فالولد الطاهر.. من النسل الطاهر.. ولد في الموضع الطاهر..

فأين توجد هذه الكرامة لغيره..؟! فأشرف البقاع الحرم الشريف.. وأشرف الحرم المسجد الحرام.. وأشرف بقاع المسجد الكعبة الشريف.. ولم يولد فيه مولود سواه، فالمولود فيه يكون في غاية الشرف.

فليس المولود في سيّد الأيام يوم الجمعة في الشهر الحرام رجب في البيت الحرام داخل الكعبة الشريفة سوى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

قال السيّد الحميري:

ولدته في حرم الإله وأمنه ... والبيت حيث فناؤه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمة ... طابت وطاب وليدها والمولد
في ليلة غابت نحوس نجومها ... وبدت مع القمر المنير الأسعد
ما لف في خرق القوابل مثله ... إلا ابن آمنة النَّبيّ محمّد

وقال محمّد بن منصور السرخسي:

ولدته منجبة وكان ولادها ... في جوف كعبة أفضل الأكنان
وسقاه ريقته النَّبيّ ويا لها ... من شربة تغني عن الألبان
حتى ترعرع سيدا سندا رضى ... أسدا شديد القلب غير جبان
عبد الإله مع النَّبيّ وإنّه ... قد كان بعد يعد في الصبيان
فلذاك زوجه الرسول بتولة ... وغدا وصيّ الإنس ثُمّ الجان
شهدت له آيات سورة هل أتى ... بمناقب جلت عن التبيان[1]

(١) شهر آشوب، محمّد علي، مناقب آل أبي طالب، الجزء (٢) صفحة (٤١٥) طبعة دار المرتضى بيروت.

وتذكر الأخبار أن السيّدة مريم ابنة عمران أم السيّد المسيح (سلام الله عليها) لمَّا جاءها المخاض بنبيّ الله عيسى ﷺ آوت إلى بيت المقدس لتضعه فيه، فنوديت: أُخرجي يا مريم، فهذا بيت العبادة لا بيت الولادة.

أما فاطمة بنت أسدّ (رضوان الله عليها) أم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لمَّا جاءها المخاض وأحست بالطلق وهي تطوف حول الكعبة الشريفة فتحت الكعبة أبوابها ودخلت فاطمة ووضعت أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

ويمكن القول أنّ هذه الحادثة الجليلة الغريبة بأسرارها ورموزها تنبئ بسرِ تطهير الكعبة الشريفة من رجس الأوثان والأنصاب والأزلام على يد هذا المولود..

وهكذا كان، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ دخل الكعبة الشريفة عام الفتح، وكانت ما زالت الأصنام معلقة على جدرانها، ولكل قبيلة من قبائل العرب صنم، فصعد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) على منكبي رسول الله ﷺ وصار يحطمها ويرمي بها إلى الأرض والنَّبيَّ (صلى الله عليه و آله وسلم) يتلو قول الله تعالى: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1].

إنّ اختصاص أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بمشاركة النَّبيّ ﷺ في هذه الواقعة الجليلة الخطيرة ـ بطلب من النَّبيّ ﷺ ـ دليلٌ على فضله على غيره، لا سيّما وقد رقى على منكب دونَه العيّوقُ، وهامُ الملائكةِ والملوك ومنه يظهر سرَّ ولادته في الكعبة الشريفة.

وقد نظم الفقيه الشافعيّ مؤرخاً لهذه الفضيلة الجليلة بأبيات تنسب إليه، يقول:

قيلَ لي: قُل في عليٍّ مِدَحاً ... ذِكْرُها يُخمِدُ ناراً مُوصَدَهْ

(١) سورة الإسراء الآية (٨١).

قلتُ: لا أُقدِمُ في مدحِ امرئٍ ضَلَّ ذو اللُّبِّ إلى أن عَبَدَهْ
والنَّبيُّ المصطفى قال لنا ليلةَ المعراجِ لمّا أصعَدَهْ
وَضعَ اللهُ على ظهري يدًا فأحسَّ القلبُ أن قد بَرَّدَا
وعليٌّ واضعٌ أقدامَهُ في محلٍّ وَضعَ اللهُ يَدَهْ[1]

يقول العقاد في تعليقه على ولادة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) داخل الكعبة الشريفة: ولد عليٌّ في داخل الكعبة، وكرَّم الله وجهه عن السجود لأصنامها، فكأنّما كان ميلاده ثمّة إيذاناً بعهدٍ جديدٍ للكعبة والعبادة فيها.. بل قد ولد مسلماً على التحقيق إذا نحن نظرنا إلى ميلاد العقيدة والروح، لأنّه فتح عينيه على الإسلام ولم يعرف عبادة الأصنام، فهو قد تربّى في البيت الذي خرجت منه الدعوة الإسلاميّة وعرف العبادة من صلاة النَّبيّ وزوجه الطاهرة[2].

ـ المطلب الثالث: عليٌّ حُبه جُنَّة

تمهيد:

إنَّ محبة أهل البيت (صلوات الله عليهم) وخصوصاً محبة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ضرورةٌ دينية منكرها خارجٌ عن الإسلام، وبذلك يعتبر من الأصول الإسلاميّة التي أكد عليها الكتاب الكريم والسنَّة المطهرة قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[3].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: لا يؤمن عبدٌ حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه وتكون عترتي أحبَّ إليه من عترته، ويكون أهلي أحبَّ إليه من أهله[4].

---

(١) الأمينيّ، عبد الحسين، موسوعة الغدير، الجزء (٧)، صفحة (١٣)، طبعة دار الكتاب العربي بيروت.
(٢) العقاد، عباس، عبقرية الإمام علي، صفحة (٣٨).
(٣) سورة الشورى، الآية (٢٣).
(٤) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (١٧)، صفحة (١٣)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: من أحبّهم أحبَّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله[١].

ولا شكّ أنَّه ليس المقصود من الحبِّ لهم (صلوات الله عليهم) هو الحبَّ الباطني العاري عن الأعمال التي أمر الله تعالى بها بل المقصود هو الحبَّ والمودة التي تعني اتباعهم العملي، قال الفقيه الشافعيّ:

يا راكباً قف بالمحصب من منى ... واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضاً كما نظم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حبُّ آل محمّد ... فليشهد الثقلان أني رافضي[٢]

وفيما يلي نعرض بعض الأحاديث التي تحث على محبة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ومودته.

ـ **الحديث الأوّل**: رواه الخوارزميّ بإسناده عن الصحابيّ الجليل جابر بن عبد الله الأنصاريّ (رضوان الله عليه) قال: قال رسول الله ﷺ: جاءني جبرئيل عليه السلام من عند الله عزَّ وجلَّ بورقة آس خضراء مكتوب فيها ببياض: إنّي افترضتُ محبَّة عليّ بن أبي طالب على خلقي، فبلِّغهم ذلك[٣].

ـ **الحديث الثاني**: رواه الخوارزمي بإسناده عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ وهو في بيتي لمَّا حضره الموت: أدعوا لي حبيبي؟ فدعوت له أبا بكر، فنظر إليه رسول الله ﷺ ووضع رأسه، ثُمّ قال: أدعوا لي حبيبي..؟

فقلتُ ويلكم أدعوا له عليَّ بن أبي طالب، فرأيته ما يريد غيره، فلمَّا رآه

---

(١) المصدر السابق الجزء (٢٣) صفحة (١٠٥).
(٢) الطبريّ، محمّد جرير، المسترشد، صفحة (٧٨)، طبعة مؤسسة الثقافة الإسلاميّة قم.
(٣) الخوارزميّ، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين، الجزء (١)، صفحة (٦٨)، طبعة دار أنوار الهدى قم.

فرج الثوب الَّذي كان عليه ثُمّ أدخله فيه، فلم يزل يحتضنه حتّى قُبِضَ ويده عليه[١].

ـ **الحديث الثالث**: رواه الخوارزمي بإسناده عن الصحابيّ الجليل عبد الله بن عباس (رضوان الله عليه) قال: قال رسول الله ﷺ: لو اجتمع الناس على حبِّ عليٍّ لما خلق الله النار[٢].

ـ **الحديث الرابع**: رواه الخوارزمي بإسناده عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: من أحبَّ علياً قَبِلَ الله صلاته وصيامه واستجاب دعاءه، ألا ومن أحبَّ علياً أعطاه الله في كل عرقٍ في بدنه مدينة في الجنّة، ألا ومن أحبّ آل محمّد أمن من الحساب والميزان والصراط، ألا ومن أحبّ آل محمّد فأنا كفيله بالجنّة مع الأنبياء، ألا ومن مات على بغضِ آلِ محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيسٌ من رحمة الله[٣].

ـ **الحديث الخامس**: رواه الخوارزمي بإسناده عن الصحابيّ الجليل الأصبغ بن نباتة (رضوان الله عليه) قال: سُئل سلمان الفارسي عن عليٍّ بن أبي طالب وفاطمة (صلوات الله عليهما) فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: عليكم بعليٍّ بن أبي طالب فإنَّه مولاكم فأحبُّوه، وكبيركم فأكرموه، وعالمكم فاتبعوه، وقائدكم إلى الجنّة فعزِّروه[٤]، إذا دعاكم فأجيبوه، وإذا أمركم فأطيعوه، أحبُّوه بحبي، وأكرموه بكرامتي، ما قلت لكم في عليٍّ إلّا ما أمرني به ربي جلت عظمته[٥].

ـ **الحديث السادس**: رواه الخوارزمي بإسناده عن أبي علقمة مولى بني

---

(١) المصدر السابق صفحة (٧٠).

(٢) المصدر السابق صفحة (٦٩).

(٣) المصدر السابق صفحة (٧٢).

(٤) عزره، عظمه ووقره وأعانه وقواه ونصره.. أنظر ـ المعجم الوسيط ـ مادة عزر.

(٥) المصدر السابق صفحة (٧٣).

هاشم قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ثُمّ التفت إلينا فقال: معاشر أصحابي..!! رأيتُ البارحة عمّي حمزة بن عبد المطلب، وأخي جعفر بن عبد المطلب، وبين أيديهما طبق من نبق فأكلا ساعة ثُمّ تحوَّل النبق عنباً، فأكلا ساعة ثُمّ تحوَّل العنب رطباً، فأكلا ساعة فدنوت منهما، فقلت: بأبي أنتما أي الأعمال وجدتما أفضل؟

قالا: فديناك بالآباء والأمهات، وجدنا أفضل الأعمال الصلاة عليك وسقي الماء وحبُّ عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه)[١].

ـ **الحديث السابع**: رواه الخوارزمي بإسناده عن عبد بن مسعود قال: أوَّل من اتّخذ عليَّ بن أبي طالب أخاً من أهل السَّماء إسرافيل، ثُمّ ميكائيل، ثُمّ جبرئيل، وأوَّل من أحبه من أهل السماء حملة العرش، ثُمّ رضوان خازن الجنّة، ثُمّ ملك الموت، وإنَّ ملك الموت يترحَّم على محبي عليّ بن أبي طالب كما يترحم على الأنبياء[٢].

ـ **الحديث الثامن**: رواه الخوارزمي بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: خلق الله من نور وجه عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) سبعين ألف ملك يستغفرون له ولمحبيه إلى يوم القيامة[٣].

ولذلك فإنَّ كل من تتطلع إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ونظر في جميع آفاقه الروحيَّة والقدسيّة لا بدّ له أن يخشع أمامه لأنّه لن يجد شخصية بعد رسول الله ﷺ تمثل ذلك.

وهنا لا بأس بذكر بعض الآبيات للفاضل الألمعي والأديب الأريحي

---

(١) المصدر السابق صفحة (٧٤).

(٢) المصدر السابق صفحة (٧١).

(٣) المصدر السابق صفحة (٧٠).

المسيحي العلوي بولس سلامة حيث انقدحت قريحته فأنشأ ملحمة الغدير بعد أن درس حياة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقال:

جلجل الحق في المسيحي ... حتى غدا من فرط حبه علويا
أنا من يعشق البطولة والإلهام ... والعدل والخلق الرضيا
فإذا لم يكن علي نبيّاً ... فلقد كان خلقه نبويا
أنت ربُّ العالمين إلهي ... فأنلهم حنانك الأبويا
وأنلني ثواب ما سطرت كفي ... فهاج الدموع في مقلتيا
سفر خير الأنام من بعد طه ... ما رأى الكون مثله آدميا
يا سماء اشهدي ويا أرض قري ... واخشعي إنني ذكرت عليا

وقال أيضاً:

هو فخر التاريخ لا فخر شعب ... يدعيه ويصطفيه وليا
لا تقل شيعةٌ هواة علي ... إن في كل منصف شيعيا
إنما الشمس للنواظر عيد ... كل طرف يرى الشعاع السنيا[1]

وليس هو أول نصراني يمدح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقد حدَّث أبو عبد الله الحسين بن علي الدهان قال: ووجدت ثلاثة أبيات لنصراني بخط الزجاج في مدح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يقول:

عليٌّ أمير المؤمنين صريمة ... وما لسواه في الخلافة مطمع
له النسب الأعلى وإسلامه الذي ... تقدم فيه والفضائل أجمع
ولو كنت أهوى ملة غير ملتي ... لما كنت إلا مسلما أتشيع[2]

وللصاحب ابن عبّاد في حب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

بحبِّ عليٍّ تزول الشكوكُ ... وتسمو النفوسُ ويعلو النِّجارُ

---

(١) التستري، نور الله، إحقاق الحق، الجزء (١٤) صفحة (٥) طبعة منشورات مكتبة المرعشي، قم.
(٢) الأميني، عبد الحسين، الغدير، الجزء (٣) صفحة (٨) طبعة دار الكتاب العربي بيروت.

فأين رأيت محبّاً لهُ ... فثمَّ الزكاء وثمَّ الفخارُ
وأين رأيت عدوّاً لهُ ... ففي أصله نسب مستعارُ
فلا تعذلوه على فِعلهِ ... فحيطان دار أبيه قصارُ

وله أيضاً:

أبا حسنٍ لو كان حبّك مدخلي ... جحيماً فإنّ الفوز عندي جحيمُها
وكيف يخاف النار من هو مؤمن ... بأنّ أمير المؤمنين قسيمُها

وله أيضاً:

حبُّ عليّ بن أبي طالبِ ... أحلى من الشهد للشاربِ
لا تقبل التوبة من تائبٍ ... إلّا بحبّ ابن أبي طالبِ
أخي رسول الله بل صهره ... والصهر لا يعدل بالصاحبِ
يا قوم من مثل عليّ وقد ... ردّت عليه الشمس من غائبِ

وله أيضاً:

وقالوا: عليٌّ علا. قلت: لا ... فإنّ العُلى بعليٍّ علا
ولكن أقول كقول النَّبيّ ... وقد جمع الخلق كلّ الملا
ألا إنّ من كنت مولىً له ... يوالي عليّاً وإلّا فلا

وله أيضاً:

حبّ عليّ بن أبي طالب ... فرض على الشاهد والغائب
لو فتّشوا قلبي رأوا وسطه ... سطرين قد خُطّا بلا كاتب
حبّ عليّ بن أبي طالبٍ ... وحبّ مولاي أبي طالب[1]

---

(١) ديوان الصاحب ابن عباد.

ـ المطلب الرابع: علي أفضل من أنبياء أولي العزم

هذا الحديث يثبت لنا أنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أفضل من جميع الأنبياء بما فيهم أنبياء أولي العزم (صلوات الله عليهم).

وقد أطلق على هذا الحديث حديث المفاضلة، ورد في كتب الأخبار أن الصحابيَّ الجليل صعصعة بن صوحان (رضوان الله عليه) سأل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقال له: يا أمير المؤمنين! أخبرني أنت أفضل أم آدم عليه السلام؟

فقال الإمام (صلوات الله عليه): يا صعصعة! تزكية المرء نفسه قبيح ولولا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1] ما أجبت.

يا صعصعة! أنا أفضل من آدم، لأنّ الله تعالى أباح لآدم كل الطيبات المتوفرة في الجنّة ونهاه عن أكل الحنطة فحسب، ولكنّه عصى ربه وأكل منها! وأنا لم يمنعني ربي من الطيبات، وما نهاني عن أكل الحنطة، فأعرضت عنها رغبة وطوعاً.

فقال صعصعة: أنت أفضل أم نوح..؟

فقال (صلوات الله عليه): أنا أفضل من نوح، لأنّه تحمّل ما تحمّل من قومه، ولمَّا رآى منهم العناد دعا عليهم وما صبر على أذاهم فقال:

﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[2].

ولكنّي بعد حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله تحمّلت أذى قومي وعنادهم فظلموني كثيراً فصبرت وما دعوت عليهم.

فقال صعصعة: أنت أفضل أم إبراهيم..؟

فقال (صلوات الله عليه): أنا أفضل، لأنَّ إبراهيم قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ

---

(١) سورة الضحى الآية (١١).

(٢) سورة نوح الآية (٢٦).

تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[١] ولكني قلت وأقول: لو كشف لي الغطاء ما إزددت يقيناً.

قال صعصعة: أنت أفضل أم موسى..؟

قال (صلوات الله عليه): أنا أفضل من موسى، لإنّ الله تعالى لمّا أمره أن يذهب إلى فرعون ويبلغ رسالته ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾[٢].

ولكني حين أمرني حبيبي رسول الله ﷺ بأمرِ الله عزّ وجلّ حتى أبلّغ أهل مكة المشركين سورة براءة، وأنا قاتلُ كثيرٍ من رجالهم وأعيانهم! مع ذلك أسرعتُ غير مكترثٍ، وذهبت وحدي بلا خوفٍ ولا وجلٍ فوقفتُ في جمعهم رافعاً صوتي، وتلوتُ الآيات من سورة براءة وهم يسمعون!!

قال صعصعة: أنت أفضل أم عيسى..؟

قال (صلوات الله عليه): أنا أفضل، لأنّ مريم بنت عمران لمّا أرادت أن تضع عيسى كانت في بيت المقدس، جاءها النداء يا مريم! أخرجي من البيت! ها هنا محل عبادة لا محل ولادة.

فخرجت ﴿فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾[٣] ولكن أمّي فاطمة بنت أسدٍ لمّا قرب مولدي جاءت إلى بيت الله الحرام والتجأت إلى الكعبة، وسألت ربّها أن يسهّل عليها الولادة، فانشقّ لها جدار البيت الحرام وسمعت النداء: يا فاطمة أُدخلي! فدخلت ورد الجدار على حاله فولدتني في حرم الله وبيته[٤].

ومن ذلك يتبين لك أن أئمتنا (سلام الله عليهم) أفضل من سائر الأنبياء حتى أُولي العزم منهم، أما تقدمهم على غير أولي العزم منهم فواضح لأنَّ

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٦٠).

(٢) سورة القصص الآية (٣٣).

(٣) سورة مريم، الآية (٢٣).

(٤) القبانجي، حسن، مسند الإمام عليّ، الجزء (٧) صفحة (٤٥٥) رقم الحديث (٨٦٤٥) طبعة مركز الأبحاث العقائدية، قم.

مرتبة الإمامة فوق مرتبة النبوة والرسالة، وأما تقدمهم على أُولي العزم منهم مع ثبوت الإمامة لهم فمن جهة أن الإمامة والولاية لها مراتب، وأتمّ مراتبها وأكملها ما ثبت لنبينا صلى الله عليه وآله، ولذا كان صلى الله عليه وآله أفضل من جميع الأنبياء عليهم السلام.

ومرتبة إمامة الفرع في مرتبة أصله، فإمامة أئمتنا (سلام الله عليهم) أيضاً أتمّ مراتب الإمامة والولاية، ومنه يظهر أن النبوة والإمامة قد يجتمعان كما في نبينا صلى الله عليه وآله وشيخ الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، بل في أنبياء أولي العزم مطلقاً، وقد تفترق النبوة عن الإمامة كما في غير أولي العزم من الأنبياء عليهم السلام، وقد تفترق الإمامة عن النبوة كما في أئمتنا (صلوات الله عليهم).

فإن قلت: ما ذكرت من أن الإمامة مرتبة فوق النبوة يتنافى مع افتراق الإمامة عنها لأنّ نيل المرتبة الفائقة متفرعٌ على نيل المرتبة النازلة.

قلت: استحقاق المرتبة الفائقة أي الإمامة على استحقاق المرتبة النازلة وهي النبوة متحقق، واستحقاقها ثابت في أئمتنا (صلوات الله عليهم) وإنّما منع عنها ثبوت مرتبة الخاتمية لخاتم النَّبيّين صلى الله عليه وآله، وإليه يشير قوله صلى الله عليه وآله في بعض أحاديث المنزلة المروي عن طرق العامة بعد قوله (صلى الله عليه و آله وسلم) إلّا أنّه لا نبيّ بعدي ولو كان لكنت[1].

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله مخاطباً أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): لولا أنّي خاتم الأنبياء لكنتَ شريكاً في النبوة، فإنّ لا تكن نبياً فإنّك وصيّ نبيّ ووارثه، بل أنت سيّد الأوصياء، وإمام الأتقياء[2].

وعقّب العلّامة المجلسيّ رحمه الله قائلاً: إعلم أنّ القول بأفضلية أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم) على جميع المخلوقات، وكون أئمتنا (صلوات الله عليهم) أفضل من سائر الأنبياء، قولٌ لا يرتاب فيه من تتبع أخبارهم (صلوات الله

---

(١) النسائي، أحمد شعيب، السنن الكبرى، الجزء (٥)، صفحة (٤٥)، طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.
(٢) الأسدي، يحي حسن، العمدة، صفحة (١٣)، طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ قم.

عليهم) على وجه الإذعان واليقين، والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى، وإنّما أوردنا في هذا الباب ـ يعني باب تفضيلهم على الأنبياء ـ قليلاً منها وهي متفرقة في الأبواب لا سيّما باب صفات الأنبياء وأصنافهم ﷺ، وباب أنّهم ﷺ كلمة الله، وباب بدء أنوارهم، وباب أنّهم أعلم من الأنبياء، وأبواب فضائل أمير المؤمنين وفاطمة (صلوات الله عليهما)، وعليه عمدة الإمامية، ولا يأبى ذلك إلّا جاهلٌ بالأخبار[1].

وأفاد العلّامة الخوئي في شرحه على نهج البلاغة: إنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أفضل جميع أمّة النَّبيّ ﷺ من حيث كثرة الثواب، ومن حيث جمعه للخصال الحميدة والكمالات الذاتيَّة والفضائل النفسانيَّة، أمّا كثرة الثواب فلظهور أن الثواب مترتب على العبادة، وبكثرتها وقلتها يتفاوت الثواب والجزاء زيادة ونقصانا، وستعرف أنّه أعبد من الكل، فيكون أكثر مثوبة، ولو لم يكن له من العبادات إلّا ضربته يوم الخندق التي قال فيها رسول الله ﷺ: (إنّها أفضل من عبادة الثقلين) لكفى في إثبات هذا المرام فضلاً عن سائر عباداته التي لا يضبطها الصحف والدفاتر، ولا يحصيها الزبر والطوامير)[2].

ـ دليل المماثلة

هو أنّه (صلوات الله عليه) أفضل رتبة من المتقدمين والمتأخرين من الأنبياء والصديقين باستثناء النَّبيّ الأكرم ﷺ الذي هو أفضل الأنبياء، ورسالته أفضل الرسالات، وقد أمر المولى الجليل سبحانه وتعالى سيّد رسله ﷺ بإبلاغ فرض ولاية أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وجعل في

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٢٦) صفحة (٢٩٧) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) الخوئيّ، حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الجزء (٢) صفحة (٣٩٥) طبعة مؤسسة المطبوعات الدّينيّة قم.

نفس وجوب أداء تبليغ ولايته سبباً لصحة تبليغ رسالته وأنّه إن لم يفعل لم يصح منه تبليغ هذه الرسالة.. التي هي أفضل الرسالات.. وحيث أنّ ثبوت الولاية كثبوت هذه الرسالة صارت شيئاً واحداً.

وإذا كانت إمامته كرسالته صار نفس هذه كنفس هذه وفضلها كفضلها، إذ ليس يوجد من خلق الله تعالى من نفسه كنفس رسول الله (صلى الله عليه وآله و سلم) سواه بدليل قوله تعالى في آية المباهلة: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[1] فجعله تبارك وتعالى نفس رسوله ﷺ فإذا كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) نفس الرسول الأكرم ﷺ وولايته نفس ولايته كما قدمناه بطلت مماثلته من كافة خلق الله تعالى.

قال الفخر الرازي في تفسيره في ذيل الآية الكريمة: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[2]: أجمعت الأمّة على أن بعض الأنبياء عليهم السلام أفضل من بعض، وعلى أن محمّداً (صلى الله عليه [وآله] وسلم) أفضل من الكلّ، ويدلّ عليه من وجوه، أحدها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[3] فلمّا كان رحمة لكل العالمين لزم أن يكون أفضل من كل العالمين[4].

وهذا يمكن أن يكون دليلاً على أفضلية أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وذلك لأنّه أفضل من الجميع، وهو بنصّ آية المباهلة نفس رسول الله ﷺ.

يقول الرازي أيضاً عند تفسيره لآية المباهلة: كان في الريّ رجل يقال له: محمود بن الحسن الحمصي، وكان معلم الأثنى عشرية، وكان يزعم أن علياً ـ

(١) سورة آل عمران، الآية (٦١).
(٢) سورة البقرة، الآية (٢٥٣).
(٣) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).
(٤) الرازي، الفخر، التفسير الكبير، الجزء (٥)، صفحة (١٩٥)، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.

رضي الله عنه ـ أفضل من جميع الأنبياء سوى محمّد (عليه [وعلى آله أفضل الصلاة و] السلام)، قال: والذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ وليس المراد بقوله ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ نفس محمّد (صلى الله عليه [وآله] وسلم).

لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه بل المراد به غيره، وأجمعوا على أن ذلك الغير كان علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فدلت الآية على أن نفس عليٍّ هي نفسُ محمّد، ولا يمكن أن يكون المراد منه، أن هذه النفس هي عين تلك النفس، فالمراد أن هذه النفس مثل تلك النفس، وذلك يقتضي الاستواء في جميع الوجوه، ترك العمل بهذا العموم في حقّ النبوة، وفي حقّ الفضل لقيام الدلائل على أن محمّداً (عليه [وآله] السلام) كان نبياً وما كان عليٌّ كذلك، ولإنعقاد الإجماع على أن محمّداً (عليه [وآله] السلام) كان أفضل من عليٍّ (رضي الله عنه) فيبقى فيما وراءه معمولاً به.

ثُمّ الإجماع دلّ على أنّ محمّداً (عليه [وآله] السلام) كان أفضل من سائر الأنبياء ﷺ فيلزم أن يكون علي أفضل من سائر الأنبياء، فهذا وجه الاستدلال بظاهر هذه الآية.

ثُمّ قال: ويؤيد الاستدلال بهذه الآية، الحديث المقبول عند الموافق والمخالف، وهو قوله (عليه [وآله] السلام): من أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحاً في طاعته، وإبراهيم في خلته، وموسى في هيبته، وعيسى في صفوته، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه).

فالحديث دلّ على أنّه اجتمع فيه ما كان متفرقاً فيهم، وذلك يدلّ على أن علياً (رضي الله عنه) أفضل من جميع الأنبياء سوى محمّد (صلى الله عليه [وآله] وسلم)[1].

---

(١) المصدر السابق الجزء (٧) صفحة (٨١).

وقد أقرّ الفخرّ الرازيّ وأذعن بأن أمير المؤمنين هو نفس النَّبيَّ ﷺ مع أنّه من أنصار المذهب السوفسطائيّ الذي يشكك في كل شيء.

يقول الأزريَّ تغمده في هذا المقام:

هو في آية التباهل نفس النَّبيَّ لا غيره إياها
لك ذات كذاته حيث لولا أنها مثلها لما آخاها[1]

ولا يخفى أنّ الدين الإسلاميّ هو أفضل الأديان على الإطلاق فيلزم أن يكون نبيَّ هذا الدين ـ رسول الله ﷺ ـ أفضل من جميع الأنبياء (صلوات الله عليهم)، وحيث أن نفس هذا النَّبيَّ هي نفس الوصيَّ لزم أن يكون الوصيّ أفضل من جميع الأنبياء باستثناء الأصل، هذا فضلاً عن الصحابة.

قال الشيخ محمّد عبده في كلام له عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً لا يشبه خلقاً جسدانياً فصل عن الموكب الألهي، وإتّصل بالروح الإنساني، فخلعه عن غاشيات الطبيعة، وسما به إلى الملكوت الأعلى، ونما إلى مشهد النور الأجلى، وسكن به إلى عمار جانب التقديس بعد استخلاصه من شوائب التلبيس[2].

وقال الجاحظ ـ عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مع نصبه وعدائه في رسالة له في فضل أهل البيت (صلوات الله عليهم): والمولد مكان عظيم، والنشأ مبارك مكرم، والشأن عظيم، والعلم كثير، وليس له نظير، والهمة عالية، والقوَّة كاملة، والبيان عجيب، واللسان خطيب، والصدر رحيب[3].

---

(١) الإزري، كاظم، ديوان الإزريّة، طبعة دار الأضواء بيروت.

(٢) عبده، محمّد، شرح نهج البلاغة، صفحة (١٢) طبعة دار البلاغة بيروت.

(٣) التستريّ، محمّد تقي، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الجزء (٣) صفحة (١٥٠) طبعة مؤسسة البلاغة قم.

ـ الأفضل عبادة

وإذا كان الميزان في الأفضلية هو أكثرية الثواب فعليٌّ أفضل.. وعند الله أعز وأكرم.. ويكفينا دليلاً قول المصطفى ﷺ: يا أبا الحسن لو وضع إيمان الخلائق وأعمالهم في كفة ميزان، ووضع عملك يوم أحد على كفة أخرى لرجح عملك على جميع عمل الخلائق، وإن الله باهى بك يوم أحد ملائكته المقربين، ورفع الحجب من السماوات السبع وأشرفت إليك الجنّة وما فيها وابتهج بفعلك ربُّ العالمين، وإنّ الله تعالى يعوضك ذلك اليوم ما يغبطه كل نبيّ ورسول وصديق وشهيد[١] وقوله ﷺ يوم الأحزاب: لضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين[٢].

وفي هذا المقام يقول الازري رحمه الله:

لا فتى في الوجود إلّا علي ذاك شخص بمثله الله باهى[٣]

ـ حديث المنزلة

هو حديث مشهورعند الفريقين السنة والشيعة وقد روي بطرق متعددة وأسانيد كثيرة.

ـ الحديث الأوّل: رواه البُخاريّ بإسناده عن شُعْبَةُ عَنْ سَعْدٍ قَالَ سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه [وآله] وسلم) لعليٍّ: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى[٤].

---

(١) القميّ، محمّد أحمد، مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين، صفحة (٨٠).

(٢) العامليّ، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النّبيّ الأعظم، الجزء (٩)، صفحة (١٧)، طبعة دار الهادي بيروت.

(٣) الأزري، محمّد كاظم، ديوان الأزريّة، طبعة دار الأضواء بيروت.

(٤) البُخاريّ، محمّد إسماعيل، صحيح البُخاريّ، الحديث رقم (٣٧٠٦) طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.

ـ **الحديث الثاني**: رواه الخوارزمي بإسناده عن محدوج بن زيد الألهاني قال: إنَّ رسول الله ﷺ آخى بين المسلمين ثُمّ قال: يا عليُّ!! أنت أخي، وأنت مني بمنزلةِ هارون من موسى غير أنَّه لا نبيَّ بعدي، أما علمت يا عليُّ! أنِّي أوَّل من يدعى بي ـ يوم القيامة ـ فأقوم عن يمين العرش وظله، فأكسى حلَّة خضراء من حلل الجنّة، ثُمّ يدعى بالنَّبيّين بعضهم على أثر بعض فيقومون سماطين[١] عن يمين العرش ويكسون حلل خضراً من حلل الجنّة[٢].

ـ **الحديث الثالث**: رواه الخوارزمي بإسناده عن الحسين بن موسى عن أبيه عن جده عن عليِّ بن الحسين عن أبيه عن عليٍّ (صلوات الله عليهم) قال: قال رسول الله ﷺ يوم الخندق: اللهم إنَّك أخذت منيّ عبيدة بن الحرث يوم بدر، وحمزة بن عبد المطَّلب يوم أُحد، وهذا عليٌّ فلا تدعني فرداً وأنت خير الوارثين[٣].

ـ **الحديث الرابع**: رواه الخوارزمي بإسناده عن الصحابيِّ الجليل جابر بن عبد الله الأنصاريِّ (رضوان الله عليه) قال: مكتوب على باب الجنّة محمّد رسول الله عليُّ بن أبي طالب أخو رسول الله، قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام[٤].

ـ المطلب الخامس: فضائله في علمه ومعرفته وحكمته

تمهيد:

أمير المؤمنين... باب مدينة المعارف والآيات والعلوم والحقائق، هو بطرق السماء أعلم به من طرق الأرض.

---

(١) السماط، الصف يقال مشى بين سماطين من الجنود وغيرهم وهم على سماط واحد أي نظم واحد. أنظر ـ المعجم الوسيط ـ مادة سمط.

(٢) الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين، الجزء (١) صفحة (٨٢) طبعة دار أنوار الهدى قم.

(٣) المصدر السابق صفحة (٨٤).

(٤) المصدر السابق صفحة (٦٩).

يقول الازري تغمده الله في هذا المقام:

إنما المصطفى مدينة علم وهو الباب من أتاه أتاها[١]

النَّبيّ المصطفى ﷺ هو المدينة الجامعة لمعاني الديانات، ومهبط تنزيل الآيات، هو مدينة المعارف والعلوم، ولا بدّ للمدينة من باب فأخبر ﷺ أنّ بابها هو أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فمن أخذ طريقه دخل المدينة، ومن أخطأه أخطأ طريق الهدى، فعلي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) هو الباب الذي يدخل منه إلى الحكمة، وناهيك بهذه المرتبة ما أسناها، وبهذه المنقبة ما أعلاها.

وإليك فيما يلي بعض النصوص:

ـ **الحديث الأوّل**: رواه الخوارزمي بإسناده عن الصحابيّ الجليل سلمان الفارسيّ (رضوان الله عليه) قال: قال رسول الله ﷺ: أعلم أمتي من بعدي عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه)[٢].

ـ **الحديث الثاني**: رواه الخوارزمي بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: قُسّمت الحكمة على عشرة أجزاء فأعطي عليٌّ تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً[٣].

ـ **الحديث الثالث**: رواه الخوارزمي بإسناده عن عبد الله بن عباس (رضوان الله عليه) قال: قال رسول الله ﷺ: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب[٤].

الحديث الرابع: رواه الخوارزمي بإسناده عن أبي الحمراء قال: قال

---

(١) الأزري، محمّد كاظم، ديوان الأزريّة، طبعة دار الأضواء بيروت.

(٢) الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين، الجزء (١) صفحة (٧٥) طبعة دار أنوار الهدى قم.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق صفحة (٧٦).

رسول الله ﷺ: من أراد أنْ ينظر إلى آدم في علمه... فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه)[١].

ـ **الحديث الخامس**: رواه الخوارزمي بإسناده عن أبي البختري قال: رأيتُ علياً (صلوات الله عليه) صعد المنبر بالكوفة وعليه مدرعة كانت لرسول الله ﷺ متقلداً بسيف رسول الله ﷺ ومعتماً بعمامة رسول الله ﷺ وفي أصبعه خاتم رسول الله ﷺ فقعد على المنبر... وقال: سلوني قبل أن تفقدوني فإنَّما بين الجوانح علمٌ جمّ، هذا سفط العلم، هذا لعابُ رسول الله ﷺ، هذا ما زقني رسول الله ﷺ زقاً من غير وحي أُوحي إليَّ.

فوالله لو ثُنيت لي الوسادة، وجلستُ عليها لأفتيتُ لأهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الأنجيل بإنجيلهم، حتى ينطق الله التوراة والإنجيل فيقولا: صدق عليٌّ قد أفتاكم بما أُنزل فينا، ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٢][٣].

ـ **الحديث السادس**: رواه الخوارزمي بإسناده عن الصحابيِّ الجليل عبد الله بن عباس (رضوان الله عليه) قال: العلم ستة أسداس، فلعليّ بن أبي طالب من ذلك خمسة أسداس وللناس سدس، ولقد شاركنا في سدسنا حتى هو أعلم به منا[٤].

ـ **الحديث السابع**: رواه الخوارزمي بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله عليه) قال: قال عمر: كانت لأصحاب محمّد ﷺ ثماني عشرة سابقة، فخص عليٌّ منها بثلاث عشرة وشركنا في خمس[٥].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) سورة البقرة، الآية (٤٤).
(٣) المصدر السابق.
(٤) الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين، الجزء (١) صفحة (٧٧) طبعة دار أنوار الهدى قم.
(٥) المصدر السابق صفحة (٧٨).

ـ لولا علي لهلك عمر

الحديث الثامن: رواه زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه) قال: لمّا كان في ولاية عمر، أُتي بامرأة حامل، فسألها عمر، فاعترفت بالفجور، فأمر بها عمر أن ترجم، فلقيها علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه).

فقال: ما بال هذه..؟

فقالوا: أمر بها أمير المؤمنين أن ترجم.

فردّها عليٌّ (صلوات الله عليه) وقال لعمر: أمرت بها أن ترجم..؟

فقال: نعم، اعترفت عندي بالفجور.

فقال (صلوات الله عليه): هذا سلطانك عليها، فما سلطانك على ما في بطنها..؟

ثُمّ قال عليٌّ (صلوات الله عليه): فلعلك أنتهرتها أو أخفتها..؟

فقال: قد كان ذلك.

قال (صلوات الله عليه): أو ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا حدّ على معترف بعد بلاء أنّه من قيّدت أو حبست أو تهددت، فلا إقرار له.

فخلى عمر سبيلها ثُمّ قال: عجزت النساء أن تلدن مثل عليّ بن أبي طالب، لولا علي لهلك عمر[1].

الحديث التاسع: رواه الخوارزمي بإسناده عن يحي بن سعيد بن المسيب قال: سمعتُ عمر يقول: اللهُمَّ لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب حياً[2].

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٠) صفحة (٦٧٥) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) الخوارزميّ، الموفّق أحمد، مقتل الحسين، الجزء (١) صفحة (٧٨) طبعة دار أنوار الهدى قم.

ـ المطلب السادس: أمير المؤمنين يتحدث عن علمه

تحدثت كتب الأخبار عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أنَّه بينما كان يخطب على منبر البصرة ذات يوم إذ قال للناس: سلوني عن طرق السماوات فإنّي أعلم بها من طرق الأرض.

فجاء جبرئيل ﷺ في صورة رجل، فقال: إن كنت صادقاً فأخبرني أين جبرئيل؟

فنظر إلى السماء يميناً وشمالاً، ثُمّ إلى الأرض كذلك فقال: ما وجدته في السماء ولا في الأرض ولعله أنت[١].

قال الحافظ محمّد بن يوسف بن محمّد البلخي الشافعي: وروي عن عليّ (كرم الله وجهه) أنّه قال في مجلسه العام: سلوني قبل أن تفقدوني.. سلوني عن علم السماء فإنّي أعلمها زقاقاً زقاقاً، وملكاً ملكاً، فقال رجل من الحاضرين: حيث إدّعيت ذلك يا ابن أبي طالب، أين جبرئيل هذه الساعة؟ فغطس قليلاً وتفكر في الأسرار، ثُمّ رفع رأسه قائلاً: إنّي طفت السماوات السبع فلم أجد جبرئيل، وأظنه أنت أيّها السائل.

فقال السائل: بخٍ بخٍ من مثلك يا ابن أبى طالب، وربك يباهي بك الملائكة؟! ثُمّ سجى من الحاضرين[٢].

وورى محمّد بن طلحة الشافعي، عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أنَّه قال: لو شئت لأوقرتُ بعيراً من تفسير بسم الله الرحمن الرحيم[٣].

وقد ورد عنه (صلوات الله عليه) أنه قال: لو كسرت لي الوسادة ثُمّ جلستُ

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٩) صفحة (١٠٨) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) التستريّ، نور الله، إحقاق الحق، الجزء (٧) صفحة (٦٢١).

(٣) النمازيّ، علي، مستدرك سفينة البحار، الجزء (١) باب الباء طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ قم.

عليها لقضيتُ بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، والله ما من آية أُنزلت في بر أو بحر ولا سهل ولا جبل ولا سماء ولا أرض ولا ليل ولا نهار إلّا وأنا أعلم فيمن نزلت، وفي أي شيء نزلت[١].

روي عن ابن الهيتمي في الصواعق، قال: قال علي ابن أبي طالب (صلوات الله عليه): سلوني عن طرق السماوات فإني أعرف بها من طرق الأرضين ولو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً[٢].

روى الصحابيّ الجليل الأصبغ بن نباتة (رضوان الله عليه) قال: لمَّا جلس علي (صلوات الله عليه) في الخلافة وبايعه الناس خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله ﷺ لابساً بردة رسول الله ﷺ منتعلاً نعل رسول الله ﷺ متقلداً سيف رسول الله ﷺ فصعد المنبر، فجلس عليه متمكناً، ثُمّ شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه، ثُمّ قال: يا معشر الناس! سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله ﷺ هذا ما زقني رسول الله ﷺ زقا زقا سلوني، فأن عندي علم الأوّلين والآخرين.

أما والله، لو ثنيت لي الوسادة فجلستُ عليها لأفتيتُ أهل التوارة بتوراتهم حتى تنطق التوارة، فتقول: صدق عليّ، ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ، وأفتيتُ أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق عليّ، ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ، وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً، فهل فيكم أحدٌ يعلم ما نزل فيه؟ ولولا آية في كتاب الله لاخبرتكم

---

(١) البحرانيّ، ميثم عليّ، شرح مئة كلمة، صفحة (٢١٩) طبعة منشورات جماعة المدرّسين قم.

(٢) الهيتمي، أحمد محمّد، الصواعق المحرقة، الجزء (٢)، صفحة (٣٧٩)، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت.

بما كان وبما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1].

ثُمّ قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية آية، في ليلٍ أنزلت أو في نهارٍ أنزلت، مكيها ومدنيها، سفريها وحضريها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم.

فقام إليه رجل يقال له ذعلب وكان ذرب اللسان بليغاً في الخطب، شجاع القلب فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة، لأخجلنه اليوم لكم في مسألتي إياه، فقال: يا أمير المؤمنين! هل رأيت ربك؟

فقال (صلوات الله عليه): ويلك يا ذعلب، لم أكن بالذي أعبد رباً لم أره.

فقال: فكيف رأيته..؟! صفه لنا..؟

قال (صلوات الله عليه): ويلك، لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان.

ويلك يا ذعلب، إنّ ربي لا يوصف بالبعد، ولا بالحركة، ولا بالسكون، ولا بالقيام قيام انتصاب ولا بجيئة ولا بذهاب، لطيف اللطافة، لا يوصف باللطف، عظيم العظمة، لا يوصف بالعظم،كبير الكبرياء، لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة، لا يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة، لا يوصف بالرقة، مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمحسة، قائلٌ لا باللفظ، هو في الأشياء على غير ممازجة، خارجٌ منها على غير مباينة، فوق كل شيء فلا يقال: شيء فوقه، وأمام كل شيء فلا يقال: له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج منها لا كشيء من شيء خارج.

---

(١) سورة الرعد الآية (٣٩).

فخر ذعلب مغشياً عليه، ثُمّ قال: تالله ما سمعتُ بمثلِ هذا الجواب والله لا عدتُ إلى مثلها.

ثُمّ قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): سلوني قبل أن تفقدوني.

فقام إليه الأشعث بن قيس، فقال: يا أمير المؤمنين! كيف يؤخذ من المجوس الجزية ولم ينزل عليهم كتاب، ولم يبعث إليهم نبيّ..؟

قال (صلوات الله عليه): بلى. يا أشعث! قد أنزل الله عليهم كتاباً وبعث إليهم رسولاً حتى كان لهم ملك.. سكر ذات ليلة، فدعا بابنته إلى فراشه، فارتكبها، فلمّا أصبح تسامع به قومه، فاجتمعوا إلى بابه فقالوا: أيّها الملك دنست علينا ديننا وأهلكته، فاخرج نطهرك ونقم عليك الحد.

فقال لهم: اجتمعوا واسمعوا كلامي، فإن يكن لي مخرجٌ مِمّا ارتكبت وإلّا فشأنكم.

فاجتمعوا، فقال لهم: هل علمتم أن الله لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم وأمنا حواء..؟

قالوا: صدقت أيّها الملك، قال: أفليس قد زوج بنيه من بناته وبناته من بنيه..؟

قالوا: صدقت هذا هو الدين.

فتعاقدوا على ذلك فمحا الله ما في صدورهم من العلم، ورفع عنهم الكتاب، فهم الكفرة يدخلون النار بلا حساب، والمنافقون أشدُ حالاً منهم.

قال الأشعث: والله، ما سمعت بمثلِ هذا الجواب، والله، لا عدت إلى مثلها أبداً.

ثُمّ قال (صلوات الله عليه): سلوني قبل أن تفقدوني.

فقام إليه رجل من أقصى المسجد متوكئاً على عصاه، فلم يزل يتخطى الناس حتى دنا منه، فقال:

يا أمير المؤمنين! دلني على عمل أنا إذا عملته نجاني الله من النار، قال له: اسمع يا هذا، ثُمّ إفهم، ثُمّ استيقن، قامت الدنيا بثلاثة: بعالمٍ ناطقٍ مستعمل لعلمه، وبغني لا يبخل بماله على أهل دين الله، وبفقير صابر..

فإذا كتم العالم علمه، وبخل الغني، ولم يصبر الفقير، فعندها الويل والثبور، وعندها يعرف العارفون بالله أن الدار قد رجعت إلى بدئها أي الكفر بعد الإيمان.

أيّها السائل! فلا تغترن بكثرة المساجد، وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم شتي!

أيّها السائل! إنّما الناس ثلاثة: زاهد وراغب وصابر..

فأمّا الزاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا أتاه ولا يحزن على شيء منها فاته، وأما الصابر فيتمناها بقلبه، فإن أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لما يعلم من سوء عاقبتها، وأما الراغب فلا يبالي من حلٍ أصابها أم من حرام.

قال الرجل: يا أمير المؤمنين! فما علامة المؤمن في ذلك الزمان؟

قال (صلوات الله عليه): ينظر إلى ما أوجب الله عليه من حق فيتولاه، وينظر إلى ما خالفه فيتبرأ منه وإن كان حميماً قريباً.. قال: صدقت والله يا أمير المؤمنين! ثُمّ غاب الرجل فلم نره، فطلبه الناس فلم يجدوه، فتبسّم عليٌّ (صلوات الله عليه) على المنبر ثُمّ قال: ما لكم..؟ هذا أخي الخضر عليه السلام.

ثُمّ قال: سلوني قبل أن تفقدوني.

فلم يقم إليه أحد، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على نبيه صلى الله عليه وآله ثُمّ قال

للحسن (صلوات الله عليه): يا حسن! قم، فاصعد المنبر فتكلم بكلام لا تجهلك قريش من بعدي فيقولون: إنّ الحسن بن علي لا يُحسن شيئاً..!!.

قال الحسن (صلوات الله عليه): يا أبتِ! كيف أصعد وأتكلم وأنت في الناس تسمع وترى..؟

قال له: بأبي وأمّي، أواري نفسي عنك وأسمع وأرى وأنت لا تراني..

فصعد الحسن (صلوات الله عليه) المنبر، فحمد الله بمحامدٍ بليغة شريفة وصلّى على النَّبيِّ ﷺ صلاةً موجزة ثُمّ قال: أيّها الناس! سمعتُ جدي رسول الله ﷺ يقول: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، وهل تدخل المدينة إلّا من بابها.

ثُمّ نزل، فوثب إليه عليٌّ (صلوات الله عليه) فحمله وضمه إلى صدره، ثُمّ قال للحسين (صلوات الله عليه): يا بنيّ! قم، فاصعد المنبر وتكلم بكلام لا تجهلك قريش من بعدي فيقولون: إنّ الحسين بن علي لا يبصر شيئاً..!! وليكن كلامك تبعاً لكلام أخيك.

فصعد الحسين (صلوات الله عليه) المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على نبيّه ﷺ صلاةً موجزةً ثُمّ قال: معاشر الناس!! سمعتُ جدي رسول الله ﷺ وهو يقول: إن علياً هو مدينة هدى، فمن دخلها نجا، ومن تخلّف عنها هلك.

فوثب إليه عليٌّ (صلوات الله عليه) فضمّه إلى صدره وقبّله، ثُمّ قال: معاشر الناس! إشهدوا أنّهما فرخا رسول الله ﷺ ووديعته التي استودعنيها وأنا أستودعكموها، معاشر الناس! ورسول الله سائلكم عنهما[1].

قال العلّامة الأمينيّ ﷺ: لم أر في التاريخ قبل مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من عرض نفسه لمعضلات المسائل وكراديس الأسئلة،

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (١٠) صفحة (١١٧) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

ورفع عقيرته بجأش رابط بين الملأ العلمي بقوله: (سلوني) إلّا صنوه النَّبيّ الأعظم، فإنّه ﷺ كان يكثر من قوله: سلوني عمّا شئتم. وقوله: سلوني سلوني. وقوله: سلوني، ولا تسألوني عن شيء إلّا أنبئتكم به.

فكما ورث أمير المؤمنين علمه ﷺ ورث مكرمته هذه وغيرها، وهما صنوان في المكارم كلها، وما تفوه بهذا المقال أحدٌ بعد أمير المؤمنين عليه السلام إلّا وقد فُضح ووقع في ربيكة، وأماط بيده الستر عن جهله المطبق[1].

ـ المطلب السابع: بولايته تقبل الأعمال

تمهيد:

نعتقد أن قبول الأعمال مرهونٌ بولايةِ أهل البيت (صلوات الله عليهم) ومحبتهم، فقد ورد في زيارته (صلوات الله عليه):

.. أنت الشافع الذي لا ينازع، والوليّ الذي لا يدافع، ذخرك الله لنصرة الدين وإعزاز المؤمنين والانتقام من الجاحدين المارقين، وأشهد أنّ بولايتك تقبل الأعمال وتزكو الأفعال، وتضعف الحسنات وتمحى السيئات، فمن جاء بولايتك واعترف بإمامتك قبلت أعماله وصدقت أقواله وتضعفت حسناته ومحيت سيئاته، ومن عدل عن ولايتك وجهل معرفتك واستبدل بك غيرك أكبه الله على وجهه في النار ولم يقبل له عملاً ولم يقم له يوم القيامة وزناً[2].

ولذلك ورد على لسان النَّبيِّ المصطفى ﷺ وأهل البيت (صلوات الله عليهم) ما يبيِّن ذلك، وإليك جملة من الأخبار.

ـ **الحديث الأوّل**: رواه الخوارزمي بإسناده عن زيد بن عليّ بن الحسين

---

(١) الأميني، عبد الحسين، موسوعة الغدير، الجزء (٦) صفحة (١٩٥) طبعة دار الكتاب العربي بيروت.
(٢) العامليّ، ابراهيم علي، البلد الأمين، صفحة (٢٨٥).

(صلوات الله عليهم)، عن أبيه، عن جده عليّ (صلوات الله عليه) عن النبيّ ﷺ أنّه قال لعليّ: يا عليّ! لو أنّ عبداً عبد الله عزّ وجلّ مثلما أقام نوح في قومه، وكان له مثل جبل أحد ذهباً فانفقه في سبيل الله، ومدّ الله في عمره حتى حجّ ألف عام على قدميه، ثُمّ قُتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثُمّ لم يوالكِ يا عليّ!! لم يشمّ رائحة الجنّة ولم يدخلها[1].

وقد روى أصحابنا عن أئمتنا (صلوات الله عليهم) ما يطابق ذلك كثير.

ـ **الحديث الثاني**: رواه أبو حمزة الثمالي في الصحيح، قال: قال لنا عليّ بن الحسين (صلوات الله عليهما): أي البقاع أفضل..؟

قلت: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال: إنّ أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أن رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان، ثُمّ لقى الله تعالى بغير ولايتنا لم ينتفع بذلك شيئاً[2].

ـ **الحديث الثالث**: رواه ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكلينيّ رحمه الله في الكافي، بإسناده عن زرارة بن أعين، عن مولانا أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه) أنّه قال: أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره، وتصدق بجميع ماله، وحج جميع عمره، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله حق في ثوابه، ولا كان من أهل الايمان[3].

ـ **الحديث الرابع**: رواه محمّد بن مسلم في الصحيح ما هو أبلغ من ذلك، فإنّه تضمّن بطلان عبادات المخالفين وعدم إنتفاعهم بشيء منها، وهو الذي عليه

---

(١) الخوارزميّ، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين، الجزء (١) صفحة (٦٩) طبعة دار أنوار الهدى قم.
(٢) الطوسيّ، محمّد حسن، الآمالي، صفحة (١٣٣) طبعة دار الثقافة قم.
(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٢٣) صفحة (٢٩٤) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

أصحابنا المحققون قال: سمعتُ أبا جعفر (صلوات الله عليه) يقول: كل من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول، إلى أن قال: واعلم يا محمّد أنّ أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلوا وأضلوا، فأعمالهم التي يعملونها كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصفٍ لا يقدرون مِمّا كسبوا على شيء وذلك هو الضلال البعيد[١].

وقد نظم هذا المعنى شعراً العلّامة الفيلسوف أفضل المتأخرين ورئيس المحققين، نصير الدين محمّد بن محمّد الطوسيّ (قدس الله سِره وبجنان الخلد سَره) في هذه المقطوعة:

لو أن عبداً أتى بالصالحات غداً ... وودّ كل نبي مرسل وولي
وعاش في الناس آلافاً مؤلفةً ... عارٍ من الذنبِ معصوماً من الزللِ
وصام ما صام صواماً بلا مللٍ ... وقام ما قام قوّاماً بلا كسلِ
وحج كم حجة لله واجبة ... وطاف بالبيتِ حافٍ غير منتعلِ
وطار في الجوِ لا يأوي الى أحدٍ ... وغاص في البحر مأموناً من البللِ
وأكسى اليتاما من الديباج كلهم ... وأطعمهم من لذيذ البر بالعسل
فليس في الحشر يوم البعث ينفعه ... إلّا محبة أمير المؤمنين علي[٢]

وفي هذا المعنى يقول الإمام الشافعي منظوماً:

مذاهبهم في أبحر الغيّ والجهلِ ... ولمّا رأيت الناس قد ذهبت بهم
وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسلِ ... ركبت على اسم الله في سفن نجاهم
كما قد أمرنا بالتمسّك بالحبلِ ... وأمسكت حبل الله وهو ولائهم[٣]

---

(١) النعمانيّ، محمّد إبراهيم، الغيبة، صفحة (١٢٩).
(٢) البحرانيّ، سليمان عبد الله، كتاب الأربعين، صفحة (٩٩) منشورات مطبعة أمير قم.
(٣) الأمينيّ، عبد الحسين، موسوعة الغدير، الجزء (٢) صفحة (٣٠١) طبعة دار الكتاب العربي بيروت.

ـ المطلب الثامن: قسيم الجنّة والنار

ـ **الحديث الأوّل**: روى الحسن البصري، عن عبد الله بن عباس (رضوان الله عليه) قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة صعد عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) على الفردوس، وهو جبل قد علي في الجنّة، وفوقه عرش ربِّ العالمين، ومن سفحه يتفجر أنهار الجنّة، وتتفرق في الجنّة، وهو جالس على كرسي من نور يجري بين يديه التسنيم، لا يجوز أحد الصراط إلّا ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته ليشرف على الجنّة، فيدخل محبيه الجنّة ومبغضيه النار[1].

ـ **الحديث الثاني**: رواه الخوارزمي بإسناده عن عبد الله بن عباس (رضوان الله عليه) قال: إذا كان يوم القيامة يقعد عليُّ بن أبي طالب على الفردوس ـ وهو جبل قد علا على الجنّة ـ وفوقه عرش ربِّ العالمين، ومن سفحه تنفجر أنهار الجنّة، وتتفرَّق في الجنان، وهو جالسٌ على كرسي من نور تجري بين يديه التسنيم فلا يجوز أحد الصراط إلّا ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته يشرف فيدخل محبيه الجنّة ومبغضيه النار[2].

ـ المطلب التاسع: فضائله في جهاده

تمهيد:

هو بطل المعارك والغزوات التي حصلت في زمن رسول الله ﷺ وبقي ذو الفقار سيف الإسلام الذي يقضي على كل رؤوس الشرك والضلال..

كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يمثّل أروع معاني الفروسية والبطولة وما تنطويان عليه من المروءة والشهامة والإباء والترفع عن الدنايا.

---

(١) المصدر السابق صفحة (٣٢٤).

(٢) المصدر السابق.

ولقد كان الأبطال والشجعان يفتخرون ويتباهون عندما يقفون مقابل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في ساحة النزال..

وكلّما أراد الإنسان أن يستعرض بعض مواقفه (صلوات الله عليه) البطولية فإنّ الذهن ينتقل من دون إرادة إلى ما هو أعظم وأدهش وأغرب، وقد أكّد هذه الحقيقة كل من أراد أن يكتب في حياة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ولذلك فإنَّ فضائله الجهادية سوف تبقى حديث الأجيال ومدرسة للأبطال والأحرار وبطولته (صلوات الله عليه) أشهر من أن تذكر..

فقد وضع النَّبيّ ﷺ على جبين الدهر وساماً تتصاغر دونه الأوسمة، ونيشاناً تخط دونه النياشين ليبقى شاهداً على فضله ومقامه حيث ثبت عنه ﷺ أنَّه قال: قام الإسلام بسيف علي..[1].

ونحن فيما يلي نذكر بعض الأحاديث الواردة بحقه في جهاده.

ـ **الحديث الأوّل**: رواه الخوارزمي بإسناده عن بهز بن حكيم، عن أبيه عن جده عن النَّبيّ ﷺ أنَّه قال: لمبارزة عليّ بن أبي طالب لعمر بن عبد ود ـ يوم الخندق ـ أفضل من عمل أُمتي إلى يوم القيامة[2].

ـ **الحديث الثاني**: رواه البُخاريّ بإسناده عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ الساعدي (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه [وآله] وسلَّم) قَالَ: لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ..

قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه [وآله] وسلم) كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ..؟

---

(١) البحراني، هاشم، غاية المرام وحجة الخصام، الجزء (٤) صفحة (٣٤٩) طبعة مركز الأبحاث العقائدية قم

(٢) الخوارزمي، الموفّق بن احمد، مقتل الحسين، الجزء (١) صفحة (٧٨) طبعة أنوار الهدى قم.

فَقَالُوا: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأْتُونِي بِهِ.

فَلَمَّا جَاءَ بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ.

فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا..؟

فَقَالَ: أَنْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ[1].

ـ **الحديث الثالث**: رواه البُخاريّ في صحيحه بإسناده عن يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، عَنْ سَلَمَةَ قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه [وآله] وسلم) فِي خَيْبَرَ وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه [وآله] وسلم)؟!

فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ (صلى الله عليه [وآله] وسلم) فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا اللَّهُ فِي صَبَاحِهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه [وآله] وسلم): لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ ـ أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ ـ غَداً رَجُلاً يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ - أَوْ قَالَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ - يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ.

فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه [وآله] وسلم) فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ[2].

إن شَّجاعة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) والكرامات التي ظهرت من وجوده المقدّس بما منحه الله تعالى من القوّة والقدرة الربّانية غير خافية على

---

(١) البُخاريّ، محمّد إسماعيل، صحيح البُخاريّ، الحديث رقم (٣٠٠٩) طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) المصدر السابق الحديث رقم (٤٢٠٩).

أحد، ويكفينا في ذلك ما ظهر منه (صلوات الله عليه) في يوم خيبر حيث ضَرَب بسيفه مرحَب على رأسه بما فيها العمامة والخوذة[١] وما عليه من الجوشن[٢] والحِلَق من قُدّام وخلف حتّى قدّها بنصفين تماماً.. وقد قتل أخاه الحارث من قبله.

ثُمّ حمل بعده على اليهود فانهزموا إلى حصن قموص وأغلقوا على أنفسهم الباب.

فتقدّم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى باب الحصن وهزّه بكلتا يديه فارتعد الحصن حتّى ظنّوا وقوع زلزلة، ثُمّ هزّه مرّة أُخرى فقَلَعه ورمى به في الهواء أربعين ذراعاً، ثُمّ حمله واقتحم الحصن، وتترّس بالباب وضارَبَ الأقران حتّى غلب عليهم.. ثُمّ جعله جسراً على الخندق الذي كان قد حفره اليهود فعبر عليه عسكر المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف مقاتل، وحيث كان طول ذلك الباب أقلّ من عَرض الخندق جَعَل عليٌّ (صلوات الله عليه) أحد جانبي الباب على حافّةِ الخندق والجانب الآخر على يده ليعبر عليه المسلمون إلى الحصن..

فقال أحد الصحابة للنبيّ ﷺ: ما عجبنا يا رسول الله من قوّته في حمله ورميه وإتراسه، وإنّما عجبنا من جعله جسراً وإحدى طرفيه على يده..

فقال النَّبيّ ﷺ: يا هذا! نظرتَ إلى يده؟! فانظر إلى رجليه..

فنظر فوجدهما معلّقتين في الهواء..

فقال النَّبيّ ﷺ: ليستا على الهواء، وإنّما هما على جناحي جبرئيل، علماً

---

(١) الخوذة، المغفر يجعل على الرأس ـ المعجم الوسيط ـ مادة خوذ.

(٢) الجوشن، الجوشن: الدرع.. ـ مجمع البحرين ـ مادة جشن.

بأنّ ذلك الباب كان أربعة أذرع في خمسة أشبار في أربع أصابع عمقاً حَجَراً صلداً، وكان لا يقدر على غلقه إلّا عشرون رجلاً منهم.

وقد أشار ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج إلى تلك الوقعة مخاطباً له (صلوات الله عليه) بقوله في قصيدته العينية:

يا قالع الباب الذي عن هزه ... عجزت أكف أربعون وأربع
لولا حدوثك قلت إنك جاعل ... الأرواح في الأشباح والمتنزع
لي فيك معتقد سأكشف سره ... فليصغ أرباب النهى وليسمعوا
والله لولا حيدر ما كانت ... الدنيا ولا جمع البرية مجمع
بل أنت في يوم القيامة حاكم ... بين الأنام وشافع ومشفع[1]

وقد أرَّخ الصاحب بن عبّاد لبطولة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في معاركه ومواقفه حيث ذكر جملة من فضائله في قصيدة له فقال:

قالت: فمَن صاحب الدين الحنيف أجب
فقلت: أحمد خير السادة الرُّسل
قالت: فمن بعده تُصفي الولاء له؟
قلت: الوصيّ الذي أربى على زُحل
قالت: فمن بات مِن فوق الفراش فدىً؟
فقلت: أثبتُ خلق الله في الوَهَلِ
قالت: فمن ذا الذي آخاه عن مقةٍ؟
فقلت: من حازَ ردَّ الشمس في الطَّفَل
قالت: فمن زوَّج الزَّهراء فاطمةً؟
فقلت: أفضل من حافٍ ومُنتعلِ

(١) اللواساني، الحسن، نور الأفهام الجزء (١) صفحة (٢٧).

قالت: فمن والد السبطين إذ فرعا؟
فقلت: سابق أهل السبق في مَهلِ
قالت: فمن فاز في بَدرٍ بمعجزها؟
فقلت: أضرب خلق الله في القُللِ
قالت: فمن أسد الأحزاب يفرسها؟
فقلت: قاتل عمرٍو الضيغم البطل
قالت: فيوم حُنين مَن فرا وبَرا؟
فقلت: حاصدُ أهل الشِّرك في عجَل
قالت: فمن ذا دُعي للطَّير يأكله؟
فقلت: أقرب مَرضيٍّ ومُنتحلِ
قالت: فمن تلوه يوم الكساء أجب؟
فقلت: أفضل مَكسوٍّ ومُشتملِ
قالت: فمن ساد في يوم «الغدير» أبِنْ؟
فقلت: مَن كان للإسلام خير وليّ
قالت: ففي مَن أتى في هل أتى شرفٌ؟
فقلت: أبْذل أهل الأرض للنفَلِ
قالت: فمن راكعٌ زكّى بخاتمه؟
فقلت: أطعنهم مذ كان بالأسَلِ
قالت: فمن ذا قسيم النار يسهمها؟
فقلت: مَن رأيه أذكى من الشعلِ
قالت: فمن باهل الطهر النّبيُّ بهِ؟
فقلت: تاليه في حلٍّ ومُرتحَلِ
قالت: فمن شبه هارون لنعرفهُ؟
فقلت: مَن لم يحل يوماً ولم يزلِ

قالت: فمن ذا غدا باب المدينة قل؟
فقلت: مَن سألوهُ وهو لم يَسلِ
قالت: فمن قاتل الأقوام إذ نكثوا؟
فقلت: تفسيره في وقعة الجملِ
قالت: فمن حاربَ الأرجاس إذ قسطوا؟
فقلت: صفِّين تُبدي صفحة العملِ
قالت: فمن قارعَ الأنجاس إذ مرَقوا؟
فقلت: معناه يوم النَّهروان جَلي
قالت: فمن صاحب الحوض الشريف غداً؟
فقلت: مَن بيته في أشرف الحللِ
قالت: فمن ذا لواء الحمد يحمله؟
فقلت: مَن لم يكن في الرَّوع بالوجلِ
قالت: أكلُّ الذي قد قلتَ في رجلٍ؟
فقلت: كلُّ الذي قد قلتُ في رجلِ
قالت: فمن هو هذا الفرد سِمهُ لنا؟
فقلت: ذاك أمير المؤمنين علي[1]

ـ المطلب العاشر: شفاعة أمير المؤمنين

تمهيد:

تعتبر الشفاعةُ من العقائد الإسلاميّة الضرورية التي لا بدَّ من الإيمان بها وقد حدثنا القرآن الكريم وكذلك السنة الشريفة عن أنَّ الشفاعة تشمل أولئك الذين لم يقطعوا صلتهم بالله فصاروا مشمولين لرحمة الله تعالى بواسطة شفاعة الشافعين رغم إنغماسهم في بعض المعاصي والذنوب.

---

(١) ديوان الصاحب بن عبّاد.

وقد ورد في تفسير قول الله تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[١] أنّ المقصود من المقام المحمود هو مقام الشفاعة الثابت للنبيّ ﷺ.

قال العلّامة الطباطبائي (قدس سره) في تفسيره الميزان:

من الممكن أن يكون المقام مصدراً ميمياً وهو البعث فيكون مفعولاً مطلقاً ليبعثك من غير لفظه، والمعنى عسى أن يبعثك ربك بعثاً محموداً، ومن الممكن أن يكون اسم مكان والبعث بمعنى الإقامة أو مضمناً معنى الإعطاء ونحوه، والمعنى عسى أن يقيمك ربك في مقام محمود أو يبعثك معطياً لك مقاماً محموداً أو يعطيك باعثاً مقاماً محموداً، وقد وصف سبحانه مقامه بأنّه محمود وأطلق القول من غير تقييد وهو يفيد أنّه مقام يحمده الكل ولا يثني عليه الكل إلّا إذا استحسنه الكل وإنتفع به الجميع.

ولذا فسروا المقام المحمود بأنّه المقام الذي يحمده عليه جميع الخلائق وهو مقام الشفاعة الكبرى له ﷺ يوم القيامة.

وقد اتفقت على هذا التفسير الروايات من طرق الفريقين عن النَّبيّ ﷺ وأئمَّة أهل البيت عليهم السلام[٢].

وقد ورد أيضاً في الحديث عن النَّبيّ ﷺ أنَّه قال: أُعطيتُ الشفاعة فادّخرتها لأمتي فهي لمن لا يُشرك بالله[٣].

وقد ورد في خصوص شفاعة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)عن النبيّ ﷺ أنَّه قال: إنّي لأشفع يوم القيامة فاشفع، ويشفع عليٌّ فيشفع، ويشفع أهل بيتي فيشفعون[٤].

---

(١) سورة الإسراء الآية (٧٩).

(٢) الطباطبائيّ، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الجزء (١٣) صفحة (١٧٥) منشورات جماعة المدرّسين قم.

(٣) الصدوق، محمّد علي، الخصال، صفحة (٣٩٣) منشورات جماعة المدرّسين قم.

(٤) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٨) صفحة (٤٣) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

وفيما يلي نذكر بعض الأحاديث في هذا المجال.

ـ **الحديث الأوّل**: ورد عن مولانا الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق (صلوات الله عليه) أنَّه كان جالساً في الحرم في مقام إبراهيم ﷺ فجاءه رجل شيخ كبير قد فنى عمره في المعصية فنظر إلى الصادق (صلوات الله عليه) فقال: نِعم الشفيع إلى الله للمذنبين.

ثُمّ أخذ بأستار الكعبة وأنشأ يقول:

بحقِ جلاءِ وجهك يا وليَّ بحق الهاشميَّ الابطحيَّ..

بحقِ الذكرِ اذ يوحي إليه بحقِ وصيَّه البطل الكميَّ..

بحقِ أئمَّة سلفوا جميعاً على منهاج جدهم النَّبيَّ..

بحقِ القائمِ المهدي إلّا غفرت خطيئة العبد المسيَّ..

قال فسمع هاتفاً يقول: يا شيخ كان ذنبك عظيماً ولكن غفرنا لك جميع ذنوبك لحرمة شفعائك فلو سألتنا ذنوب أهل الأرض لغفرنا لهم غير عاقر الناقة وقتلة الأنبياء والأئمّة الطاهرين[1].

ـ **الحديث الثاني**: ورد عن مولانا رسول الله ﷺ أنَّه قال:

إنّ الله أعطاني في عليَّ أنَّه متكئ بين يدي يوم الشفاعة.

وأعطاني في عليَّ لآخرتي أنّه صاحب مفاتيحي يوم أفتح أبواب الجنّة.

وأعطاني في عليَّ لآخرتي أنَّي أعطى يوم القيامة أربعة ألوية:

فلواء الحمد بيدي، وأدفع لواء التهليل لعليَّ واوجهه في أوّل فوج وهم الذين يحاسبون حساباً يسيرا ويدخلون الجنّة بغير حساب عليهم، وأدفع لواء التكبير إلى حمزة وأوجهه في الفوج الثاني، وأدفع لواء التسبيح إلى جعفر

(١) القمي، شاذان، الفضائل، صفحة (٦٧) منشورات المطبعة الحيدريّة النجف.

وأوجهه في الفوج الثالث، ثُمّ أُقيم على أمتي حتى أشفع لهم، ثُمّ أكون أنا القائد وإبراهيم السائق حتى أدخل أمتي الجنّة[١].

ـ المطلب الحادي عشر: فضائل

ونذكر فيما يلي بعض الفضائل الخاصة بأمير المؤمنين

ـ أبو تراب

اشتهر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بـ أبي تراب ـ وكان هذا اللقب من أحبّ الألقاب إليه لأنّه جرى على لسان النّبيّ ﷺ فقد رواه البُخاريّ بإسناده عن عَبدُ العَزيز بن أَبِي حازم عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رجُلاً جاءَ إِلَى سهلِ بنِ سَعْدٍ فَقَالَ هَذَا فُلَانٌ (لأمير الْمَدِينَةِ) يدعُو عَلِيّاً عند المِنبر.

قَالَ: فَيَقُولُ مَاذَا قَالَ؟ يَقُولُ لَهُ: أَبُو تُرَابٍ. فَضَحِكَ..

قَال: واللَّهِ مَا سمَّاهُ إِلّا النَّبِيُّ (صلى الله عليه [وآله] وسلم) وَمَا كَانَ لَهُ اسمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنهُ. فَاسْتَطعَمتُ الْحَدِيثَ سَهْلاً.

وَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ كَيْفَ؟

قَالَ: دَخَلَ عَلِيٌّ عَلَى فَاطِمَةَ ثُمّ خَرجَ فَاضطَجَعَ فِي المَسجِدِ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه [وآله] وسلم): (أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ)؟ قَالَت: فِي الْمَسجِدِ فَخَرجَ إِلَيْهِ فَوَجدَ رِدَاءَهُ قَدْ سَقَطَ عَنْ ظَهْرِهِ، وَخَلَصَ التُّرَابُ إِلَى ظَهْرِه، فَجَعَلَ يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ فَيَقُولُ (إِجْلِس يَا أَبَا تُرَابٍ) مَرَّتَيْنِ[٢].

ـ كلام الشمس

خبر كلام الشمس مع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) رواه بن شاذان

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٨) صفحة (٧) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) المصدر السابق الحديث رقم (٣٧٠٣).

القميّ، عن الصحابيّ الجليل أبي ذر الغفاريّ (رضوان الله عليه) قال: قال رسول الله ﷺ لعليٍّ (صلوات الله عليه): إذا كان غدٍ وقت طلوع الشمس سير إلى جبانة البقيع وقف على نشز من الأرض فاذا بزغت الشمس سلّم عليها فإنّ الله تعالى أمرها أن تجيبك بما فيك فلمّا كان من الغدّ خرج أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ومعه أبو بكر وعمر وجماعة من المهاجرين والأنصار حتى أتى البقيع ووقف على نشز من الأرض فلمّا طلعت الشمس قال (صلوات الله عليه): السلام عليك يا خلق الله الجديد المطيع له..

فسمع دويٌ من السماء وجواب قائلٍ يقول: السلام عليك يا أوّل يا آخر، يا ظاهر يا باطن، يا من هو بكلِ شيءٍ عليم.

فسمع الاثنان الأوّل والثاني والمهاجرون والأنصار كلام الشمس فصعقوا ثُمّ أفاقوا بعد ساعة وقد إنصرف أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) عن ذلك المكان فقاموا وأتوا إلى رسول الله ﷺ مع الجماعة.

فقالوا: يا رسول الله إنّا نقول أنّ علياً بشر مثلنا والشمس تخاطبه بما يخاطب به الباري نفسه.

فقال النّبيّ ﷺ: فما سمعتموه..؟

قالوا: سمعنا الشمس تقول: السلام عليك يا أوّل.

قال ﷺ: قالت الصدق هو أوّل من آمن بي.

فقالوا: سمعناها تقول: يا آخر.

فقال ﷺ: قالت الصدق هو آخر الناس عهداً بي يغسلني ويكفنني ويدخلني قبري.

فقالوا: سمعناها تقول: يا ظاهر.

فقال ﷺ: قالت الصدق هو الذي أظهر علمي.

فقالوا: سمعناها تقول يا باطن.

فقال عليه السلام: قالت الصدق هو الذى بطن سري كله.

فقالوا: سمعناها تقول يا من هو بكل شيءٍ عليم.

فقال عليه السلام: قالت الصدق هو أعلم بالحلالِ والحرام والسنن والفرائض وما يشاكل على ذلك.

فقاموا وقالوا: أوقعنا محمّد في طخياء، وخرجوا من باب المسجد.

فقال في ذلك أبو محمّد العونيّ:

إمامي كليم الشمس راجع نورها فهل لكليم الشمس في القوم من مثل[1]

ـ أمير المؤمنين يحيي الموتى

من كرامات أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ما رواه الرواة أنَّ جماعةً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أتوه وقالوا: يا رسول الله عليك السلام إنّ الله اتّخذ إبراهيم عليه السلام خليلاً، وكلّم موسى تكليماً، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى، فما صنع ربّك بك؟ فقال النَّبيّ صلى الله عليه وآله: إنَّ الله سبحانه وتعالى إن كان اتّخذ إبراهيم خليلاً فقد اتخذني حبيباً.

وإن كان كلم موسى من وراء حجاب فقد رأيت جلال ربي وكلمني مشافهة أي بغير واسطة.

وإن كان عيسى يحيي الموتى بإذن الله تعالى فإنّ شئتم أحييت لكم موتاكم بإذنه تعالى.

فقالوا: قد شئنا... فأرسل صلى الله عليه وآله معهم أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) بعد أن رداه بردائه.. وكان اسم الرداء ـ المستجاب ـ وأخذ

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤١) صفحة (١٨٠) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

منطقته فشدّه بها وسطه ثُمّ أمرهم أن يسيروا مع عليٍّ (صلوات الله عليه) إلى مقابر فلمّا أتوا المقابر سلَّم (صلوات الله عليه) على أهل القبور ودعا وتكلم بكلامٍ لا يفقهوه فاضطربت الأرض وارتجت وقام الموتى وقالوا بأجمعهم: علّى رسول الله السلام ثُمّ على أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه)..

داخلهم رعبٌ شديد فقالوا:

حسبك يا أبا الحسن أقلنا أقالك الله، فأمسك عن استمرار الكلام والدعاء فرجعوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله أقلنا أقالك الله فقال لهم: إنَّما رددتم على الله لا أقالكم الله يوم القيامة[1].

ـ خبر الطائر

رواه الخوارزمي بإسناده عن الصحابيِّ الجليل أنس بن مالك (رضوان الله عليه) قال:

أُتيَ رسول الله ﷺ بطائرٍ فوضع بين يديه، فقال: اللهم أئتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر.

فقرع الباب فقلت: اللهم إجعله رجلاً من الأنصار.

فإذا هو علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) فقلت: سبحان الله سأل نبيّ الله ربَّه أن يأتيه بأحبّ خلقه إليه.

قال: ففتحت الباب فلمَّا دخل مسح رسول الله وجهه ثُمّ مسحه رسول الله بوجه عليَّ، ثُمّ مسح وجه عليَّ بوجهه ـ فعل ذلك ثلاث مرات ـ فبكى عليَّ.

ثُمّ قال (صلوات الله عليه): ما هذا يا رسول الله..؟

---

(١) القمي، شاذان، الفضائل، صفحة (٦٨)، منشورات المطبعة الحيدريّة، النجف.

فقال ﷺ: ولِمَ لا أفعل بك هذا..؟

وأنت تسمع صوتي وتؤدي عني وتبيِّن لهم ما اختلفوا فيه من بعدي.

ثُمّ قال رسول الله ﷺ: اللهم إني سألتك أن تأتيني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير فجئت به اللهم وإنَّه أحبّ خلقك إليَّ[١].

ـ الاستشفاء بتراب أبي تراب

روى الخوارزمي بإسناده عن عبد الله بن أبي رافع قال: قال رسول الله ﷺ يا عليَّ، والذي نفسي بيده، لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك مقالاً لا تمر بأحد من المسلمين إلّا أخذ التراب من أثر قدميك يطلبون به البركة[٢].

ـ أحد الثقلين

روى الخوارزمي بإسناده عن مجاهد، قال: قيل لابن عباس: ما تقول في عليّ بن أبي طالب..؟

فقال: ذكرتَ والله أحد الثقلين، سبق الشهادتين، وصلّى القبلتين، وبايع البيعتين، وأعطي السبطين الحسن والحسين، ورُدّت عليه الشمس مرَّتين بعدما غابت عن المقلتين، وجرَّد السيف تارتين، وهو صاحب الكرتين، فمثله في الأمّة مثل ذي القرنين ذلك مولاي علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)[٣].

ـ الإمام السجاد يبيّن فضائل جده

وقف مولانا الإمام علي بن الحسين زين العابدين (صلوات الله عليه) بين

---

(١) الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين، الجزء (١) صفحة (٧٩) طبعة دار أنوار الهدى، قم.
(٢) المصدر السابق صفحة (٧٩).
(٣) المصدر السابق صفحة (٨٠).

جموع الناس، أمام يزيد بن معاوية في المسجد الأموي في الشام يبيّن فضائل جده أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في خطبة جليلة قال في بعضها:

أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلّا الله..

أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين.

أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النّبيّين، وقامع المحدثين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين، من آلِ يس رسول ربِّ العالمين.

أنا ابن المؤيد بجبرئيل، المنصور بميكائيل.

أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين[1]، والمجاهد أعداءه الناصبين وأفخر من مشي من قريش أجمعين وأوّل من أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين وأوّل السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين، وسهمٌ من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، وناصر دين الله، ووليّ أمر الله، ولسان حكمة الله، وعيبة علمه، سمح سخيّ بهيّ، بهلولٌ زكيّ أبطحيّ رضيّ مقدام همام صابر صوام مهذب قوام قاطع الأصلاب ومفرق الأحزاب أربطهم عناناً، وأثبتهم جناناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدهم شكيمة، أسد باسل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنّة وقربت الأعنة طحن الرحى ويذروهم ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز، وكبش العراق، مكيٌّ مدنيٌّ، حنيفيٌّ عقبيٌّ، بدريٌّ أحديٌّ، شجريٌّ مهاجريٌّ، من العرب سيدها، ومن الوغي ليثها، وارث

(١) حارب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ـ في مدة خلافته ثلاث جماعات ـ الناكثين وهم أصحاب الجمل، القاسطين وهم أصحاب معاوية في صفين، المارقين وهم الخوارج في النهروان.

المشعرين، وأبو السبطين الحسن والحسين، ذاك جدي عليّ بن أبي طالب عليه السلام[١].

ـ أعطى الله لعلي

ورد عن الصحابيّ الجليل عبد الله بن عباس (رضوان الله عليه) قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أعطاني الله تعالى خمساً، وأعطى علياً (صلوات الله عليه) خمساً.

أعطاني جوامع الكلم.. وأعطى علياً جوامع العلم..

وجعلني نبياً.. وجعله وصياً..

وأعطاني الكوثر.. وأعطاه السلسبيل..

وأعطاني الوحي..وأعطاه الإلهام..

وأسرى بي إليه.. وفتح له أبواب السموات والحجب حتى نظر إليَّ ونظرت إليه..

قال: ثُمّ بكى رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقلتُ له: ما يبكيك يا رسول الله فداك أبي وأمّي..؟

قال: يابن عباس إنَّ أوَّل ما كلمني به ربّي قال: يا محمّد أنظر تحتك فنظرت إلى الحجب قد انخرقت.. وإلى أبواب السماء قد انفتحت.. ونظرت إلى عليٍّ وهو رافعٌ رأسه إليّ فكلمني وكلمته وكلمني ربّي عزَّ وجلَّ.

قال: فقلت: يا رسول الله بما كلّمك ربّك..؟

قال صلى الله عليه وآله: قال لي: يا محمّد إنّي جعلتُ علياً وصيّك ووزيرك وخليفتك من بعدك فأعلمه فها هو يسمع كلامك فأعلمته وأنا بين يدي ربّي عزَّ وجلَّ.

---

(١) الأمين، محسن، لواعج الأشجان، صفحة (١٨٠)، طبعة دار الأمير بيروت.

فقال لي: قد قبلت وأطعت، فأمر الله تعالى الملائكة يتباشرون به وما مررت بملأٍ من ملائكة السموات إلّا هنأوني.

وقالوا: يا محمّد والذى بعثك بالحق نبياً لقد دخل السرور على جميع الملائكة باستخلاف الله عزَّ وجلَّ ابن عمك... ورأيتُ حملة العرش قد نكسوا رؤسهم إلى الأرض.

فقلت: يا جبرئيل لِمَ نكس حملة العرش رؤوسهم؟

قال: يا محمّد ما من ملك من الملائكة إلّا وقد نظر إلى وجه عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) استبشاراً به ما خلا حملة العرش فإنّهم استأذنوا الله عزَّ وجلَّ في هذه الساعة فأذن لهم فنظروا إلى عليَّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) فلمَّا هبطت جعلت أخبره بذلك وهو يخبرني به فعلمت أنّي لم أطأ موطئاً إلّا وقد كُشف لعليَّ عنه حتى نظر إليه.

فقال ابن عباس (رضوان الله عليه): فقلتُ يا رسول الله أوصني.

فقال ﷺ: عليك بمودّةِ عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) والذي بعثني بالحق نبياً لا يقبل الله تعالى من عبد حسنة حتى يسأله عن حبّ علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) وهو بقوله أعلم فمن مات على ولايته قبل عمله ما كان منه وإن لم يأتِ بولايته لا يقبل من عمله شيء ثُمّ يُؤمر به إلى النار.

يا بن عباس والذي بعثني بالحق نبياً إنَّ النار لأشدَّ غضباً على مبغض عليَّ (صلوات الله عليه) منها على من زعم أنّ لله ولداً.

يا بن عباس لو أنّ الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين اجتمعوا على بغض علي بن أبي طالب مع ما يقع من عبادتهم في السموات لعذبهم الله تعالى في النار.

قلت: يا رسول الله وهل يبغضه أحد؟

قال ﷺ: يا بن عباس نعم!! يبغضه قومٌ يذكر أنّهم من أمتي!! لم يجعل الله لهم في الإسلام نصيباً.

يا ابن عباس إنّ من علامة بغضهم له تفضيلهم لمن هو دونه عليه، والذي بعثني بالحق نبياً ما بعث الله نبياً أكرم عليه مني ولا وصياً أكرم عليه من وصيّ.

قال ابن عباس (رضوان الله عليه): فلم أزل له كما أمرني رسول الله ﷺ وأوصاني بمودته، وأنه لأكبر عملي عندي.

قال ابن عباس (رضوان الله عليه): ثُمّ مضى من الزمان ما مضى وحضرت رسول الله ﷺ الوفاة فقلتُ: فداك أبي وأمّي يا رسول الله ﷺ وقد دنا أجلك فما تأمرني؟

قال ﷺ: يا ابن عباس، خالف من خالف علياً، ولا تكونَنّ لهم ظهيراً ولا ولياً.

قلت: يا رسول الله ولِمَ لا تأمر الناس بترك مخالفته..؟

قال: فبكى ﷺ ثُمّ قال: يا ابن عباس، سبق فيهم علم ربّي والذي بعثني بالحق نبياً لايخرج أحدٌ ممّن خالفه من الدنيا وأنكر حقّه حتى يغيّر الله تعالى ما به من نعمة.

يا ابن عباس، إذا أردت أن تلقى الله تعالى وهو عنك راضٍ فأسلك طريقة عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) وملّ معه حيث مال، أرض به إماماً وعاد من عاداه ووال من والاه.

يا بن عباس، إحذر من أن يدخلك شكٌ فيه فإنّ الشكّ في عليّ كفر بالله تعالى[1].

حديثٌ آخر: رواه جابر الجعفيّ، عن مولانا أبي جعفر الإمام محمّد الباقر

(١) الطوسيّ، محمّد حسن، الآمالي، صفحة (١٠٥) طبعة إنتشارات دار الثقافة قم.

(صلوات الله عليه)، عن الصحابيّ الجليل جابر بن عبد الله الأنصاريّ (رضوان الله عليه) قال: قال رسول الله ﷺ إنَّ جبرئيل (صلوات الله عليه) نزل عليّ وقال: يا محمّد إنَّ الله تعالى يأمرك أن تقوم بتفضيل عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) خطيباً على المنبر ليبلغوا من بعدهم ذلك عنك، ويأمر جميع الملائكة أن يسمعوا ما تذكره والله يوحي إليك يا محمّد أنَّ من خالفك في أمرك فله النار، ومن أطاعك فله الجنّة.

فأمر النَّبيَّ ﷺ منادياً نادى بالصلاة جامعة، فاجتمع الناس وخرج النَّبيَّ ﷺ ورقى المنبر وكان أوَّل ما تكلم به فقال:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ثُمّ قال ﷺ:

أيّها الناس، أنا البشير أنا النذير أنا النَّبيَّ الأمّي وأنا مبلغكم عن الله عزَّ وجلَّ في رجل لحمه لحمي ودمه دمي وهو عيبة علمي وهو الذى إنتخبه الله تعالى من هذه الأمّة وإصطفاه وهذبه وتولاه، وخلقني وإياه من نور واحد، وفضلني بالرسالة، وفضله بالإمامة والتبليغ عني، وجعلني مدينة العلم وجعله الباب خازن العلم والمفتش منه الأحكام، وخصه بالوصيَّة وأبّان أمره وخوّف من عدوانه وأزلف لمن والاه وغفر لشيعته وأمر الناس جميعاً بطاعتة، وإنَّه عزَّ وجلَّ يقول: من عاداه عاداني، ومن والاه والاني، ومن آذاه آذاني، ومن ناصبه ناصبني، ومن خالفه خالفني، ومن أبغضه أبغضني، ومن أحبة أحبني، ومن أراده أرادني، ومن كاده كادني، ومن نصره نصرني، أيَّها الناس اسمعوا لما آمركم به وأطيعوه فأنا أُخوِّفكم عقاب الله تعالى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[1].

ثُمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) وقال: معاشر

(١) سورة آل عمران، الآية (٣٠).

الناس..! هذا مولى المؤمنين، وحجّة الله على الخلق أجمعين، اللهم إنّي قد بلّغت وهم عبادك وأنت القادرعلى صلاحهم فأصلحهم برحمتك يا أرحم الراحمين أستغفر الله لي ولكم.

ثُمّ نزل عن المنبر فأتاه جبرئيل (صلوات الله عليه) فقال: يا محمّد..!، إنّ الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: جزاك الله تعالى عن تبليغك خيراً فقد بلّغت رسالات ربك ونصحت لأمّتك وارضيت المؤمنين وأرغمت الكافرين.

يا محمّد، إنّ ابن عمّك مبتلى ومبتلى به، يا محمّد قل في كل أوقاتك: الحمد الله ربّ العالمين ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1] والحمد لله حق حمده[2].

ـ المطلب الثاني عشر: أقوال المفكرين في أمير المؤمنين

تمهيد:

احتار العلماء والفلاسفة في وصف أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) والحديث عنه وقد مدحه القريب والبعيد، والمسلم وغير المسلم، الموالي وغير الموالي، ونحن نورد فيما يلي بعض النصوص لبعض العلماء والأدباء في مدحه وبيان فضله (صلوات الله عليه).

ـ ابن أبي الحديد المعتزلي

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة في مقام بيان حق أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): ما أقول في رجلٍ أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه، ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنّه

---

(١) سورة الشعراء، الآية (٢٢٧).

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٨) صفحة (١١٤) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكلّ حيلةٍ في إطفاء نوره والتحريض عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعّدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلة، أو يرفع له ذكراً، حتى حظروا أن يسمّي أحد باسمه، فما زاده ذلك إلّا رفعةً وسموّاً، وكان كالمسك كلّما ستر إنتشر عَرْفه، وكلّما كتم تضوّع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حُجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.

وما أقول في رجلٍ تعزى إليه كلّ فضيلة، وتنتهي إليه كلّ فرقة، وتتجاذبه كلّ طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها، وسابق مضمارها، ومجلّي حلبتها، كلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى[1].

ـ أبو جعفر الحسني

ومن كلام لأبي جعفر الحسني في الأسباب التي أوجبت محبّة الناس لعليّ (صلوات الله عليه) فقد كان أبو جعفر لا يجحد الفاضل فضله، والحديث ذا شجون.

سأله سائلٌ فقال: ما سبب حبّ الناس لعليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، وعشقهم له، وتهالكهم في هواه؟ ودعني في الجواب من حديث الشجاعة والعلم والفصاحة، وغير ذلك من الخصائص التي رزقه الله سبحانه الكثير الطيّب منها.

فضحك وقال لي: كم تجمع جراميزك عليّ!!

(١) المدائني، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الجزء (١) صفحة (١٩) طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

ثُمّ قال: ها هنا مقدّمة ينبغي أن تُعلم؛ وهي أنّ أكثر الناس موتورون من الدنيا، أمّا المستحقّون فلا ريب في أنّ أكثرهم محرومون، نحو عالم يرى أنّه لا حظّ له في الدنيا، ويرى جاهلاً غيره مرزوقاً وموسّعاً عليه.

وشجاع قد أبلى في الحرب وإنتفع بموضعه، ليس له عطاء يكفيه ويقوم بضروراته، ويرى غيره وهو جبان فشل، يفرق من ظلّه، مالكاً لقطر عظيم من الدنيا، وقطعةٍ وافرةٍ من المال والرزق.

وعاقل سديد التدبير صحيح العقل، قد قدر عليه رزقه، وهو يرى غيره أحمق مائقاً تدرّ عليه الخيرات، وتتحلّب عليه أخلاف الرزق.

وذي دين قويم، وعبادة حسنة، وإخلاص وتوحيد، وهو محرومٌ ضيّق الرزق ويرى غيره يهوديّاً أو نصرانيّاً أو زنديقاً كثير المال حسن الحال.

حتى إنّ هذه الطبقات المستحقّة يحتاجون في أكثر الوقت إلى الطبقات التي لا استحقاق لها، وتدعوهم الضرورة إلى الذلّ لهم، والخضوع بين أيديهم، إمّا لدفع ضرر، أو لاستجلاب نفع، ودون هذه الطبقات من ذوي الاستحقاق أيضاً ما نشاهده عياناً من نجّار حاذق، أو بنّاء عالم، أو نقّاش بارع، أو مصوّر لطيف، على غاية ما يكون من ضيق رزقهم، وقعود الوقت بهم، وقلّة الحيلة لهم، ويرى غيرهم ممّن ليس يجري مجراهم، ولا يلحق طبقتهم مرزوقاً مرغوباً فيه، كثير المكسب، طيّب العيش، واسع الرزق، فهذا حال ذوي الاستحقاق والاستعداد.

وأمّا الذين ليسوا من أهل الفضائل، كحشو العامّة؛ فإنّهم أيضاً لايخلون من الحقد على الدنيا والذمّ لها، والحنق والغيظ منها لما يلحقهم من حسد أمثالهم وجيرانهم، ولا يرى أحد منهم قانعاً بعيشه، ولا راضياً بحاله، بل يستزيد ويطلب حالاً فوق حاله.

قال: فإذا عرفت هذه المقدّمة، فمعلوم أنّ عليّاً عليه السلام كان مستحقّاً

محروماً، بل هو أمير المستحقّين المحرومين، وسيّدهم وكبيرهم، ومعلوم أنّ الذين ينالهم الضيم، وتلحقهم المذلّة والهضيمة، يتعصّب بعضهم لبعض، ويكونون إلباً ويداً واحدة على المرزوقين الذين ظفروا بالدنيا، ونالوا مآربهم منها، لاشتراكهم في الأمر الذي آلمهم وساءهم، وعَضَّهم ومضّهم، واشتراكهم في الأنفة والحميّة والغضب والمنافسة لمن علا عليهم وقهرهم، وبلغ من الدنيا ما لم يبلغوه فإذا كان هؤلاء ـ أعني المحرومين ـ متساوين في المنزلة والمرتبة، وتعصّب بعضهم لبعض، فما ظنّك بما إذا كان منهم رجلٌ عظيم القدر جليل الخطر كامل الشرف، جامع للفضائل محتوٍ على الخصائص والمناقب، وهو مع ذلك محروم محدود، وقد جرّعته الدنيا علاقمها، وعلّته عللاً بعد نَهَلٍ من صابها وصبرها، ولقي منها برحاً بارحاً، وجهداً جهيداً، وعلا عليه من هو دونه، وحكم فيه وفي بنيه وأهله ورهطه من لم يكن ما ناله من الإمرة والسلطان في حسابه، ولا دائراً في خلده، ولا خاطراً بباله، ولا كان أحد من الناس يرتقب ذلك له ولا يراه له ثُمّ كان في آخر الأمر أن قُتل هذا الرجل الجليل في محرابه، وقُتل بنوه بعده، وسبي حريمه ونساؤه، وتتبّع أهله وبنو عمّه بالقتل والطرد والتشريد والسجون، مع فضلهم وزهدهم وعبادتهم وسخائهم، وانتفاع الخلق بهم.

فهل يمكن ألا يتعصّب البشر كلّهم مع هذا الشخص؟!

وهل تستطيع القلوب ألا تحبّه وتهواه، وتذوب فيه وتفنى في عشقه، انتصاراً له، وحميّةً من أجله، وأنفة مِمّا ناله، وامتعاضاً مِمّا جرى عليه..؟!

وهذا أمر مركوز في الطبائع، ومخلوق في الغرائز، كما يشاهد الناس على الجرف إنساناً قد وقع في الماء العميق، وهو لا يحسن السباحة؛ فإنّهم بالطبع البشري يرقّون عليه رقّة شديدة، وقد يلقي قوم منهم أنفسهم في الماء نحوه، يطلبون تخليصه، لا يتوقّعون على ذلك مجازاة منه بمال أو شكر، ولا ثواباً في الآخرة، فقد يكون منهم من لا يعتقد أمر الآخرة، ولكنّها رقّة بشرية،

وكأنّ الواحد منهم يتخيّل في نفسه أنّه ذلك الغريق، فكما يطلب خلاص نفسه لو كان هذا الغريق، كذلك يطلب تخليص من هو في تلك الحال الصعبة للمشاركة الإنسانيّة.

وكذلك لو أنّ ملكاً ظلم أهل بلد من بلاده ظلماً عنيفاً، لكان أهل ذلك البلد يتعصّب بعضهم لبعض في الانتصار من ذلك الملك، والاستعداء عليه، فلو كان من جملتهم رجلٌ عظيم القدر، جليل الشأن، قد ظلمه الملك أكثر من ظلمه إيّاهم، وأخذ أمواله وضياعه، وقتل أولاده وأهله، كان لياذهم به، وإنضواؤهم إليه، واجتماعهم والتفافهم به أعظم وأعظم؛ لأنّ الطبيعة البشريَّة تدعو إلى ذلك على سبيل الإيجاب الإضطراري، ولا يستطيع الإنسان منه امتناعاً.

وهذا محصول قول النقيب أبي جعفر، قد حكيته والألفاظ لي والمعنى له؛ لأنّي لا أحفظ الآن ألفاظه بعينها، إلّا أنّ هذا هو كان معنى قوله وفحواه[1].

ـ أبو عَليٍّ سينا

قال الفيلسوف الكبير صاحب الحكمة الغراء أبو علي سينا في حق أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): قال أشرف البشر وأعزّ الأنبياء وخاتم الرسل لمركز دائرة الحكمة وفلك الحقائق، وخزانة العقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: يا عليّ، إذا رأيت الناس مقرّبون إلى خالقهم بأنواع البرّ تقرّب إليه بأنواع العقل، تسبقهم.

ولا يستقيم هذا الخطاب لأحدٍ إلّا لعظيم كهذا، الذي محلّه بين الناس نظير المعقولات بين المحسوسات.

فقال له: يا عليّ، أتعب نفسك في تحصيل المعقولات كما أنّ الناس

(١) المصدر السابق الجزء (١٠) صفحة (١٣٠).

يُتعبون أنفسهم في كثرة العبادات؛ كي تسبق الجميع. . ولمّا كان إدراكه للحقائق ببصيرة العقل استوت عنده المحسوسات والمعقولات وكانت عنده بمنزلة سواء.

ولهذا قال عليه السلام: لو كُشف الغطاء ما ازددت يقينا.

ولا ثروة أعظم من إدراك المعقولات؛ فإدراك المعقولات هو الجنّة بتمام نعيمها بزنجبيلها وسلسبيلها، وأمّا الجحيم بقيودها وعذابها فهو متابعة متعلّقات الأجسام وشؤونها، وهذه المتابعة هَوَت بالناس في جحيم الهوى، وأسرتهم بقيد الخيال ومرارة الوهم[1].

ـ أبوالفَرَجِ الأصفَهاني

ذكر أبو الفرج الأصفهاني أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في كتابه مقاتل الطالبيّين فقال: قد أتينا على صدر من أخباره فيه مقنع وفضائله عليه السلام أكثر من أن تُحصى، والقليل منها لا موقع له في مثل هذا الكتاب، والإكثار يخرجنا عمّا شرطناه من الاختصار وإنّما نبّه على من خمل عند بعض الناس ذكره، أو لم يشع فيهم فضله.

فأمير المؤمنين عليه السلام بإجماع المخالف والممالي والمضادّ والموالي، على ما لا يمكن غمطه ولا ينساغ ستره من فضائله المشهورة في العامّة لا المكتوبة عند الخاصّة، تغني عن تفضيله بقول والاستشهاد عليه برواية[2].

ـ أبو قَيسٍ الأوْدِي

في كتاب الاستيعاب لمحمّد بن عبد البرّ النمري عن أبي قيس الأودي

---

(١) الريشهريّ، محمّد، موسوعة الإمام عليّ في الكتاب والسنة والتاريخ، الجزء (٩) صفحة (٣٦٧) الحديث رقم (٣٩٥١) طبعة دار الحديث قم.

(٢) الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، صفحة (١٧).

قال: أدركت الناس وهم ثلاث طبقات: أهل دينٍ؛ يحبّون عليّاً، وأهل دنيا، يحبّون معاوية، وخوارج[١].

ـ أبو نَعيمٍ الأصفهاني

ذكر أبو نعيم الأصفهاني في كتاب ـ حلية الأوّلياء ـ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقال: سيّد القوم، محبّ المشهود، ومحبوب المعبود، باب مدينة العلم والعلوم، ورأس المخاطبات ومستنبط الإشارات، راية المهتدين، ونور المطيعين، ووليّ المتّقين، وإمام العادلين،أقدمهم إجابة وإيماناً، وأقومهم قضيّة وإيقاناً، وأعظمهم حلماً، وأوفرهم علماً، عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه.

قدوة المتّقين وزينة العارفين، المنبئ عن حقائق التوحيد، المشير إلى لوامع علم التفريد، صاحب القلب العقول، واللسان السؤول، والأذن الواعي، والعهد الوافي، فقّاء عيون الفتن، ووقيٌّ من فنون المحن، فدفع الناكثين، ووضع القاسطين، ودمغ المارقين، الأخيشن في دين الله، الممسوس في ذات الله[٢].

ـ أحمدُ بنُ حَنبَل

ورد عن أحمد بن سعيد الرباطي في تاريخ دمشق قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لم يزل عليّ بن أبي طالب مع الحقّ والحقّ معه حيث كان.

وقال أيضاً: كنت بين يدي أبي جالساً ذات يوم، فجاءت طائفة من

---

(١) ابن عبد البر، يوسف، الاستيعاب في معرفة الأصحاب الجزء (١) صفحة (٣٤٣).

(٢) الأصفهاني، أحمد، حلية الأوّلياء وطبقات الفقهاء،الجزء (١) صفحة (٦١) طبعة دار الكتاب العربي بيروت.

الكرخيّين فذكروا خلافة أبي بكر وخلافة عمر بن الخطّاب وخلافة عثمان بن عفّان فأكثروا، وذكروا خلافة عليّ بن أبي طالب وزادوا فأطالوا.

فرفع أبي رأسه إليهم فقال:

يا هؤلاء! قد أكثرتم في عليّ والخلافة، والخلافة وعليّ، إنّ الخلافة لم تزيّن علياً بل عليّ زيّنها.

وقال أيضاً: سألت أبي عن عليّ ومعاوية فقال: إعلم أنّ علياً كان كثير الأعداء، ففتّش له أعداؤه شيئاً فلم يجدوه.. فجاؤوا إلى رجل قد حاربه وقاتله، فأطروه كيداً منهم له.

وقال أيضاً: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعليّ بن أبي طالب (رضى الله عنه)[1].

ـ الجَاحِظ

قال الجاحظ في رسائله: لا نعلم في الأرض متى ذُكر السبق في الإسلام والتقدّم فيه، ومتى ذُكر الفقه في الدّين، ومتى ذُكر الزهد في الأموال التي تشاجر الناس عليها، ومتى ذُكر الإعطاء في الماعون، كان مذكوراً في هذه الحالات كلّها، إلّا عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه.

ـ الحسنُ البَصرِي

ورد عن أبان بن عيّاش قال: سألت الحسن البصري عن عليّ عليه السلام؟

فقال: ما أقول فيه..؟! كانت له السابقة، والفضل، والعلم، والحكمة، والفقه، والرأي، والصحبة، والنجدة، والبلاء، والزهد، والقضاء، والقرابة، إنّ علياً كان في أمره علياً، رحم الله علياً، وصلىّ عليه.

---

(١) ابن عساكر، علي، تاريخ دمشق، الجزء (٤٢) صفحة (٤١٩) طبعة دار الفكر بيروت.

فقلت: يا أبا سعيد! أتقول: صلّى عليه، لغير النَّبيّ؟!

فقال: ترحَّمْ على المسلمين إذا ذُكروا، وصلِّ على النَّبيّ وآله، وعليٌّ خيرُ آله.

فقلت: أهو خير من حمزة وجعفر..؟

قال: نعم.

قلت: وخير من فاطمة وابنيها..؟

قال: نعم.. والله إنّه خير آلِ محمّد كلّهم، ومن يشكّ أنّه خيرٌ منهم؟! وقد قال رسول الله ﷺ: وأبوهما خير منهما!! ولم يجر عليه اسم شرك، ولا شرب خمر.

وقد قال رسول الله ﷺ لفاطمة عليها السلام: زوّجتك خير أُمّتي.

فلو كان في أُمّته خير منه لاستثناه.

ولقد آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فآخى بين عليّ ونفسه، فرسول الله ﷺ خيرُ الناس نفساً، وخيرهم أخاً.

فقلت: يا أبا سعيد، فما هذا الذي يقال عنك إنّك قلته في عليّ؟

فقال: يا بن أخي، أحقن دمي من هؤلاء الجبابرة، ولولا ذلك لشالت بي الخُشُب.

وفي الاستيعاب: سُئل الحسن بن أبي الحسن البصري عن عليّ بن أبي طالب (رضى الله عنه)فقال: كان عليّ واللهِ سهماً صائباً من مرامي الله على عدوّه، وربّاني هذه الأُمّة، وذا فضلها وذا سابقتها، وذا قرابتها من رسول الله ﷺ، لم يكن بالنومة عن أمر الله، ولا بالملومة في دِين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة، ذلك عليّ بن أبي طالب (رضى الله عنه).

روى الواقدي قال: سُئل الحسن البصري عن عليّ عليه السلام وكان يظنّ به

الإنحراف عنه، ولم يكن كما يظنّ فقال: ما أقول فيمن جمع الخصال الأربع: إئتمانه على براءة، وما قال له الرسول ﷺ في غزاة تبوك، فلو كان غير النبوّة شيء يفوته لاستثناه، وقول النَّبيّ ﷺ: الثقلان كتاب الله وعترتي، وإنّه لم يؤمّر عليه أمير قطّ وقد أُمّرت الأمراء على غيره.

وفي الأمالي للصدوق رحمه الله عن سعد عن الحسن البصري: إنّه بلغه أنّ زاعماً يزعم أنّه ينتقص عليّاً عليه السلام فقام في أصحابه يوماً فقال: لقد هممت أن أُغلق بابي، ثُمّ لا أخرج من بيتي حتى يأتيني أجلي، بلغني أنّ زاعماً منكم يزعم أنّي أنتقص خير الناس بعد نبيّنا ﷺ وأنيسه وجليسه، والمفرّج للكرب عنه عند الزلازل، والقاتل للأقران يوم التنازل، لقد فارقكم رجل قرأ القرآن فوقره، وأخذ العلم فوفره، وحاز البأس فاستعمله في طاعة ربّه، صابراً على مضض الحرب، شاكراً عند اللأواء والكرب، فعمل بكتاب ربّه، ونصح لنبيّه وابن عمّه وأخيه.

آخاه دون أصحابه، وجعل عنده سرّه، وجاهد عنه صغيراً، وقاتل معه كبيراً، يقتل الأقران، وينازل الفرسان دون دِين الله حتى وضعت الحرب أوزارها، متمسّكاً بعهد نبيّه، لا يصدّه صادّ ولا يمالي عليه مضادّ، ثُمّ مضى النَّبيّ ﷺ وهو عنه راضٍ، أعلم المسلمين علماً، وأفهمهم فهماً، وأقدمهم في الإسلام، لا نظير له في مناقبه، ولا شبيه له في ضرائبه، فظَلِفت نفسه عن الشهوات، وعمل للّه في الغفلات، وأسبغ الطهور في السبرات، وخشع في الصلوات، وقطع نفسه عن اللذّات، مشمّراً عن ساق طيب الأخلاق، كريم الأعراق، إتّبع سنن نبيّه ﷺ واقتفى آثار وليّه، فكيف أقول فيه ما يوبقني وما أحد أعلمه يجد فيه مقالاً، فكفّوا عنّا الأذى وتجنّبوا طريق الردى[1].

---

(١) الريشهريّ، محمّد، موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة والتاريخ، الجزء (٩)، صفحة (٣٧١)، طبعة دار الحديث قم.

ـ الخَليلُ بن أحمد

ورد عن يونس بن حبيب النحوي (وكان عثمانياً) قال: قلت للخليل بن أحمد: أُريد أن أسألك عن مسألة، فتكتمها عليَّ؟

قال: إنّ قولك يدلّ على أنّ الجواب أغلظ من السؤال، فتكتمه أنت أيضاً؟

قال: قلت: نعم.. أيّام حياتك.

قال: سلّ.

قال: قلت: ما بال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كأنّهم كلّهم بنو أُمٍّ واحدة وعليّ بن أبي طالب عليه السلام من بينهم كأنّه ابن علّة؟

قال: من أين لك هذا السؤال؟

قال: قلت: قد وعدتني الجواب.

قال: وقد ضمنت الكتمان.

قال: قلت: أيّام حياتك.

فقال: إنّ عليّاً عليه السلام تقدّمهم إسلاماً، وفاقهم علماً، وبذّهم شرفاً، ورجحهم زهداً، وطالهم جهاداً، فحسدوه..

والناس إلى أشكالهم وأشباههم أميل منهم إلى من بان منهم.. فافهم.

وعن أبي زيد النحوي الأنصاري قال:

سألت الخليل بن أحمد العروضي، فقلت له: لِمَ هجر الناس عليّاً عليه السلام وقرباه من رسول الله صلى الله عليه وآله قرباه.. وموضعه من المسلمين موضعه.. وعناه في الإسلام عناه؟

فقال: بهر واللّهِ نوره أنوارهم، وغلبهم على صفو كلّ منهل، والناس إلى أشكالهم أميل، أما سمعت قول الأوّل يقول:

وكلّ شكل لشكله ألِفٌ أما ترى الفيل يألف الفيلا

وفي تنقيح المقال، في ترجمة الخليل بن أحمد: قيل له: ما الدليل على أنّ علياً عليه السلام إمام الكلّ في الكلّ؟

قال: احتياج الكلّ إليه واستغناؤه عن الكلّ، دليلٌ على أنّه إمام الكل.

وقيل له: ما تقول في عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟

فقال: ما أقول في حقّ إمرئ كتمت مناقبه أولياؤه خوفاً، وأعداؤه حسداً، ثُمّ ظهر من بين الكتمين ما ملأ الخافقين[1].

ـ سُفيانُ الثَّوريّ

روى ابن شهر آشوب عن سفيان الثوري قال: كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام كالجبل بين المسلمين والمشركين، أعزّ الله به المسلمين، وأذلّ به المشركين[2].

ـ الشافِعيّ

ذكر صاحب الصواعق المحرقة قول الشافعي في حق أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) حيث قال:

قالوا: ترفّضت قلت كلّا ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن تولّيت غير شكّ خير إمام وخير هادي
إن كان حبّ الوليّ رفضاً فإنّني أرفض العبّادِ[3]

---

(١) المصدر السابق صفحة (٣٨٠).
(٢) شهر آشوب، محمّد، مناقب آل أبي طالب، الجزء (١) صفحة (٣٢٧) طبعة دار المرتضى بيروت.
(٣) الهيتميّ، احمد، الصواعق المحرقة، الجزء (٢) صفحة (٣٨٧) طبعة مؤسسة الرسالة بيروت.

ـ الشَّعبيّ

ذكر الخوارزمي في كتابه ـ المناقب ـ عن الشعبيّ قوله في حق أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقال: ما ندري ما نصنع بعليّ؟ إن أحببناه افتقرنا، وإن أبغضناه كفرنا!

وقد شاع الخبر واستفاض عن الشعبيّ أنّه كان يقول: لقد كنت أسمع خطباء بني أمية يسبّون أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على منابرهم فكأنّما يُشال بضبعه إلى السماء، وكنت أسمعهم يمدحون أسلافهم على منابرهم فكأنّما يكشفون عن جيفة.

وقال الشعبيّ عند ذكره لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه): كان أسخى الناس، كان على الخُلق الذي يحبّه اللّه: السخاء والجود، ما قال: لا لسائل قطّ[1].

ـ عامرُ بن عَبدِ اللّهِ بن الزُّبَير

ذكرابن عبد البرّ صاحب الاستيعاب عن عامر بن عبد الله بن الزبير ـ لمّا سمع ابناً له يتنقّص عليّاً ـ قال:

إيّاك والعودة إلى ذلك؛ فإنّ بني مروان شتموه ستّين سنة فلم يزده الله بذلك إلّا رفعة، وإنّ الدين لم يبن شيئاً فهدمته الدنيا، وإنّ الدنيا لم تبنِ شيئاً إلّا عاودت على ما بَنَت فهدمته[2].

ـ الفَخرُ الرَّازيّ

ذكر الفخر الرازي في تفسيره الكبير فقال: من اقتدى في دينه بعليّ بن أبي

---

(١) الريشهريّ، محمّد، موسوعة الإمام عليّ في الكتاب والسنّة والتاريخ، الجزء (٩) صفحة (٣٨١) طبعة دار الحديث قم المقدسة.

(٢) المصدر السابق.

طالب فقد إهتدى، والدليل عليه قوله (صلوات الله عليه): اللهمّ أدِر الحقّ مع عليّ حيث دار[١].

ـ المأمونُ العَبّاسيّ

في كتاب عيون أخبار الرضا عن إسحاق بن حمّاد بن زيد، في مجادلة المأمون المخالفين في إمامة عليّ عليه السلام وتفضيله على سائر الناس بعد النَّبيّ صلى الله عليه وآله قال: سمعنا يحيى بن أكثم القاضي قال: أمرني المأمون بإحضار جماعة من أهل الحديث، وجماعة من أهل الكلام والنظر، فجمعت له من الصنفين زهاء أربعين رجلاً، ثُمّ مضيت بهم، فأمرتهم بالكينونة في مجلس الحاجب لأُعلمه بمكانهم، ففعلوا فأعلمته، فأمرني بإدخالهم، فدخلوا فسلّموا فحدّثهم ساعة وآنسهم.

ثُمّ قال: إنّي أُريد أن أجعلكم بيني وبين الله تبارك وتعالى في يومي هذا حجّة؛ فمن كان حاقناً أو له حاجة فليقم إلى قضاء حاجته، وانبسِطوا وسُلّوا أخفافكم وضعوا أرديتكم، ففعلوا ما أُمروا به.

فقال: يا أيّها القوم! إنّما استحضرتكم لأحتجّ بكم عند الله تعالى، فاتّقوا الله وأنظروا لأنفسكم وإمامكم، ولا يمنّعكم جلالتي ومكاني من قول الحقّ حيث كان، وردّ الباطل على من أتى به، وأشفِقوا على أنفسكم من النار، وتقرّبوا إلى الله تعالى برضوانه، وإيثار طاعته؛ فما أحد تقرّب إلى مخلوق بمعصية الخالق إلّا سلّطه الله عليه، فناظروني بجميع عقولكم.

إنّي رجل أزعم أنّ عليّاً عليه السلام خير البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فإن كنت مصيباً فصوّبوا قولي، وإن كنتُ مخطئاً فردّوا عليّ، وهلمّوا؛ فإن شئتم سألتكم، وإن شئتم سألتموني.

---

(١) الرازي، الفخر، التفسير الكبير، الجزء (١) صفحة (٢٠٥) طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.

فقال له الذين يقولون بالحديث: بل نسألك.

فقال: هاتوا، وقلّدوا كلامكم رجلاً واحداً منكم، فإذا تكلّم؛ فإن كان عند أحدكم زيادة فليزِد، وإن أتى بخلل فسدّدوه.... إلى آخر الرواية[1].

فالمأمون العباسي يصرّح بأنّ خير البشر بعد النَّبيّ صلى الله عليه وآله هو أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

ـ المَسعودي

ذكر المسعوديّ في كتابه مروج الذهب فقال: وفضائل عليّ ومقاماته ومناقبه ووصف زهده ونسكه أكثر من أن يأتي عليه كتابنا هذا أو غيره من الكتب، أو يبلغه إسهاب مسهب، أو إطناب مطنب، وقد أتينا على جمل من أخباره وزهده وسيره، وأنواع من كلامه وخطبه في كتابنا المترجم بكتاب ـ حدائق الأذهان في أخبار آل محمّد ـ عليهم السلام.

وفي كتاب ـ مزاهر الأخبار وطرائف الآثار للصفوة النورية والذرّيّة الزكيّة أبواب الرحمة وينابيع الحكمة ـ.

والأشياء التي استحقّ بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الفضل هي:

السبق إلى الإيمان، والهجرة، والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وآله، والقربى منه، والقناعة، وبذل النفس له، والعلم بالكتاب والتنزيل، والجهاد في سبيل اللّه، والورع، والزهد، والقضاء، والحكم، والفقه، والعلم، وكلّ ذلك لعليّ عليه السلام منه النصيب الأوفر، والحظّ الأكبر، إلى ما ينفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وآله حين آخى بين أصحابه: (أنت أخي) وهو صلى الله عليه وآله لا ضدّ له، ولا ندّ، وقوله (صلوات الله عليه):

---

(١) الصدوق، محمّد، عيون أخبار الرضا، الجزء (١) صفحة (٢٠٦) طبعة منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت.

أنت منّي بمنزلةِ هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبيّ بعدي.

وقوله عليه الصلاة والسلام: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه.

ثُمّ دعاؤه ﷺ وقد قدّم إليه أنس ألطائر حيث قال ﷺ:

اللهمّ أدخِل إليّ أحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر.

فدخل عليه عليّ.. إلى آخر الحديث.

فهذا وغيره من فضائله وما أجتمع فيه من الخصال مِمّا تفرّق في غيره[1].

ـ مُعاويَةُ بن يَزيدِ بن مُعاويَة

في كتاب ـ حياة الحيوان الكبرى ـ بعد ذكر خلافة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان قال: ثُمّ قام بالأمر بعده ابنه معاوية، وكان خيراً من أبيه، فيه دين وعقل، بُويع له بالخلافة يوم موت أبيه، فأقام فيها أربعين يوماً، وقيل: أقام فيها خمسة أشهر وأيّاماً، وخلع نفسه، وذكر غير واحد أنّ معاوية بن يزيد لمّا خلع نفسه صعد المنبر فجلس طويلاً، ثُمّ حمد الله وأثنى عليه بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء، ثُمّ ذكر النَّبيّ ﷺ بأحسنِ ما يذكر به ثُمّ قال:

يا أيّها الناس، ما أنا بالراغب في الإئتمار عليكم؛ لعظيم ما أكرهه منكم، وإنّي لأعلم أنّكم تكرهوننا أيضاً؛ لأنّا بلينا بكم وبليتم بنا، إلّا أنّ جدّي معاوية قد نازع في هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره لقرابته من رسول الله ﷺ وعظم فضله وسابقته، أعظم المهاجرين قدراً، وأشجعهم قلباً، وأكثرهم علماً، وأوّلهم إيماناً، وأشرفهم منزلةً، وأقدمهم صحبةً، ابن عمّ رسول الله ﷺ وصهره، وأخوه، زوّجه ﷺ ابنته فاطمة، وجعله لها بعلاً باختياره لها، وجعلها له زوجةً باختيارها له، أبو سبطيه؛ سيّدي شباب أهل الجنّة، وأفضل

(١) المسعودي، علي حسين، مروج الذهب، الجزء (٢) صفحة (٤٤٧) طبعة دار القارئ بيروت.

هذه الأُمّة، تربية الرسول، وابني فاطمة البتول، من الشجرة الطيّبة الطاهرة الزكيّة، فركب جدّي معه ما تعلمون، وركبتم معه ما لا تجهلون، حتى انتظمت لجدّي الأُمور، فلمّا جاءه القدر المحتوم، واخترمته أيدي المنون، بقي مرتهناً بعمله، فريداً في قبره، ووجد ما قدّمت يداه، ورأى ما ارتكبه واعتداه.

ثُمّ انتقلت الخلافة إلى يزيد أبي، فتقلّد أمركم لهوى كان أبوه فيه، ولقد كان أبي يزيد بسوء فعله وإسرافه على نفسه، غير خليق بالخلافة على أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله، فركب هواه، واستحسن خطاه، وأقدم على ما أقدم من جرأته على اللّه، وبغيه على مَن استحلّ حرمته من أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت مدّته، وانقطع أثره، وضاجع عمله، وصار حليف حفرته، رهين خطيئته، وبقيت أوزاره وتبعاته، وحصل على ما قدّم وندم حيث لا ينفعه الندم، وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه.

فليت شعري ماذا قال وماذا قيل له؟

هل عوقب بإساءته وجوزي بعمله؟

وذلك ظنّي.

ثُمّ اختنقته العبرة، فبكى طويلاً وعلا نحيبه، ثُمّ قال: وصرت أنا ثالث القوم، والساخط عليَّ أكثر من الراضي، وما كنت لأتحمّل آثامكم، ولا يراني الله جلّت قدرته متقلّداً أوزاركم وألقاه بتبعاتكم، فشأنكم أمركم فخذوه، ومن رضيتم به عليكم فولّوه، فلقد خلعت بيعتي من أعناقكم...

واللّه لئن كانت الخلافة مغنماً لقد نال أبي منها مغرماً ومأثماً، ولئن كانت سوءاً فحسبه منها ما أصابه.

ثُمّ نزل فدخل عليه أقاربه وأُمّه، فوجدوه يبكي.

فقالت له أُمّه: ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك!!

فقال: وددتُ واللّه ذلك، ثُمّ قال: ويلي إن لم يرحمني ربّي..

ثُمّ إنّ بني أمية قالوا لمؤدّبه عمر المقصوص: أنت علّمته هذا ولقّنته إيّاه، وصددته عن الخلافة، وزيّنت له حبّ عليّ وأولاده، وحملته على ما وَسَمَنا به من الظلم، وحسّنت له البدع حتى نطق بما نطق وقال ما قال.

فقال: واللّه ما فعلته! ولكنّه مجبول ومطبوع على حبّ عليّ، فلم يقبلوا منه ذلك، وأخذوه ودفنوه حيّاً حتى مات[1].

ـ النَّسائيّ

ورد في كتاب ـ فتح الباري ـ قال أحمد وإسماعيل القاضي والنسائي وأبو عليّ النيسابوري:

لم يرد في حقّ أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مِمّا جاء في عليّ[2].

ـ النَّظّام

في كتاب الأمالي للشيخ الطوسيّ عن الجاحظ عمرو بن بحر قال: سمعت النظّام يقول: عليّ بن أبي طالب عليه السلام محنة على المتكلّم، إن وفاه حقّه غلا، وإن بخسه حقّه أساء، والمنزلة الوسطى دقيقة الوزن، حادّة اللسان، صعبة الترقّي، إلّا على الحاذق الذكي[3].

ـ الواقِدي

في كتاب الفهرست في أخبار الواقدي قال: هو الذي روى أنّ عليّاً عليه السلام

---

(١) الدميري، حياة الحيوان، الجزء (١) صفحة (٥٧).

(٢) العسقلاني، أحمد علي، فتح الباري في شرح صحيح البُخاريّ، الجزء (٧)، صفحة (٧١)، طبعة دار المعرفة بيروت.

(٣) الطوسيّ، محمّد حسن، الآمالي، الجزء (٢)، صفحة (٥٨٩)، إنتشارات دار الثقافة قم.

كان من معجزات النَّبيّ ﷺ كالعصا لموسى ﷺ وإحياء الموتى لعيسى بن مريم ﷺ[١].

ـ محمّد عبده

يقول الشيخ محمّد عبده مفتي الديار المصرية في مقدمة شرحه لنهج البلاغة:

كان يخيل إليّ في كل مقام أنّ حروباً شبت، وغارات شنت، وأن للبلاغة دولة، وللفصاحة صولة، وأنّ للأوهام عرامة[٢] وللريب دعارة[٣] وأنّ جحافل الخطابة وكتائب الذرابة في قود النظام وصفوف الانتظام تنافح بالصفيح الأبلج[٤] والقويم الأملج، وتمتلج المهج برواضع الحجج، فتفل من دعارة الوساوس وتصيب مقاتل الخوانس والباطل منكسر ومرج الشك في خمود وهرج الريب في ركود، وأن مدبر تلك الدولة، وباسل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب..

بل كنتُ كلما انتقلتُ من موضعٍ إلى موضعٍ أحس بتغير المشاهد، وتحول المعاهد فتارةً كنتُ أجدني في عالمٍ يغمره من المعاني أرواح عالية، في حللٍ من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية، وتدنو من القلوب الصافية، توحي إليها رشادها وتقوم منها مرادها، وتنفر بها عن مداحض المزال إلى جواد الفضل والكمال وطوراً كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة، وأنياب كاشره، وأرواح في أشباح النمور، ومخالب النسور، قد تحفزت للوثاب، ثُم انقضت

---

(١) النديم، محمّد إسحاق، الفهرست، صفحة (١٤٤)، طبعة دار المعرفة بيروت.

(٢) العرامة، الشراسة.

(٣) الدعارة سوء الخلق.

(٤) الأبلج، اللامع البياض.

للاختلاب فخلبت القلوب عن هواها، وأخذت الخواطر دون رماها، واغتالت فاسد الأهواء وباطل الآراء.

وأحياناً كنتُ أشهدُ أن عقلاً نورانياً، لايشبه خلقاً جسدانياً، فصل عن الموكب الإلهي، وإتّصل بالروح الإنساني، فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى، ونما به إلى مشهد النور الأجلي، وسكن به إلى عمار جانب التقديس، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس، وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادى بأعلياء الكلمة، وأولياء أمر الأمّة، يعرفهم مواقع الصواب ويبصرهم مواضع الارتياب ويحذرهم مزالق الإضطراب ويرشدهم إلى دقاق السياسة ويهديهم طرق الكياسة، ويرتفع بهم إلى منصات الرئاسة ويصعدهم شرف التدبير، ويشرف بهم على حسن المصير[1].

ـ عباس العقاد

يقول المفكّر وكاتب العربية المصري الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد في حق أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في كتابه عبقرية الإمام عليّ:

في سيرة علي ملتقى بالعاطفة المشبوبة والإحساس المتطلع إلى الرحمة والإكبار لأنّه الشهيد أبو الشهداء يجري تاريخه وتاريخ أبنائه في سلسلة طويلة من مصارع الجهاد والهزيمة ويتراءون للمتتبع من بعيد واحداً بعد واحدٍ شيوخاً جللهم وقار الشيب ثُم جللهم السيف الذي لا يرحم، أو فتياناً عوجلوا وهم في نضرة العمر يحال بينهم وبين متاع الحياة بل يحال بينهم أحياناً وبين الزاد والماء وهم على حياض المنية جياع ظماء، وفي سيرة عليّ بن أبي طالب ملتقى بالخيال حيث تحلقّ بالخيال حيث تُحلّق الشاعرية

(١) عبده، محمّد، شرح نهج البلاغة، الجزء (١) صفحة (١١) طبعة دار البلاغة بيروت.

الإنسانية في الأجواء أو تغوص في الأغوار فهو الشجاع الذي نزعت به الشاعرية الإنسانية منزع الحقيقة ومنزع التخيُّل واشترك في تعظيمه شهود العيان وعشاق الأعاجيب...

فلقد أصبح اسم علي علماً يلتف به كل مغصوب وصيحة ينادي بها كل طالب إنصاف وجعل الغاصبون على كل مجتمع باغ، وكل حكومة جائرة يلوذون بالدعوة العلوية كأنها الدعوة المرادفة لكلمة الإصلاح أو كأنها المتنفس الذي يستروح إليه كل مكظوم...

فمن نازع في رأي ففي اسم علي شفاء لنوازع نفسه، ومن ثار على ضيم، ففي اسم علي حافز لثورته ومرضاة لغضبه، ومن واجه التاريخ الإسلاميّ بالعقل أو بالذوق أو بالخيال أو بالعاطفة فهناك ملتقى بينه وبين علي في وجه من وجوهه، وعلى حالة من حالاته، وتلك هي المزية التي أنفرد بها تاريخ علي بين تواريخ غيره فأصبحت بينه وبين قلوب الناس وشائج تخلقها الطبيعة الآدمية إن قصر في خلقها التاريخ والمؤرخون[1].

ـ جبران خليل جبران

في حديثه عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يقول الأديب والكاتب الألمعي جبران خليل جبران: في عقيدتي أن ابن أبي طالب كان أوّل عربيّ لازم الروح الكليّة وجاورها وسامرها، وهو أوّل عربيّ تناولت شفتاه صدى أغانيها فرددها على مسمع قوم لم يسمعوا مثلها من ذي قبل، فتاهوا بين مناهج بلاغته وظلمات ماضيهم، فمن أعجب بها كان إعجابه موثوقاً بالفطرة ومن خاصمه ـ كالحضرمي وأضرابه ـ كان من أبناء الجاهلية، مات علي بن أبي طالب، شهيد عظمته، مات والصلاة بين شفتيه، مات وفي قلبه الشوق

(١) المصدر السابق صفحة (٤٥).

إلى ربّه، ولم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره حتى قام من جيرانهم الفرس أُناس يدركون الفارق بين الجوهر والحصى[١].

ـ الفيلسوف كارليل

يقول الفيلسوف المسيحي توماس كارليل: أما عليّ فلا يسعنا إلّا أن نحبّه ونتعشّقه فإنّه فتى شريف القدر كبير النفس يفيض وجدانه رحمة وبراً.. ويتلظى نجدة وحماسة، وكان أشجع من ليث، ولكنَّها شجاعة ممزوجة برقة ولطف، ورأفة وحنان[٢].

ـ المطلب الثالث عشر: أمير المؤمنين على لسان الشعراء

تمهيد:

الشعر هو روعة الفكر الجمالي عند الإنسان، وهو من أهم وسائل التعبير عن مكنون الضمير ومستودع السرّ، وهو بشتى أنواعه وألوانه يعتبر من أهم الوثائق التي يمكن من خلالها أن تُخلَّد الأفكار، وتوثَّق الأحداث، وتبيَّن القيم، وتشهر الفضائل، ولذلك يمكن القول أنّ الشعر يُعدّ عاملاً من أهمّ العوامل لبثّ الأفكار والتعاليم.

وقد دأب الفقهاء والعلماء والأدباء والفلاسفة على مدح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في مختلف القضايا والمواقف.. ويمكن القول أنّه لم يرد على لسان الشعراء مدحٌ لشخصيةٍ إسلاميةٍ كما ورد في مدح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

ونحن فيما يلي نذكر بعض النماذج مضافاً إلى ما مرّ.

---

(١) القزويني، محمّد الكاظمي، رد على رد السقيفة، صفحة (١٩٠) طبعة دار الأمين بيروت.

(٢) المصدر السابق.

ـ الكميت بن زيد الأسديّ

هو من أشهر وأشجع شعراء أهل البيت (صلوات الله عليهم)، يقول في مدح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

عليٌّ أمير المؤمنين وحقّهُ ... من الله مفروض على كلّ مسلمِ
وإنّ رسول الله أوصى بحقّهِ ... وأشركه في كلّ حقّ مقسّمِ
وزوّجه صدّيقةً لم يكن لها ... معادلة غير البتولة مريمِ
وردّم أبواب الذين بنى لهم ... بيوتاً سوى أبوابه لم يردّمِ
وأوجب يوماً بالغدير ولايةً ... على كلّ برّ من فصيح وأعجمِ

وله أيضاً:

نفى عن عينكَ الأرَقُ الهجوعا ... وهمٌّ يمتري منها الدموعا
دخيلٌ في الفؤادِ يهيجُ سُقماً ... وحزناً كان من جَذَلٍ منوعا
وتوكافُ الدموع على اكتئاب ... أحلَّ الدهر موجَعَهُ الضلوعا
ترقرق أسحماً دَرَراً وسكباً ... يشبّه سحّها غرباً هَموعا
لفقدانِ الخضارِم من قريشٍ ... وخيرِ الشافعين معاً شفيعا
لدى الرحمن يصدعُ بالمثاني ... وكان له أبوحسنٍ قَريعا
حَطوطاً في مسرّته ومولى ... إلى مرضاة خالقِهِ سريعا
وأصفاه النَّبيُّ على اختيارٍ ... بما أعيا الرفوض له المذيعا
ويوم الدوحِ دَوحِ غديرِ خمٍّ ... أبان له الولايةَ لو أُطيعا
ولكنَّ الرجالَ تبايعوها ... فلم أرَ مثلها خَطَراً مبيعا

ـ السيّد الحِمّيري

هو من أكابر الشعراء في القرن الثاني، لم يدع فضيلة لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلّا ونظم فيها شعراً.. يقول في بعض مدحه (صلوات الله عليه):

أُقسم بالله وآلائهِ والمرءُ عمّا قال مسؤولُ
إنّ عليّ بن أبي طالبٍ على التقى والبرّ مجبولُ
وإنّه كان الإمام الذي له على الأمّة تفضيلُ
يقول بالحقّ ويُعنى بهِ ولا تلهّيهِ الأباطيلُ
كان إذا الحرب مرتها القنا وأحجمت عنها البهاليلُ
يمشي إلى القرن وفي كفّهِ أبيض ماضي الحدّ مصقولُ
مشي الغُفَرْنى بين أشبالهِ أبرزه للقَنَص الغيلُ
ذاك الذي سلّم في ليلةٍ عليه ميكال وجبريلُ
ميكال في ألفٍ وجبريل في ألفٍ ويتلوهم سَرافيلُ
ليلة بدر مدداً أُنزلوا كأنّهم طيرٌ أبابيلُ
فسلّموا لمّا أتوا حذوهُ وذاك إعظام وتبجيلُ

وله أيضاً:

عليٌّ أحبّ الناس إلّا محمّداً إليّ وزعني من ملامك أو لُمِ
عليٌّ وصيّ المصطفى وابن عمّهِ وأوّل من صلّى ووحّد فاعلمِ
عليٌّ هو الهادي الإمام الذي به أنار لنا من ديننا كلّ مظلمِ
عليٌّ وليّ الحوض والذائد الذي يذبّب عن أرجائه كلَّ مجرمِ
عليٌّ قسيم النار من قوله لها: ذري ذا وهذا فاشربي منه واطعمي
خذي بالشوي ممّن يصيبك منهمُ ولا تقربي من كان حزبي فتَظلمي
عليٌّ غداً يُدعى فيكسوه ربّهُ ويدنيه حقّاً من رفيق مكرَّمِ
فإن كنتَ منه يوم يدنيه راغماً وتبدي الرضا عنه من الآن فارغمِ
فإنّك تلقاه لدى الحوض قائماً مع المصطفى الهادي النَّبيّ المعظّمِ
يجيزان من والاهما في حياتهِ إلى الروح والظلّ الظليل المكمّمِ
عليٌّ أمير المؤمنين وحقّهُ من الله مفروض على كلّ مسلمِ
لأنّ رسول الله أوصى بحقّهِ وأشركه في كلّ في ءٍ ومغنمِ

وزوجته صدّيقة لم يكن لها مقارنة غير البتولة مريمِ
وكان كهارون بن عمران عندهُ من المصطفى موسى النجيب المكلّمِ
وأوجب يوماً بالغدير ولاءهُ على كلّ برّ من فصيح وأعجمِ
لدى دوح خمٍّ آخذاً بيمينهِ ينادي مبيناً باسمه لم يجمجمِ
أما والذي يهوى إلى ركن بيتهِ بشعث النواصي كلُّ وجناء عيهمِ
يوافين بالركبان من كلّ بلدةٍ لقد ضلّ يوم الدوح من لم يسلّمِ
وأوصى إليه يوم ولّى بأمرهِ وميراث علم من عرى الدين محكمِ
فما زال يقضي دينه وعداتهِ ويدعو إليها مسمعاً كلّ موسمِ

وله أيضاً:

مَن كان أوّل من أباد بسيفهِ كفّار بدر واستباح دماءَ؟
من ذاك نوه جبرئيل باسمهِ في يوم بدر يسمعون نداءَ؟
لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتى إلّا عليّ رفعة وعلاءَ؟
مَن أنزل الرحمنُ فيهم هل أتى لمّا تحدّوا للنذور وفاءَ؟
مَن خمسة جبريل سادسهم وقد مدّ النَّبيّ على الجميع عباءَ؟
مَن ذا بخاتمه تصدّق راكعاً فأثابه ذو العرش عنه ولاءَ؟
يا رايةً جبريلُ سار أمامها قدماً وأتبعها النَّبيّ دعاءَ
اللّهُ فضّله بها ورسولهُ واللّه ظاهرَ عنده الآلاءَ
مَن ذا تشاغل بالنَّبيّ وغسلهِ ورأى عن الدنيا بذاك عزاءَ؟
مَن كان أعلمهم وأقضاهم ومن جعل الرعيّة والرعاة سواءَ؟
مَن كان باب مدينة العلم الذي ذكر النزول وفسّر الأنباءَ؟
مَن كان أخطبهم وأنطقهم ومن قد كان يشفي قولُه البُرَحاءَ
مَن كان أنزعهم من الإشراك أو للعلم كان البطن منه حفاءَ؟

ـ الشافعي:

هو أحد أئمّة أهل السنّة، يقول في حق أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

إذا في مجلس نذكر عليّاً وسبطيه وفاطمة الزكيّهْ
يقال تجاوزوا يا قوم هذا فهذا من حديث الرافضيّهْ
برئت إلى المهيمن من أناسٍ يرون الرفض حبّ الفاطميّهْ

وله أيضاً في حق أهل البيت (صلوات الله عليهم):

يا آل بيت رسول الله حبّكمُ فرض من الله في القرآن أنزلهُ
يكفيكمُ من عظيم الفخر أنّكمُ من لم يُصلّ عليكم لا صلاةَ لهُ

وله أيضاً:

إلامَ إلامَ وحتّى متى أُعاتبُ في حبّ هذا الفتى؟
وهل زُوّجَت فاطمٌ غيرهُ وفي غيره هل أتى هَلْ أَتَى؟

ـ دعبل الخزاعي

من أكابر الشعراء في القرن الثالث، يقول:

نطق القرانُ بفضل آل محمّد وولايةٍ لعليّهِ لم تُجحَدِ
بولاية المختار من خير الذي بعد النَّبيّ الصادق المتودّدِ
إذ جاءه المسكين حال صلاتهِ فامتدَّ طوعاً بالذراع وباليدِ
فتناول المسكين منه خاتماً هبة الكريم الأجود بن الأجودِ
فاختصّه الرحمن في تنزيلهِ من حاز مثل فخاره فليعددِ
إنّ الإلهَ وليُّكم ورسولَه والمؤمنين فمن يشأ فليجحدِ
يكنِ الإله خصيمه فيها غداً واللّه ليس بمخلفٍ في الموعدِ

وله أيضاً:

سقياً لبيعة أحمدٍ ووصيّهِ أعني الإمام وليَّنا المحسودا

أعني الذي نصر النَّبيّ محمّداً قبل البريّة ناشئاً ووليدا
أعني الذي كشف الكروب ولم يكن في الحرب عند لقائها رِعْدِيدا
أعني الموحّد قبل كلّ موحّدٍ لا عابداً وثناً ولا جُلمودا

ـ ابن الرومي

من أُدباء القرن الثالث، يقول في مدح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

يا هند لم أعشق ومثليَ لا يرى عشق النساء ديانةً وتحرُّجا
لكنّ حبّي للوصيّ مخيّمٌ في الصدر يسرح في الفؤاد تولُّجا
فهو السراج المستنير ومَن به سبب النجاة من العذاب لمن نجا
وإذا تركت له المحبّة لم أجد يوم القيامة من ذنوبي مخرجا
قل لي: أأترك مستقيم طريقهِ جهلاً وأتّبع الطريق الأعوجا؟
وأراه كالتِّبر المصفّى جوهراً وأرى سواه لناقديه مبهرجا
ومحلّه من كلّ فضل بيّنٌ عالٍ محلَّ الشمس أو بدر الدجا
قال النَّبيّ له مقالاً لم يكن يوم الغدير لسامعيه مُمَجْمِجا

ـ المتنبيّ

هو من فحول الشعراء، قيل له: ما لك لم تمدح أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب؟ قال:

وتركت مدحي للوصيّ تعمّداً إذ كان نوراً مستطيلاً شامِلا
وإذا استقلّ الشيء قام بذاته وكذا ضياء الشمس يذهب باطِلا

ـ أحمد الصنوبري

هو من جهابذة شعراء القرن الرابع، يقول في مدح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

أليس من حلّ منه في أُخوّتهِ محلّ هارون من موسى بن عمران

صلّى إلى القبلتين المقتدى بهما والناس عن ذاك في صمّ وعميانِ
ما مثل زوجته أُخرى يقاس بها ولا يقاس إلى سبطيه سبطانِ
فمُضمرُ الحبّ في نور يُخصّ بهِ ومُضمِر البغض مخصوصٌ بنيرانِ
هذا غداً مالك في النار يملكهُ وذاك رضوانُ يلقاه برضوانِ
قال النَّبيّ له: أشقى البريّة يا عليُّ إن ذكر الأشقى شقيّانِ
هذا عصى صالحاً في عقر ناقته وذاك فيك سيلقاني بعصيانِ
ليَخضبنْ هذهِ من ذا أبا حسن في حين يخضبها من أحمرٍ قاني
نِعْمَ الشهيدان ربّ العرش يشهد لي والخلق إنّهما نعم الشهيدانِ
من ذا يعزّي النَّبيّ المصطفى بهما من ذا يعزّيه من قاصٍ ومن دانِ
من ذا لفاطمة اللهفى ينبّؤها عن بعلها وابنها أنباء لهفانِ؟
من قابض النفس في المحراب متصبٌ وقابض النفس في الهيجاء عطشانِ؟
نجمان في الأرض بل بدران قد أفلا نعم وشمسان أمّا قلت شمسانِ
سيفان يغمد سيف الحرب إن برزا وفي يمينهما للحرب سيفانِ

ـ أبو الفتح محمود بن محمّد كشاجم

هو من نوابغ القرن الرابع، يقول في حق أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

ووالدهم سيّد الأوصياء ومعطي الفقير ومردي البطلْ
ومن علّم السُّمْرَ طعنَ الحلي لدى الروع والبيضَ ضربَ القللْ
ولو زالت الأرض يوم الهياج من تحت أخمصه لم يزلْ
ومن صدّ عن وجه دنياهمُ وقد لبست حليها والحللْ
وكان إذا ما أُضيفوا إليه فأرفعهم رتبة في المَثَلْ
سماء أُضيف إليها الحضيضْ وبحر قرنتَ إليه الوَشَلْ
بجودٍ تعلّم منه السحابْ وحلم تولّد منه الجبلْ

وكـم شـبـهـةٌ بـهـداه جـلا وكـم خـطّـة بـحـجـاه فـصـلْ
وكـم أطـفـأ الله نـار الـضـلالْ بـه وهْـي تـرمـي الـهـدى بـالـشُّـعَـلْ

ـ أبو فراس الحَمْداني

من جهابذة الأُدباء في القرن الرابع، يقول في مدح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

تـبّـاً لـقـوم تـابـعـوا أهـواءهـم فـيـمـا يـسـوؤهـمُ غـداً عـقـبـاهُ
أتـراهـمُ لـم يـسـمـعـوا مـا خـصّـهُ مـنـه الـنَّـبـيّ مـن الـمـقـال أبـاهُ؟!
إذ قـال يـوم غـديـر خـمٍّ معلناً من كنت مولاه فذا مولاهُ
هـذي وصـيّـتـه إلـيـه فـافـهـمـوا يـا مـن يـقـول بـأنّ مـا أوصـاهُ
أقـروا مـن الـقـرآن مـا فـي فـضـلـهِ وتـأمّـلـوه وافـهـمـوا فـحـواهُ
لـو لـم تـنـزّل فـيـه إلّا هـل أتـى مـن دون كـلّ مـنـزّل لـكـفـاهُ
مَـن كـان أوّل مـن حـوى الـقـرآن مـن لـفـظ الـنَّـبـيّ ونـطـقـه وتـلاهُ؟
مَن كان صاحب فتح خيبَر؟ من رمى بـالـكـفّ مـنـه بـابَـهُ ودَحـاهُ؟
مَن عاضد المختار من دون الورى؟ مَـن آزر الـمـخـتـار مَـن آخـاهُ؟
مَـن بـات فـوق فـراشـه مـتـنـكّـراً لـمّـا أطـلّ فـراشـه أعـداهُ؟
مَـن ذا أراد إلـهـنـا بـمـقـالـهِ الـصـادقـون الـقـانـتـون سـواهُ؟
مَن خصّه جبريل مِن ربّ العلى بـتـحـيّـة مـن ربّـه وحـيـاهُ؟
أظـنـنـتـمُ أن تـقـتـلـوا أولادهُ ويُـظـلّـكـم يـوم الـمـعـاد لـواهُ؟
أو تـشـربـوا مـن حـوضـه بـيـمـيـنـه كـأسـاً وقـد شـرب الـحـسـيـنُ دمـاهُ؟!

ومنها:

أنـسـيـتـمُ يـوم الـكـسـاء وأنّـهُ مـمّـن حـواه مـع الـنَّـبـيّ كـسـاهُ؟!
يـا ربّ إنّـي مـهـتـدٍ بـهـداهـم لا أهـتـدي يـوم الـهـدى بـسـواهُ
أهـوى الـذي يـهـوى الـنَّـبـيّ وآلـهُ أبـداً واشـنـأُ كـلَّ مـن يـشـنـاهُ

ـ الناشئ الصغير

هو من أكابر الفقهاء والمحدّثين والشعراء، يقول في مدح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

ذاك عليٌّ الذي يقول له ... جبريل يوم النزال ممتدحا
لا سيف إلّا سيف الوصيّ ولا ... فتىً سواه إن حادث فدحا
لو وزنوا ضربَهُ لعمرو وأعْ ... مالِ البرايا لَضربُه رجحا
ذاك عليّ الذي تراجع عن ... فتح سواه وسار فافتتحا
في يوم حضّ اليهود حين ... أقلَّ البابَ من حصنهم وحين دحا
لم يشهد المسلمون قطّ رحى ... حربٍ وألفوا سواه قطب رحى
صلّى عليه الإله تزكيةً ... ووفّق العبد ينشؤ المِدَحا

ويقول في قصيدة أخرى يوجد منها ستّة وثلاثون بيتاً:

ألا يا خليفة خير الورى ... لقد كفر القومُ إذ خالفوكا
أدلّ دليلٍ على أنّهم ... أبَوك وقد سمعوا النصّ فيكا
خلافهمُ بعد دعواهمُ ... ونكثهمُ بعدما بايعوكا

إلى أن يقول:

فيا ناصر المصطفى أحمدٍ ... تعلّمتَ نصرته من أبيكا
وناصبت نصّابه عنوةً ... فلعنة ربّي على ناصبيكا
فأنت الخليفة دون الأنامْ ... فما بالهم في الورى خلّفوكا؟
ولاسيَّما حين وافيتهُ ... وقد سار بالجيش يبغي تَبُوكا
فقال أُناس: قلاه النَّبيّ ... فصرت إلى الطهر إذ خفّضوكا
فقال النَّبيّ جواباً لما ... يؤدّي إلى مسمع الطهر فوكا
ألم ترض أنّا على رغمهم ... كموسى وهارون إذ وافقوكا؟
ولو كان بعدي نبيّ كما ... جُعلتَ الخليفة كنت الشريكا

ولكنّني خاتم المرسلين وأنت الخليفة إن طاوعوكا

ـ أبو عليّ تميم

يقول في ردّه على عبد الله بن المعتزّ في تفضيله للعبّاسيّين على العلويّين:

ليس عبّاسكم كمثل عليٍّ هل تقاس النجوم بالأقمارِ
من له الفضل والتقدّم في الإسلامِ والناس شيعة الكفّارِ
من له الصهر والمواساة والنصيرةُ والحرب ترتمي بالشرارِ
من دعاه النّبيّ خِدْنا وسمّاهُ أخاً في الخفاء والإظهارِ

ـ ابن الحجّاج البغدادي

هو أحد العباقرة وحملة العلم والأدب في القرن الرابع، يقول:

يا صاحب القبّة البيضا على النجفِ من زار قبرك واستشفى لديك شُفي
زوروا أبا الحسن الهادي لعلّكمُ تحظون بالأجر والإقبال والزُّلَفِ
زوروا الذي تسمع النجوى لديه فمَن يزره بالقبر ملهوفاً لديه كُفي
إذا وصلتَ إلى أبواب قبّته تأمّل الباب تلقى وجهه وقِفِ
وقل سلام من الله السلام على أهل السلام وأهل العلم والشرفِ
إنّي أتيتك يا مولاي من بلدي مستمسكاً من حبال الحقّ بالطرفِ
لأنّك العروة الوثقى فمن علقت بها يداه فلن يشقى ولم يخفِ
وأنّ شأنك شأن غير منتقصٍ وإنّ نورك نور غير منكسفِ
وأنّك الآية الكبرى التي ظهرتْ للعارفين بأنواع من الطرفِ
كان النّبيّ إذا استكفاك معضلة من الأمور وقد أعيت لديه كُفي
وقصّة الطائر المشويّ عن أنسٍ جاءت بما نصّه المختار من شرفِ

ـ أبو محمّد العوني

هو من أكابر الأدباء في القرن الرابع، يقول في مدح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

إنّ رسول الله مصباح الهدى ... وحجّة الله على كلّ البشرْ
جاء بفرقان مبين ناطق ... بالحقّ من عند مليك مقتدرْ
فكان مَن أوّل مَن صدّقه ... وصيّه وهو بسنّ ما ثغرْ
ولم يكن أشرك بالله ولا ... دنّس يوماً بسجود لحجرْ
فذاكمُ أوّل من آمن بالله ... ومن جاهد فيه ونصرْ
أوّل مَن صلّى من القوم ومَن ... طاف ومن حجّ بنسك واعتمرْ
من شارك الطاهر في يوم العبا ... في نفسه؟ من شكّ في ذاك كفرْ
من جاد بالنفس ومن ضنّ بها ... في ليلة عند الفراش المشتهر؟
من صاحب الدار الذي انقضّ ... بها نجم من الجوّ نهاراً فانكدرْ؟
من صاحب الراية لما ردّها ... بالأمس بالذلّ قبيع وزفرْ
من خصّ بالتبليغ في براءةٍ؟ ... فتلك للعاقل من إحدى العبرْ
من كان في المسجد طلقاً بابه ... حلّاً وأبواب أناس لم تذرْ؟[1]

ـ السيد رضا الهندي

هو من العلماء الأعلام وفي طليعة أدباء زمانه وشعراء عصره نظم قصيدة في مدح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) تربو على الخمسين بيتاً من أروع ما خطته يد الشعراء أسماها ـ الكوثرية ـ يقول:

أمُفَلَّجُ ثَغْرُكَ أمْ جَوْهَرْ ... وَرَحِيقُ رُضَابُكَ أمْ سُكَّرْ

---

(١) اقتطفنا هذه المقطوعات الشعرية من كتاب ـ موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة والتاريخ ـ الجزء (٩) صفحة (٤١٤) طبعة دار الحديث قم.

قَدْ قَالَ لِثَغْرِكَ صَانِعُهُ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرْ
وَالْخَالُ بِخَدِّكَ أَمْ مِسْكٌ نَقَّطْتَ بِهِ الْوَرْدَ الأَحْمَرْ
أَمْ ذَاكَ الْخَالُ بِذَاكَ الْخَدِّ فَتَّيْتَ النَّدَّ عَلَى مَجْمَرْ
عَجَباً مِنْ جَمْرَتِهِ تَذْكُو وَبِهَا لَا يَحْتَرِقُ الْعَنْبَرْ
يَا مَنْ تَبْدُو لِي وَفَرَتُهُ فِي صُبْحٍ مُحَيَّاهُ الأَزْهَرْ
فَأُجِنُّ بِهِ فِي اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرْ
إِرْحَمْ أَرِقاً لَوْ لَمْ تَمْرَضْ بِنُعَاسٍ جُفُونُكَ لَمْ يَسْهَرْ
تَبْيَضُّ لِهِجْرِكَ عَيْنَاهُ حَزَناً وَمَدَامِعُهُ تَحْمَرّ
يَا لَلْعُشَّاقِ لِمَفْتُونٍ بِهَوَا رَشَاءٍ أَحْوَى أَحْمَرْ
إِنْ يَبْدُ لِذِي طَرَبٍ غَنَّى أَوْ لَاحَ لِذِي نُسُكٍ كَبَّرْ
آمَنْتُ هَوَى بِنُبُوَّتِهِ وَبِعَيْنَيْهِ سِحْرٌ يُؤْثَرْ
أَصْفَيْتُ الْوُدَّ لِذِي مَلَلٍ عَيْشِي بِقَطِيعَتِهِ كَدَّرْ
يَا مَنْ قَدْ آثَرَ هِجْرَانِي وَعَلَيَّ بِلُقْيَاهُ اسْتَأْثَرْ
أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا أَوْلَتْكَ النَّظْرَةَ مِنْ حُسْنِ الْمَنْظَرْ
وَبِوَجْهِكَ إِذْ يَحْمَرُّ حَيَاً وَبِوَجْهِ مُحِبِّكَ إِذْ يَصْفَرْ
وَبِلُؤْلُؤِ مَبْسَمِكَ الْمَنْظُومْ وَلُؤْلُؤِ دَمْعِيَ إِذْ يُنْثَرْ
أَنْ تَتْرُكَ هَذَا الْهَجْرَ فَلَيْسَ يَلِيقُ بِمِثْلِي أَنْ يُهْجَرْ
فَأَجِلِ الأَقْدَاحَ بِصَرْفِ الرَّاحِ عَسَى الأَفْرَاحُ بِهَا تُنْشَرْ
وَاشْغِلْ يُمْنَاكَ بِصَبِّ الْكَأْسِ وَخَلِّ يُسْرَاكَ لِلْمَزْهَرْ
فَدَمُ الْعُنْقُودِ وَلَحْنُ الْعُودِ يُعِيدُ الْخَيْرَ وَيَنْفِي الشَّرْ
بَكِّرْ لِلسُّكْرِ قُبَيْلَ الْفَجْرِ فَصَفْوُ الدَّهْرِ لِمَنْ بَكَّرْ
هَذَا عَمَلِي فَاسْلُكْ سُبُلِي إِنْ كُنْتَ تَقِرُّ عَلَى الْمُنْكَرْ
فَلَقَدْ أَسْرَفْتُ وَمَا أَسْلَفْتُ لِنَفْسِي مَا فِيهِ أَعْذَرْ
سودت صحيفه اعمالي ووكلت الأمر إلى حيدر

هو كهفي من نوب الدّنيا وشفيعي في يوم المحشر
قد تمّت لي بولايته نعم جمّت عن أن تشكر
لأصيب بها الحظ الأوفى واخصص بالسّهم الأوفر
بالحفظ من النار الكبرى والأمن من الفزع الأكبر
هل يمنعني وهو الساقي أن أشرب من حوض الكوثر
أم يطردني عن مائدة وضعت للقانع والمعتر
يا من قد أنكر من آيات أبا حسن ما لا ينكر
إن كنت لجهلك بالأيام حجدت مقام أبي شبّر
فاسأل بدراً واسال أُحداً وسل الأحزاب وسل خيبر
مَنْ دَبَّرَ فِيهَا الْأَمْرَ وَمَنْ أَرْدَى الْأَبْطَالَ وَمَنْ دَمَّرْ
مَنْ هَدَّ حُصُونَ الشِّرْكِ ومن شَادَ الإِسْلَامَ وَمَنْ عَمَّرْ
مَنْ قَدَّمَهُ طه وَعَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ لَهُ أَمَّرْ
قَاسَوْكَ أَبَا حَسَنٍ بِسِوَاكَ وَهَلْ بَالطَّوْدِ يُقَاسُ الذَّرّ
أَنِّي سَاوَوْكَ بِمَنْ نَاوَوْكَ وَهَلْ سَاوَوْا نَعْلَيْ قَنْبَرْ
مَنْ غَيْرُكَ مَنْ يُدْعَى لِلْحَرْبِ وَلِلْمِحْرَابِ وَلِلْمِنْبَرْ
أَفْعَالُ الْخَيْرِ إِذَا انْتَشَرَتْ فِي النَّاسِ فَأَنْتَ لَهَا مَصْدَرْ
وَإِذَا ذُكِرَ الْمَعْرُوفُ فَمَا لِسِوَاكَ بِهِ شَيْءٌ يُذْكَر
أَحْيَيْتَ الدِّينَ بِأَبْيَضَ قَدْ أَوْدَعْتَ بِهِ الْمَوْتَ الْأَحْمَرْ
قُطْباً لِلْحَرْبِ يُدِيرُ الضَّرْبَ وَيَجْلُو الْكَرْبَ بِيَوْمِ الْكَرّ
فَاصْدَعْ بِالْأَمْرِ فَنَاصِرُكَ الدَّيَّارُ وَشَانِئُكَ الْأَبْتَرْ
لَوْ لَمْ تُؤْمَرْ بِالصَّبْرِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ وَلَيْتَكَ لَمْ تُؤْمَرْ
مَا نَالَ الْأَمْرَ أَخُو تَيْمٍ وَلَا تَنَاوَلَهُ مِنْهُ حَبْتَرْ
مَا آلَ الْأَمْرُ إِلَى التَّحْكِيمِ وَزَايَلَ مَوْقِفَهُ الْأَشْتَرْ
لَكِنَّ أَغْرَاضَ الْعَاجِلِ مَا عَلِقَتْ بِرِدَائِكَ يَا جَوْهَرْ

أنْتَ الْمُهْتَمُّ بِحِفْظِ الدِّينِ وَغَيْرُكَ بِالدُّنْيَا يَغْتَرّ
أفْعَالُكَ مَا كَانَتْ فِيهَا إلَّا ذِكْرَي لِمَنِ اذَّكَّرْ
حُجَجاً أَلْزَمْتَ بِهَا الْخُصَمَآءَ وَتَبْصِرَةً لِمَنِ اسْتَبْصَرْ
آيَاتُ جَلَالِكَ لَا تُحْصَى وَصِفَاتُ كَمَالِكَ لَا تُحْصَرْ
مَنْ طَوَّلَ فِيكَ مَدَائِحَهُ عَنْ أدْنَى وَاجِبِهَا قَصَّرْ
فَاقْبَلْ يَا كَعْبَةَ آمَالِي مِنْ هَذْيِ مَدِيحِي مَا اسْتَيْسَرْ[1]

ـ السيد صالح الحلي

هو خطيب العلماء وعالم الخطباء، خطيب شهير، وأديب جريء، وأستاذ متبحر، يقول في مدح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

أبا حسن ليس كيف وحد يحدد ذاتك الا الأحد
ولولا حدوثك قلت القديم وقلت هو الله لولا الولد
فيا ممكناً قيل فيه الوجوب لقد ضل من في الوجوب اعتقد
فيا ممكناً قيل فيه الوجوب فقال وقال بلا مستند
فما بالهم اهملوا عقلهم وليس لذلك ند وضد
ويا شامخاً لم تضعك العقول ولم يحص فضلك حد وعد
تحير بك الفطن الغائصات ولولاك ربَّ الورى ما عبد
ولولاك ما عرف الدين قط وأنت لسبع الشداد الوتد
فأنت لرفع السماء العمد عجبت بابك قسراً تُسد
ويا قالع الباب من خيبرٍ أيحرق بابك عبد نكد
أباب مدينة علم النَّبيّ ومردي بسيفك عمرو بن ود
ويا قائد الشوس يوم الوغى وقاتل شجعانها في أحد
ألست المكسر أوثانها وكيف تقود يد الله يد

(١) النجفي، محمّد باقر، ديوان شعراء الحسين، الجزء (١) صفحة (٦٢) طبعة مؤسسة الأمير طهران.

فواعجباً كيف يجري القضاء تصيح به يا علي المدد
اذا ما دهتها دواهي الخطوب وأنكره كل من قد شهد
جميع الشهود له بخبخت ويسقط بالعصر منها الولد
أيكسر ضلع ابنة المصطفى ويسوّد بالضرب منها العضد
وتلطم جهراً على خدها ويسود بالضرب منها العضد[1]

نكتفي بهذا القدر من الشعر حتى لا يخرج البحث عن هدفه، ومن أراد المزيد فعليه بالكتب المخصصة لهذه الغاية.

(١) المصدر السابق صفحة (٨٧).

القسم الثالث

أحاديث في شهادة أمير المؤمنين

وفيه تمهيدٌ ومبحثان:

❖ المبحث الأوّل: النَّبيّ يخبر باستشهاد أمير المؤمنين

❖ المبحث الثاني: أمير المؤمنين يخبر باستشهاده

تمهيد:

اختلف علمائنا في مسألة علم الإمام المعصوم بقتله وقاتله ووقت القتل وما إلى ذلك، إلى قسمين:

الأوّل: ذهب جماعة منهم إلى القول بأنّ علم الإمام المعصوم (صلوات الله عليه) بمنيته هو علم إجماليٌّ لا تفصيليّ فلذي يعلمه الإمام عليّ (صلوات الله عليه) هو ما كان في لوح المحو والإثبات، والعلم به لا ينافي مباشرته لأمر لا يعلم حاله في اللوح المحفوظ; ولذا فإنّ أيّ أمرٍ كان يُقدم عليه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) هو تكليفٌ من الله تبارك وتعالى أو من رسوله المصطفى ﷺ، سواء أكان الأمر عامّاً أو خاصّاً، لا ينافي ما يترتب على الإطاعة من مصلحة واقعية، أو مفسدة ظاهرية، مع عدم العلم بواقع ذلك العمل في اللوح المحفوظ.

ثُمّ إنّه لم يثبت عندنا أن الله تبارك وتعالى يُظهرللنبيّ ﷺ فضلاً عن أئمّة أهل البيت (صلوات الله عليهم) في كل واقعة حقيقتها الواقعيّة.

وإذا اقتضت المصلحة الإلهية خفاء أمرها عن النبيّ ﷺ أو عن الإمام المعصوم (صلوات الله عليه) فحينئذٍ تخفى عنهما، ولذلك فإنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) سأل النبيّ ﷺ ليلة المبيت والهجرة قائلاً: أوتسلم يا رسول الله[1].

---

(١) التبريزيّ، جواد، صراط النجاة، الجزء (٣) صفحة (٤٢١) طبعة دار الرسول الأكرم ودار المحجّة البيضاء بيروت.

هذا.. وقد ثبت عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أنه قال بعد أن ضربه ابن ملجم:

أَيُّهَا اَلنَّاسُ كُلُّ اِمْرِئٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ.. اَلْأَجَلُ مَسَاقُ اَلنَّفْسِ وَاَلْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ.. كَمْ أَطْرَدْتُ اَلْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هَذَا اَلْأَمْرِ.. فَأَبَى اَللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ.. هَيْهَاتَ عِلْمٌ مَخْزُونٌ.. إِنْ ثَبَتَتِ اَلْوَطْأَةُ فِي هَذِهِ اَلْمَزَلَّةِ فَذَاكَ.. وَإِنْ تَدْحَضِ اَلْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ وَمَهَبِّ مَهَابِّ رِيَاحٍ وتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ اِضْمَحَلَّ فِي اَلْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا وَعَفَا فِي الأرض مَخَطُّهَا وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً.. وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءً سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ لِيَعِظَكُمْ هُدُوئِي لِيَعِظْكُمْ هُدُوِّي وَخُفُوتُ إِطْرَاقِي وَسُكُونُ أَطْرَافِي فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ اَلْمَنْطِقِ اَلْبَلِيغِ وَاَلْقَوْلِ اَلْمَسْمُوعِ وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعُ اِمْرِئٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي وَيَكْشِفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي..[1].

كَمْ أَطْرَدْتُ اَلْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هَذَا اَلْأَمْرِ.

بمعنى ما زلتُ أبحثُ عن كيفيّة قتلي.. وأي وقت يكون بعينه.. وفي أي أرض يكون.. يوماً يوماً فإذا لم أجده في اليوم أطردت اليوم واستقبلت غده.. فأبحث فيه أيضا فلا أعلم فأبعده وأطرده وأستأنف يوما آخر..!!

وهكذا حتى وقع المقدور..

وهذا الكلام يدل بظاهره على أنّه (صلوات الله عليه) لم يكن يعرف حالة قتله معرفة مفصلة من جميع الوجوه..

ويدل أيضاً على أنّه بعد ضرب ابن ملجم له لا يقطع على أنّه يموت من ضربته..

---

(١) عبده، محمّد، شرح نهج البلاغة، الجزء (٢) صفحة (٢٤)، طبعة دار المعرفة بيروت.

فإنّه (صلوات الله عليه) يقول: إن ثبتت الوطأة في هذه المزلّة فذاك.. وإن تدحض فإنّما كنا في أفياء أغصان ومهاب رياح..

أي إن سلمتُ فذاك الذي تطلبونه.. يخاطب أهله وأولاده، ولا ينبغي أن يقال فذاك ما أطلبه لأنّه (صلوات الله عليه) كان يطلب الآخرة.. وفي بعض كلامه المنقول عنه ما يؤكد ما قلناه وهو قوله: إن عشتُ فأنا وليُّ دمي وإن متُّ فضربة بضربة.

فإنّ قلت: أليس قوله (صلوات الله عليه): أنا اليوم عبرة لكم وغداً مفارقكم.. وما يجري مجراه من ألفاظ يناقض قولكم ويثبت أن الإمام كان على علم بمنيّته..؟

قلتُ: إنّ قول الإمام (صلوات الله عليه) ... وغداً مفارقكم.. لا يعني غداً بعينه بل ربّما ما يُستقبل من الزمان كما يقول الإنسان الصحيح أنا غداً ميّتٌ فمالي أحرص على الدنيا.

فإن قلت: فما تصنع بقوله (صلوات الله عليه) لابن ملجم

أريد حباءه و يريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وقول الخُلّص من شيعته فهلّا تقتله فقال: فكيف أقتل قاتلي.

وتارة قال: إنّه لم يقتلني.. فكيف أقتل من لم يقتل..؟!.

وكيف قال في البط الصائح خلفه في المسجد ليلة ضربه ابن ملجم: دعوهن فإنهن نوائح..؟!.

وكيف قال تلك الليلة إنّي رأيتُ رسول الله ﷺ فشكوتُ إليه وقلتُ ما لقيتُ من أمّتك من الأود واللدد فقال: أُدع الله عليهم.

فقلتُ: اللهم أبدلني بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً مني..؟!.

وكيف قال إنّي لا أُقتلُ محارباً وإنّما أقتلُ فتكاً وغيلة.. يقتلني رجلٌ خاملُ الذكر.

هذا.. وقد جاء عنه (صلوات الله عليه) من هذا الباب آثارٌ كثيرة.

قلت: كل هذا لا يدل على أنّه (صلوات الله عليه) كان يعلم الأمر مفصلاً من جميع الوجوه.. ألا ترى أنّه ليس في الأخبار والآثار ما يدل على الوقت الذي يقتل فيه بعينه..؟!.

ألا ترى أنّه لا يوجد في الآثار والأخبار ما يدل على المكان الذي يقتل فيه بعينه..؟!.

نعم كان (صلوات الله عليه) يعلم أنّ ابن ملجم هو القاتل..

وأن القتل سوف يقع في شهر رمضان المبارك..

ولكن السؤال متى يكون القتل..؟

وفي أي شهرٍ من شهور رمضان..؟

وفي أي يوم من العشرة الأخيرة..؟

وفي أي وقتٍ من اليوم..؟

ثُمّ أنّه حتى لو علم (صلوات الله عليه) بأنّ ابن ملجم هو القاتل.. ولكن هل كان الإمام (صلوات الله عليه) على علم بأنّ هذه الضربة بالخصوص هي الضربة التي سوف تُزهق نفسه الشريفة..؟

ألا يوجد احتمال أن تكون الضربة غير مزهقة لنفسه الشريفة.. وأنّ هناك ضربة للقاتل قاتلة وإنّ طال أمدها..؟!.

وأما قوله (صلوات الله عليه) في الإوز: دعوهن فإنّهنّ نوائح.. فلعله علم أنّه تلك الليلة يُصاب ويُجرح.. وإن لم يَعلم أنّه يموت منه.. ثُمّ إنّ النوائح قد

ينحن على المقتول وقد ينحن على المجروح.. والمنام والدعاء لا يدل على العلم بوقت المنية.

وذهب البعض إلى القول: أنّ الأئمة كانوا على معرفة إجماليّة بالكيفيّة التي سيُقتلون بها، ولم يكن لديهم علم تفصيلي بالموضوع، حتى وإن كان سبب عدم العلم يعود إلى عدم إرادتهم (صلوات الله عليه) لمعرفته[١].

ولذلك يقول الشيخ المفيد رحمه الله: والقول: بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يعلم قاتله والوقت الذي كان يقتل فيه فقد جاء الخبر متظاهراً أنّه كان يعلم في الجملة أنّه مقتول، وجاء أيضا بأنّه يعلم قاتله على التفصيل، فأما علمه بوقتِ قتله فلم يأت عليه أثر على التحصيل[٢].

ويقول آية الله العظمى ميرزا جواد التبريزي رحمه الله في هذا المقام: فإنّ علم الإمام (صلوات الله عليه) بأجله يحتمل فيه البداء لعدم مطابقته اللوح المحفوظ، هذا من جهة.. ومن جهة ثانية يمكن أن يُخفي الله تعالى على وليّه المعصوم أجله بالخصوص..[٣].

الثاني: ذهب جملة من العلماء إلى القول بأنّ الإمام المعصوم (صلوات الله عليه) يعلم بتفاصيل قتله وقاتله وفي أي وقت وما إلى ذلك، ولكن الله تبارك وتعالى جعل للإمام (صلوات الله عليه) الخيار في أن يختار إما لقاء الله تعالى وإما البقاء في الدنيا فعندما يختار الإمام المعصوم (صلوات الله عليه) لقاء الله تعالى معنى ذلك سقط عنه (صلوات الله عليه) وجوب حفظ النفس، وإلى ذلك أشارالشيخ المفيد رحمه الله في قولٍ آخر: ولو جاء به أثر ـ أي لو جاء في الروايات

---

(١) الريشهريّ، محمد، موسوعة الإمام عليّ في الكتاب والسنّة والتأريخ، الجزء (٨) صفحة (٣٦) طبعة دار الحديث قم المقدسة.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢)، صفحة (٢٥٨) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٣) التبريزيّ، جواد، اعتقاداتنا، صفحة (٥٣).

الشريفة أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان يعلم علماً تفصيلياً بقتله وقاتله من جميع الوجوه ـ لم يلزم فيه ما يظنه المعترضون ـ من أنه رميٌ للنفس في التهلكة ـ إذ كان لا يمتنع أن يتعبده الله تعالى بالصبرعلى الشهادة والاستسلام للقتل، ليبلغه بذلك علو الدرجات ما لا يبلغه إلّا به، ولعلمه بأنّه يطيعه في ذلك طاعة لو كلفها سواه لم يردها، ولا يكون بذلك أميرالمؤمنين عليه السلام ملقياً بيده إلى التهلكة، ولا معيناً على نفسه معونة تستقبح في العقول..[1].

وربّما استدلّ أصحاب هذا القول بما روي عن مولانا أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا (صلوات الله عليه) رواها الحسن بن الجهم قال: قُلتُ للإمام الرضا عليه السلام: إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله، والليلة التي يُقتل فيها، والموضع الذي يُقتل فيه، وقوله لمّا سمع صياح الإوزّ في الدار: صوائح تتبعها نوائح، وقول أُمّ كلثوم: لو صلّيت الليلة داخل الدار وأمرت غيرك يصلّي بالناس..! فأبى عليها، وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح، وقد عرف عليه السلام أنّ ابن ملجم لعنه الله قاتله بالسيف، كان هذا ممّا لم يجز تعرّضه!؟

فقال: ذلك كان، ولكنّه خيّر في تلك الليلة لتمضي مقادير الله عزّ وجلّ[2].

وقد جاء في بعض نسخ المصدر كلمة (حيّر) بدل (خيّر)، واللفظ الأوّل هو الأصح، إنّهم (صلوات الله عليهم) في جميع حالاتهم يجرون على ما اختارت لهم الأقضية الربانيّة والتقديرات الإلهيّة فكلما علموا أنّه مختارٌ له تعالى مرضيٌّ لديه اختاروه، ورضوا به، سواء كان في قتل أو ظلم من

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢)، صفحة (٢٥٨) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.
(٢) الكلينيّ، محمّد، الكافي، الجزء (١) صفحة (٢٦٠) الحديث (٤) طبعة دار التعارف بيروت.

أعدائهم، وإن كانوا عالمين بذلك وقادرين على دفعه بالدعاء والتضرع ولكنهم تركوا الدفع واختاروا الوقوع لعلمهم برضائه سبحانه بذلك واختياره ذلك لهم.

ولا بدّ من التأكيد أن أحكام الله تعالى من الحلال والحرام أحكام توقيفيّة عن الشارع المقدس، فما وافق أمره ورضاه فهو حلال.. وما خالف ذلك فهو حرام.. على أن مطلق الإلقاء باليد إلى التهلكة ليس محرماً.. فكما أن الجهاد والدفاع عن النفس والأهل والمال والإعطاء باليد إلى القصاص والتمكين من إقامة الحدود لا يُعد من الإلقاء باليد إلى التهلكة فكذلك هنا.

وإليك فيما يلي بعض الروايات المؤيّدة لذلك.

الرواية الأولى: رواها ثقة الإسلام الكلينيّ رحمه الله في كتابه الكافي بإسناده عن عبد الملك بن أعين عن مولانا أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه) أنّه قال: أنزل الله تعالى النصر على الحسين (صلوات الله عليه) حتى كان ما بين السماء والأرض، ثُمّ خُيّر النصر.. أو لقاء الله تعالى فاختار لقاء الله[1].

يعني أنزل الله الملائكة من السماء ينصرونه كجده صلى الله عليه وآله حتى صاروا بين السماء والأرض.. وخُيّر بين الأمرين فاختار لقاء الله لمّا علم أنّه مرضيّ له تعالى.

الرواية الثانية: رواها محمّد بن يعقوب الكلينيّ رحمه الله في كتابه الكافي بإسناده عن ضريس الكناسيّ عن مولانا أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه) في حديثٍ.. قال: عجبتُ من قوم يتولونا ويجعلونا أئمّة، ويصفون أن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم يكسرون حجتهم ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فينقصونا حقنا، ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حق معرفتنا، والتسليم لامرنا..

---

(١) المصدر السابق، الحديث (٨).

أترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده، ثم يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم..؟!.

قال له حمران: جُعلتُ فداك أرأيت ما كان من أمر قيام عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين وخروجهم وقيامهم بدين الله عزّ وجلّ وما أصيبوا من قتل الطواغيت إيّاهم والظفر بهم حتى قتلوا وغُلبوا..؟

فقال أبو جعفر (صلوات الله عليه): يا حمران، إنّ الله تبارك وتعالى قد كان قدّر ذلك عليهم، وقضاه وأمضاه وحتّمه على سبيل الاختيار، ثُمّ أجراه فبتقدّم علم إليهم من رسول الله ﷺ قام عليٌّ والحسن والحسين، وبعلم صمت من صمت منا.. ولو أنهم يا حمران حيث نزل بهم من أمر الله عزّ وجلّ وإظهار الطواغيت عليهم سألوا الله عزّ وجلّ أن يدفع عنهم وألحوّا عليه في إزالة تلك الطواغيت وذهاب ملكهم إذاً لأجابهم ودفع عنهم ذلك ثُمّ كان انقضاء مدة الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من سلكٍ انقطع فتبدد.. وما كان ذلك الذي أصابهم يا حمران لذنبٍ اقترفوه... ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها... ولكن لمنازل وكرامة من الله أراد أن يبلغوها فلا تذهبنّ بك المذاهب فيهم[1].

وحاصل السؤال أنه إن كان لهم (صلوات الله عليهم) العلم والمعرفة التفصيليّة بجميع الأمور فلماذا أقدموا على ما فيه هلاكهم..؟!

وحاصل الجواب أنّه قد أقدموا (صلوات الله عليهم) على ما أقدموا عليه مع علمهم لكونه مرضيّاً له تبارك وتعالى ليبلغوا درجة الشهادة ومحلّ الكرامة منه جلا جلاله..

---

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، الجزء (١) صفحة (٢٦٢) طبعة دار التعارف بيروت.

وقد سُئل العلّامة الحليّ (طيّب الله تربته) عن مثل ذلك في أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فأجاب بأنه يحتمل أن يكون عليه السلام أخبر بوقوع القتل في تلك الليلة، أو في أي مكان يقتل، وأن تكليفه عليه السلام مغاير لتكليفنا، فجاز أن يكون بذل مهجته الشريفة (صلوات الله عليه) في ذات الله تعالى كما يجب على المجاهد الثبات، وإن كان ثباته يفضي إلى القتل، انتهى كلامه رُفع مقامه[1].

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، الجزء (٣) صفحة (١٢٦).

المبحث الأوّل

النَّبيّ يخبر باستشهاد أمير المؤمنين

تمهيد:

نتحدث في هذا المبحث حول إخبار رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بقتله ووفاته، ومن هذه الأخبارأنّ الشهادة من ورائك، ومنها أن الذي يضربه (صلوات الله عليه) هو شقيق عاقر ناقة نبيّ الله صالح عليه السلام، ومنها أن قاتله (صلوات الله عليه) أشقى الأولين والآخرين، ومنها أن قاتله أشقى هذه الأمّة، ومنها أن قاتله أشقى الناس، ونختم بذكر ما أخبره نبيّ الله موسى بن عمران (صلوات الله عليه) بخصوص قاتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة المذكورة في هذا الباب نعرض جملة منها ضمن مطالب.

ـ المطلب الأوّل: الشهادة من ورائك

جاء في جملة من الأخبار الواردة على لسان النبيّ ﷺ تخبرأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بأنّ الشهادة من ورائك.

فقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أنّه قال: إنّه لمّا أنزل الله سبحانه قوله: ﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾[1] علمتُ أنّ الفتنة لا تنزل بنا ورسولُ اللّه ﷺ بين أظهُرنا.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية (١ ـ ٢).

فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها؟

فقال: يا عليّ، إنّ أُمّتي سيُفتنون من بعدي.

فقلت: يا رسول الله، أوَليس قد قلتَ لي يوم أُحدٍ حيث استُشهِدَ من استُشهد من المسلمين، وحِيزَتْ عنّي الشهادة، فشقّ ذلك عليّ، فقلتَ لي: أبشِر، فإنّ الشهادة من ورائك؟

فقال لي: إنّ ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذن؟

فقلتُ: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البُشرى والشكر.

وفي كتاب ـ أُسد الغابة ـ لأبن الأثير قال: ورد عن ابن عبّاس (رضوان الله عليه)أنه قال:

قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لرسول الله ﷺ: إنَّك قلتَ لي يوم أُحد، حين أُخّرتْ عنّي الشهادة، واستُشهد من استُشهد: إنّ الشهادة من ورائك، فكيف صبرك إذا خُضِبت هذه من هذه بدم، وأهوى بيده إلى لحيته ورأسه؟

فقال عليّ: يا رسول الله، أمّا أن تثبت لي ما أثبتّ، فليس ذلك من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والكرامة[1].

ـ المطلب الثاني: إنّك مقتولٌ

وفي جملة من الأخبار صرح النبيّ ﷺ لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أنّك مقتول فقد ورد في كتاب ـ المعجم الكبير ـ للطبراني عن الصحابيّ الجليل جابر بن عبد الله الأنصاريّ (رضوان الله عليه)أنّه قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ

(١) الطبريّ، محمّد بن أبي القاسم، بشارة المصطفى، صفحة (٣٤٤) طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين قم.

(صلوات الله عليه): إنَّك إمرؤ مستخلف، وإنَّك مقتولٌ، وهذه مخضوبة من هذه (يعني لحيته من رأسه)[١].

وأورد الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين الحديث عن أنس بن مالك قال: دخلتُ مع النَّبيّ ﷺ على عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) يعوده وهو مريض وعنده أبو بكر وعمر، فتحوّلا حتى جلس رسول الله ﷺ.

فقال أحدهما لصاحبه: ما أراه إلّا هالك.

فقال رسول الله ﷺ: إنّه لن يموت إلّا مقتولاً، ولن يموت حتى يملأ غيظاً[٢].

وفي مسند ابن حنبل عن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري قال: خرجتُ مع أبي عائداً لعليّ بن أبي طالب من مرضٍ أصابه ثقل منه، قال: فقال له أبي: ما يقيمك في منزلك هذا؟

لو أصابك أجلك لم يَلك إلّا أعراب جُهينة، تُحمل إلى المدينة، فإن أصابك أجلك وَلِيكَ أصحابك وصلّوا عليك.

فقال عليّ: إنّ رسول الله ﷺ عهد إليّ أن لا أموت حتى أُؤمَّر ثُمّ تخضب هذه ـ يعني لحيته ـ من دم هذه ـ يعني هامته ـ فقُتل، وقتل أبو فضالة مع عليّ يوم صفّين[٣].

---

(١) الطبراني، سليمان أحمد، المعجم الكبير، حديث رقم (٢٠٣٨) طبعة مكتبة العلوم والحكم، الموصل.

(٢) الحاكم النيسابوري، محمّد، المستدرك على الصحيحين، حديث (٤٦٥٦).

(٣) الشيبانيّ، أحمد حنبل، المسند، باب مسند عليّ بن أبي طالب، الحديث رقم (٨٠٢)، طبعة مؤسسة قرطبة القاهرة.

ـ المطلب الثالث: بأبي الوحيد الشهيد

ورد في مسند أبي يعلى عن عائشة قالت: رأيتُ النَّبيّ ﷺ ألتزم عليّاً وقبّله ويقول: بأبي الوحيد الشهيد، بأبي الوحيد الشهيد[١].

وفي الأمالي للشيخ المفيد ﷺ أورد الحديث عن عائشة قال: قالت عائشة: جاء عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) يستأذن على النَّبيّ ﷺ.

فقال النَّبيّ ﷺ: أدخل يا عليّ.

فلمّا دخل قام إليه رسول الله ﷺ فاعتنقه وقبّل بين عينيه، وقال: بأبي الشهيد، بأبي الوحيد الشهيد[٢].

ـ المطلب الرابع: قاتله أشقى الآخرين

في جملة من الأخبار صرّح النبيّ ﷺ لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بأنّ قاتلك أشقى الآخرين.

فقد أورد ابن سعد في الطبقات الكبرى الحديث عن عبيد الله قال: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لعليّ (صلوات الله عليه): يا عليَّ، مَن أشقى الأوّلين والآخرين..؟

قال (صلوات الله عليه): الله ورسوله أعلم.. قال ﷺ: أشقى الأوّلين عاقر الناقة، وأشقى الآخرين الذي يطعنك يا عليّ.. وأشار إلى حيث يُطعن[٣].

كلمة ـ طعن ـ بمعنى جرح فيقال: طعنه أي جرحه[٤].

وفي المعجم الكبير للطبراني أرود الحديث عن صهيب قال: إنَّ النَّبيَّ ﷺ

---

(١) التميميّ، أحمد، مسند أبي يعلى، الحديث رقم (٤٥٧٦)، طبعة دار المأمون للتراث، دمشق.

(٢) المفيد، محمّد، الأمالي، صفحة (٧٢) طبعة لنكرة جهاني شيخ مفيد، قم.

(٣) الزهريّ، محمّد سعد، الطبقات الكبرى، الجزء (٣) صفحة (٣٥) طبعة دار صادر بيروت.

(٤) أنظر المعجم الوسيط. مادة جرحه.

قال يوماً لعليّ (صلوات الله عليه): من أشقى الأوّلين..؟ قال (صلوات الله عليه): الذي عقر الناقة يا رسول الله.

قال ﷺ: صدقت، فمن أشقى الآخرين..؟ قال (صلوات الله عليه): لا علم لي يا رسول الله.

قال ﷺ: الذي يضربك على هذه.. وأشار النَّبيَّ ﷺ بيده إلى يافوخه..فكان عليّ (صلوات الله عليه) يقول لأهل العراق: أما واللّه لوددت أنّه قد ابتعث أشقاكم فخضب هذه - يعني لحيته - من هذه، ووضع يده على مقدم رأسه[1].

وأورد أحمد بن حنبل الحديث عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا عليَّ، تدري مَن أشقى الأوّلين..؟ قلت: الله ورسوله أعلم.. قال ﷺ: عاقر الناقة.

قال ﷺ: تدري من شرّ..؟ وقال مرّة: من أشقى الآخرين..؟

قلت: الله ورسوله أعلم.. قال: قاتلُك..[2].

ـ المطلب الخامس: قاتله أشقى هذه الأُمّة

أورد الطبراني في المعجم الكبير الحديث عن الصحابيّ الجليل جابر بن عبد الله الأنصاريّ (رضوان الله عليه) قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ (صلوات الله عليه): من أشقى ثمود؟

قال (صلوات الله عليه): من عقر الناقة.

قال ﷺ: فمن أشقى هذه الأُمّة؟

---

(١) الطبرانيّ، سليمان أحمد، المعجم الكبير، الحديث رقم (٧٣١١) طبعة مكتبة العلوم والحكم، الموصل.

(٢) الشيبانيّ، أحمد حنبل، فضائل الصحابة، الحديث رقم (٩٥٣) طبعة مؤسسة الرسالة بيروت.

قال (صلوات الله عليه): الله أعلم.

قال ﷺ: قاتلك[١].

وفي مسند أبي يعلى عن أبي سنان قال: مرض عليّ بن أبي طالب مرضاً شديداً حتى أدنف، وخفنا عليه، ثُمّ إنّه بَرَأَ وَنَقِهَ، فقلنا: هنيئاً لك أبا الحسن، الحمد للّه الذي عافاك، قد كنّا نخاف عليك.

قال: لكنّي لم أخف على نفسي، أخبرني الصادق المصدوق أنّي لا أموت حتى أُضرب على هذه ـ وأشار إلى مقدّم رأسه الأيسر ـ فتخضّب هذه منها بدم ـ وأخذ بلحيته ـ وقال لي:

يقتلك أشقى هذه الأمّة، كما عقر ناقة الله أشقى بني فلان من ثمود[٢].

وعن الصحابيّ الجليل عبد الله بن عباس (رضوان الله عليه) قال: إنّ رسول اللّه ﷺ قال لعلي: يا علي، إنّ الله عرض مودتنا أهل البيت على السموات والأرض، فأوّل من أجاب منها السماء السابعة فزينها بالعرش والكرسي..

ثُمّ السماء الرابعة فزينها بالبيت المعمور.. ثُمّ السماء الدنيا فزينها بالنجوم.. ثُمّ أرض الحجاز فشرّفها ببيت المقدس.. ثُمّ أرض طيبة فشرّفها بقبري.. ثُمّ بأرض كوفان فشرّفها بقبرك يا عليّ.

فقال له: يا رسول الله أقبري بكوفان العراق..؟

فقال له: نعم يا علي.. تقبر بظاهرها قتلاً بين الغريين والذكوات البيض، يقتلك شقي هذه الأمّة عبد الرحمن بن ملجم.. فوالذي بعثني

---

(١) الطبراني، سليمان أحمد، المعجم الكبير، الحديث رقم (٢٠٣٧) طبعة مكتبة العلوم والحكم، الموصل.

(٢) التميمي، أحمد علي، مسند أبي يعلى، الحديث رقم (٥٦٩) طبعة دار المأمون للتراث، دمشق.

بالحق نبياً ما عاقر ناقة صالح بأعظم عقاباً منه. يا علي، ينصرك من العراق مائه ألف سيف..[١].

ـ المطالب السادس: قاتله أشقى الناس

أورد أحمد بن حنبل الحديث في مسنده بإسناده عن الصحابيّ الجليل عمّار بن ياسر (رضوان الله عليه) قال: كنت أنا وعليّ رفيقين في غزوة ذات العشيرة، فلمّا نزلها رسول الله ﷺ وأقام بها رأينا ناساً من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل..

فقال لي عليّ: يا أبا اليقظان، هل لك أن نأتي هؤلاء فننظر كيف يعملون؟

فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة ثُمّ غشينا النوم فانطلقت أنا وعليّ فاضطجعنا في صَور من النخل في دَقعاء من التراب فنمنا.

فوالله ما أهبَّنا إلّا رسول الله ﷺ يحرّكنا.. وقد تربنا من تلك الدقعاء.. فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعليّ: يا أبا تراب لما يرى عليه من التراب.

قال ﷺ: ألا أُحدّثكما بأشقى الناس رجلين؟

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: أُحَيمِر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا عليّ على هذه ـ يعني قرنه ـ حتى تبلَّ منه هذه ـ يعني لحيته ـ[٢].

وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم أورد الحديث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم قال: إنّ أبا سنان الدؤلي حدّثه أنّه عاد عليّاً (صلوات الله عليه) في شكوىً له أشكاها، قال: فقلتُ له: لقد تخوّفنا عليك يا أمير المؤمنين في شكواك هذه.

---

(١) ابن طاووس، عبد الكريم، فرحة الغري، الباب رقم (١) الحديث رقم (٤) صفحة (٢١).

(٢) الشيبانيّ، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، الحديث رقم (١٨٣٤٧) طبعة مؤسسة قرطبة القاهرة.

فقال: لكنّي واللّه ما تخوّفت على نفسي منه؛ لأنّي سمعتُ رسول الله ﷺ الصادق المصدوق يقول: إنّك ستُضرب ضربةً ها هنا... [وأشار إلى صدغه][1] فيسيلُ دمها حتى تختضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها، كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود[2].

وروى الشيخ في (الآمالي) بإسناده عن مولانا أبي الحسن الرضا (صلوات الله عليه) قال: خطب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الناس بالكوفة، فقال: معاشر الناس، إنّ الحق قد غلبه الباطل، وليغلبن الباطل عمّا قليل، أين أشقاكم؟!.

أو قال: شقيكم، فوالله ليضربن هذه فليخضبنها من هذه.. ـ وأشار بيده إلى هامته ولحيته ـ[3].

وأورد الحديث ابن شهر آشوب في المناقب قال: إنّه جَرح عمرو بن عبد ود رأس عليٍّ (صلوات الله عليه) يوم الخندق، فجاء إلى رسول الله ﷺ فشدّه وتفل فيه فبرأ، وقال: أين أكون إذا خُضبت هذه..؟!.

ـ المطلب السابع: قاتلك أشقى الأوّلين والآخرين

روى الشيخ الصدوق والسيّد ابن طاووس (رحمهما الله) في جملة من كتبهما بأسانيد معتبرة عن مولانا الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا (صلوات الله عليه) عن آبائه (صلوات الله عليهم) عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

أن النّبيّ ﷺ خطب خطبة في استقبال شهر رمضان المبارك بيّن فيها

---

(١) الصدغ: ما بين العَين إلى شَحْمة الأذُن ـ المعجم الوسيط ـ مادة صدغ.
(٢) الحاكم النيسابوري، محمّد، المستدرك على الصحيحين، الحديث رقم (٤٥٦٩).
(٣) الطوسيّ، محمّد حسن، الأمالي، الحديث رقم (٧٦٤) طبعة دار الثقافة قم.

فضائل الشهر الكريم فلمّا وصل رسول الله ﷺ إلى موضع من خطبته، قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): فقمت فقلت: يا رسول الله! ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟

فقال: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عزّ وجلّ.

ثُمّ بكى ﷺ، فقلت: يا رسول الله! ما يبكيك..؟!.

فقال: يا عليّ أبكي لما يُستحل منك في هذا الشهر!! كأني بك وأنت تصلي لربك، وقد إنبعث أشقى الأوّلين شقيق عاقر ناقة ثمود، فضربك ضربة على قرنك فخضب منها لحيتك.

قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): فقلت: يا رسول الله، وذلك في سلامة من ديني؟

فقال ﷺ: في سلامة من دينك.

ثُمّ قال: يا عليّ من قتلك فقد قتلني ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن سبّك فقد سبني لأنّك مني كنفسي، روحك من روحي، وطينتك من طينتي، إنّ الله تبارك وتعالى خلقني وإيّاك واصطفاني وإيّاك، واختارني للنبوة، واختارك للإمامة، ومن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوتي.

يا علي أنت وصيي، وأبو ولدي، وزوج ابنتي، وخليفتي على أمّتي في حياتي وبعد موتي، أمرك أمري، ونهيك نهيي، أقسم بالذي بعثني بالنبوّة، وجعلني خير البريّة، إنّك لحجّة الله على خلقه، وأمينه على سرّه، وخليفته على عباده..[1].

---

(١) الصدوق، محمّد، عيون أخبار الرضا، الجزء (٢) صفحة (٢٦٦) طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت.

ـ في سلامة من دينك

إنّ سؤال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لرسول الله ﷺ حيث سأله قائلاً: وذلك في سلامة من ديني..؟

لا يدل هذا السؤال على أنّه (صلوات الله عليه) غير مطمئن لسلامة دينه، لأنّ الإنسان قد يموت كافراً أو فاسقاً كما زعمه بعض الناس.. بل هو يريد أن يعرفنا على لسان رسول الله ﷺ بأن علينا أن لا نغتر بما يظهره الخوارج من نسك وعبادة، فإذا قتلوا الأخيار والأبرار، وأوصياء الأنبياء، فعلينا أن لا نتوهم، أو نشك في استقامة الأبرار على طريق الحق والهدى..

إنّه ﷺ يوجّه خطابه للجهلة والأغبياء والذين في قلوبهم مرض قائلاً لهم: إن الذين يقتلون إمامهم هم الضالون المارقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية..

أما عليّ (صلوات الله عليه) فهو على بيّنة من ربه، وبصيرةٍ من أمره، وسلامةٍ من دينه، لو كشف له الغطاء ما ازداد يقيناً.

ـ المطلب الثامن: كليم الله يخبر بشهادة أمير المؤمنين

روى شيخ الأمّة الصدوق رحمه الله في كتابه الخصال بإسناد معتبر في خبر اليهوديّ الذي سأل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بعد واقعة النهروان عن خلافته.. [وأنّ كل نبيّ يبتلى بسبع في حياته، وسبع بعد وفاته، فهل وقعت بالنسبة إليك..؟

فأجابه (صلوات الله عليه)، وعدّد له ما ابتلي به وصدّقه الحاضرون إلى أن قال (صلوات الله عليه):]

قد وفيتُ سبعاً وسبعاً يا أخا اليهود، وبقيت الأخرى، وأوشك بها، فكأنّ قد [هذه العبارة، كأنّ قد، تُستعمل للأمر القريب الوقوع، ومعناها.. كأنّها قد وقعت..].

فبكى أصحاب عليّ عليه السلام وبكى رأس اليهود وقالوا: يا أمير المؤمنين أخبرنا بالأخرى.. فقال: الأخرى أن تخضب هذه ـ وأومأ بيده إلى لحيته ـ من هذه ـ أومأ بيده إلى هامته.

قال: وارتفعت أصواتُ الناس في المسجد الجامع بالضجة والبكاء، حتى لم يبق بالكوفة دارٌ إلّا خرج أهلها فزعاً، وأسلم رأس اليهود على يدي عليّ عليه السلام من ساعته، ولم يزل مقيماً حتى قتل أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ ابن ملجم ـ لعنه الله ـ فأقبل رأس اليهود حتى وقف على الحسن عليه السلام والناس حوله وابن ملجم ـ لعنه الله ـ بين يديه فقال له: يا أبا محمد أُقتله.. قتله الله، فإنّي رأيتُ في الكتب التي أُنزلت على موسى عليه السلام أنّ هذا أعظم عند الله عزّ وجلّ جرماً من ابن آدم قاتل أخيه.. ومن القدار عاقر ناقة ثمود[1].

وروى أيضاً الشيخ الصدوق رحمه الله بإسناد معتبر عن مولانا الإمام أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه) قال: جاء رجل من اليهود إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فسأله عن أشياء إلى أن قال:

[المسألة] السابعه: فأسئلك كم يعيش وصيه بعده..؟

قال (صلوات الله عليه): ثلاثين سنة.. قال: ثُمّ إنّه يموت أو يقتل..؟

قال (صلوات الله عليه): يُقتل ويُضرب على قرنه فتخضب لحيته.. قال: صدقت والله إنّه لبخط هارون وإملاء موسى..[2].

---

(١) أنظر الصدوق القميّ، محمّد، الخصال، صفحة (٣٨٢) طبعة منشورات جماعة المدرسين قم المقدسة.

(٢) المصدر السابق، صفحة (٤٧٨).

المبحث الثاني

أمير المؤمنين يخبر بشهادته

تمهيد:

كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) دائماً يتحدث عن الطريقة التي يُقتل بها، فكان يتحدث عن ذلك أمام أصحابه وأمام أولاده وفي المسجد أمام المسلمين، كان (صلوات الله عليه) يبّن في بعض الروايات أن قتله سوف يتمّ على يد رجل خامل الذكر، ومنها أنه (صلوات الله عليه) يُقتل على يد رجلٍ شقيّ، ويقول ما ينتظر أشقاها..؟ ومنها أنه (صلوات الله عليه) كان يشير إلى قاتله ويقول: هذا قاتلي، ومنها أنه (صلوات الله عليه) كان يقول: متى تُخضب هذه من هذه، ويشير إلى لحيته ورأسه.. إلى غير ذلك من الروايات ونحن نكتفي بذكر بعضها ضمن مطالب.

ـ المطلب الأوّل: هذا قاتلي

ورد الحديث عن بعض أصحاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قال: دخل عبد الرحمن بن ملجم (لعنه الله) على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في وفد مصر الذي أوفدهم محمّد بن أبى بكر (رضوان الله عليه) ومعه كتاب الوفد.. قال: فلمّا مرّ باسم عبد الرحمن بن ملجم، قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أنت عبد الرحمن..؟ لعن الله عبد الرحمن..!!.

قال: نعم يا أمير المؤمنين.. أما والله يا أمير المؤمنين إنّ لأحبك.

قال (صلوات الله عليه): كذبت والله ما تحبني ـ ثلاثاً ـ قال: يا أمير المؤمنين أحلف ثلاثة أيمان أنّي أحبك.. وأنت تحلف ثلاثة أيمان أنّي لا أحبك..؟

قال ويلك ـ أو ويحك ـ إنّ الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام فأسكنها الهواء فما تعارف منها هنالك إئتلف في الدنيا وما تناكر منها اختلف في الدينا. وإنّ روحي لا تعرف روحك!!.

فلمّا ولّى ابن ملجم قال (صلوات الله عليه): إذا سركم أن تنظروا إلى قاتلي فنظروا إلى هذا.

قال بعض القوم أوَلا تقتله؟

فقال (صلوات الله عليه): ما أعجب من هذا تأمروني أن أقتل قاتلي..[1].

ويروى أنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان يتمثّل ـ إذا نظر إلى ابن ملجم ـ ببيت عمرو بن معد يكرب في قيس بن مكشوح.

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد[2]

فينتقي من ذلك حتى أكثر عليه.. فقال له المرادي: إن قضي شيء كان.

فقيل لعلي (صلوات الله عليه): كأنّك قد عرفته وعرفت ما يريد بك، أفلا تقتله..؟

فقال (صلوات الله عليه): كيف أقتل قاتلي..؟[3].

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢) صفحة (١٩٦) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) وفي مصادربدل كلمة ـ حياته ـ حياءه، أو حباءه.

(٣) الأربلي، علي عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، الجزء (٢) صفحة (٥٥) طبعة شركة الألفين.

ومعنى البيت، هلم من يعذرك منه إن أوقعت به، يعنى أنّه أهل للإيقاع به فإن أوقعت به كنت معذوراً.

روى لوط بن يحيى، عن أشياخه وأسلافه أنّهم قالوا: لمّا توفى عثمان وبايع النّاس أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان رجل يقال له حبيب بن المنتجب والياً على بعض أطراف اليمن من قبل عثمان فأقرّه عليّ (صلوات الله عليه) على عمله وكتب كتاباً يقول فيه:

بسم الله الرّحمن الرّحيم من عبد اللّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، إلى حبيب بن المنتجب سلام عليك.

أمّا بعد، فإنّي أحمد الله الذي لا إله إلّا هو، وأصلّي على محمّد عبده ورسوله.

وبعد.. فإنّي ولّيتك ما كنت عليه لمن كان من قبل فامكث على عملك وإنّي أوصيك بالعدل في رعيتك والإحسان إلى أهل مملكتك، واعلم أنّ من ولّي على رقاب عشرة من المسلمين ولم يعدل بينهم حشره الله يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه لا يفكّها إلّا عدله في دار الدّنيا.

فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقرأه على من قبلك من أهل اليمن وخذ لي البيعة على من حضرك من المسلمين، فإذا بايع القوم مثل بيعة الرّضوان فامكث في عملك وأنفذ إليَّ منهم عشرة يكونون من عقلائهم وفصحائهم وثقاتهم ممّن يكون أشدّهم عوناً من أهل الفهم والشّجاعة عارفين بالله عالمين بأديانهم وما لهم وما عليهم وأجودهم رأياً، وعليك وعليهم السّلام.

وطوى الكتاب وختمه وأرسله مع أعرابيّ.

فلمّا وصله قبّله ووضعه على عينيه ورأسه فلمّا قرأه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمّد وآله ثُمّ قال:

أيّها النّاس، اعلموا أنّ عثمان قد قضى نحبه وقد بايع النّاس من بعده العبد

الصّالح والإمام النّاصح أخا رسول الله وخليفته وهو أحقّ بالخلافة وهو أخو رسول الله وابن عمه وكاشف الكرب عن وجهه وزوج ابنته ووصيه وأبو سبطيه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فما تقولون في بيعته والدّخول في طاعته؟

قال: فضجّ النّاس بالبكاء والنّحيب وقالوا: سمعاً وطاعة وحبّاً وكرامة للّه ولرسوله ولأخي رسوله، فأخذ البيعة عليهم لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) عامّة، فلمّا بايعوا قال لهم: أريد عشرة منكم من رؤسائكم وشجعانكم أنفذهم إليه كما أمرني به.

فقالوا: سمعاً وطاعةً فاختار منهم مائة، ثُمّ من المائة سبعين، ثُمّ من السّبعين ثلاثين، ثُمّ من الثلاثين عشرة.. فيهم عبد الرّحمن بن ملجم المرادي ـ لعنه الله ـ وخرجوا من ساعتهم.

فلمّا أتوه (صلوات الله عليه) سلّموا عليه وهنّوه بالخلافة، فردّ عليهم السلام ورحّب بهم.

فتقدّم ابن ملجم وقام بين يديه وقال:

السّلام عليك أيّها الإمام العادل، والبدر التّمام، واللّيث الهُمام، والبطل الضُرغام، والفارس القمقام، ومن فضّله الله على ساير الأنام، صلّى الله عليك وعلى آلك الكرام.

أشهد أنّك أمير المؤمنين صدقاً وحقّاً، وأنّك وصي رسول الله والخليفة من بعده ووارث علمه، لعن الله من جحد حقّك ومقامك.. أصبحت أميرها وعميدها، لقد اشتهر بين البريّة عدلك، وهطلت شآبيب فضلك وسحائب رحمتك ورأفتك عليهم، ولقد أنهضنا الأمير إليك فسررنا بالقدوم عليك فبوركت بهذه الطلعة المرضيّة وهنئت بالخلافة في الرّعية.

ففتح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) عينيه في وجهه ونظر إلى الوفد

فقرّبهم وأدناهم، فلمّا جلسوا دفعوا الكتاب ففضّه وقرأه وسرّ بما فيه فأمر بكلّ واحدٍ منهم بحلّةٍ يمانيّةٍ ورداءٍ عدنية[1] وفرس عربية وأمر أن يفتقدوا ويكرموا..

فلما نهضوا قام ابن ملجم ووقف بين يديه وأنشد:

أنت المهيمن والمهذّب ذو الندى وابن الضراغم في الطراز الأوّل
اللّه خصّك يا وصيّ محمّد وحباك فضلاً في الكتاب المنزل
وحباك بالزّهراء بنت محمّد حوريّة بنت النّبيّ المرسل

ثُمّ قال: يا أمير المؤمنين إرم بنا حيث شئت لترى منّا ما يسرّك، فواللّه ما فينا إلّا كلّ بطل أهيس وحازم أكيس وشجاع أشوس ورثنا ذلك عن الآباء والأجداد وكذلك نورثه صالح الأولاد.

قال: فاستحسن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كلامه من بين الوفد.. فقال له: ما اسمك يا غلام..؟

قال: اسمي عبد الرّحمن..!. فقال: ابن من..؟. قال: ابن ملجم المراديّ..!. قال (صلوات الله عليه): أمراديٌّ أنت.؟!. قال: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال (صلوات الله عليه): «إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

وجعل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يكرّر النّظر إليه ويضرب إحدى يديه على الأخرى ويسترجع..

ثُمّ قال له: ويحك أمراديّ أنت..؟!.

قال: نعم.. فعندها تمثّل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بقوله:

أنا أنصحك منّي بالوداد مكاشفة وأنت من الأعادي

---

(١) نسبة إلى مدينة عدن من بلاد اليمن.

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادي[١]

وروى أحمد بن حنبل في مسنده عن زيد بن وهب قال: قدم عليٌّ [صلوات الله عليه] على قوم من أهل البصرة من الخوارج، فيهم رجل يقال له: الجعد بن بعجة، فقال له: اتّقِ الله يا عليَّ فإنَّك ميِّت.

فقال عليٌّ (صلوات الله عليه): بل مقتول، ضربة على هذا تخضب هذه (يعني لحيته من رأسه) عهدٌ معهود، وقضاءٌ مقضيّ، وقد خاب من افترى[٢].

وفي مسند أبي يعلى أورد الحديث عن الصحابيِّ الجليل أبي الأسود الدّؤلي (رضوان الله عليه) عن مولانا أبي الحسن عليّ (صلوات الله عليه) قال: أتاني عبد الله بن سلام، وقد وضعت قدمي في الغرز، فقال لي: لا تقدم العراق، فإنِّي أخشى أن يصيبك بها ذباب السيف.

قال عليٌّ: وأيْمِ اللَّه، لقد أخبرني به رسول الله ﷺ.

قال أبو الأسود: فما رأيتُ كاليوم قطّ محارباً يخبر بذا عن نفسه[٣].

وفي الإرشاد للشيخ المفيد رحمه الله أورد الحديث عن مولانا أبي الحسن عليّ (صلوات الله عليه)قال:

أتاكم شهر رمضان، وهو سيِّد الشهور، وأوَّل السنة، وفيه تدور رحى السلطان، ألا وإنّكم حاجّوا العام صفّاً واحداً، وآية ذلك أنّي لست فيكم.

فكان أصحابه يقولون: إنّه ينعى إلينا نفسه.

فضرب (صلوات الله عليه) في ليلة تسع عشرة، ومضى في ليلة إحدى وعشرين من ذلك الشهر[٤].

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢) صفحة (٢٦١) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.
(٢) الشيبانيّ، أحمد حنبل، مسند أحمد بن حنبل، الحديث رقم (٧٠٣) طبعة مؤسسة قرطبة القاهرة.
(٣) التميمي، أحمد علي، مسند أبي يعلى، الحديث رقم (٤٩١) طبعة دار المأمون للتراث دمشق.
(٤) المفيد، محمّد النعمان، الإرشاد، الجزء (١) صفحة (١٣).

ـ المطلب الثاني: ما ينتظر أشقاها؟

ورد في كتاب الغارات عن ابن أبي ليلى عن الإمام عليّ (صلوات الله عليه) أنّه قال:

إنّي ميّت أو مقتول بل قتلاً، ما ينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها بدمٍ؟!ـ وضرب بيده إلى لحيته ـ[1].

وفي تاريخ بغداد عن عبد الله بن سبع قال: سمعت عليّاً على المنبر وهو يقول: ما ينتظر أشقاها؟

عهد إليّ رسول الله ﷺ لتخضبنّ هذه من هذه ـ وأشار ابن داود إلى لحيته ورأسه ـ فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرنا من هو حتى نبتدره؟

فقال (صلوات الله عليه): أنشد الله رجلاً قتل بي غير قاتلي[2].

وفي البداية والنهاية عن ثعلبة بن يزيد قال عليّ (صلوات الله عليه): والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لتخضبنّ هذه من هذه للحيته من رأسه فما يحبس أشقاها؟!.

فقال عبد الله بن سبع: واللّه يا أمير المؤمنين!! لو أنّ رجلاً فعل ذلك لأبدنا عترته!

فقال (صلوات الله عليه): أنشدكم باللّه أن يقتل غير قاتلي[3].

وفي تاريخ دمشق عن سعيد بن المسيَّب قال: رأيتُ عليّاً (صلوات الله

---

(١) الثقفيّ، إبراهيم محمّد، الغارات، الجزء (١) صفحة (٧).

(٢) الخطيبُ البغداديّ، أحمد عليّ، تاريخ بغداد، الجزء (١٣) صفحة (٥٧) الحديث رقم (٦٤٤١) طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

(٣) ابن كثير، إسماعيل عمر، البداية والنهاية، الجزء (٦) صفحة (٢١٩) طبعة مكتبة المعارف بيروت.

عليه) على المنبر وهو يقول: لتخضبنَّ هذه من هذه ـ وأشار بيده إلى لحيته وجبينه ـ فما يحبس أشقاها؟

قال: فقلت: لقد إدعى عليّ علم الغيب.

فلمّا قتل علمتُ أنَّه قد كان عهد إليه[١].

وقد ورد عن مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أنَّه قال: ما يحبس أشقاها أن يجيء فيقتلني..؟! اللهمّ إنّي قد سئمتهم وسئموني فأرحني منهم وأرحهم منّي..!![٢].

وعنه (صلوات الله عليه) أنه قال: ألم يأن لأشقاها..؟ لتخضبنَّ هذه من هذه، ـ يعني لحيته من رأسه ـ[٣].

وفي الإرشاد للشيخ المفيد رحمه الله عن الأجلح عن أشياخ كِندة قال: سمعتهم أكثر من عشرين مرّة يقولون: سمعنا عليّاً على المنبر يقول: ما يمنع أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم؟ ويضع يده على لحيته (صلوات الله عليه)[٤].

وقال ابن كثير في البداية والنهاية قال: كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قد تنغّصت عليه الأمور، وإضطرب عليه جيشه، وخالفه أهل العراق، ونكلوا عن القيام معه، واستفحل أمر أهل الشام، وصالوا وجالوا يميناً وشمالاً، زاعمين أنّ الإمرة لمعاوية بمقتضى حكم الحكمين في خلعهما عليّاً وتولية عمرو بن العاص معاوية عند خلو الإمرة عن أحد.

وقد كان أهل الشام بعد التحكيم يسمّون معاوية الأمير، وكلّما إزداد أهل

---

(١) ابن عساكر، علي حسن، تاريخ دمشق، الجزء (٤٢) صفحة (٥٤٩) طبعة دار الفكر بيروت.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢) صفحة (١٩٦) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٣) ابن عساكر، علي حسن، تاريخ دمشق، الجزء (٤٢) صفحة (٥٣٧) طبعة دار الفكر بيروت.

(٤) الطبرسيّ، الفضل بن الحسن، أعلام الورى، الجزء (١) صفحة (٣١٠) طبعة مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، قم.

الشام قوّةً ضعف جأش أهل العراق، هذا وأميرهم عليّ بن أبي طالب خير أهل الأرض في ذلك الزمان، أعبدهم وأزهدهم، وأعلمهم وأخشاهم للّه عزّ وجلّ، ومع هذا كلّه خذلوه وتخلّوا عنه، حتى كره الحياة وتمنّى الموت، وذلك لكثرة الفتن وظهور المحن.

فكان يكثر أن يقول: ما يحبس أشقاها..؟. أي ما ينتظر..؟. ما له لا يقتل..؟

ثُمّ يقول: واللّه لتخضبنّ هذه ـ ويشير إلى لحيته ـ من هذه ـ ويشير إلى هامته ـ لتخضبنّ هذه من هذه[1].

وفي الطبقات الكبرى، لابن سعد، عن أُمّ جعفر سرّيّة[2] عليّ (صلوات الله عليه): إنّي لأصبّ على يديه الماء إذ رفع رأسه، فأخذ بلحيته فرفعها إلى أنفه، فقال: واهاً لك، لتخضبنّ بدم..!. قالت: فأصيب يوم الجمعة..[3].

وفي مسند ابن حنبل عن عبد الله بن سبع قال: خطبنا عليّ (صلوات الله عليه) فقال: والذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، لتخضبنّ هذه من هذه. قال: قال الناس: فأعلمنا من هو؟ واللّه لنُبيرنّ عترته..!

قال (صلوات الله عليه): أنشدكم باللّه أن يقتل غير قاتلي[4].

---

(١) ابن كثير، إسماعيل عمر، البداية والنهاية، الجزء (٧) صفحة (٣٢٤) طبعة مكتبة المعارف بيروت.

(٢) التسرى: أخذ السرية.. والسرية كذريّة هي الأمة التي أنزلتها بيتاً وتزوجتها سراً لئلّا تعلم زوجتك بها، أو هو مطلق التزوج بالاماء ـ أنظر الأردبيلي، زبدة البيان في أحكام القرآن، صفحة (١٣٧) وقال الزبيدي: هي الأمَة التي بَوَّأتَها بيتاً ـ أنظر تاج العروس: الجزء (٦) صفحة (٥١٤). وفي الحديث عن مولانا الإمام أبي جعفر محمّد الباقر (صلوات الله عليه): كان لعليّ سبع عشرة سرّيّة ـ أنظرالريشهريّ، محمّد، موسوعة الإمام عليّ في الكتاب والسنة والتاريخ ـ الجزء (١) صفحة (٧٩) الحديث (٩٢) طبعة دار الحديث قم المقدسة.

(٣) الزهريّ، محمّد سعد، الطبقات الكبرى، الجزء (٣) صفحة (٣٥) طبعة دار صادر بيروت.

(٤) الشيبانيّ، أحمد حنبل، الحديث (١٣٣٩) طبعة مؤسسة قرطبة القاهرة.

وفي الغارات عن مازن قال: رأيتُ عليّاً (صلوات الله عليه) أخذ بلحيته وهو يقول: واللّه ليخضبنّها من فوقها بدم، فما يحبس أشقاكم[١].

وفي الغارات أيضا عن ثعلبة بن يزيد الحمّاني قال: شهدت لعليّ (صلوات الله عليه) خطبة، فجئت إلى أبي فقلت: أسمعت من هذا خطبة آنفاً ليستقتلنّ؟

قال: وما ذاك؟

قال: سمعته يقول: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لتخضبنّ هذه من هذا ـ يعني لحيته من رأسه ـ قال: سمعت ذلك[٢].

وفي كتاب ـ علل الشرائع ـ للشيخ الصدوق رحمه الله عن الصحابيّ الجليل الأصبغ بن نباتة (رضوان الله عليه) قال: قلت لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه): ما منعك من الخضاب وقد اختضب رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: أنتظر أشقاها أن يخضب لحيتي من دم رأسي بعد عهد معهود أخبرني به حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله[٣].

وفي كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفيّ قال: قدّم عليّ (كرم الله وجهه) من سفره، واستقبله الناس يهنّئونه بظفره بالخوارج، ودخل إلى المسجد الأعظم، فصلّى فيه ركعتين ثُمّ صعد المنبر فخطب خطبةً حسناً ثُمّ إلتفت إلى ابنه الحسين فقال: يا أبا عبد الله! كم بقي من شهرنا هذا (يعني شهر رمضان الذي هم فيه)؟

فقال الحسين: سبع عشرة يا أمير المؤمنين.

قال: فضرب بيده إلى لحيته وهي يومئذ بيضاء وقال: واللّه ليخضبنّها بالدم إذا انبعث أشقاها.

---

(١) الثقفي، إبراهيم محمّد، الغارات، الجزء (٢) صفحة (٤٤٣).

(٢) الثقفيّ، إبراهيم محمّد، الغارات، الجزء (٢) صفحة (٤٤٥).

(٣) الصدوق، محمّد علي، علل الشرائع، الجزء (١) صفحة (١٧٤) طبعة المكتبة الحيدرية النجف.

قال ثُمّ جعل يقول:

أُريد حياته ويريد قتلي خليلي من عذيري من مراد[١]

ـ المطلب الثالث: يقتلني رجل خامل الذكر

عن مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أنّه قال: إنّما يقتلني رجل خامل الذكر، ضئيل النسب، غيلةً في غير مأقط حرب، ولا معركة رجال، ويلُمّه أشقى البشر، ليودّن أنّ أُمّه هبلت به! أما إنّه وأحمر ثمود لمقرونان في قرن[٢].

ـ المطلب الرابع: معرفة الإمام بقاتله

كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يعرف قاتله ويعلم بما سوف يجري عليه بالنحو الذي علّمه الله تبارك وتعالى وكان يتحدث عن قاتله أمام أصحابه.

فقد ورد في كتاب الإرشاد للشيخ المفيد ﷺ بإسناده عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: جمع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الناس للبيعة، فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادي - لعنه الله - فردّه مرّتين أو ثلاثاً ثُمّ بايعه، وقال عند بيعته له: ما يحبس أشقاها..؟!. فوالذي نفسي بيده لتخضبنّ هذه من هذا ووضع يده على لحيته ورأسه (صلوات الله عليه)، فلمّا أدبر ابن ملجم عنه منصرفاً قال (صلوات الله عليه) متمثّلاً:

أُشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت لاقيك
ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديك
كما أضحكك الدهر كذاك الدهر يبكيك[٣]

---

(١) الكوفيّ، أحمد أعثم، كتاب الفتوح، الجزء (٤) صفحة (٢٧٧) طبعة دار الأضواء بيروت.
(٢) الريشهريّ، محمّد، موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة والتاريخ، الجزء (٨) صفحة (١٠) الحديث رقم (٢٩١٢) طبعة دار الحديث قم.
(٣) المفيد، محمّد النعمان، الإرشاد، الجزء (١) صفحة (١٠).

وأيضاً في الإرشاد عن المعلّى بن زياد قال: جاء عبد الرحمن بن ملجم ـ لعنه الله ـ إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يستحمله، فقال له: يا أمير المؤمنين، إحملني.

فنظر إليه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ثُمّ قال له: أنت عبد الرحمن بن ملجم المراديّ؟

قال: نعم.

قال: أنت عبد الرحمن بن ملجم المرادي..؟

قال: نعم.

قال: يا غزوان، إحمله على الأشقر..

فجاء بفرس أشقر فركبه ابن ملجم المراديّ وأخذ بعنانه، فلمّا ولّى قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

أُريد حباءه ويُريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادِ

قال: فلمّا كان من أمره ما كان، وضرب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قُبض عليه وقد خرج من المسجد، فجيء به إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

فقال (صلوات الله عليه): واللّه لقد كنتُ أصنعُ بك ما أصنع، وأنا أعلم أنّك قاتلي، ولكن كنت أفعل ذلك بك لأستظهر باللّه عليك[1].

وأيضاً في الإرشاد عن الصحابيّ الجليل الأصبغ بن نباتة (رضوان الله عليه) قال: أتى ابن ملجم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فبايعه فيمن بايع، ثُمّ أدبر عنه فدعاه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فتوثّق منه وتوكّد عليه ألّا يغدر ولا ينكث، ففعل، ثُمّ أدبر عنه، فدعاه الثانية أمير المؤمنين

(١) المصدر السابق، صفحة (١١).

(صلوات الله عليه) فتوثّق منه وتوكّد عليه ألّا يغدر ولا ينكث ففعل، ثُمّ أدبر عنه، فدعاه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الثالثة فتوثق منه وتوكد عليه ألّا يغدر ولا ينكث.

فقال ابن ملجم: واللّه يا أمير المؤمنين ما رأيتك فعلت هذا بأحد غيري.

فقال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

إمض يا بن ملجم فوالله ما أرى أن تفي بما قلت[1].

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد عن محمّد بن سيرين قال: قال عليّ بن أبي طالب للمراديّ:

أريد حباءه ويُريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد[2]

وفي تاريخ اليعقوبيّ قال: قدم عبد الرحمن بن ملجم المرادي الكوفة لعشر بقين من شعبان سنة أربعين للهجرة، فلمّا بلغ عليّاً قدومه قال: وقد وافى؟ أما إنّه ما بقي عليَّ غيره، هذا أوانه.

فنزل على الأشعث بن قيس الكندي، فأقام عنده شهراً يستحدّ سيفه[3].

إلى غير ذلك من التصريحات التي صرَّح بها أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وهو يخبر عن قتله وقاتله.

---

(١) المصدر السابق صفحة (١٣).

(٢) الزهريّ، محمّد سعد، الطبقات الكبرى، الجزء (٣) صفحة (٣٤) طبعة دار صادر بيروت.

(٣) اليعقوبيّ، أحمد، تاريخ اليعقوبيّ، الجزء (١) صفحة (١٩٣).

القسم الرابع

خيوط المؤامرة

وفيه مبحثان، وجملة من المطالب

- المبحث الأوّل: لمحة حول معركة صفين
- المبحث الثاني: لمحة حول معركة النهروان

المطلب الأوّل: اتفاق الخوارج في مكة.

المطلب الثاني: عبد الرحمن ابن ملجم في الكوفة

المطلب الثالث: ابن ملجم وقطام

المطلب الرابع: حوار بين ابن ملجم وشبيب

المطلب الخامس: ابن ملجم يلتقي بأمير المؤمنين

المطلب السادس: قطام معتكفة في المسجد الأعظم

المبحث الأوّل

لمحة حول معركة صفين

تمهيد:

لسنا نهدف في هذه العجالة أن نسرد أحداث واقعة صفين وما رافقها من أحداث تقدمتها أو نتج عنها فليس هنا محل التفصيل بل إن هذه الواقعة موضوع يحتاج إلى دراسة مستقلة، وعليه فإننا سنورد موجزاً حول بعض الأحداث المهمّة في هذه الواقعة لما له من مدخليّة على سير الأحداث التي جرَّت إلى مؤامرة اغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

❁ ❁ ❁

لقد كان مقتل عثمان بن عفان أحد أهم الأمنيات التي كان يعوّل عليها معاوية ويتخذها ذريعة في الحكم وإحدى أهم الوسائل لبقائه في السلطة، بل وكان مع جهازه الحاكم من الأمويين الذين كانوا تحت سلطته ورعايته يعتبرون من أهم الأسباب الرئيسية في قضية مقتل الخليفة المغدور..[1].

وحسبك ما سطره المؤرخون من مواقف مروان بن الحكم ومثالبه في إدارة الحكم وتنصيبه ولاة الجور وأئمة الفسق والفجور من بني قومه ـ أمثال الوليد بن

(١) أنظر مواقف مروان ابن الحكم وزير عثمان بن عفان ومثالبه في الحكومة ـ راجع الطبريّ، محمّد، تاريخ الأمم والملوك ـ حكومة عثمان.

عقبة ـ على بلاد المسلمين وسيطرته على مقدرات الدولة الإسلاميّة وحرمان الناس والتضييق عليهم إلى غير ذلك من الأمور التي جرّت إلى ثورة الناس على الجهاز الحاكم.

ومن أراد مراجعة أسباب الثورة على عثمان فعليه بكتب التاريخ مثل الطبريّ، ومروج الذهب، والبداية والنهاية وشرح بن أبي الحديد وغيرها.

وقد أشار بعض الكتّاب إلى هذه الحقيقة ـ ضلوع بني أمية في قتل عثمان من خلال ما جرّوه على الأمّة الإسلاميّة من المصائب والويلات ـ حيث عبّرعن تلك المؤامرة بـ المؤامرة المستورة حيناً والمكشوفة حيناً آخر[1].

هذا.. وبمجرد أن قتل عثمان استغل معاوية بن أبي سفيان هذا الحدث وألقى تبعته على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بأساليب غير نزيهة، بالرغم من أنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أرسل ولديه الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) ومعهما قنبر مولاه ليقفوا بباب عثمان وليدافعوا عنه وقد أصيب الإمام الحسن (صلوات الله عليه) بجراحات[2].

اسطتاع معاوية بأسلوب الخداع والتضليل وبشرائه لبعض الذمم من الصحابة والتابعين وممارسة سياسة الترهيب والترغيب ووضع الأحاديث المزورة، وتزويره للحقائق أن يجمع السواد الأعظم إلى جانبه من المرتزقة وأهل النفاق وأصحاب الأطماع.

فكان ينشر على الملأ من الشاميين قميص عثمان الممزق والملطخ بالدماء

---

(١) جرداق، جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، صفحة (٢٤٧).

(٢) تقول الروايات أن القوم منعوا الماء عن عثمان فلمّا بلغ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) طلبه للماء، بعث إليه بثلاث قِرَبِ ماء.. ولمّا بلغ عليّاً أنهم يريدون قتله ـ أي عثمان ـ بعث بابنيه الحسن والحسين مع مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته، وأمرهم أن يمنعوه منهم.. فصدُوهم عن الدار.. واشتبك القوم، وجُرح الحسن، وشُجِّ قنبر ـ أنظر، المسعودي، مروج الذهب، الجزء (٢) الثورة على عثمان، طبعة دار القارئ بيروت.

ليستغل العواطف إلى جانبه ويشوه الصورة المشرقة لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ليكسب العدد الأكبر من المغرر بهم واستطاع أن يغرس في قلوب جماعته بأنّ عليّ بن أبي طالب هو المسؤول المباشرعن مقتل عثمان.

فكانت معركة صفين عبارة عن حركة تمرّد كبيرة قادها معاوية ضد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) شخصاً ونهجاً تحت شعار مخادع ـ الثأر لدم عثمان ـ فكانت حصيلة هذه المعركة إضعاف قوّة المسلمين حيث بلغ عدد القتلى من الطرفين ما يقرب من ستين ألفاً وقيل سبعين ألفاً وبروز الخوارج الذين نازعوا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فيما بعد[1].

ولعلّ أهم حدث في معركة صفين فيما يخص موضوع بحثنا هو خديعة ما يسمى بـ(رفع المصاحف).

ـ هزيمة أهل الشام

تحدّث الدينوري في ـ الإمامة والسياسة ـ عن فصول المعركة وبطولة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وأصحابه فقال:

...ثُمّ أقبل مالك الأشتر جريحاً، فقال: يا أمير المؤمنين، خيل كخيل، ورجال كرجال، ولنا الفضل إلى ساعتنا هذه، فعد مكانك الذي كنت فيه، فإنّ الناس إنّما يطلبونك حيث تركوك.

وإنّ علياً دعا بفرسه التي كانت لرسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم)، ثُمّ دعا ببغلة رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) الشهباء، ثُمّ تعصَّب بعمامةِ رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) السوداء، ثُمّ نادى: من يبع نفسه اليوم يربح غداً، يوم له ما بعده، وإنّ عدوكم قد قدح كما قدحتم..

---

(١) أنظر العمري، أكرم، عصر الخلافة الراشدة، الجزء (١) صفحة (٤١٧) طبعة مكتبة العبيكان، والفضلي، رياض، مصرع الحق، صفحة (١٢٣).

فانتدب له ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً واضعي سيوفهم على عواتقهم وتقدموا، فحمل علي والناس حملة واحدة، فلم يبق لأهل الشام صف إلّا أهمد، حتى أفضى الأمر إلى معاوية، وعليٌّ يضرب بسيفه، ولا يستقبل أحداً إلّا ولّى عنه.

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه، فلمّا وضع رجله في الركاب نظر إلى عمرو بن العاص، وقال له: يا بن العاص، اليوم صبر، وغداً فخر، قال بن العاص: صدقت.

فترك الركوب، وصبر وصبر القوم معه إلى الليل، فبات الناس يتحارسون، وكرهوا القتال، وهو اليوم الذي فيه البلاء العظيم، يوم قتل عمار، وكلٌّ يظن أن الدائرة عليه، وأسرف الفريقان في القتل، ولم يكن في الإسلام بلاءٌ ولا قتلٌ أعظم منه في تلك الثلاثة الأيام.

وإنّ علياً نادى بالرحيل في جوف الليل.. فلمّا سمع معاوية رغاء الإبل، دعا عمرو بن العاص، فقال: ما ترى ها هنا..؟

قال عمرو: أظن الرجل هارباً.

فلمّا أصبحوا إذا عليّ وأصحابه إلى جانبهم قد خالطوهم.

فقال معاوية: كلا، زعمت يا عمرو أنّه هارب.. فضحك عمرو وقال: من فعلاته والله.

فعندها أيقن معاوية بالهلكة، ونادى أهل الشام: كتاب الله بيننا وبينكم.

ويومئذ استبان ذلّ أهل الشام، ورفعوا المصاحف، ثُمّ ارتحلوا فاعتصموا بجبل منيف.

وصاحوا: لا ترد كتاب الله يا أبا الحسن فإنّك أولى به منا، وأحق من أخذ به.

فأقبل الأشعث بن قيس في أناس كثير من أهل اليمن، فقالوا لعلي: لا ترد ما دعاك القوم إليه، قد أنصفك القوم، والله لئن لم تقبل هذا منهم لا وفاء معك، ولا نرمي معك بسهم ولا حجر، ولا نقف معك موقفاً[1].

وفي تاريخ الأمم والملوك للطبريّ عن عبد الرحمن بن جندب الأزديّ عن أبيه أنّه قال: لمّا رفع القوم المصاحف على أسنّة الرماح ووقع الانشقاق في صفوف أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وانطلت الخديعة على الكثيرين منهم وقف أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقال: عباد الله، إمضوا على حقكم وصدقكم قتال عدوكم، فإنّ معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي مُعَيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال ويحكم! إنّهم ما رفعوها، ثُمّ لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيها، وما رفعوها لكم إلّا خديعة ودهناً ومكيدة.

فقالوا له: ما يسعنا أن نُدعى إلى كتاب الله عزّ وجلّ فنأبى أن نقبله.

فقال لهم: فإنّي إنّما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب، فإنّهم قد عصوا الله عزّ وجلّ فيما أمرهم ونسوا عهده ونبذوا كتابه.

فقال له مِسعر بن فدكيّ التميميّ وزيد بن حصين الطائيّ ثُمّ السّنبسي في عصابة معهما من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا عليّ!! أجب إلى كتاب الله عزّ وجلّ إذ دعيت إليه وإلّا ندفعك برمتك إلى القوم..!! أو نفعل كما فعلنا بابن عفان..! إنّه علينا أن نعمل بما في كتاب الله عزّ وجلّ فقبلناه.. والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك.

---

(١) الدينوري، عبد الله، الإمامة والسياسة الجزء (١) صفحة (١١١) طبعة مؤسسة الحلبي القاهرة.

فقال (صلوات الله عليه): فاحفظوا عني نهيي إياكم وإحفظوا مقالتكم لي، أما أنا فإن تطيعوني تقاتلوا وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم.

قالوا له: أما لا.. فابعث إلى الأشتر فليأتك.

فأرسل عليٌ إلى الأشتر يزيد بن هانئ السبيعيَّ أن ائتني، فأتاه فبلغه.

فقال: قل له: ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي، إنّي قد رجوت أن يفتح لي، فلا تعجلني.

فرجع يزيد بن هانئ إلى عليّ، فأخبره فما هو إلّا أن انتهى إلينا، فارتفع الرهج، وعلت الأصوات من قِبَل الأشتر.

فقال له القوم: والله ما نراك إلّا أمرته أن يقاتل، قال: من أين ينبغي أن تروا ذلك..!!.

رأيتموني ساررته..؟! أليس إنّما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعوني..!!.

قالوا: فابعث إليه فليأتك وإلّا والله اعتزلناك، قال له: ويحك يا يزيد..! قل له: أقبل إليَّ فإنّ الفتنة قد وقعت، فأبلغه ذلك فقال له: ألرفع المصاحف..؟!.

قال: نعم.

قال: أما والله لقد ظننتُ حين رُفعت أنّها ستوقع اختلافاً وفرقة، إنّها مشورة ابن العاهرة، ألا ترى ما صنع الله لنا..!؟ أينبغي أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم..!!.

وقال يزيد بن هانئ: فقلتُ له: أتحبُ أنّك ظفرتَ ها هنا، وأنّ أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يُفرج عنه أو يُسلَم..؟

قال: لا والله، سبحان الله..!!.

قال: فإنّهم قد قالوا: لَتُرسلنَّ إلى الأشتر فليأتينَّك أو لنقتلنَّك كما قتلنا ابن عفّان.

فأقبل حتى انتهى إليهم فقال: يا أهل العراق، يا أهل الذلّ والوهن، أحين علوتم القوم ظهراً، وظنوا أنكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها..!! وقد واللهِ تركوا ما أمر الله عزَّ وجلّ به فيها وسنّةَ من أنزلت عليه (صلى الله عليه [وآله] وسلم)، فلا تجيبوهم، أمهلوني عَدْوَ الفرس، فانّي قد طمعت في النصر.

قالوا: إذاً ندخل معك في خطيئتك.

قال: فحدثوني عنكم، وقد قُتل أماثِلُكم وبقيَ أراذلكم، متى كنتم محقين..! أحين كنتم تقاتلون وخياركم يقتلون..! فأنتم الآن إذا أمسكتم عن القتال مبطلون، أمّ الآن أنتم محقون، فقتلاكم الذين لا تنكرون فضلَهم فكانوا خيراً منكم في النار إذاً..!!.

قالوا: دعنا منك يا أشتر، قاتَلْناهم في الله عزّ وجلّ ونَدَع قتالهم لله سبحانه، إنّا لسنا مطيعيك ولا صاحبك فاجتنبْنا.

فقال: خُدعتم والله فانخدعتم..! ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم..! يا أصحاب الجباه السود..!! كنا نظنّ صلواتكم زهادةً في الدنيا..!! وشوقاً إلى لقاء الله عزّ وجلّ..!! فلا أرى فراركم إلّا إلى الدنيا من الموت..!! ألا قبحاً يا أشباهَ النِّيب الجَلّالة..!! وما أنتم برائين بعدها عزّاً أبداً..!! فابعَدُوا كما بعد القوم الظالمون..!!.

فسبّوه.. فسبّهم.. فضربوا وجه دابته بسياطهم.. وأقبل يضرب بسوطه وجوه دوابّهم.. ثُمّ صاح بهم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فكفوا.. وقال للناس: قد قبلنا أن تُجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً.

فجاء الأشعث بن قيس إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقال له: ما

أرى الناس إلّا قد رضوا وسرّهم أن يجيبوا القومَ إلى ما دَعوهم إليه من حكم القرآن، فإنّ شئتَ أتيتُ معاوية فسألتُه ما يريد، فنظرت ما يسأل، قال: إئته إن شئتَ فسَلْه.

فأتاه، فقال: يا معاوية، لأيّ شيءٍ رفعتم هذه المصاحف..؟

قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عزّ وجلّ به في كتابه، تبعثون منكم رجلاً ترضون به، ونبعث منّا رجلاً ثُمّ نأخذ عليهما أن يعمَلا بما في كتاب الله لا يعدُوانه ثُمّ نتبع ما اتفقا عليه.

فقال له الأشعث بن قيس: هذا الحق.

فانصرف إلى عليٍّ فأخبره بالذى قال معاوية، فقال الناس: فإنّا قد رضينا وقبلنا.

فقال أهل الشام: فإنّا قد اخترنا عمرو بن العاص.

فقال الأشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج بعد: فإنّا قد رضينا بأبي موسى الأشعريّ.

قال عليٌّ: فإنّكم قد عصيتموني في أوّل الأمر، فلا تعصوني الآن، إنّي لا أرى أن أولّي أبا موسى.

فقال الأشعث وزيد بن حصين الطائيّ ومسعر بن فدكيّ: لا نرضى إلّا به، فإنّه ما كان يحذرنا وقعنا فيه.

قال عليٌّ: فإنّه ليس لي بثقة، قد فارقني وخذّل الناس عني، ثُمّ هرب مني حتى آمنتُه بعد أشهر، ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك.

قالوا: ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس..! لا نريد إلّا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء، ليس إلى واحد منكم بأدنى منه إلى الآخر.

فقال عليٌّ: فإنّي أجعل الأشتر.

قال أبو مخنف حدثني أبو جناب الكلبي أن الأشعث قال: وهل سَعّر الأرض غير الأشتر..؟!!.

قال أبو مخنف عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه أن الأشعث قال: وهل نحن إلّا في حكم الأشتر..!!.

قال عليٌّ: وما حكمه..؟

قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيوف حتى يكون ما أردتَ..! وما أراد..!.

قال: فقد أبيتم إلّا أبا موسى..؟!!.

قالوا: نعم.

قال: فاصنعوا ما أردتم..!!!.

ـ نص وثيقة التحكيم في صفين

فبعثوا إلى أبي موسى وقد اعتزل القتال، وهو بعُرْضٍ، فأتاه مولًى له، فقال:

إنّ الناس قد إصطلحوا.. فقال: الحمد لله ربِّ العالمين.. قال: قد جعلوك حكماً! فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر، وجاء الأشتر حتى أتى عليّاً فقال: ألُزَّني بعمرو بن العاص، فوالله الذي لا إله إلّا هو، لئن ملأتُ عيني منه لأقتلنّه.

وجاء الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين، إنّك قد رُميتَ بحجر الأرض، وبمن حارب الله ورسوله أنف الإسلام، وإنّي قد عجمتُ هذا الرجل وحلبتُ أشُطره فوجدتُه كليل الشَّفرة، قريب القعر، وإنّه لا يصلح لهؤلاء القوم إلّا رجل يدنو منهم حتى يصير في أكفّهم، ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم،

فإن أبيت أن تجعلني حَكَمَاً فاجعلني ثانياً أو ثالثاً، فإنّه لن يعقد عقدةً إلّا حللتُها، ولن يحلّ عقدة أعقدها إلّا عقدت لك أخرى أحكَم منها.

فأبى الناس إلّا أبا موسى والرضا بالكتاب.

فقال الأحنف: فإن أبيتم إلّا أبا موسى فأدفئوا ظهره بالرجال.

فكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه عليٌّ أمير المؤمنين..

فقال عمرو: أكتب اسمه واسم أبيه، هو أميركم فأمّا أميرنا فلا..

وقال له الأحنف: لا تمح اسم ـ إمارة المؤمنين ـ فإنّي أتخوف إنّ محوتها ألا ترجع إليك أبداً، لا تَمحُها وإنّ قتل الناسُ بعضهم بعضاً.

فأبى ذلك عليٌّ (صلوات الله عليه) ملياً من النهار، ثُمّ إنّ الأشعث بن قيس قال: إمح هذا الأسم ترَّحه الله..!! فمحي.

فقال عليٌّ: الله أكبر، سنّةٌ بسنّةٍ.. ومثلٌ بمثلٍ.. والله إنّي لكاتب بين يدي رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) يوم الحديبية إذ قالوا: لستَ رسول الله، ولا نشهد لك به، ولكن إكتب اسمك واسم أبيك، فكتبه.

فقال عمرو بن العاص: سبحان الله..! ومَثَلُ هذا أن نشبّه بالكفّار ونحن مؤمنون..!؟

فقال عليٌّ: يا بن النابغة..![1] ومتى لم تكن للفاسقين وليّاً، وللمسلمين عدوّاً..! وهل تشبه إلّا أمّك التي وضعت بك..!.

فقام عمرو وقال: لا يجمع بيني وبينك مجلسٌ أبداً بعد هذا اليوم.

فقال له علي: وإنّي لأرجُو أن يطهّر الله عزّ وجلّ مجلسي منك ومن أشباهك..

---

(١) اسمها النابغة من بني عترة.

وكتب الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه عليُّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضَى عليّ على أهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين، إنّا ننزل عند حُكم الله عزّ وجلّ وكتابه، ولا يجمع بيننا غيره، وإنّ كتاب الله عزّ وجلّ بيننا من فاتحتِه إلى خاتمته، نحيي ما أحيا، ونميت ما أمات، فما وجد الحَكَمان في كتاب الله عزّ وجلّ ـ وهما أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص القرشي ـ عملا به، وما لم يجدا في كتاب الله عزّ وجلّ فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة).

وأخذ الحكمان من عليٍّ ومعاوية ومن الجندين من العهود والميثاق والثقة من الناس أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما، والأمّة لهما أنصار على الذي يتقاضَيَان عليه، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عهدُ الله وميثاقُه أنّا على ما في هذه الصحيفة، وأن قد وجبت قضيّتهما على المؤمنين فإنّ الأمن والاستقامة ووضع السلاح بينهما أينما ساروا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم وشاهدهم وغائبهم، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهدُ الله وميثاقُه أن يحكما بين هذه الأمة، ولا يَرُدّاها في حرب ولا فُرقة حتى يُعصيا وأَجَلُ القضاء إلى رمضان.

وإنّ أحبّا أن يؤخرا ذلك أخّراه على تراضٍ منهما، وإن تُوفّي أحد الحكمين فإنّ أمير الشيعة يختار مكانه، ولا يألوا من أهل المعدلة والقسط، وإن مكان قضيّتهما الذي يقضيان فيه مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام، وإن رضيا وأحبا فلا يحضرهما فيه إلّا من أرادا، ويأخذ الحكمان من أرادا من الشهود، ثُمّ يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة، وهم أنصار على من ترك ما في هذه الصحيفة، وأراد فيه إلحاداً وظلماً اللهم إنا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة.

شهد من أصحاب عليّ الأشعثُ بن قيس الكنديّ، وعبدُ الله بن عباس، وسعيد بن قيس الهمدانيّ، وورقاء بن سُمَيّ البَجَليّ، وعبد الله بن مُحِلّ العِجليّ، وحُجْر بن عديّ الكِنديّ، وعبد الله بن الطفيل العامريّ، وعقبة بن زياد الحَضْرميّ، ويزيد بن حجيَّة التيميّ، ومالك بن كعب الهمدانيّ.

ومن أصحاب معاوية أبو الأعور السلميّ عمرو بن سفيان، وحبيب مسلمة الفِهريّ، والمخارق بن الحارث الزُّبيديّ، وزِمْل بن عمرو العذرِيّ، وحمزة بن مالك الهمدانيّ، وعبد الرحمن بن خالد المخزوميّ، وسُبيع بن يزيد الأنصاريّ، وعلقمة بن يزيد الأنصاريّ، وعُتبة بن أبي سُفيان، ويزيد بن الحرّ العبسي.

ولمّا كُتبت الصحيفة دُعِيَ لها الأشتر، فقال: لا صحِبتْني يميني، ولا نفعتني بعدها شمالي، إن خُطّ لي في هذه الصحيفة اسم على صلح ولا موادعة.

أولستُ على بينة من ربي..! ومن ضلال عدوي..!!.

أولستم قد رأيتم الظفر لو لم تجمعوا على الجور..!!.

فقال له الأشعث بن قيس: إنّك والله ما رأيت ظفراً ولا جوراً هلمّ إلينا فإنّه لا رغبة بك عنا.

فقال: بلى والله، لرغبة بي عنك في الدنيا للدنيا والآخرة للآخرة، ولقد سفك الله عزّ وجلّ بسيفي هذا دماء رجال ما أنت عندي خيرٌ منهم ولا أحرم دماً.

قال عمّارة بن ربيعة الجَرْميّ: فنظرت إلى ذلك الرجل وكأنّما قصع على أنفه الحمم ـ يعني الأشعث ـ[1].

---

(١) الطبريّ، محمّد، تاريخ الامم والملوك، الجزء (٣) صفحة (١٠١) طبعة دار الكتب العلميّة بيروت. الكورانيّ، علي، جواهر التاريخ، الجزء (١) صفحة (٣٢٤) طبعة دار الهدى قم.

المبحث الثاني

لمحة حول معركة النهروان

ذكر المؤرخون أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لمّا عاد إلى الكوفة من صفين وذلك بعد أمر الحكمين، بقي ينتظر انقضاء المدة التي كانت بينه وبين معاوية ليرجع إلى حربه، إذ انعزلت طائفة من أصحابه في أربعة آلاف وهم من العباد والنّسّاك..!!! أصحاب الزيف والنفاق فخرجوا من الكوفة وأنكروا أمر التحكيم.

وقالوا: لا حكم إلّا لله...

فقال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): كلمةُ حقٍ يراد بها باطل.

وإنحاز إليهم نحو من ثمانية آلآف فصاروا في اثني عشر ألفاً ونزلوا مكاناً يسمى ـ حروراء ـ فسموا الحرورية.

واحتج عليهم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقال لهم: ألم أقل لكم في يوم رفع المصاحف إنّ أهل الشام يخدعوكم بها، فإنّ الحرب قد عضتهم فذروني أناجزهم فأبيتم..؟

ألم أرد أن أبعث ابن عمي عبد الله ليكون حكماً فإنّه رجل لا يخدع فأبيتم..؟

وجئتموني بأبي موسى وقلتم رضينا به، ثُمّ شرطت على الحكمين أن

يحكما بما أنزل الله في القرآن من فاتحته إلى خاتمته، وإنّما إن لم يفعلا فلا طاعة لهما عليَّ؟

قالوا: صدقت، فلِمَ لا ترجع إلى حرب القوم..؟

قال: حتى تنقضي المدة التي بيننا وبينهم.

فرجع منهم طائفة ثُمّ اجتمعوا بالنهروان.

فلقيهم عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ وفي عنقه مصحف ومعه إمراته فقالوا: ما تقول في عليٍّ قبل التحكيم وبعده..؟

قال: إنّه أعلم بالله منكم وأشدّ توقياً على دينه وأنفذ بصيرة..

قالوا: إنّك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها والله لنقتلنّك قتلة ما قتلناها أحداً، فأخذوه وكتّفوه ثُمّ أقبلوا به وبإمرأته وكانت حبلى مُتمّ، فنزلوا تحت نخلٍ فسقطت منه رطبة فوضعها أحدهم في فيه.

فقال له أحد أصحابه: أخذتها بغير ثمنٍ..؟! فألقاها.

ومرّ بهم خنزيرٌ لأهل الذمّة[1] فضربه أحدهم بسيفه، فقالوا: هذا فسادٌ في الأرض، فأُراضي صاحب الخنزير..

فلمّا رأى ذلك عبد الله بن خباب قال: إنّي مسلم ما أحدثت في الإسلام حدثاً ولقد أمنتوني قلتم لا روع عليك.

فلم يلتفتوا إلى كلامه وقالوا له: هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك ثُمّ قرّبوه إلى شاطئ النهر فأضجعوه وذبحوه فسال دمه في الماء وأقبلوا إلى إمراته فقالت: أنا إمراةٌ ألا تتقون الله..!! فبقروا بطنها.

وخرج أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بأصحابه حتى نزل على بعد

---

(١) أهل الذمّة المعاهدون من أهل الكتاب ومن جرى مجراهم والذمي هو المعاهد الذي أعطى عهداً يأمن به على ماله وعرضه ودينه.

فرسخين من النهروان، فأرسل إليهم أوّلاً عبد بن عباس ثُمّ جاء إليهم بنفسه فقال: ما الذي نقمتم به عليَّ..؟

قالوا: نقمنا عليك أنّك أبحتنا عسكر أهل البصرة ومنعتنا النساء والذريّة.

فقال لهم: إنّ أهل البصرة قاتلونا فاقتسمتم سلب من قاتلكم، والنساء لم تقاتل، والذريّة ولدوا على الفطرة ولم ينكثوا ولا ذنب لهم، ولقد منّ رسول الله ﷺ على المشركين فلا تعجبوا أن مننت على نسائهم وذرياتهم.

قالوا: ونقمنا عليك أنّك حكمت في دين الله برأينا.

فقال: أما تعلمون أنّ الله تعالى قد أمر بالتحكيم في شِقاقٍ بين الرجل وإمراته..؟

فقال الله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾[1].

وفي صيد أصيب كأرنب يساوي نصف درهم فقال تعالى: ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾[2].

قالوا: ونقمنا عليك أنّك محوت اسمك من إمارة المؤمنين يوم صفين ـ حين كتب كتاب الصلح وذلك أنّه قال لكاتبه أكتب، هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان فلم يقبل معاوية، فقال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) للكاتب: أكتب هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية ـ

فقال لهم: أنا كنتُ كاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبيّة فقال لي: أكتب هذا ما إصطلح عليه محمّد رسول الله وسهيل بن عمرو.

فقال سهيل: لو علمنا أنّك رسول الله لما صددناك ولا قاتلناك..!!

---

(١) سورة النساء الآية (٣٥).

(٢) سورة المائدة، الآية (٩٥).

فأمرني رسول الله ﷺ فمحوت ذلك، وكتبت هذا ما إصطلح عليه محمّد بن عبد الله وسهيل.

وإنّما محوت اسمي من إمرة المؤمنين كما محى رسول الله ﷺ اسمه من الرسالة وكانت لي به أسوة.

قالوا له: وإنّك قلت للحكمين أنظرا في كتاب الله فإن كنتُ أفضل من معاوية فأثبتاني في الخلافة وإلّا فأثبتاه.

فإن كنت شاكاً..!! فنحن فيك أعظم شكاً..!!!.

فقال لهم: إنّما أردتُ بذلك النصفة كما قال رسول الله ﷺ لنصارى نجران ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1].

قالوا: ونقمنا عليك أنّك حكّمت حكماً في حقٍ هو لك.

فقال لهم: إنّ رسول الله ﷺ حكّم سعد بن معاذ في بني قريظة[2] ولو شاء لم يفعل.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٦١).

(٢) من الأمور المهمّة التي أسسها النّبيّ ﷺ عندما هاجر إلى المدينة المنورة أن أساس وثيقة بينه وبين اليهود الأصليين الذين كانوا في المدينة، وهذه الوثيقة تقضي أن لا يتعرّض اليهود لأحدٍ من المسلمين بلسان ولا بيد ولا بسلاح، وأن لا يعينوا أحداً من أعداء الإسلام في العداوة على المسلمين لا في السرّ ولا في العلانية فإن فعلوا ذلك فرسول الله ﷺ في حلّ من سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونسائهم وأخذ أموالهم.
وقد كتب النّبيّ ﷺ لكل قبيلةٍ من القبائل اليهودية كتاباً خاصاً بهذا الشأن ـ والقبائل هم بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريضة ـ إلّا أن بني قريضة نقضوا العهد والميثاق وتعاونوا مع قريش والمنافقين في معركة الأحزاب ضد النّبيّ ﷺ وأصحابه.. وعندما علم النّبيّ ﷺ بخيانتهم أرسل إليهم الصحابيّين الجليلين سعد بن معاذ، وعبد الله بن رواحة، من أجل تذكيرهم بالعهد والميثاق.. فأصرّوا على موقفهم من نقض العهد وأساؤا الرد.
وبمجرد ما أن انتهت معركة الخندق وإنهزمت جيوش الأحزاب وانتصر المسلمون قرر النّبيّ ﷺ في =

عندئذٍ صاح منهم جماعة من كل ناحية: التوبة.. التوبة يا أمير المؤمنين.

فاستأمن منهم ثمانية آلاف، وبقي أربعة آلاف مصرين على حربه، فقاتلهم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) حتى أفناهم ولم يسلم منهم غير تسعة أنفس[1].

ـ المطلب الأوّل: اتفاق الخوارج في مكة

روى الشيخ المفيد رحمه الله في كتابه ـ الإرشاد ـ وغيره عن جماعة من أهل السير والتاريخ منهم أبو مخنف لوط بن يحي، وإسماعيل بن راشد، وأبو هاشم الرفاعي، وأبو عمر الثقفي، وأبو جعفر الطبريّ، وابن سعد في طبقاته، وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج بأسانيد مختلفة متفرقة تجتمع على معنى واحد، بل قال غير واحد أنّه هو المشهور عند أغلب المؤرخين.

أنّ ثلاثة نفر من الخوارج وهم:

١ ـ عبد الرحمن بن ملجم المرادي.

= اليوم نفسه الهجوم على بني قريضة، وأمر المسلمين أن لا يصلوا العصر إلّا في بني قريضة، لكسب الوقت واستثمار الوضع النفسي المنهار بعد هزيمتهم في الخندق، وحتى لا يعطيهم الفرصة من أجل ترتيب أوضاعهم السياسية، وحاصر المسلمون حصونهم واستمر الحصار عشرة أيام وربّما أكثر ولم يجرؤ أحد من بني قريظة على الخروج من الحصن طيلة المدة المذكور.. وكان الفتح على يدي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) واستسلموا وطلبوا من النّبيّ ﷺ أن يعاملهم كما عامل بني النضير من قبل ـ حيث تركهم يرحلون من المدينة على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلّا السلاح ـ فأبى النّبيّ ﷺ ذلك وعرض عليهم أن يختاروا من الأوس من شاؤا ليحكم فيهم.. فاختاروا سعد بن معاذ وقد نسوا موقفهم معه حينما جاءهم يذكرهم بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم حينما إنضموا إلى الأحزاب... فحكم فيهم سعد بقتل الرجال المقاتلين ممّن نقض العهد وقاتل، وسبي النساء والذراري ومصادرة أموالهم وممتالكاتهم وقد رضي النّبيّ ﷺ بحكم سعد هذا.. أنظر السبحانيّ، جعفر، السيرة المحمّدية، صفحة (١٥٣).

(١) الأمين، محسن، المجالس السنيّة، الجزء (١) صفحة (٣٧٧) طبعة دار المرتضى بيروت.

٢ ـ البرك بن عبد الله التميمي.

٣ ـ عمر بن بكر التميمي.

وقد اجتمع هؤلاء النفر الثلاثة في مكة المكرمة في موسم الحج، فلمّا انقضى الموسم أقاموا في مكة مجاورين للبيت الحرام، وتناولوا بأحاديثهم شؤون المسلمين، ماضيهم وحاضرهم، ومستقبلهم وما هم فيه من فتنٍ، وإضطرابات وصراعات سياسيّة واجتماعية، حتى وصل بهم الحديث إلى الخلافة.

فعابوا على أمر الولاة والأمراء، وعابوا أعمالهم عليهم، وذكروا أعمالهم، وذكروا معركة النهروان فترحموا على قتلاهم من الخوارج الذين قتلوا في تلك المعركة.

وقالوا: والله ما نصنع بالحياة بعدهم شيئاً..؟

وقالوا: هم إخواننا الذين كانوا دعاة الناس إلى عبادة ربهم، كانوا لا يخافون في الله لومة لائم.

ثُمّ قالوا: كان هذا البيت معظماً في الجاهليّة، جليل الشأن في الإسلام، وقد انتهك هؤلاء حرمته.

فلو أنّا شرينا أنفسنا لله عزّ وجلّ فأتينا أئمّة الضلال الذين أفسدوا في الأرض واستحلّوا حرمة هذا البيت فالتمسنا قتلهم، وأرحنا منهم البلاد والعباد، وثأرنا لإخواننا الشهداء بالنهروان، واختار الناس لهم إماماً.

فتعاقدوا عند انقضاء الحج ووافقوا جميعهم على هذا الأمر.

فانبرى عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وقال: أنا أكفيكم أمر عليّ بن أبي طالب.

وقال البرك بن عبد الله التميمي: أنا أكفيكم أمر معاوية بن أبي سفيان.

وقال عمرو بن بكر التميمي: أنا أكفيكم أمر عمرو بن العاص.

فتعاقدوا وتعاهدوا وتواثقوا وتوافقوا على الوفاء والالتزام.. وأن لا ينكل أحداً منهم عن صاحبه الذي يتوجّه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، وتعاهدوا أن يتمّ التنفيذ في ليلةٍ واحدةٍ بل في ساعةٍ واحدة.

وكان موعدهم في تنفيذ مخططهم ووقوع القتل منهم في شهر رمضان المبارك الليلة التاسعة عشرة من حين صلاة الفجر.

ثُمّ اعتمروا عمرة رجب[1].

يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج: إنّما تواعدوا بمكة على هذه الليلة لأنّهم يعتقدون أن قتل ولاة الجور قربة إلى الله، وأحرى القربات ما تُقُرِبَ به في الأوقات الشريفة المباركة، ولمّا كانت ليلة الجمعة التاسعة عشرة من شهر رمضان ليلة شريفة يرجى أن تكون ليلة القدر، عيّنوها لفعل ما يعتقدونه قربة إلى الله.

فليعجب المتعجب من العقائد كيف تسري في القلوب وتغلب على العقول حتى يرتكب الناس عظائم الأمور وأهوال الخطوب لأجلها[2].

فأخذوا أسيافهم فسمّوها ثُمَّ توجّه كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه.

ـ المطلب الثاني: عبد الرحمن بن ملجم في الكوفة

توجّه عبد الرحمن بن ملجم المرادي الذي تولى قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى الكوفة حيث مقر الإمام (صلوات الله عليه).

---

(١) الدينوري، عبد الله، الإمامة والسياسة، الجزء (١) صفحة (١٣٨) طبعة مؤسسة الحلبي القاهرة.

(٢) المدائنيّ، بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة الجزء (٦) صفحة (٧٢) طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

ووصل إليها في العشرين من شهر شعبان المعظّم فلمّا بلغ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) خبر قدومه قال (صلوات الله عليه): وقد وافى..؟!! أما إنّه ما بقي عليّ غيره، هذا أوانه..[1].

نزل ابن ملجم في دار الأشعث بن قيس، وكتم أمره على بقية أصحابه مخافة أن يُفتضح أمره ومخططه وينكشف ما قد عزم على فعله وتنفيذه، فكان يزور أصحابه ويزورهم.

ـ المطلب الثالث: ابن ملجم وقطام

استقرّ ابن ملجم في الكوفة، في دار الأشعث بن قيس، ومن هناك بدأ يخطط لتنفيذ المؤامرة، فرأى ذات يوم أصحاباً له من تيم الرباب، وكان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قد قتل منهم يوم النهروان عدداً فذكروا قتلاهم.

وفي ذلك اليوم التقى ابن ملجم عند أحد أصحابه إمرأة من بني تيم الرباب يقال لها قطام[2]، وكانت من أجمل أهل زمانها، فحين شاهدها ابن ملجم شغف بها فسأل في نكاحها وخطبها.

فقالت له: ما الذي تُسمّي لي من الصداق..؟

فقال لها: احتكمي ما بدا لك، لا تسأليني شيئاً إلّا أعطيته.

فقالت له: لا أتزوجك حتى تشتفي لي، إنّني محتكمة عليك بثلاثةِ آلافِ درهمٍ، ووصيفٍ.

---

(١) موسوعة شهادة المعصومين الجزء (١) صفحة (٣٣٤).

(٢) هي قطام بنت شجنة بن عديّ بن عامر بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن ذهل بن تيم الرباب، وقيل هي ابنة عم ابن ملجم، وقيل هي بنت الأخضر التيميّة ـ أنظر ابن سعد الطبقات الكبرى الجزء (٢) صفحة (٣٦) طبعة دار صادر بيروت.

ثُمّ أردفت قائلة: وقتل عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه).

وكان الإمام (صلوات الله عليه) قد قتل أباها وأخاها يوم النهروان فأرادت أن تثأر لهما.

فلمّا سمع ابن ملجم كلامها بدا عليه الذعر[١].

فقال لها: لك جميع ما سألتِ.. أما قتل عليّ بن أبي طالب فأنّى لي ذلك..؟! فلا أراكِ تدركينه، ولكن أضربه ضربة..!!.

قالت: إذاً فالتمس غرته[٢] فإن أصبته وقتلته شفيت نفسي وطاب لك العيش معي..[٣].

وإن أنت قُتلت فما عند الله خيرٌ وأبقى لك من الدنيا وزبرج أهلها.

فلمّا أمن جانبها وإطمأنت نفسه منها قال لها: لكِ ما سألتِ.

رضي ابن ملجم بطلبها وأخبرها عن عزمه على قتل عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) وقال لها:

أما والله ما جاء بي وأقدمني إلى هذا المصر إلّا قتل علي بن أبي طالب.

وقد ذكر العبدي مهر قطام في كلمة شعرٍ له فقال:

---

(١) ظنّ أنّها مرسلة إليه لتشي به وتعرف سرّه وغاية أمره وهدف قدومه.

(٢) الغرة، من كل شيء أوّله وأكرمه وبياض في جبهة الفرس ومن الشهر ليلة استهلال القمر ومن الهلال طلعته ومن الأسنان بياضها وأوّلها ومن الرجل وجهه وكل ما بدا من ضوء أو صبح فقد بدت غرته ومن القوم شريفهم وسيدهم ومن المتاع خياره ورأسه (جمعها) غرر والغرر ثلاث ليال من أول كل شهر قمري. أنظر،المعجم الوسيط صفحة (٦٤٨) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٣) وفي رواية أنّها قالت له: فإن أنت قتلته شفيت نفسي وهناك العيش معي. أنظر المفيد، الإرشاد الجزء (١) صفحة (١٨).

وفي رواية أنّها قالت: إن أصبته انتفعت بنفسك ونفسي. الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة الجزء (٢) صفحة (٥٠) طبعة شركة مكتبة الألفين.

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة كمهر قطام بيّناً غير مبهم
ثلاثة آلاف وعبداً وقينة وضرب عليّ بالحسام المسمّم
فلا مهر أغلى من عليّ وإن غلا ولا فتك إلّا دون فتك ابن ملجم
ليبشر بخزي في الحياة معجّل وطول خلودٍ ثاوياً في جهنم
فيأكل من الزقّوم تعساً بجدّه ويخلد في قعر من النار مظلم
ويشرب من الغسّاق والمهل ويله وسربال قطران لقلب متيّم[1]

ويقول الأربلي رحمه الله بعد أن ذكر هذه الأبيات: وذكرت بهذه الأبيات قول القائل:

فلا غرو للأشراف قد عبثت بها ذئاب الأعادي من فصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمزة الردى وحتف عليّ من حسام ابن ملجم[2]

قطام تطلب معاوناً لابن ملجم

بعد أن علمت قطام بغاية ابن ملجم وهدفه من المجيء إلى الكوفة ونيّته قتل عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) قالت له: ويحك من يقدرعلى قتل عليّ بن أبي طالب..!! وهو فارسُ الفرسان، ومغالبُ الأقران، والسباقُ إلى الطعان..! إنّي طالبة لك بعض من يساعدك على ذلك ويشدّ أزرك ويقويك.

فبعثت قطام إلى ابن عم لها يقال له: وردان بن مجالد، من تيم الرباب فأخبرته بخبر ابن ملجم وما ينوي فعله من قتل عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) وسألته معونة ابن ملجم في ذلك فوافق وأجابها على طلبها.

واستعان ابن ملجم أيضاً بشبيب بن بجرة وكان هذا الرجل على رأي الخوارج.

---

(١) الكوفيّ، أحمد أعثم، كتاب الفتوح، الجزء (٤) صفحة (٢٨٢) طبعة دار الأضواء بيروت.
(٢) الأربلي، علي عيسى، كشف الغمّة الجزء (٢) صفحة (٥٥).

ـ المطلب الرابع: حوار بين ابن ملجم وشبيب

إلتقى ابن ملجم بشبيب بن بجرة.. فقال له ابن ملجم: هل لك في شرف الدنيا والآخرة..؟

قال شبيب: وما ذاك..؟

قال ابن ملجم: تساعدني على قتل علي بن أبي طالب.

قال شبيب: هبلتك الهبول..!![1] (لقد جئت شيئاً إدّا)[2] وكيف تقدر على ذلك..؟!!.

قال ابن ملجم: نكمن له في المسجد، فإنّه رجلٌ لا حرس له، يخرج إلى المسجد منفرداً، فإذا خرج لصلاة الفجر شددنا عليه وفتكنا به فقتلناه، فإن نحن قتلناه ونجونا شفينا أنفسنا، وأدركنا ثأرنا، وإن قتلنا سُعدنا بالذكر الحميد في الدنيا، وبالجنّة في الآخرة وما عند الله خيرٌ من الدنيا.

فقال شبيب: ويحك! لو كان غير عليٍّ كان أهون عليّ، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النَّبيّ ﷺ والله ما تنشرح نفسي لقتله.

قال ابن ملجم: ويحك..! إنّه حكّم الرجال في دين الله عزّ وجلّ، وقتل إخواننا في النهروان، العبّاد المصلين، فنقتله بمن قتل من إخواننا.

فأجابه شبيب على طلبه.

وقد استعان ابن ملجم أيضاً برجلٍ من وكلاء عمر بن العاص أعانه بمائة

---

(١) هبلتك الهبول، بمعنى ثكلتك الثواكل قال في المعجم: أهبلت المرأة لزمها الثكل وفلانة أثكلها ولدها، ومنها قول القائل: لأمك الهبل، بمعنى لأمك الثكل. أنظر ـ المعجم الوسيط ـ مادة هبل.

(٢) سورة مريم ـ الآية (٨٩). الآية تقول: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مَرْيَم: ٨٩] قال أهل اللغة: الإدّ الأمر الداهي المنكر.. أنظر ـ المعجم الوسيط ـ مادة إد.

ألف درهم رفعها إلى قطام، وبذلك يكون عدد الذين يريدون تنفيذ خطة الاغتيال ثلاثة نفر.

١ ـ عبد الرحمن بن ملجم المرادي.

٢ ـ وردان بن مجلد من تيم الرباب.

٣ ـ شبيب بن بجرة.

اتفق هؤلاء على تنفيذ المؤامرة ليلة التاسع عشر من شهر رمضان، وما زال ابن ملجم يتربّص بالإمام (صلوات الله عليه) وينتهز الفرصة، ويصلح سيفه، ويكرر صقله[1] ويسقيه السمّ.. ينتظر ساعة التنفيذ.

فدخل على قطام يوماً، فأخذت منه السيف وأخرجته من غمده وراحت تنظر إليه وإلى حسن صقله، فقالت: إنّي أريد أن أسقيه سماً نقيعاً عندي.

فقال لها ابن ملجم: لا حاجة إلى السمّ وهو لو وقع على حجر أبرأه شطرين.

فقالت: لا بدّ له من السمّ لأن علياً ليس كمن لاقيتَ من الشجعان، فما زالت تصفه وتعظّمه في عينه بكلامٍ يغيظه ليجهد نفسه في قتل عليّ (صلوات الله عليه) فأخذه بعدما عملت فيه ما شاءت من السمّ.

ـ المطلب الخامس: ابن ملجم يلتقي بأمير المؤمنين

وفي يومٍ خرج ابن ملجم إلى السوق، وكان الإمام (صلوات الله عليه) جالساً عند الصحابيّ الجليل ميثم التمّار[2] (رضوان الله عليه) فمرّ ابن ملجم على الإمام (صلوات الله عليه) فسلّم بخشوع النفاق، وخضوع الملاق.

---

(١) الصقل: يقال: صقله صقلاً وصقالاً بمعنى جلّاه يقال: صقل السيف والمرآة ونحوهما ويقال: صقل صقلاً كان أملس مصقولاً وكان مصمتاً مدمجاً كالحديد.. أنظر ـ المعجم الوسيط ـ مادة صقل.

(٢) انظر ترجمته: صفحة (٥٨٥).

فجعل الإمام (صلوات الله عليه) يطيل النظر إليه ويرسل الفكر فيما عزم عليه.

ثُمّ التفت أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى ميثم التمّار (رضوان الله عليه) وقال له: يا ميثم هذا قاتلي لا محالة.

فقال الصحابيّ الجليل ميثم (رضوان الله عليه): ومتى يكون ذلك يا سيّدي..؟

فقال (صلوات الله عليه) تالياً الآية الكريمة ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1] وإذا نزل القضاء فلا مردّ له، وكفى بالأجل حارساً.

ثُمّ قال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم» وذكر رسول الله ﷺ، ثُمّ أنشد هذه الأبيات:

ما لإنسان من الموت نجا ... كل إمرء لا بدّ يأتيه الفنا
تبارك الله سبحانه ... لكل شيء آخرٌ وانتها
يقدّر الإنسان في نفسه ... شيئاً ويأباه عليه القضا
لا تأمن الأيام في مكرها ... لكل شيء مدة وانقضا
فبينما الإنسان في غفلة ... يمشي وقد حلّ عليه القضا[2]

وقال الشعبي: أنشد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قبل أن يستشهد بأيّام:

تلكم قريش تمناني لتقتلني ... فلا وربّك ما فازوا ولا ظفروا
فإن بقيت فرهن ذمّتي لهم ... وإن عدمت فلا يبقى لها أثر
وسوف يورثهم فقدي على وجل ... ذلّ الحياة بما خانوا وما غدروا[3]

---

(١) سورة الرعد الآية (١٣).

(٢) الخطي، علي، مجموعة وفيات الأئمة، صفحة (٥٤) طبعة دار البلاغة بيروت.

(٣) المسعودي، علي حسين، مروج الذهب، الجزء (٢) صفحة (٤٣٩) طبعة دار القارئ بيروت.

ـ المطلب السادس: قطام معتكفة في المسجد الأعظم

كانت قطام قد نصبت خباءاً في المسجد الأعظم قبيل تنفيذ الجريمة بحجّة أنّها معتكفة فيها لعبادة ربها، فدخل عليها ابن ملجم، ومعه معاونه شبيب بن بجرة، وقالا لها: قد اجتمع رأينا على قتل علي بن أبي طالب.

فقالت لهما: إذا أردتما ذلك فأتياني في هذا الموضع.

فانصرفا ولبثا أياماً ثُمّ أتيا ومعهما وردان بن مجالد، ليلة الأربعاء لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان المبارك، فعصّبت قطام صدورهم بالحرير وجعلته عليهم كالدرع لتقيهم من الطعن، وتقلّدوا سيوفهم المسمومة، وقالت لهم: اغتنموا الفرصة ولا تدعوها تذهب.

وفي رواية أنّه أحيا الليل مفكراً في أمره، فأتت إليه قطام في نصف الليل وقالت له: إنّ من يريد مثل هذا الأمر العظيم حرام عليه النوم، قم واقتل علياً وارجع لحصول مرادك مني[1].

---

(١) الطبريّ، محمّد جرير، تاريخ الأمم والملوك، الجزء (٣) صفحة (١٥٦) طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

القسم الخامس

شركاء الجريمة

وهم على قسمين:

- القسم الأوّل:غير مباشرين
- القسم الثاني: شركاء غير مباشرين

القسم الأوّل

شركاء مباشرين

تمهيد:

يمكن لنا أن نثبت من خلال الأدلة والقرائن أن الشركاء في جريمة اغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) هم عدة أشخاص:

ـ **أوّلاً**: معاوية بن أبي سفيان.

ـ **ثانياً**: الأشعث بن قيس.

ـ **ثالثاً**: الخوارج.

ـ **رابعاً**: قطام[1].

يُفهم من النصوص التاريخيّة التي رواها مؤرخو الشيعة والسنّة إلى أنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قد تمّ اغتياله بمؤامرةٍ خطط لها معاوية ونفّذها عدد من بقايا الخوارج.

المشهور على ألسنة المؤرخين والرواة والمحدثين بل ربما تعدى الشهرة وكاد أن يكون إجماعاً بين المؤرخين وكُتّب السيرة[2] أنّ ثلاثة نفرٍ من الخوارج اجتمعوا بعد معركة النهروان في مكّة المكرمة عند البيت الحرام،

---

(١) سوف يثبت لدينا بالدليل ضلوع هؤلاء في مؤامرة اغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

(٢) أنظر، المسعودي، مروج الذهب. والطبريّ، تاريخ الامم والملوك، الزهريّ طبقات ابن سعد.

وتذكروا قتلاهم ووصفوهم بالعبّاد الصالحين واستقرّ رأيهم بعد المداولات حول كيفية إيجاد حلّ لمشكلات العالم الإسلاميّ على أنّ منشأ الفتنة ثلاثة أشخاص هم:

الإمام علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه).

ومعاوية بن أبي سفيان.

وعمرو بن العاص.

وما دام هؤلاء الثلاثة أحياءً فستبقى الأُمّة الإسلاميّة تعيش حالةً من الإضطراب وعدم الأمان والاستقرار.. وقد تقدم الكلام سابقاً حول اتفاق الخوارج في مكة المكرمة.

وهكذا أخذ هؤلاء القوم على عاتقهم مهمّة اغتيال هؤلاء الثلاثة.

التزم ابن ملجم المراديّ مهمّة اغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وألتزم البرك بن عبد الله التميميّ مهمّة اغتيال معاوية بن أبي سفيان، وألتزم عمرو بن بكر التميميّ مهمّة قتل عمرو بن العاص.

وعزم هؤلاء الثلاثة على تنفيذ خطّة القتل هذه في الليلة التاسعة عشرة من ليالي شهر رمضان المبارك المصادفة ليلة القدر الأولى حيث يضطرّ هؤلاء الثلاثة للقدوم إلى المسجد.

ـ المبحث الأوّل: مهمة البرك بن عبد الله التميمي

قدم البرك بن عبد الله التميميّ إلى الشام، ورصد لمعاوية وقعد له في تلك الليلة في المسجد وبينما معاوية يصلّي قام البرك وضربه ضربةً أخطأت هدفها ووقعت على أليته، فأخذ وبقي أسيراً عند معاوية.

فبعث معاوية إلى الساعدي وكان طبيباً فلمّا نظر في إصابة معاوية قال له:

إختر إحدى خصلتين، إمّا أن أحمّي حديدة فأضعها موضع السيف، وإمّا أن أسقيك شربة تقطع منك الولد، وتبرأ مِمّا أنت فيه فإنّ ضربتك مسمومة[١].

فقال معاوية: أمّا النار فلا صبر لي عليها، وأمّا انقطاع الولد فإنّ في يزيد وعبد الله ما تقرّ به عيني.

فسقاه الطبيب تلك الشربة فبرأ ولم يولد له بعدها.

وبقي البرك بن عبد الله التميميّ محبوساً عند معاوية إلى أن جاء خبر مقتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)فأطلق سراحه[٢].

تقول الروايات: أن البرك بن عبد الله قال لمعاوية: إنّ لك عندي بشارة.

قال معاوية: وما هي..؟

فأخبره التميميّ بخبر صاحبيه.

وقال له: إنّ علياً يقتل في هذه الليلة فاحبسني عندك، فان قُتل فأنت ولي ما تراه في أمري، وإن لم يقتل أعطيتك العهود والمواثيق أن أمضي فأقتله ثُمَّ أعود إليك فأضع يدي في يدك حتى تحكم فيّ بما تراه.

فحبسه معاوية عنده، فلمّا أتاه أنّ علياً قد قُتل خلى سبيله[٣].

ـ المبحث الثاني: مهمة عمرو بن بكر التميميّ

أمّا عمرو بن بكر التميميّ الذي كان مكلّفاً بقتل عمرو بن العاص فتوجّه إلى مصر حيث ابن العاص، وقعد له في المسجد، ولكن ابن العاص اشتكى علّة في بطنه منعته من الخروج للصلاة فاستخلف خارجة بن أبي حبيب للصلاة، وكان خارجة قاضي مصر، فشدّ عليه التميميّ ظنّاً منه أنّه عمرو بن العاص فضربه ضربة بسيفه فقضى عليه.

---

(١) الطبريّ، محمّد جرير، تاريخ الأمم والملوك، الجزء (٣) صفحة (١٥٩) طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

(٢) المسعودي، عليّ حسين، مروج الذهب، الجزء (٢) صفحة (٤٣٩) طبعة دار القارئ بيروت.

(٣) الأصفهانيّ، أبو الفرج، مقاتل الطالبين صفحة (١٨).

فأخذه الناس وقدموه لابن العاص، وكان ابن العاص قد دخل على خارجة وبه رمقٌ وبقية من حياة، فقال خارجة لابن العاص: والله ما أراد غيرك..! فقال عمرو بن العاص: ولكن الله أراد خارجة.

وأوقف الرجل بين يدي عمرو بن العاص فقال: من هذا..؟ فقالوا له: هذا عمرو بن العاص.. فقال: إذن من قتلت..؟ قالوا: قتلت خارجة.. فقال الرجل: أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك!! فقال عمرو بن العاص: أردتني وأراد الله خارجة.

ثُمّ سأله عن خبره فقصّ عليه القصة وأخبره بخبر صاحبيه وأنهما قد قتلا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ومعاوية.

فقال له عمرو بن العاص: إن قُتلا أو لم يقتلا فلا بدّ من قتلك، فبكى.

فقيل له: أجزعاً من الموت تبكي مع إقدامك هذا..!!.

فقال: لا والله، ولكن أبكي غماً أن يفوز صاحباي بقتل عليّ ومعاوية ولا أفوز أنا بقتل عمرو، فقدمه عمرو وضربت عنقه[1].

ـ المبحث الثالث: مهمة عبد الرحمن بن ملجم المراديّ

أمّا ابن ملجم الذي توجّه إلى الكوفة لتنفيذ ما التزم به أمام صاحبيه من قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، فقد استطاع تنفيذ مهمّته بتحريض من قطام ومساعدة الأشعث بن قيس، ومعاونة شبيب بن بجرة، ووردان بن مجالد.

وهذه الرواية متّفق عليها من قبل جميع المؤرّخين المسلمين تقريباً[2].

---

(١) الطبريّ، محمّد جرير، تاريخ الأمم والملوك، الجزء (٣) صفحة (١٥٩) طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

(٢) المصدر السابق صفحة (١٥٦).

القسم الثاني

شركاء غير مباشرين

وفيه تمهيد وجملة من المباحث.

ـ المبحث الأوّل: معاوية المخطط الأوّل.

ـ المبحث الثاني: شراكة الأشعث بن قيس.

ـ المبحث الثالث: قطام أحقادٌ وضغائن.

ـ المبحث الرابع: الخوارج كفرٌ ونفاق.

ـ المبحث الخامس: هل انتصر معاوية ضد أمير المؤمنين.

تمهيد

لا بدّ للباحث أنّ يتوقف عند نقطة هامة في البحث وهي أن الشركاء في جريمة اغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، ومحاولة اغتيال معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص،على قسمين:

القسم الأوّل: أدوات التنفيذ لهذه الجريمة النكراء وهم: عبد الرحمن بن ملجم، والبرك بن عبد الله التميميّ، وعمرو بن بكر التميميّ..

القسم الثاني: العقل المدبّر والمخطط لهذه الجريمة النكراء، وهم الذين كان لهم دورٌ غير مباشر في هذه القضية من حيث التخطيط والمؤامرة والعمل الاستخباري.

القسم الأوّل ـ وهم بقايا الجوارج ـ قام بتنفيذ الجريمة سواء أكان على إتصالٍ بمن خطط له ودبر أما لا..

والاحتمالات في ذلك ثلاثة:

ـ **الاحتمال الأول**: أنّهم كانوا على علمٍ مسبق بالمخطط..

ـ **الاحتمال الثاني**: أنهم استقلوا بعملهم بعد تشجيعهم من قبل الاستخبارات الأمويّة..

ـ **الاحتمال الثالث**: أنهم على غير علم بالمخطط أبداً بل استقلوا بعملهم من الأصل..

بعد دراسة القرائن والأدلة التاريخية ـ التي سوف نتحدث عنها ـ يظهر لنا استبعاد الاحتمال الأوّل والثالث، وبالتالي يثبت الاحتمال الثاني القائل بأنّ التخطيط والتدبير من قبل السلطة الأموية والتشجيع على التنفيذ من قبل الاستخبارات الأمويّة، والتنفيذ من قبل الخوارج.

القسم الثاني ـ الشركاء غير المباشرين للجريمة هم أربعة أشخاص:

١ ـ معاوية بن أبي سفيان.

٢ ـ الأشعث بن قيس.

٣ ـ قطام بنت شجنة الرباب.

٤ ـ الخوراج.

المبحث الأوّل:
معاوية المخطط الأوّل

تمهيد

إنّ من يتفحّص النصوص الروائية المعتمدة في البحث التاريخي ـ بنظرة بدوية ـ لا يمكن أن يجد سنداً روائياً أو وثيقة تاريخية يمكن أن تشكل دليلاً

معتمداً يعزو بوضوح مؤامرة قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى معاوية بن أبي سفيان..

نعم توجد ثمّة حقائق وقرائن تاريخيّة وأسانيد روائية تثبت لنا بعد الفحص والنظر والتحقيق ضلوع معاوية بن أبي سفيان في قضية اغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

ولا يمكن للباحث أن ينكر على ضوئها تخطيط معاوية في هذه الواقعة.

ـ المطلب الأوّل: حقائقٌ وقرائن

ـ **الحقيقة الأولى**: إنّ الحقائق التاريخيّة والوثائق الروائية تثبت لنا بالدليل أنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان بصدد التجهيز والإعداد والمسير إلى معاوية لمحاربته بعد انقضاء مدة الهدنة، وكان معاوية على يقين بأنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) صائرٌ إليه بأهل العراق، وهو على يقين أنّه إن سار أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إليه فإنّه لن ينجو هذه المرّة أبداً من جميع المكائد والمحاولات مهما كان نوعها.

ـ **الحقيقة الثانية**: لا شكّ في أنّ معاوية كان بصدد قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وذلك لأنّه كان يعلم جيّداً بأنّه لن يصل إلى الخلافة طالما بقي عليّ (صلوات الله عليه) حيّاً، هذا من جهة.

ومن جهة أُخرى، فإنّ قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في ساحة المعركة لم يكن أمراً ميسوراً، بل إنّ تجربة واقعة صفّين أثبتت أنّه لو تكررت الحرب مع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فإنّها قطعاً سوف تنتهي بهزيمة معاوية والقضاء عليه، وعلى هذا فإنّ أفضل السبل لإزاحة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) عن الطريق هو اغتياله والقضاء عليه جسدياً.

وسياسة الاغتيال في نظر معاوية هي من أفضل الطرق والأساليب لإنجاح

مخططاته، وهو عمل سبق له أن جرّبه مع الصحابيّ الجليل مالك الأشتر (رضوان الله عليه) الذي يعتبر من أفضل الشخصيات التي وقفت إلى جانب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وكان له دورٌ بارزٌ في صفين.

وتتحدث[1] الأخبار أنّه بينما كان مالك الأشتر[2] (رضوان الله عليه) في طريقه متجهاً إلى مصر والياً عليها منصوباً من قبل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إذ لقيه مبعوث معاوية فقدم له عسلاً ممزوجاً بالسمّ فقضى عليه قبل وصوله إلى مصر.

وهكذا اتّخذ معاوية سياسة الغدر والفتك وكان معروفاً بالتآمر على معارضيه ولذلك كان يغتال كل من يقف حجرعثرةٍ أمام أهدافه وطموحاته الخبيثة، ولم يجد أشدّ فتكاً وأخفّ مؤنة من العسل المسموم الذي كان يجربه مع أخصامه ومناوئيه ولذلك كان العسل المسموم أحد جنود معاوية وقد اشتهر عنه وعن ابن العاص قولهما: [إنّ لله جنوداً من عسل]

وإليك فيما يلي بعض النماذج من الأشخاص الذين قتلهم معاوية بهذه الطريقة:

أوّلاً: اغتيال عبد الرحمن بن خالد:

تتحدث كتب التاريخ أنّ معاوية سأل أهل الشام أنّه لمن يعقد الأمر من بعده؟

فقالوا له: رضينا بعبد الرحمن بن خالد.

وكان عبد الرحمن له حظ عند أهل الشام، فأصرّها معاوية في نفسه وشقّ عليه أمرهم ورأيهم لأنّه كان يريد أن يجعل ولاية العهد لولده المشؤوم يزيد،

---

(١) الريشهريّ، محمّد، موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة والتاريخ، شهادة مالك الأشتر.

(٢) انظر ترجمته: صفحة (٥٨٦).

وعندما أُصيب عبد الرحمن بن خالد بمرض أوحى معاوية إلى طبيبٍ يهوديٍ وكان مقرباً لدى معاويةِ أن يسقيه سقية تقتله، فسقاه فمات الرجل، واستراح معاوية[١].

ثانياً: اغتيال عبد الرحمن بن أبي بكر:

إنّ معاوية بعد أن طرح ولده يزيداً ولياً للعهد أنكر عبد الرحمن بن أبي بكر على معاوية هذا الأمر وقال: أهرقلية..!!.

إذا مات كسرى كان كسرى مكانه..؟!.

والله لا نفعل ذلك أبداً.

فحاول معاوية أن يشتري سكوته فبعث إليه بمائة ألف درهم فردها عبد الرحمن وقال:[لا أبيع ديني بدنياي].

فدسّ إليه معاوية السمّ فقضى عليه[٢].

ثالثاً: اغتيال سعد بن أبي وقاص:

كان سعد ابن أبي وقّاص معارضاً لتنصيب يزيد خليفة من قبل معاوية، وابن أبي وقاص هو من الشخصيات التي رشحهم عمر بن الخطاب للخلافة، فلمّا رأى معاوية معارضته دسّ إليه السم فقضى عليه[٣].

رابعاً: اغتيال الإمام أبي محمّد الحسن:

حيث دسَّ له السم في طعامه بواسطة زوجته الغادرة جعدة بنت الأشعث.

---

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب، الجزء (٢)، صفحة (٨٣٠).

(٢) المصدر السابق، صفحة (٨٢٥).

(٣) المدائنيّ، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الجزء (١٦)، صفحة (٢٩)، طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

تقول الرواية: أرسل معاوية إلى ملك الروم يطلب منه سماً فتاكاً سريع التأثير فامتنع ملك الروم عن إجابته وكتب إليه يقول: إنّه لا يصلح في ديننا أن نعين على قتل من لم يقاتلنا[١].

فأجابه معاوية: إنّ الرجل الذي أردت قتله هو ابن الرجل الذي خرج في أرض تهامة، وقد خرج الآن يطلب ملك أبيه وأنا أريد قتله بالسم لأريح منه العباد والبلاد فأرسل إليه ما أراد.

واستطاع معاوية أن يغري جعدة بنت الأشعث زوجة الإمام الحسن (صلوات الله عليه) ووعدها أن يزوجها ولده يزيد ودفع لها مائة ألف درهم يقول ابن أبي الحديد: وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد فلم يكن عليه شيء أثقل من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص فدس إليهما سماً فماتا منه.

قال أبو الفرج حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن عيسى بن مهران عن عبيد بن الصباح الخراز عن جرير عن مغيرة قال: أرسل معاوية إلى بنت الأشعث بن قيس وهي تحت الحسن فقال لها: إنّي مزوجك يزيد ابني على أن تسمي الحسن وبعث إليها بمائة ألف درهم ففعلت وسمت الحسن فسوغها المال ولم يزوجها منه فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيروهم وقالوا: يا بني مسمة الأزواج[٢].

إلى غير ذلك من الأشخاص الذين قتلهم بذنب حبّهم وولائهم لعلي (صلوات الله عليه) وحسبك ما حصل لحجر بن عدي وأصحابه.

فإنّ هذه الأساليب كان يتّبعها معاوية بن أبي سفيان من أجل تمهيد الطريق أمام ولده يزيد للاستئثار بالسلطة فكيف بمن يريد أن يقتلعه هو من السلطة؟!.

---

(١) المصدر السابق. الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمّة، الجزء (١)، صفحة (٥٦٢)، طبعة دار التعارف بيروت.

(٢) الأمينيّ، الغدير جزء (١١) صفحة (٣٠) نقلاً عن الطبريّ في تاريخه جزء (٦) صفحة (١٣٢).

لذلك كان عليه أن يفكّر بمؤامرةٍ تخلّصه من أمير المؤمنين إلى الأبد.

فكانت مؤامرة الاغتيال من تدبيره وتدبير عمرو بن العاص والأشعث بن قيس ـ بالاتفاق أو بدونه ـ وكان لقطام في الكوفة دورٌ ثأريٌ.. فكانت المصالح بين هؤلاء مشتركة والأهداف موحدة في قضية الاغتيال، وإن كانت الغايات مختلفة.

* * *

وفيما يلي نذكر بعض القرائن الدالة على ضلوع معاوية في مؤامرة اغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)

ـ **القرينة الأولى**: نلاحظ من خلال الوثائق التاريخيّة أن معاوية لم يقتل البرك بن عبد الله التميميّ[1] الذي جاء لقتله..!! والمعروف أنّ معاوية لم يتحل يوماً من الأيام بسجيّة السماحة والعفو.. بل كان على العكس تماماً فهو الذي كان يضع العيون والجواسيس في كل مكان ويحيك الدسائس بهدف التخلّص من جميع مناهضيه فقد أراق الكثير من دماء المسلمين بدمٍ باردٍ وقتل الكثير من الصحابة والصالحين الذين كان يشم فيهم رائحة العرقلة لأهدافه، فلماذا يكون سمحاً حليماً بمن كان يريد أن يستهدف حياته الشخصيّة بضربة سيفٍ..!!.

القرينة الثانية: معاوية يضع أحاديث في فضل ابن ملجم.

أخرج العلّامة الكبير الأمينيّ في كتابه (الغدير) أن معاوية أعطى سمرة بن جندب من بيت المال أربعمائة ألف درهم على أن يخطب في أهل الشام بأنّ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي

(١) المدائنيّ، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الجزء (١٦)، صفحة (٢٩)، طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) وأن قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ نزل في ابن ملجم أشقى مراد[1].

ـ **القرينة الثالثة**: في بعض الوثائق التاريخية أن معاوية خرج إلى الصلاة يرتدي درعاً وكأن المتفق عليه أنّ الضربة تقع على الدرع حتى لا يشار إلى معاوية بأنّه هو المتآمر على قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بل يقال: إنّ معاوية مستهدف كما استهدف أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وكما استهدف عمرو بن العاص!! وتنطلي الحيلة على المسلمين، فتكون الضربة وقعت على إليته من باب الخطأ في التنفيذ والاتفاق[2].

كل ذلك مع الأخذ بعين الاعتبار أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لم يكن معه حراسة لأنه كان يرفض من يحرسه فقد جاء في بعض الروايات عن يعلى بن مرة قال: كان علي يخرج بالليل إلى المسجد ليصلي تطوعاً، وكان الناس يفعلون ذلك..

وقال: إئتمرنا أن نحرس علياً كل ليلة عشرة.

قال: فخرج فصلى كما كان يصلي، ثُمَّ أتانا، فقال: ما شأن السلاح..؟!.

قلنا: نحرسك.

فقال: من أهل السماء..؟! أو من أهل الأرض..؟!.

---

(١) المسعودي، علي، مروج الذهب، الجزء (٢)، صفحة (٤٣٩)، طبعة دار القارئ بيروت.
(٢) الفضليّ، رياض، مصرع الحقّ، صفحة (١٦٤).

قلنا: نحن أهون وأضعف أن نحرسك من أهل السماء.

قال: فإنّه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء، وإنّ عليَّ من الله جنة حصينة، فإذا جاء أجلي كشف عني، وإنّه لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه..[١].

وعن حفص بن غياث، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه قال: دخل الحسن بن عليّ على معاوية، فقال له معاوية: أبوك الذي كان يقاتل أهل البصرة فإذا كان آخر النهار مشى في طرقها..؟!.

قال (صلوات الله عليه): علم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه.

فقال معاوية: صدقت...[٢].

ـ المطلب الثاني: مشروعية الحراسة في الإسلام

لا شك في مشروعية الحراسة ورجحانها، لرد كيد الأعداء.. وقد كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يحرس رسول الله ﷺ عند أسطوانة في مسجد النَّبيّ ﷺ، وقد سميت تلك الأسطوانة بسبب ذلك بأسطوانة المحرس.

وكان رسول الله ﷺ يأمر بالحراسة أيضاً، ولا سيّما في الغزوات والأسفار، ومن الأقوال التي اشتهرت عنه: من يحرسنا الليلة..؟![٣].

فما معنى أن يرفض أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) حراسة هؤلاء المتبرعين بها؟!.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق الجزء (٤٢) صفحة (٥٥٤ و ٥٥٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المجلسيّ، محمّد، بحار الأنوار الجزء (٢٠) صفحة (١٧٧)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

ثُمَّ هو يعلل رفضه هذا بأنّه لا يذوق عبد طعم الإيمان حتى يستيقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه..!!.

ألم يكن (صلوات الله عليه) واقفاً على هذه القاعدة التي استدل بها عليهم حين كان يحرس الرسول ﷺ..؟!.

الظاهر أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قد استشعر أن هؤلاء المتبرعين كانوا يرون أنّهم إذا حرسوه، فإنّهم يمنعون أشقى الآخرين من تحقيق مرامه في اغتياله (صلوات الله عليه).

وكأنّهم يظنون أن ما أخبر به رسول الله ﷺ من شهادته (صلوات الله عليه) كان من القضاء الذي يمكن دفعه، لأنّه لم يصل إلى مرتبة الحتم والإبرام..

وكلامه (صلوات الله عليه) معهم يدلّ على أنّه كان بصدد إفهامهم أنّ ما أخبر رسول الله ﷺ هو من القضاء المبرم الذي لا يُردَّ وأنّ عليهم أن يستيقنوا بهذا الأمر يقيناً لا شبهة فيه، فإنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه.. فهو من المحتوم الذي لا يُردُّ ولا يُبدَّل.

وحديث معاوية مع الإمام الحسن (صلوات الله عليه) يشهد بذلك فإنّ معاوية كان يحاول أن يتنقص علياً (صلوات الله عليه) وينسب إليه الرعونة والحمق ـ والعياذ بالله ـ لأنّ تصرفاته متناقضة، وبلا ضابطة، فهو يحارب أهل البصرة، أوّل النهار، ثُمَّ تراه في آخر النهار يمشي في طرقها، مع أن من المفروض أن لا يُعرِّض نفسه للأخطار، فإنّ من يحارب قوماً يحتاط لنفسه.

لأنَّ من الطبيعي أن يراه شخص موتور على تلك الحال، فيبادر إلى اغتياله..

فأجابه الإمام الحسن (صلوات الله عليه) بما أخرسه، وحتم عليه التسليم والتصديق بالرغم منه، حيث بين أنّ هذا من فضائله لدلالته على شدة يقينه بصدق ما أخبر به الرسول من أن قاتله هو أشقى الآخرين. وقد دلّه عليه وعرفه به، وبكثير من تفاصيل ما يجري عليه..

فما معنى أن يعاب عليه بأمرٍ يدلّ على عميق إيمانه، وشدة يقينه برسول الله ﷺ؟!

ـ المطلب الثالث: وثيقة تاريخية

عندنا وثيقة تاريخية تثبت لنا بوضوح أن معاوية هو الرأس المدبر لاغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقد أشار الصحابيّ الجليل أبو الأسود الدؤليّ (رضوان الله عليه) في رثائه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إشارة واضحة وصريحة إلى ضلوع معاوية في جريمة الاغتيال، وهذه القصيدة تُعتبر من الأدلّة الواضحة على تآمر معاوية في هذه القضية الشنعاء.. يقول أبو الأسود الدؤليّ (رضوان الله عليه) في رثاء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فلا قرَّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... وذللها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والمبينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت النور فوق الناظرينا
لقد علمت قريش حين كانت ... بأنك خيرهم حسباً ودينا[1]

فإنَّ هذه الأبيات الرثائيَّة تدل بوضوح على أنَّ معاوية وراء اغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

وفي رواية الراغب عن شريك أنّه قال: لمّا أتى معاوية نبأ مقتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان متكئاً، فاستوى جالساً، ثُمّ قال: يا جارية غنيني، فاليوم قرّت عيني.

---

(١) الطبريّ، محمّد جرير، تاريخ الأمم والملوك، الجزء (٣) صفحة (١٦٠) طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

فأنشأت تقول:

ألا أبلغ معاوية ابن حرب فلا قرّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا بخير النّاس طرّاً اجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا وأفضلهم ومن ركب السفينا

فرفع معاوية عموداً كان بين يديه فضرب رأسها ونثر دماغها[1] وفي هذه الأبيات دلالة واضحة وإشارة صريحة على ضلوع معاوية في اغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ولهذا اعتبر الكثير من المؤرخين وأهل التحقيق أنّ هذه الأبيات تعتبر وثيقةً معتبرةً ودليلاً واضحاً على تواطؤ معاوية في جريمة اغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)وقد نسب جملة من المؤرخين هذه الأبيات إلى الصحابيّ الجليل أبي الأسود الدؤليّ (رضوان الله عليه) كما مرّ.

ـ المطلب الرابع: شبهة ورد

ربّما يرفض البعض هذا الرأي ـ القائل بأنَّ معاوية بن أبي سفيان هو الرأس المدبّر لاغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بمعاونة عمرو بن العاص ـ باعتبار أنَّ اليدَّ التي تمكَّنت من اغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قد انعكست على معاوية ورفيقه عمرو بن العاص أيضاً فكيف يمكن القول أنَّ معاوية وابن العاص قد خططا لاغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وقد طالهما بعض الذي طاله..؟!.

في مقام الإجابة نقول:

أنَّ هذه الشبَّهة هي الشبَّهة الوحيدة في هذا المقام والتي يمكن من خلالها مناقشة هذا الرأي، ويمكن مناقشتها ضمن بعض النقاط.

---

(١) المحمودي، نهج السعادة، الجزء (٩)، صفحة (٤٦٠)، طبعة مؤسسة النعمان النجف الأشرف.

ـ **النقطة الأولى**: لو لم تحصل هذه اللعبه ـ محاولة قتل معاوية وابن العاص ـ فإنَّه حينئذٍ سوف تتوجَّه الأنظار مباشرة ومن دون أي مقدمات إلى إتهام معاوية بهذه الجريمة وعندها سوف يواجه مشاكل مع المجتمع، فدفعاً للمحذور قدم معاوية نفسه ورفيقه على أنَّهما مستهدفين كما استهدف أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وبالتالي قطع شك كل من يريد أنَّ يشكك ويتّهم.

ـ **النقطة الثانية**: من المحتمل أن لا يكون ابن ملجم والبرك بن عبد الله التميميّ وعمرو بن بكر التميميّ على علم بمخطط معاوية وابن العاص، فمن المحتمل أن يكون معاوية قد دسّ إليهم من يحرضهم ويشجعهم على عملهم ولا يكونوا على اتفاق مباشر معهم ويكفيك ما حصل لهما ليلة التنفيذ، فتأمَّل.

ـ **النقطة الثالثة**: في المؤامرات الكبرى غير المباشرة التي تحوكها وتنفّذها العناصر المعارضة، كثيراً ما تطال نيران تلك المؤامرات المخطّطين الأصليّين وخاصة في ذلك العصر الذي كانت تنعدم فيه وسائل الإتصال السريع، فكان لا بدَّ من هذا الأمر.

المبحث الثاني:
شراكة الأشعث بن قيس

تمهيد:

إحدى القرائن الأخرى التي ينبغي النظر فيها وهي جديرة بالتأمّل في هذا السياق دور الأشعث في هذه الواقعة، فهو لم يكن مؤيّداً لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من كلّ قلبه، بل إنّه هدّد الإمام بالقتل، ووصفه الإمام علانية بالنفاق، ولكن بما أنّه كان رئيساً لقبيلة كِندة، فإنّ الإمام كان ينتهج

معه أسلوب المداراة؛ لأنّ إبعاده عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان يخلق له مشكلة مع تلك القبيلة الكبيرة ويمنعها من الوقوف إلى جانبه.

وتثبت لنا الوثائق التاريخية أنَّ الأشعث كان معاوناً لأبن ملجم في جريمته وهو الذي حثّه على تنفيذ الجريمة قبل حلول الفجر حيث قال له: النجاء النجاء لحاجتك فقد فضحك الصبح.. مضافاً إلى نزول ابن ملجم في داره وبقائه عنده مدة شهرٍ.

إنَّ حياة الأشعث وسيرته وسيرة أبنائه مع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وأبنائه (صلوات الله عليهم) واضحة في نصب العداء والبغض لهم (صلوات الله عليهم) ولذلك نجد أنَّه من المناسب أن نستعرض شطراً من سيرته القذرة للوقوف على محلّ الشاهد في هذا البحث من شراكته في جريمة اغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وذلك ضمن جملة من المطالب.

ـ المطلب الأوّل: ترجمة الأشعث بن قيس

الأشعث بن قيس الكندي هو سيد كِندة يكنى أبا محمّد من كبار أهل اليمن عورت عينه في حرب قرب اليرموك، هو رأس النفاق في زمانه، فهو في أصحاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كعبد الله بن أبي سلول في أصحاب رسول الله ﷺ.

الأشعث..!! وجه مشبوه، متلون مريب، رديء الطبع، سيء العمل في التاريخ الإسلاميّ، أسلم في حياة رسول الله ﷺ، ارتدّ بعد رسول الله ﷺ عن الدين الإسلاميّ مع المرتدين، وحارب الإسلام والمسلمين يوم ذاك، وبعد هزيمة المرتدين عاد الأشعث إلى المدينة وأعلن فيها تدينه ورجوعه إلى الإسلام، في أيام خلافة عثمان نصب الأشعث والياً على أذربيجان وكان عثمان يهبه من خراجها مئة ألف درهم سنوياً، وكان عمرو بن عثمان تزوج ابنة الأشعث بن قيس قبل ذلك، وفي خلافة أمير المؤمنين (صلوات الله

عليه) عزله الإمام عن أذربيجان ودعاه إلى المدينة فهمّ بالفرار في بداية الأمر إلّا أنّه قدم المدينة بتوصية أصحابه ووافى الإمام (صلوات الله عليه).

قال أصحاب التاريخ لمّا بويع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وكتب إلى العمّال كتب إلى الأشعث بن قيس مع زياد بن مرحب الهمدانيّ والأشعث على أذربيجان عاملا لعثمان فكتب إليه علي (صلوات الله عليه) يقول:

أما بعد..

فلولا هنات كنّ فيك كنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس ولعلّ أمرك يحمل بعضه بعضاً إن اتقيت الله، ثُمّ إنه كان من بيعة الناس إياي ما قد بلغك وكان طلحة والزبير ممن بايعاني ثُمَّ نقضا بيعتي على غير حدث وأخرجا أم المؤمنين وصارا إلى البصرة فسرت إليهما فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا فيما خرجوا منه فأبوا فأبلغت في الدعاء وأحسنت في البقية. وإن عملك ليس لك بطعمة ولكنَّه أمانة وفي يديك مال من مال الله وأنت من خزان الله عليه حتى تسلمه إلي ولعلي أن لا أكون شرّ ولاتك لك إن استقمت ولا قوَّة إلّا بالله[1].

فلمّا قرأ الكتاب قام زياد بن مرحب، فحمد الله وأثنى عليه ثُمَّ قال: أيّها الناس إنّه من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير إنّ أمر عثمان لا ينفع فيه العيان ولا يشفي منه الخبر غير أن من سمع ليس كمن عاينه إنّ الناس بايعوا علياً راضين به وإن طلحة والزبير نقضا بيعته على غير حدثٍ ثُمَّ أذنا بحربٍ فأخرجا أم المؤمنين فسار إليهما فلم يقاتلهم وفي نفسه منهم حاجة فأورثه الله الأرض وجعل له عاقبة المؤمنين[2].

ثُمّ قام الأشعث، فحمد الله وأثنى عليه ثُمَّ قال: أيّها الناس! إنّ أمير

---

(١) *المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٣٢)، صفحة (٣٦١)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.*

(٢) المصدر السابق، صفحة (٣٦٢).

المؤمنين عثمان ولاني أذربيجان فهلك وهي في يدي وقد بايع الناس علياً وطاعتنا له كطاعة من كان قبله وقد كان من أمره وأمر طلحة والزبير ما قد بلغكم، وعلي المأمون على ما قد غاب عنا وعنكم من ذلك الأمر.

فلمّا أتى منزله دعا أصحابه وقال: إنّ كتاب علي قد أوحشني وهو آخذ بمالِ أذربيجان وأنا لاحقٌ بمعاوية!! فقال القوم: الموت خيرٌ لك من ذلك..!!

أتدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنباً لأهل الشام..؟!!.

فاستحى الأشعث فسار حتى قدم على علي (صلوات الله عليه) قال: وإنّه قدم على علي (صلوات الله عليه) وهو يضمر السوء والعداء والنفاق والخيانة[1].

ـ المطلب الثاني: الأشعث يفرض التحكيم

تولى الأشعث رئاسة قبيلة كِندة في حرب صفين وكان على ميمنة الجيش، وتزعّم التيار الذي فرض التحكيم، وهو الذي فرض أبا موسى الأشعري على الإمام (صلوات الله عليه) وعارض اختيار عبد الله بن عباس ومالك الأشتر حكمين عن الإمام (صلوات الله عليه).

إنَّ دور الأشعث في فرض التحكيم على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) واختيار أبي موسى الأشعري حكماً وما تبع ذلك من وقائع لا شك أنّه ينمّ عن مدى علاقاته الخفية بمعاوية.

وكان له يدٌ في نشؤ الخوارج، وكان له دورٌ كبير في إيقاد حرب النهروان، مع أنّه كان في جيش أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وكان الأشعث يعارض الإمام وأعماله داخل الجيش بكل ما يستطيع حتى عُدّت مواقفه أصل كل فساد

---

(١) المصدر السابق، صفحة (٣٦٣).

وإضطراب، وكان شرساً إلى درجة أنّه هدّد الإمام (صلوات الله عليه) مرّة بالقتل.

فقد روى أبو الفرج الأصبهاني أنّ الأشعث دخل يوماً على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فكلّمه، فأغلظ الإمام له، فعرّض له الأشعث أنّه سيفتك به، فقال له أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أبالموت تُخوفني أو تهددني..!! فوالله ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت عليّ..!![1].

وكان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يعلم بنوايا الأشعث الخبيثة ولذلك نجد أنّ الإمام (صلوات الله عليه) قد فضح الأشعث في خطابه وسماه منافقاً ولعنه.

ـ المطلب الثالث: أمير المؤمنين يلعن الأشعث

جاء في كتب السيرة أنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان على منبر الكوفة يخطب في الناس ويتحدث في أمر التحكيم، فمضى في بعض كلامه إذ قام إليه رجل وقال له:

يا أمير المؤمنين!! نهيتنا عن الحكومة ثُمّ أمرتنا بها!! فلم ندري أي الأمرين أرشد..!

فصفق أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بإحدى يديه على الأخرى وقال: هذا جزاء من ترك العقيدة ـ بمعنى هذا جزاؤكم فيما تركتم الحزم وشغبتم وألجأتموني لقبول الحكومة ـ فقام الأشعث وقال: يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك..

فخفض (صلوات الله عليه) إليه بصره، فقال: ما يدريك ما علي مِمّا

---

(١) المدائني، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الجزء (٦)، صفحة (٧٣)، طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

لي . . !! أضحتْ هُزالةُ راعي الضأن تهزأُ بي . . ماذا يريبك منّي راعيَ الضأن[١] عليك[٢] لعنة الله، ولعنة اللاعنين، حائك ابن حائك[٣] منافق بن كافر، والله لقد أسرك الكفر مرة، والإسلام أخرى[٤] فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك وإنّ إمرأً دلّ على قومه السَّيف، وساق إليهم الحتف، لحريٌّ أن يمقته الأقرب، ولا يأمنه الأبعد.

ـ المطالب الرابع: الأشعث والبيت المشؤوم

إنّ ملف هذا البيت المشؤوم يمكن أن يكون دليلاً ووثيقة معتبرة على

---

(١) الحسيني الجلالي، محمّد رضا، تدوين السنّة الشريفة صفحة (٥٦).

(٢) عبده، محمّد، شرح نهج البلاغة صفحة (١١١) طبعة دار البلاغة بيروت.

(٣) قيل: أنّ الحائكين أنقص عقلاً، وفي لغة أهل الفقه يقول الفقهاء: وأما المكروه. . والنساجة والمراد بها ما يعمّ الحياكة، والأخبار متضافرة بالنهي عنها والمبالغة في ضعتها ونقصان فاعلها حتى نهي عن الصلاة خلفه والظاهر اختصاص النساجة والحياكة بالمغزول ونحوه، فلا يكره عمل الخوص ونحوه، بل روي أنّه من أعمال الأنبياء والأوّلياء. .أنظر، ترحيني، محمّد حسن، الزبدة الفقهيّة، الجزء (٤) صفحة (٣٢٤) طبعة دار الهادي بيروت.

(٤) أُسر الأشعث مرتين. .

الأسر الأوّل: أسر في بعض حروب الجاهلية، وذلك أنّ قبيلة مراد قتلت قيساً الأشج أبا الأشعث، فخرج الأشعث طالباً بثأر أبيه، فخرجت كِندة متساندين إلى ثلاثة ألوية، على أحدها كبش بن هانئ، وعلى أحدها القشعم بن الأرقم، وعلى أحدها الأشعث، فأخطاؤا هدفهم ونزلوا بإغارة على قبيلة بني الحارث بن كعب، فقتل كبش والقشعم وأسر الأشعث، وفدى بثلاثة آلاف بعير لم يفد بها عربيّ قبله ولا بعده.

الأسر الثاني: وأيضاً أسره المسلمون وذلك عندما أرتدّ بنو وليعة عن الدين الإسلاميّ بعد وفاة رسول الله ﷺ وقاتلهم زياد بن لبيد الأنصاري لجأوا إلى الأشعث مستنصرين به، فقال: لا أنصركم حتى تملّكوني، فتوّجوه كما يُتوّجُ الملك من قحطان، فخرج معهم مرتداً يقاتل المسلمين، وأمدّ أبو بكر زياداً بالمهاجرين فالتقوا بالأشعث فتحصّن منهم فحاصروه أياماً ثُمّ نزل إليهم على أن يؤمنوه وعشرة من أقاربه حتى يأتي أبا بكر فيرى فيه رأيه، وفتح لهم الحصن فقتلوا كل من فيه من قوم الأشعث إلّا العشرة الذين عزلهم وكان المقتولون ثمانمائة، ثُمّ حملوه أسيراً مغلولاً إلى أبي بكر فعفا عنه أبو بكر وزوّجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة، وكان أبو بكر يعرب عن ندمه ويتأسف لعفوه.

نصبهم العداء وبغضهم لأهل البيت (صلوات الله عليهم) فقد عبّر الإمام عنه بالمنافق ولعنه أمام الناس، مضافاً إلى أنّ ابن ملجم كان يتردد على دار الأشعث بل نزل في داره عندما قدم الكوفة ناوياً قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وبقي في داره وكان على علم بنيّة ابن ملجم، وهو الذي أشار على ابن ملجم بالإسراع في تنفيذ العملية الإجرامية قبل أن يفضحه الصبح، علماً أنَّ ابن ملجم كانت سياسته في الكوفة قبل تنفيذ الجريمة هي سياسة الكتمان، وعلى هذا الأساس فإنّ عِلم الأشعث المسبق بعملية الاغتيال قبل وقوعها، وعلاقة ابن ملجم به قبل تنفيذ العملية يُعدّ مؤشّراً على وجود يد لحاكم دمشق في تلك الحادثة، ونحن وإن كنّا لا نملك دليلاً تاريخياً قطعياً على صلته السريّة بمعاوية، ولكن الأيدي الخفيّة تعمل بحذر تام وكتمان شديد.

نقل ابن أبي الدنيا في كتابه ـ مقتل علي ـ عن أُستاذه عبد الغفّار أنّه قال: سمعت غير واحد يذكر أنّ ابن ملجم بات عند الأشعث بن قيس، فلمّا أسحر جعل يقول له: أصبحت، وكان حجر مؤذنهم فخرج حجر وأذن فلم يكن أسرع من أن سمع الواعية فجعل حجر ينادي فوق المنارة قتله الأعور وكان الرجل أعور وكان علي يسميه عرف النار[1].

ونقل المشهور من المؤرّخين أنّ ابن ملجم عندما مرّ بالأشعث عند المسجد قبل الإقدام على عملية الاغتيال قال له: النجاء النجاء لحاجتك فقد فضحك الصبح.. ولمّا سمع حُجر بن عدي مقالته عرف مقصوده، فقال له: قتلته يا أعور..!!.

وخرج من المسجد من ساعته ليبلغ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بالقضية، ولكنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان قد دخل من باب آخر،

(١) ابن أبي الدنيا، عبد الله، مقتل علي، الحديث رقم (٢٣) طبعة دار البشائر.

وعندما وصل حجر، كان الرجل قد ضرب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)..!![1].

جُعدة: قامت ابنته جعدة بدسّ السمّ إلى الإمام الحسن المجتبى (صلوات الله عليه) بالتعاون مع معاوية فقضى الإمام (صلوات الله عليه) شهيداً مظلوماً.

محمّد: تولى ابنه محمّد إلقاء القبض على مسلم بن عقيل بن أبي طالب (رضوان الله عليه) سفير الإمام الحسين (صلوات الله عليه) إلى الكوفة وسلّمه إلى ابن زياد بعد أن أعطاه الأمان زوراً ثُمّ غدر به.

قيس: كان قيس بن الأشعث من أمراء جيش ابن سعد في كربلاء، ولم يقلّ ضعة ونذالة عن أبيه وأخيه وأخته إذ سلب قطيفة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) فاشتهر بـ(قيس القطيفة).

ولذلك يقول الإمام الصادق (صلوات الله عليه): إنّ الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وابنته جعدة سمّت الحسن (صلوات الله عليه) وابنه محمّد شرك في دم الحسين (صلوات الله عليه)[2].

وقد ورد في شرح نهج البلاغة عن الأعمش أنّه قال: أنّ جريراً والأشعث خرجا إلى حيّان الكوفة فمرّ بهما ضبٌ يعدو، وهما في ذم علي (صلوات الله عليه) فناديا: يا أبا حِسْل هلّم يدك نبايعك بالخلافة!!. فبلغ علياً (صلوات الله عليه) قولهما، فقال: أما إنّهما يُحشران يوم القيامة وإمامهما ضبّ[3].

وبعد استشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بأيامٍ يسيرة هلك الأشعث ولم يتهنأ بقتلِ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، وبذلك ختم ملف حياته الدنس

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢) صفحة (٢٣٠) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) المصدر السابق، الجزء (٤٢)، صفحة (٢٢٨).

(٣) المدائنيّ، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الجزء (٤)، صفحة (٧٦)، طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

الملوّث بدم سيّد الأوصياء، تاركاً أولاده، ليواصلوا تآمرهم على أهل بيت الوحي.

المبحث الثالث:
دور قطام في اغتيال أمير المؤمنين

ـ المطلب الأول: قطام أحقادٌ وضغائن

ذهب بعض المؤرخين في بعض مرويّاتهم إلى الإفراط فيما يخصّ دور قطام في مقتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فجعل بعضهم لها في هذه الحادثة دوراً أساسياً، ولعلّ أول مؤرّخ بالغ في تضخيم دور قطام في مؤامرة القتل، هو ابن أعثم.

ونقل المجلسيّ رحمه الله في كتابه ـ بحار الأنوار ـ عن كتابٍ مجهولٍ دور قطام في القصّة على صورة رواية غرامية.

وذهب بعض آخر من المؤرخين إلى أن وجود قطام في هذه القضية مختلق لا أصل له.

ويبدو أنّ أصل وجود قطام ودورها في مؤامرة اغتيال الإمام شيء لا يمكن إنكاره، من حيث أن لها مدخلية في إغراء ابن ملجم في الزواج منها إن هو قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ثأراً منها لأبيها وعمها وأخيها الذين قتلوا في النهروان.. وقد كانوا في صفوف الخوارج.. وقد يستفاد من بعض الروايات التاريخية أن أهلها لم يسقطوا في معركة النهروان وإنّما قتلوا في أرض معسكر الخوارج.

إلّا أنَّ الحكايات التي جاءت بهذا الخصوص في كتاب الفتوح لأبن أعثم وفي بحار الأنوار، وفي كتاب جرجي زيدان لا واقع لها.. وسوف نعرض بعضها في الفقرة اللاحقة.

ولقد شكّك الكثير من المحقيقين المعاصرين في هذه المرويّات من خلال

عرضهم لبعض الإشكالات والتناقضات الموجودة في هذه القصّة، مضافاً إلى عدم وجودها في المصادر التاريخية القديمة مثل الطبقات الكبرى والإمامة والسياسة وأنساب الإشراف والأخبار الطوال والكامل للمبرد ومقاتل الطالبيّين والطبريّ وغير ذلك من المصادر المعتمدة في البحث العلمي، بل إن جميع المصادر التي عليها العمدة في البحث تثبت أن قطام قُتل أبوها وأخوها - وفي بعض النصوص عمّها ـ في معركة النهروان، مِمّا جعلها تحقد على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وتشارك في مؤامرة اغتياله، (صلوات الله عليه) حيث كانت على صلة بابن ملجم عندما دخل الكوفة ناوياً اغتيال الإمام (صلوات الله عليه) وقد تزوجها ابن ملجم وجعلت مهرها قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فتوافق هدفه مع مهرها، وربّما يمكن القول بأنّ أقرب النصوص إلى الواقع هو النَّصّ الذي جاء في كتابي أنساب الأشراف والإمامة والسياسة الذي جاء فيه: قدم ابن ملجم الكوفة وكتم أمره، وتزوّج امرأة يقال لها: قطام بنت علقمة، وكانت خارجيّة، وكان عليّ قد قتل أخاها في حرب الخوارج، وتزوّجها على أن يقتل عليّاً فأقام عندها مدّة، فقالت له في بعض الأيّام وهو مختفٍ: لطالما أحببت المكث عند أهلك وأضربت عن الأمر الذي جئت بسببه، فقال: إنّ لي وقتاً واعدت فيه أصحابي ولن أُجاوزه[1].

ـ المطلب الثاني: مبالغات في دور قطام

تقول بعض الروايات أنَّ ابن ملجم أقام بالكوفة إلى أن خرج أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى حرب النهروان فخرج معه وقاتل بين يديه قتالاً شديداً، فلمّا رجع إلى الكوفة وقد فتح الله على يديه قال ابن ملجم لعنه اللّه: يا أمير المؤمنين أتأذن لي أن أتقدّمك إلى المصر لأبشّر أهله بما فتح الله عليك من النّصر؟

(١) الدينوري، عبد الله، الإمامة والسياسة، الجزء (١)، صفحة (١٣٨) طبعة مؤسسة الحلبي القاهرة.

فقال: ما ترجو بذلك؟

قال: الثواب من الله والشّكر من النّاس وأُفرح الأوّلياء وأُكمدُ الأعداء.

فقال: شأنك.

ثُمّ أمر له بخلعة سنيّة وعمامتين وفرسين وسيفين ورمحين.

سار ابن ملجم ودخل الكوفة وجعل يخترق أزقّتها وشوارعها، وهو يبشّر الناس بما فتح الله على أمير المؤمنين وقد دخله العجب في نفسه فانتهى به الطريق إلى محلّة بني تميم.

فمرّ على دار تعرف بالقبيلة وهي أعلا دار بها وكانت لقطام بنت سخينة بن عوف بن تيم اللّات، وكانت موصوفة بالحسن والجمال والكمال والبهاء، فلمّا سمعت كلامه بعثت إليه وسألته النزول عندها ساعة لتسأله عن أهلها، فلمّا قرب من منزلها وأراد النّزول عن فرسه خرجت إليه ثُمّ كشفت له عن وجهها وأظهرت له محاسنها.

فلمّا رآها أعجبته وهواها من وقته فنزل عن فرسه ودخل إليها وجلس في دهليز الدار وقد أخذت بمجامع قلبه فبسطت له بساطاً ووضعت له متكئاً وأمرت خادمها أن تنزع أخفافه وأمرت له بماء فغسل وجهه ويديه وقدمت إليه طعاماً فأكل وشرب، وأقبلت عليه تروّحه من الحرّ فجعل لا يملّ من النظر إليها وهي مع ذلك متبسّمة في وجهه سافرة له عن نقابها بارزة عن جميع محاسنها ما ظهر منها وما بطن.

فقال لها أيّتها الكريمة لقد فعلت اليوم بي ما وجب به بل ببعضه على مدحك وشكرك دهري كلّه فهل من حاجة أتشرّف بها وأسعى في قضائها؟

قال: فسألته عن الحرب ومن قتل فيه.

فجعل يخبرها ويقول: فلان قتله الحسن وفلان قتله الحسين إلى أن بلغ قومها وعشيرتها، وكانت قطام ـ لعنها الله ـ على رأي الخوارج وقد قتل أمير المؤمنين في هذا الحرب من قومها جماعة كثيرة منهم أبوها وأخوها وعمّها.

فلمّا سمعت منه ذلك صرخت باكية ثُمّ لطمت خدّها وقامت من عنده ودخلت البيت وهي تندبهم طويلاً.

قال: فندم ابن ملجم فلمّا خرجت إليه قالت: يعزّ علي فراقهم من لي بعدهم أفلا ناصر ينصرني ويأخذ لي بثاري ويكشف عن عاري فكنت أهب له نفسي وأمكنه منها ومن مالي وجمالي، فرقّ لها ابن ملجم وقال لها:

غضّي صوتك وأرفقي بنفسك فإنّك تعطين مرادك.

قال: فسكتت من بكائها وطمعت في قوله.

ثُمّ أقبلت عليه بكلامها.. فقال لها: كان أبوك صديقاً لي وقد خطبتك منه فأنعم لي بذلك فسبق إليه الموت فزوجيني نفسك لآخذ لك بثأرك.

قال: ففرحت بكلامه وقالت قد خطبني الأشراف من قومي وسادات عشيرتي فما أنعمت إلّا لمن يأخذ لي بثاري ولمّا سمعت عنك أنّك تقاوم الأقران وتقتل الشّجعان فأحببت أن تكون لي بعلاً وأكون لك أهلاً.

فقال لها: فأنا واللّه كفوٌ كريم فاقرحي على ما شئت من مال وفعال، فقالت له: إن قدمت على العطيّة والشّرط فها أنا بين يديك فتحكم كيف شئت.

فقال لها: وما العطية والشّرط؟. فقالت له: أمّا العطيّة فثلاثة آلاف دينار وعبد وقينة فقال هذا أنا مليء به، فما الشرط المذكور؟. قالت: ..... تقتل عليّ بن أبي طالب بضربة واحدة بهذا السّيف في مفرق رأسه يأخذ منه ما يأخذ ويبقى ما يبقى.

فلما سمع ابن ملجم كلامها استرجع ورجع إلى عقله وغاظه وأقلقه ثُمّ صاح بأعلى صوته: ويحك ما هذا الذي واجهتني به بئس ما حدّثتك به نفسك من المحال، ثُمّ طأطأ رأسه يسيل عرقاً وهو متفكّر في أمره، ثُمّ رفع رأسه إليها وقال: ويلك من يقدر على قتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب المستجاب الدعاء المنصور من السّماء، والأرض ترجف من هيبته، والملائكة تسرع إلى خدمته.

يا ويلك ومن يقدر على قتل عليّ بن أبي طالب وهو مؤيّد من السّماء، والملائكة تحوطه بكرة وعشيّة، ولقد كان في أيّام رسول الله إذا قاتل يكون جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وملك الموت بين يديه فمن هو هكذا لا طاقة لأحد بقتله ولا سبيل لمخلوق على اغتياله.

ومع ذلك فانّه قد أعزّني وأكرمني وأحبّني ورفعني وآثرني على غيري، فلا يكون ذلك جزاؤه منّي أبداً، فان كان غيره قتلته لك شرّ قتلة ولو كان أفرس أهل زمانه، وأمّا أمير المؤمنين فلا سبيل لي عليه. قال: فصبرت عنه حتّى... وعلمت أنّه قد نسى ذلك القول، ثُمّ قالت له: يا هذا ما يمنعك عن قتل عليّ بن أبي طالب وترغب في هذا المال وتتنّعم بهذا الجمال وما أنت بأعفّ وأزهد من الذين قاتلوه وقتلهم وكانوا من الصّوامين والقوّامين، فلمّا نظروا إليه وقد قتل المسلمين ظلماً وعدواناً اعتزلوه وحاربوه، ومع ذلك فانّه قد قتل المسلمين وحكم بغير حكم الله وخلع نفسه من الخلافة وإمرة المؤمنين، فلمّا رأوه قومي على ذلك اعتزلوه فقتلهم بغير حجة له عليهم.

فقال لها ابن ملجم: يا هذه كفّي عنّي فقد أفسدت عليّ ديني وأدخلت الشكّ في قلبي وما أدري ما أقول لك وقد عزمت على رأي ثُمّ أنشد:

ثلاثة آلاف وعبد وقينة ... وضرب عليّ بالحسام المصمّم
فلا مهر أغلا من قطام وان غلا ... ولا فتك إلّا دون فتك ابن ملجم
فأقسمت بالبيت الحرام ومن أتى ... إليه ولبّى من محلّ ومحرم
لقد أفسدت عقلي قطام وإنّني ... لمنها على شكّ عظيم مذمم
لقتل عليّ خير من وطأ الثرى ... أخي العلم الهادي النّبيّ المكرّم

ثُمّ أمسك ساعة وقال:

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة ... كمهر قطام من فصيح وأعجم

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب عليّ بالحسام المصمم
فلا مهر أغلا من عليّ وإن غلا ولا فتك إلّا دون فتك ابن ملجم
فأقسمت بالبيت الحرام ومن أتى إليه جهاراً من محلّ ومحرم
لقد خاب من يسعى لقتل إمامه وويل له من حرّ نار جهنم

إلى آخر ما أنشد من الأبيات ثُمّ قال لها:

أجليني ليلتي هذه حتّى أنظر في أمري وآتيكِ غداً بما يقوى عليه عزمي.

فلمّا همّ بالخروج.... أمرته بالاستعجال في أمرها وسايرته إلى باب الدّار وهي تشجعه وأنشدت له أبيات، فخرج الملعون من عندها وقد سلبت فؤاده وأذهبت رقاده ورشاده، فبات ليلته قلقاً متفكّراً فمرّة يعاتب نفسه ومرّة يفكّر في دنياه وآخرته. فلمّا سمع ذلك بقى متحيراً في أمره إذ جاءه ما يشغله عمّا عزم عليه من أمر قطام فلم يزل مفكراً في أمره حتّى عزم على الخروج، وكان له إخوان لأبيه وأمه كانت من زبيد يقال لها عدنية وهي ابنة عليّ بن ماشوج وكان أبوه مرادياً، وكانوا يسكنون عجران صنعاء.

فلمّا وصل إلى النّجف ذكر قطام ومنزلتها في قلبه ورجع إليها فلمّا طرق الباب إطلعت عليه وقالت من الطارق فعرفته على حالة السّفر فنزلت إليه وسلّمت عليه وسألته عن حاله فأخبرها بخبره ووعدها بقضاء حاجتها إذا رجع من سفره وتملكها جميع ما يجيء به من المال، فعدلت عنه مغضبة فدنى منها وقبّلها وودّعها وحلف لها أنّه يبلغها مأمولها في جميع ما سألته.

فخرج وجاء إلى أمير المؤمنين وأخبره بما جاؤوا إليه لأجله وسأله أن يكتب إلى ابن المنتجب كتاباً ليعينه على استخلاص حقّه فأمر كاتبه فكتب له ما أراد ثُمّ أعطاه فرساً من جياد خيله فخرج وسار سيراً حثيثاً حتّى وصل إلى بعض أودية اليمن، فأظلم عليه الليل فبات في بعضها، فلمّا مضى من الليل

نصفه إذا هو بزعقة عظيمة من صدر الوادي ودخان يفور ونار مضرمة فانزعج لذلك وتغيّر لونه ونظر إلى صدر الوادي وإذا بالدّخان قد أقبل كالجبل العظيم وهو واقع عليه والنّار تخرج من جوانبه، فخرّ مغشيّاً عليه فلمّا أفاق وإذا بهاتفٍ يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول:

اسمع وع القول يا بن ملجم إنّك في أمر مهول معظم
تضمر قتل الفارس المكرّم أكرم من طاف ولبّى وأحرم
ذاك عليّ ذو التقآء الأقدم فارجع إلى الله لكيلا تندم

فلما سمع توهّم أنّه من طوارق الجنّ وإذا بالهاتف يقول: يا شقيّ ابن الشّقي أمّا ما أضمرت من قتل الزّاهد العابد العادل الرّاكع السّاجد إمام الهدى وعلم التّقى والعروة الوثقى فإنّا علمنا بما تريد أن تفعله بأمير المؤمنين ونحن من الجنّ الذين أسلمنا على يديه ونحن نازلون بهذا الوادي فإنّا لا ندعك تبيت فيه فإنّك ميشوم على نفسك ثُمّ جعلوا يرمونه بقطع الجنادل فصعد فوق شاهق فبات بقيّة ليله.

فلمّا أصبح سار ليلاً ونهاراً حتّى وصل إلى اليمن وأقام عندهم شهرين وقلبه على حرّ الجمر من أجل قطام ثُمّ إنّه أخذ الذي أصابه من المال والمتاع والأثاث والجواهر وخرج.

فبينا هو في بعض الطريق إذا خرجت عليه مجموعة من اللصوص فسايرهم وسايروه فلمّا قربوا من الكوفة حاربوه وأخذوا جميع ما كان معه ونجى بنفسه وفرسه وقليل من الذهب على وسطه وما كان تحته، فهرب على وجهه حتّى كاد أن يهلك عطشاً.

وأقبل سايراً في الفلاة مهموماً جائعاً عطشاناً فلاح له شبح فقصده، فإذا بيوت من أبيات الحرب فقصد منها بيتاً فنزل عندهم واستسقاهم شربة ماء فسقوه وطلب لبناً فأتوه به فنام ساعة.

فلمّا استيقظ أتاه رجلان وقدما إليه طعاماً فأكل وأكلا معه وجعلا يسألانه عن الطريق فأخبرهما، ثُمّ قالا له: ممّن الرّجل؟ قال: من مراد، قالا: أين تقصد؟

قال: الكوفة، قالا: كأنّك من أصحاب أبي تراب؟ قال: نعم، فاحمرّت أعينهما غيظاً وعزما على قتله ليلاً، وأسرّا ذلك ونهضا، فتبيّن له ما عزما عليه فندم على كلامه.

فبينما هو متحير إذ أقبل كلبهم ونام قريباً منهم، فأقبل اللعين يمسح بيده على الكلب ويشفق عليه ويقول مرحباً بكلب قوم أكرموني، فاستحسنا ذلك وسألاه ما اسمك؟

قال: عبد الرّحمن بن ملجم، فقالا له: ما أردت بصنعك هذا في كلبنا؟ فقال: أكرمته لأجلكم حيث أكرمتموني فوجب عليّ شكركم وكان هذا منه خديعة ومكراً فقالا: الله أكبر الآن والله وجب حقّك علينا ونحن نكشف لك عمّا في ضمائرنا.

نحن نرى رأي الخوارج وقد قتل أعمامنا وأخوالنا وأهالينا كما علمت، فلمّا أخبرتنا أنّك من أصحابه عزمنا على قتلك في هذه اللّيلة فلمّا رأينا صنعك هذا بكلبنا صفحنا عنك ونحن الآن نطلعك على ما قد عزمنا عليه فسألهما عن أسمائهما فقال أحدهما أنا البرك بن عبد اللّه التميميّ، وهذا عبد اللّه بن عثمان العنبريّ صهري.

وقد نظرنا إلى ما نحن عليه من مذهبنا فرأينا أنّ فساد الأرض والأمّة كلّها من ثلاثة نفر أبو تراب، ومعاوية، وعمرو بن العاص، فأمّا أبو تراب فانّه قتل رجالنا كما رأيت وافتكرنا أيضا في الرّجلين معاوية وابن العاص وقد وليا علينا هذا الظالم الغشوم بسر بن أرطاة يطرقنا في كلّ وقت ويأخذ أموالنا وقد عزمنا على قتل هؤلاء الثلاثة فإذا قتلناهم توطات الأرض وأقعد النّاس لهم إماماً يرضونه.

فلمّا سمع ابن ملجم كلامهما صفق بإحدى يديه على الأخرى وقال: والذي فلق الحبّة وبرء النسمة وتردّى بالعظمة إنّي لثالثكما وإنّي موافقكما على رأيكما وأنا أكفيكما أمر عليّ بن أبي طالب.

فنظرا إليه متعجّبين من كلامه قال والله ما أقول لكما إلّا حقّا، ثُمّ ذكر لهما قصّته فلمّا سمعا كلامه عرفا صحّته وقالا إنّ قطام من قومنا وأهلها كانوا من عشيرتنا فنحن نحمد الله على إتّفاقنا فهذا لا يتمّ إلّا بالإيمان المغلظة فنركب الآن مطايانا ونأتي الكعبة ونتعاقد عندها على الوفاء فلمّا أصبحوا وركبوا حضر عندهم بعض قومهم فأشاروا عليهم وقالوا لا تفعلوا ذلك فما منكم أحد إلّا ويندم ندامة عظيمة، فلم يقبلوا وساروا جميعاً حتّى أتوا البيت وتعاهدوا عنده...[1].

المبحث الرابع:
الخوارج.. كفرٌ ونفاق

كان أنجح أسلوب لتنفيذ مخطط الاغتيال تنفيذه على يد أنصار سابقين لأمير المؤمنين (صلوات الله عليهم) انقلبوا عليه، فلم يكن هناك من جماعة يمكن تنفيذ هذا المخطط إلّا الخوارج الذين دخلوا مؤخّراً في صراع مع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وكانوا يفكّرون بالانتقام لقتلاهم في النهروان، وقد توفّرت لديهم الدواعي الكافية للإقدام على هذا العمل الخطير والخبيث.

هذا فضلاً عن عدم إمكانية تتبّع المؤامرة والوصول إلى الفاعل الأصلي ولعلّ هذا هو السبب الذي أدّى إلى عدم وجود أدلة وأسانيد تاريخية واضحة ـ غير الذي ذكرنا ـ تثبت ارتباط هذه القضية بمعاوية، ومن المحتمل جداً أنّ

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢) صفحة (٢٦٨) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

معاوية قد اختار هؤلاء الخوارج بدفعٍ وإشارة منه من أجل أن يبعد الشكوك عن ساحته وبالتالي يلقي باللوم على الخوارج.

ومن الطبيعي أنّ أمثال هذه القرارات السرّية من قبل الحكومات ليست مِمّا يمكن للمؤرخين الإطلاع عليها وتثبيتها في كتبهم فكان دور الخوارج يتمثّل عندهم بالخلاص من أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) والقضاء عليه وتنفيذ المخطط وعلى رأس هؤلاء المنفذين عبد الرحمن بن ملجم المرادي بمساعدة من وردان بن مجالد وشبيب بن بجرة.

هذا ولا شك ولا ريب أنَّ دور الخوارج في مؤامرة قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من مسلّمات التاريخ الإسلاميّ ولا يمكن لأحدٍ إنكارها وقد أذعن الخوارج أنفسهم لهذه الحقيقة وقد أرَّخ الخارجي عمران بن حطان لذلك في قصيدة أثنى فيها على عمل ابن ملجم ومدحه، حيث جاء فيها:

يا ضربة من تقيٍّ ما أراد بها ... إلّا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنّي لأذكره حيناً فأحسبه ... أوفى البريّة عند الله ميزانا[1]

وقال ابن أبي ميّاس المرادي:

ونحن ضربنا يا بنة الخيرُ حيدراً ... أبا حسن مأمومة فتفطّرا
ونحن خلعنا ملكه من نظامِه ... بضربة سيفٍ إذ علا وتجبّرا
ونحن كرام في الصباح أعزّةٌ ... إذا الموت بالموت ارتدى وتأزّرا[2]

هذا، وقد نهى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ولده الإمام أبي محمّد الحسن (صلوات الله عليه) عن أنَّ يقتل أحداً غير قاتله بالخصوص وهذا إشارة منه (صلوات الله عليه) أنّه وإنَّ كانت هناك أيدٍ خفيّة غير أيد الخوارج هي التي دفعت إلى القتل إلّا أنَّ القاتل المباشر للقتل هو وحده الذي يقتل

---

(١) العسكري، مرتضى، معالم المدرستين، الجزء (٢)، صفحة (٣٩)، طبعة مؤسسة النعمان بيروت.
(٢) الاصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبين، صفحة (٢٣).

حيث قال: يا بني عبد المطّلب، لا ألفينّكم تخوضون دماء المسلمين، تقولون: قُتل أمير المؤمنين، قُتل أمير المؤمنين! ألا لا يُقتلنّ إلّا قاتلي. يا حسن، إن أنا متّ من ضربته هذه فاضربه ضربةً بضربة، ولا تُمثّل بالرجل؛ فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إيّاكم والمُثلة ولو أنّها بالكلب العقور.

يمكن لهذه القرائن أن تؤيّد تدخّل دمشق في اغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ولكن بما للخوارج حينئذٍ من دور في ذلك، وهذا يعني أنّهم أقدموا على هذا العمل تحت تأثير مكائد معاوية ولو عن طريق وسطاء، أمثال الأشعث.. مثلما يسري هذا الاحتمال على قضية فرض التحكيم على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

ـ بعض أخبار ابن ملجم

جاء في بعض ترجمة ابن ملجم في كتاب الإصابة: عبد الرحمن بن ملجم المرادي أدرك الجاهليّة وهاجر في خلافة عمر بن الخطاب وقرأ على معاذ بن جبل، ذكر ذلك أبو سعيد بن يونس، ثُمّ صار من كبار الخوارج، وهو أشقى هذه الأُمّة بالنَّصّ الثابت عن النَّبيّ ﷺ بقتل عليّ بن أبي طالب.

والأخبار عن ابن ملجم وقتله لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كثيرة فقد روى الصحابيّ الجليل عبد الله بن عبّاس (رضوان الله عليه)، قال: كان ابن ملجم من ولد قدّار عاقر ناقة صالح، وقصّتهما واحدة، لأنّ قدّار عشق إمرأة يقال لها: رباب كما عشق ابن ملجم القطام.

والأخبار في ذمّه وشقاوته وكفره وزندقته كثيرة[1].

وروي أنَّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) جمع الناس للبيعة، فجاء

(١) النمازي، علي، مستدرك سفينة البحار، الجزء (٩) صفحة (٢٢٨) طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ، جماعة المدرّسي، قم.

عبد الرحمن بن ملجم المراديَّ ـ لعنه الله ـ فردَّه مرتين أو ثلاثاً، ثُمَّ بايعه وقال عند بيعته له: ما يحبس أشقاها فو الذي نفسي بيده لتخضّبنّ هذه من هذا، ووضع يده على لحيته ورأسه.

فلمّا أدبر ابن ملجم ـ لعنه الله ـ منصرفاً قال (صلوات الله عليه):

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت إذا حل بواديكا[1]

وروي أن ابن ملجم أتى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يبايعه فيمن بايعه ثُمَّ أدبر عنه فدعاه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فتوثَّق منه، وتوكَّد عليه أن لا يغدر ولا ينكث ففعل.

فقال ابن ملجم: والله يا أمير المؤمنين ما رأيتك فعلت هذا بأحد غيري!.

فقال (صلوات الله عليه):

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادي

إمضِ يا بن ملجم فو الله ما أرى أن تفي بما قلت[2].

وعن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أنّه قال لابن ملجم: قد أخبرتْك أُمُّك أنّها حملت بك في بعض حيضها فَتَعْتَعَ هُنَيْئة ثُمّ قال: نعم[3].

وقدم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من سفره، واستقبله الناس يهنئونه بظفره بالخوارج، ودخل إلى المسجد الأعظم، فصلى فيه ركعتين، ثُمَّ صعد المنبر، فخطب خطبة حسنة.

ثُمَّ التفت إلى ابنه الإمام الحسين (صلوات الله عليه) فقال: يا أبا عبد الله! كم بقي من شهرنا هذا ـ يعني شهر رمضان الذي هم فيه؟!.

---

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢)، صفحة (١٩٢)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.
(٢) المصدر السابق صفحة (١٩٣).
(٣) المصدر السابق صفحة (١٩٨).

فقال الحسين: سبع عشرة يا أمير المؤمنين.

قال: فضرب بيده إلى لحيته وهي يومئذ بيضاء وقال: والله ليخضبنها بالدم إذ إنبعث أشقاها.

قال: ثُمَّ جعل يقول:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادي

قال: فسمع ذلك عبد الرحمن بن ملجم ـ لعنه الله ـ فكأنه وقع بقلبه شيء من ذلك، فجاء حتى وقف بين يدي علي (صلوات الله عليه) فقال: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين، فهذه يميني وشمالي بين يديك، فاقطعهما، أو اقتلني!

فقال علي (صلوات الله عليه): وكيف أقتلك ولا ذنب لك عندي، إنّي لم أردك بذلك المثل.. ولكن خبّرني النَّبيّ ﷺ أن قاتلي رجل من مراد.. ولكن هل كان لك لقب في صغرك؟!

فقال: لا أعرف ذلك يا أمير المؤمنين!.

قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): فهل لك حاضنة يهودية، فقالت لك يوماً من الأيام: يا شقيق عاقر ناقة صالح؟!.

قال: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين!.

قال: فسكت أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وركب وصار إلى منزله.

وسُمع ابن ملجم يقول: والله لأريحنّهم منك، فأُتي به ملبباً، فأشرف عليهم، فقال: ما تريدون؟!.

فخبّروه بما سمعوا.. فقال: ما قتلني بعد.. فخلوا عنه.

وقيل لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كأنّك قد عرفته، وعرفت ما يريد بك، أفلا تقتله؟!.

فقال: كيف أقتل قاتلي؟!.

ـ ابن ملجم يشرب الخمر

وتذكر الروايات أن ابن ملجم قد بات في منزل قطام، وكان قد تناول نبيذاً تلك الليلة وفي نص آخر: أنها سقته الخمر العكبري، وأن رفيق ابن ملجم نام، وقد زنا بها ابن ملجم.

وهذا دليل آخر على أن الخوارج كانوا أهل دنيا، وأن تظاهرهم بالدين كان للرياء، والسمعة فقط.. وهناك روايات كثيرة دلّت على أنَّ الخوارج كانوا يمارسون الزنا والدعارة، وشرب الخمر، وغير ذلك.

ـ ابن ملجم ينتهك حرمات الله

أن لشهر رمضان المبارك حرمته.. وكذلك للمسجد حرمته.. وللمؤمن حرمته.. وللإمام حرمته وقداسته.. وللعالم حرمته.. وللصائم.. وللإسلام.. وللقرآن.. ولكل عقيدة وتشريع ومفهوم إسلامي حرمة وقداسة وقد اجتمعت الحرمات الكبرى في شخص أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وقد انتهكت في قتله (صلوات الله وسلامه عليه).

وأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إنسان.. أي له حرمته الإنسانية.. مسلم له حرمته الإسلاميّة..إمام منصوب من الله ورسوله مفترض الطاعة.. معصوم من الزلل مطهرٌ من الرجس تطهيرا.. أعلم أهل الأرض، بعد رسول الله محمّد ﷺ وأفضلهم.. سيد الأوصياء.. ووصي خاتم الأنبياء.. بل هو نفس رسول الله ﷺ.. قسيم الجنّة والنار.. والساقي على حوض الكوثر يوم القيامة.. زوج الزهراء البتول.. أبو السبطين الحسن والحسين (صلوات الله عليهما).. هو خليفة المسلمين وله في عنق قاتله بيعة.. هو القرآن الناطق..

في شهر رمضان المبارك الذي هو أفضل الشهور وأيامه أفضل الأيام

ولياليه أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات، وفي ليلة القدر ـ التي هي خير من ألف شهر ـ الأولى التي يكتب فيها القضاء كانت ضربته وجرحه.. وفي ليلة القدر الثانية التي يقضى فيها القضاء كانت شهادته.. وفي بيت من بيوت الله ليس كسائر البيوت فهو أحد البيوت التي يخير فيها الإنسان بين إتمام الصلاة وقصرها في حال السفر إليه.. وهو أحد أفضل المساحد الأربعة التي نطق الشرع الحنيف حثاً على الصلاة فيه.. في حال الصلاة التي هي معراج المؤمن.. وبعد رفع رأسه من السجود لله تعالى.. كان مصرع الحق... إنّ القاتل ومن ساعده ودبر له وسانده وخطط له ورضي بفعله ومدحه على جريمته كل هؤلاء شركاء في انتهاك حرمات الله هذه..

ومع كل ذلك فإنّ القاتل يخاف أن يكون هو المعني بقول النَّبيّ ﷺ أشقى الأخرين (ما أخوفني من أن أكون هذا الرجل).

المبحث الرابع:
هل انتصر معاوية على أمير المؤمنين

بناءً على الرؤية المادية التي على أساسها لا بدّ من إسقاط كل القيم الإنسانية والإسلاميّة استطاع معاوية بن أبي سفيان ومعه سائر بني أمية أن يعلن الحرب على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وأن يحقق جملة من الأهداف التي ثبتت ملكه وسلطانه.

أوّلاً: من خلال رفعه لقميص عثمان الملطخ بالدماء، وإتخاذه علماً وشعاراً، وعقده مجالس النوح والبكاء على الخليفة المقتول.

أقنع معاوية أهل الشام أن علياً هو المسؤول الأوّل عن دمِ عثمان، وعلى خلفيّة ذلك جهّز جيشاً مؤلفاً من تسعين ألف مقاتل من أهلَ الشام وطلقاء قريش، وأراد أن يحارب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في صفين.

ثانياً: من خلال دهاء عمرو بن العاص، ووجود الخوارج والمنافقين وضعاف الدين والنفوس في جيش أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).. أوقف معاوية حرب صفين التي كانت نتائجها لصالح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وذلك من خلال خديعة ما يسمى بـ(رفع المصاحف) وبذلك فرض على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قضية التحكيم واختيار الحكمين الذي يريدهما، فأبو موسى الأشعري من طرف أهل الكوفة، وعمرو بن العاص من طرف أهل الشام، على أن تقف الحرب مدة سنة وخمسة أشهر حتى يجتمع الحكمان، وبعد اجتماع الحكمين أقنع ابن العاص أبا موسى أن يخلعا كلّاً من أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ومعاوية لعدم صلاحيتهما فصعد أبو موسى وخلع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ومعاوية كما يخلع الخاتم من إصبعه.

وكانت هذه خدعة ابن العاص الذي ما أن صعد المنبر حتى خلع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كما يخلع الخاتم من يده، وأثبت الخلافة لمعاوية كما يثبت خاتمه في يده!!!.

فأراد معاوية أن يشكر ابن العاص وأن يوفي بوعده وعهده له فأعطاه ولاية مصر وجهز معاوية جيشاً جراراً لغزو مصر الذي كان فيها الصحابيَّ الجليل محمّد بن أبي بكر[1] (رضوان الله عليه) عاملاً من قبلِ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فغزا ابن العاص مصر، واستشهد الصحابيَّ الجليل محمّد بن أبي بكر (رضوان الله عليه) وأصبح ابن العاص حاكماً على مصر والمناطق المفتوحة من إفريقيا طيلة حياته لا يأخذ معاوية من خراجها شيئاً.

ثالثاً: كانت خطط معاوية ودهاء ابن العاص سبباً أساسياً في نشوء الخوارج الذين حاربوا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في النهروان، وهم الذين فرضوا عليه التحكيم في معركة صفين.

---

(١) انظر ترجمته: صفحة (٥٨٩).

رابعاً: استطاع معاوية بتحريضه وسياسته ضد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أن يستعمل كافة الأساليب التي تُثبت حكمه فاستعمل سياسة التفريق بين القبائل وزرع بينهم الفتنة والبغضاء ليفتت كل جماعة تريد أن تتحرك ضده، استعمل أيضا سياسة الترهيب والترغيب فكان من أبرز أساليبه القتل والحرق والتهجير وسلب الأموال.. وتقول الروايات أنّه قتل في مكة والمدينة ثلاثين ألفاً، ولاحق أهل الكوفة فأكثر فيهم القتل والفتك فقتلهم تحت كل حجرٍ ومدر، وكان من أساليب إجرامه قطع الأيدي والأرجل، وإعماء العيون، والصلب على جذوع النخل، وطرد الكثيرين منهم وشردهم عن الكوفة.. فتذكر الكتب أنّه شرّد من الكوفة خمسين ألفاً من أهلها ليغير الوضع الديموغرافي فيها.

وقد بالغ معاوية في سياسته الإرهابية ضد أصحاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وأتباعه فبعث إلى كل عمّاله على البلاد قائلاً لهم: أُنظروا من قامت عليه البينة أنّه من شيعة علي فاقتلوه.

وقتل هو الصحابيَّ الجليل حجر بن عدي الكنديَّ (رضوان الله عليه) مع مجموعة من أصحابه.. حتى أضحى الرجل المسلم يُفضّل أن يقال عنه أنّه زنديق ولا يقال عنه أنّه شيعيّ خوفاً من القتل، بل منع الناس من أن يسموا أبناءهم باسم عليّ، وكان الرجل يقول: لقد عقني والدي وظلمني حينما سماني علياً[1].

خامساً: استعمل معاوية بن أبي سفيان سياسة الغارات على بلاد المسلمين مثل اليمن والحجاز والعراق حتى أوجد الرعب في نفوس المسلمين حتى الذين كانوا تحت حكم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

---

(١) العسكري، مرتضى، معالم المدرستين، الجزء (١)، صفحة (٣٨٥)، طبعة مؤسسة النعمان بيروت. الأمين، محسن، أعيان الشيعة، الجزء (١)، صفحة (٢٧)، طبعة دار التعارف بيروت.

وبذلك يكون أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قد خسر النصر المحقق في صفين، وأُجبر على الرضا بأبي موسى الأشعري حكماً على العراق بينما كانت إرادة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أن يحكم في لجنة التحكيم على العراق الصحابيَّ الجليل عبد الله بن عباس (رضوان الله عليه)، أو الصحابيَّ الجليل مالك بن الأشتر النخعي (رضوان الله عليه)[1].

وأيضاً خسر أمير المؤمنين طاعة الكثير من أصحابه وتماسكهم، وأصبح الخوارج لهم ثأرٌ عند أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، وخسر معاونه الصحابيَّ الجليل محمّد بن أبي بكر (رضوان الله عليه)، وبعدها خسر الصحابيَّ الجليل مالك بن الأشر النخعي (رضوان الله عليه) الذي استشهد على أيد أزلام معاوية مسموماً قبل وصوله إلى مصر.

تستطيع من خلال دراسة حياة معاوية أن تخلص إلى نتيجةٍ مفادها أن معاوية بن أبي سفيان رجلٌ خاسرٌ في ميزان الإنسانية، وشديدُ الخسران في منطق الدين والإسلام وذلك لعدة أمور:

أوّلاً: حيث أنّه قد أسس ملكه على دماء مئات من خيار الصحابة والتابعين.

ثانياً: هو إمام الفئة الباغية التي شهد بها رسول الله ﷺ حيث ثبت عنه أنّه قال للصحابي الجليل عمار بن ياسر (رضوان الله عليه): يا عمار تقتلك الفئة الباغية[2] وقد استشهد عمّار بن ياسر في معركة صفّين على أيدي أتباع معاوية.

ثالثاً: قام حكم معاوية على البغي والخروج على إمام زمانه.

---

(١) المسعودي، علي، مروج الذهب، الجزء (٢)، صفحة (٤١٤)، طبعة دار القارئ بيروت.

(٢) البيهقيّ، السنن الكبرى، الجزء (٨)، صفحة (١٨٩)، طبعة دار الفكر بيروت. النسائي، السنن الكبرى، الجزء (٥)، صفحة (٧٥) الحديث (٨٢٧٥)، طبعة دار الكتب العلمية. أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، الحديث رقم (١٠٥٨٨) والحديث رقم (١٠٧٤٠).

رابعاً: قام حكم معاوية على الدهاء والقتل والغدر والفتك وهتك حرمات المسلمين وأكل أموالِ الناس بالباطل، فهو رجل وصولي طالب حكم وسلطة.

ففي رواية اليعقوبيّ أنّه لمّا وجّه معاوية بُسر بن أرطأة للإغارة على بعض بلاد المسلمين وأراد قتل طفلين هاشميين من كنانة خرجت بعض النسوة وصحن في وجهه فقلن: يا بُسر، ما هذا؟! الرجال يُقتلون فما بال الولدان؟!.

والله ما كانت الجاهلية تقتلهم!! إنّ سلطاناً لا يشتدّ إلّا بقتلِ الصبيان ورفع الرحمة، لسلطان سوء.

فقال بُسر: والله لقد هممت أن أضع فيكن السيف[1].

إنّ معاوية بن أبي سفيان ثبّت حكمه وسلطانه على هذه الدعائم التي جعلته يتصور نفسه الخليفة القدوة والقائد الفذّ المؤهل لقيادةِ الأمة، واعتبر نفسه المنتصر على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ويمكن الموافقة على هذا الاستنتاج بناءاً على النظرة المادية الوصولية له القائمة على منطق الظلم، ولكن إذا نظرنا إلى واقع المسألة من منظار آخر، أي من منظار العقل والدين والقيم الدّينيّة والإسلاميّة والإنسانية، فإنّنا نخلص إلى نتيجة مفادها أن معاوية هو أشدّ الناس خسراناً لأنّه أسقط حساب الآخرة من كل تحركاته وتصرفاته ومواقفه، وإنّ موبقة واحدة من موبقات معاوية كفيلة بأن تخلده في عذاب جهنم، ويكفيك في ذلك قتل الصحابيّ الجليل حجر بن عدي (رضوان الله عليه).

فمتى كانت النظرية الفطريّة والإنسانيّة والدّينيّة ترى أن القتل والظلم

---

(١) الكورانيّ، علي، جواهر التاريخ، الجزء (١)، صفحة (٤٧٨)، طبعة دار أنوار الهدى قم.

والمكر والدهاء والنفاق والغدر بشتى أنواع هذه الصفات وألوانها نصراً وفوزاً..!!.

فلو كان ذلك كذلك كان لا بدّ أن يكون المنتصر هو غير معاوية!

كان لا بد أن ينتصر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الذي كان أدهى العرب لولا أنّ الدهاء غدرٌ، وللغادر لواءٌ يعرف به يوم القيامة.

فقد ثبت عنه (صلوات الله عليه) أنّه قال: والله ما معاوية بأدهى مني ولكنَّه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنتُ أدهى الناس.

ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة ولكلِ غادرٍ لواءٌ يعرف به يوم القيامة، والله ما أستغفل بالمكيدة، ولا أستغمز بالشديدة[1].

ولذلك فإنّ المنطق الإسلاميّ يرى أن الصفات التي كان يتصف بها معاوية هي ليست صفات تدبير وحكمة بل هي صفات توصلية وأساليب غير مشروعة وهي بعيدة كل البعد عن الإتصاف بالتعقل والحنكة، بل هي صفات سفه وخبث وشيطنة.

وقد ورد في الحديث أنّ رجلاً سأل مولانا الإمام جعفر بن محمّد الصادق (صلوات الله عليه) قال له: يابن رسول الله، ما العقل..؟

فقال (صلوات الله عليه): العقل ما عبد به الرحمن وإكتسب به الجنان.

قال الرجل: فالذي كان عند معاوية..؟

قال (صلوات الله عليه): تلك النكراء..!! تلك الشيطنة..!! وهي شبيهة بالعقلِ وليست بالعقل[2].

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٠)، صفحة (١٩٣)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) الكلينيّ، محمّد، أصول الكافي، الجزء (١) صفحة (١١) الحديث رقم (٣) طبعة دار التعارف بيروت.

وقد اعتبر الدهاء نكراء وشيطنة باعتبار أنّه وإن كانت هذه الصفات الشنيعة هي من أسباب الحكم والسلطة وتثبيت الملك إلّا أنّه لا بدّ أن تنظر إلى معاوية في نهاية المطاف، إلى أين وصل به الأمر..!!

لا بد أن يصل به الأمر إلى جهنم خالداً فيها وبئس المصير..!!.

ووصل به الأمر أيضاً إلى لعنة التاريخ ولعنة اللاعنين إلى يوم الدين..!!.

وبطبيعة الحال هذا ليس من العقل والحكمة في شيء، بل على العكس تماماً هو من السفه والشيطنة.

نعم.. لقد فاز أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بطاعة الله تعالى وسار في الناس على كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ ولم يمهل أعداء الله طرفة عين أبداً.

رغم محاولات معاوية في التضييق على أصحاب أمير المؤمنين وأتباعه وقتلهم وتشريدهم وظلمهم إلّا أنّه لم يستطع أن يقضي عليهم رغم ما لاقوه من إرهاب وصلب وتهجير وقتل وإحراق للبيوت، بل كانوا يمدون الأعناق على البراءة في حبهم وولائهم لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

رغم ما جنّده معاوية من وعاظ ورواة مزيفين كذّبوا على رسول الله ﷺ ووضعوا الأحاديث في معاوية وأظهروه مظهر القدوة الصالحة، إلّا أنّه بقي معاوية هو معاوية.. رجل الدماء والدهاء والنكراء.

ورغم محاولاته في طمس فضائل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) والعقاب على نشرها إلّا أن ما ظهر من فضائل أبي الحسن أدهش فلاسفة الأرض وأدباء وكتب الأمم وما زالت كلماته وسياسته محط أنظار العلماء والحكماء شرحاً وتحليلاً وتبياناً في معاهد وجامعات العالم، وهذا ما عبّر عنه أحدهم عندما قال: ما أقول فيمن أحجم شيعته عن التحدث بفضائله

خوفاً من القتل والتشريد وكتم أعداؤه فضله حسداً وبغياً وظهر من بين ذا وذا ما ملأ الخافقين[١].

ثُمَّ يا أيّها السائل عن المنتصرِ بين الدهاء والصفاء!!

أشدد رحالك إلى أشرف بقاع الأرض .. إلى النجف الأشرف.. لتجد قبة السماحة والعنفوان والبطولة.. ومنارات الهدى والطهر والإيمان تزحف إليها كل المؤمنين.. من كل أرجاء المعمورة، على مرّ الأيام والسنين لتكون مهوى القلوب الوالهة والأفئدة العطشى، تريد التبرّك وتجديد الولاء.

ثُمَّ عقّب وزر قبر معاوية في الشام لتجد الأرض فعلت فعلها، وأصبح مزبلة من مزابل التاريخ، وإلى النجاسة هو أقرب، عندها قف على اعتاب ذاك القصر المشؤوم واستذكر الدهاء واللهو والغدر فلا تستطيع إلّا أن تقول كما قال ذاك الشاعر الذي زار قبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في النجف الأشرف وشاهد من آيات ربه الكبرى ما أبهر العقول وحيّر القلوب، ثُمَّ زار قبر معاوية في الشام وشاهد عبرة لمن أراد أن يعتبر..

قف على تلك الخرائب القذرة وقل كما قال الشاعر محمّد المجذوب:

أين القصور أبا يزيد وزهوها ... والصافنات ولهوها والسؤددُ
أين الدهاء نحرت عزته على ... اعتاب دنياً سحرها لا ينفذُ
آثرت فانيها على الحق الذي ... هو لو علمت على الزمان مخلدُ
تلك البهارج قد مضت لسبيلها ... وبقيت وحدك عبرة تتجددُ
هذا ضريحك لو أبصرت بؤسه ... لأسال مدمعك المصير الأسودُ

---

(١) الحسني، هاشم، سيرة الأئمة الاثني عشر، الجزء (١)، صفحة (١٤٥)، طبعة دار التعارف بيروت.

كتلٌ من الترابِ المهين بخربةٍ سكر الذبابُ بها فراح يعربدُ
خفيت معالمها على زوارها فكأنها في مجهل لا يقصدُ
ومشى به ركب البلى فجدارها عار يكاد من الضراعة يسجدُ
والقبة الشماء نكس طرفها فبكل جزء للفناء بها يدُ
تهمي السحائب من خلال شقوقها والريح على جنباتها تترددُ
أأبا يزيد لتلك حكمة خالق تجلى على قلب الحكيم فيرشدُ
أرأيت عاقبة الجموح ونزوة أودى بلبك غيها المتردد
أغرتك بالدنيا فرحت تشنها حربا على الحق الصراح وتوقدُ
أبا يزيد وساء ذلك عترة ماذا أقول وباب سمعك موصدُ
قم وارمق النجف الأغر بنظرةٍ يرتد طرفك وهو باكٍ أرمدُ
تلك العظام أعز ربك شأنها تكاد لولا خوف ربك تعبدُ
أبداً تباكرها الوفود يحثها من كل صوب شوقها المتوقدُ
نازعتها الدنيا ففرت بوردها ثُمَّ إنطوى كالحلم ذاك المورد
وسعت إلى الأخرى فأصبح ذكرها في الخالدين وعطف ربك أخلدُ[1]

ويقول أيضاً السيد رضا الهندي رحمه الله في قصيدة يتشوّق فيها إلى النجف الأشرف لزيارة مرقد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

يا أيّها النجف الأعلى لك الشرف ضمنت خير الورى يا أيّها النجف
فيك الإمام أمير المؤمنين ثوى فالدر فيك وما في غيرك الصدف[2]

(١) النعمان، القاضي، شرح الأخبار، صفحة (١٧٣)، طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين قم.
(٢) الهندي، رضا، ديوان السيّد رضا الهندي، صفحة (٢٥) طبعة دار الأضواء بيروت.

القسم السادس

أحداث شهادة أمير المؤمنين

وفيه جملة من الفصول:

- الفصل الأوّل: أحداث الليلة التاسعة عشر من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة
- الفصل الثاني: أحداث اليوم التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة
- الفصل الثالث: أحداث الليلة العشرين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة
- الفصل الرابع: أحداث اليوم العشرين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة
- الفصل الخامس: أحداث الليلة الواحدة والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة.
- الفصل السادس: أحداث اليوم الواحد والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة

الفصل الأوّل

أحداث الليلة التاسعة عشر من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة

وفيه جملة من المطالب:

ـ المطلب الأوّل: أمير المؤمنين ضيف عند الحوراء

قال أصحابُ السيرةِ والمقاتل:

كان أمير المؤمنين[1] ـ علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه) سنة الأربعين للهجرة في شهر رمضان المبارك الشهر الذي استشهد فيه ـ يتناولُ إفطارهُ[2] ليلةً في منزلِ ولدَهِ الإمام أبي محمّد الحسن المجتبى (صلوات الله

(١) خطب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في شهر رمضان المبارك فقال: [إنّه قد أتاكم شهر رمضان، وفيه تدور رحى الإسلام، ألا وإنّكم حاجوا العام صفاً واحداً وآية ذلك أنّي لستُ فيكم.. قال الراوي: فهو ينعى نفسه ونحن لا نعلم.. وفي رواية أنّه قال: أتاكم شهر رمضان وفيه تدور رحى السلطان] ـ أنظر الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح الجزء (١) صفحة (٢٠١) طبعة مؤسسة الإمام المهدي قم، والجواهري، شريف، مثير الأحزان - صفحة (٣٨٠) طبعة دار المحجة البيضاء بيروت، والقميّ، عباس، منتهى الآمال الجزء (١) صفحة (٢٣٩) طبعة الدار الإسلاميّة بيروت، والطبرسيّ، الفضل، أعلام الورى صفحة (٢١٥) طبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم.

(٢) المفيد، محمّد النعمان، الإرشاد الجزء (١) صفحة (١٤)، القميّ، عباس، منتهى الآمال، الجزء (١) صفحة (٢٣٩) طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

عليه) وليلةً في منزلِ ولدهِ الإمام أبي عبد الله الحسين الشهيد (صلوات الله عليه) وليلةً في منزلِ ابن أخيهِ عبد الله بن جعفر الطيّار رضي الله عنه[1] عند ابنتهِ الحوراء زينب (سلام الله عليها).

وفي رواية الإرشاد للمفيد وكشف الغمة للإربلي بدل عبد الله بن جعفر رضي الله عنه عبد الله بن عباس رضي الله عنه[2].

تقولُ أمُ كلثوم[3] ابنةُ أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) عبد الله بن جعفر الطيّار بن أبي طالب، هو زوج الحوراء زينب عليها السلام.

(٢) روى الشيخ المفيد رحمه الله في بعض نسخ الإرشاد أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان يفطر ليلة عند ولده الحسن وليلة عند ولده الحسين وليلة عند ابن عمه عبد الله بن عباس.. أنظر المفيد، محمّد النعمان الإرشاد الجزء (١) صفحة (١٤)، وكذلك الأربلي ذكر عبد الله بن عباس ولم يذكر عبد بن جعفر الطيّار ـ أنظر الأربلي، علي عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمّة الجزء (٢) صفحة (٥٤) طبعة شركة الألفين.
وذكر أيضا الطبرسيّ رحمه الله في كتابه (أعلام الورى) أنّه اشتهر في الرواية أنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان لمّا دخل شهر رمضان المبارك يتعشى ليلةً عند ولده الحسن وليلةً عند ولده الحسين وليلةً عند عبد الله بن عباس، والأصح عند عبد الله بن جعفر، وذكر البرّاقي عبارة المفيد في الإرشاد. ـ أنظر البراقي، حسين أحمد، تاريخ الكوفة، صفحة (١٧٠) طبعة المكتبة الحيدريّة قم ـ وقد علّق صاحب كتاب أعيان الشيعة قائلاً: أنّ وضع عبد الله بن جعفر مكان عبد الله بن عباس هو خطأ، ولعلّ الصواب أنّه (صلوات الله عليه) كان يفطر ليلةً عند ولده الحسن وليلةً عند ولده الحسين وليلةً عند عبد الله بن جعفر وليلةً عند عبد الله بن عباس، وهؤلاء هم الذين غسلوه، وهذا من الأدلة على أن بن عباس لم يفارق أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) طيلة حياته. ـ أنظر الأمين، محسن، أعيان الشيعة الجزء (١) صفحة (٥٣٢) طبعة دار التعارف بيروت.
ولهذا الجمع وجهٌ وجيه، حيث إنّ رواية الإفطار والموعظة منقولة عن السيّدة زينب ابنة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وهذه قرينة واضحة على أن الإفطار كان في بيتها وهي (سلام الله عليها) زوجة عبد الله بن جعفر، وأما عبد الله بن عباس فلأجل الرواية.

(٣) المقصود بالسيّدة أم كلثوم السيّدة زينب الكبرى ابنة أمير المؤمنين عليه السلام لأنّه إذا جاء النّصّ عن السيّدة زينب عليها السلام أو عن أم كلثوم فالمقصود بها السيّدة زينب الكبرى، أمّا إذا جاء عن السيّدة زينب الصغرى أو أم كلثوم الصغرى (سلام الله عليها) فهي ابنة أمير المؤمنين عليه السلام أخت السيّدة زينب الحوراء، فلا بدّ من التقييد بالصغرى حتى تكون الصغرى، وعند الإطلاق يكون المقصود هي الكبرى.. هكذا قال المؤرخون. أنظر النقدي، جعفر ـ زينب الكبرى ـ صفحة ـ ١٨، ١٧، ٢٥، =

فلمّا كانت ليلةُ تسع عشرة من شهر رمضان قدمتُ إليه عند إفطارهِ طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير، وقصعةً[١] فيها لبن، وملح جريش[٢] فلمّا فرغ من صلاتهِ أقبل على فطوره، فلمّا نظر إليه وتأمّله، حرّك رأسه، وبكى بكاءً شديداً عالياً.

موعظةُ أمير المؤمنين عند الإفطار

قال (صلوات الله عليه): يا بُنيّة، أُتَقَدّمِينَ إلى أبيك إدامين[٣] في فردِ طبقٍ واحد..![٤] تريدين أن يطول وقوفي غداً بين يدي الله تعالى..!! أما علمتِ أنّني أتبع ما كان يصنعُ أخي وابن عمي رسول الله ﷺ فإنّه ما قُدّمَ إليه إدامان في طبقٍ واحدٍ إلى أن قبضه الله مكرماً..

يا بنيّة، ما من رجلٍ طاب مطعمه، ومشربه، وملبسه، إلّا طال وقوفه بين يدي الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة..[٥].

يا بنيّة، إنّ الدنيا في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، وقد أخبرني

= ٣٨.والمقرّم، مقتل الحسين ﷺ صفحة (٣١٦).

(١) القصعة، وعاء يؤكل فيه ويثرد، وكان يتخذ من الخشب غالباً، جمعه قصاع. راجع مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط - صفحة (٧٤٠) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول، ويقال: ثرد الخبز ثرداً إذا فته وبله بالماء فهو ثارد ـ المصدر السابق صفحة (٩٥).

(٢) الجريش هو المجروش من الحبوب، يقال: جرش الشيء أي لم ينعم دقه فهو جريش ويكون المقصود الملح الخشن. ـ راجع الغديري، عبد الله، القاموس الجامع للمصطلحات الفقهيّة صفحة (١١٠) طبعة دار المحجّة البيضاء بيروت.

(٣) وفي رواية أنّه قال: ـ أتقدمين لي لونين في طبق واحد ـ راجع شبّر، عبد الله، جلاء العيون، الجزء (١) صفحة (٢١٦) طبعة دار المرتضى بيروت.

(٤) الطّبق، هو من أمتعة البيت جمعه أطباق وطباق كأسباب وجبال ـ راجع الطريحيّ، فخر الدين، مجمع البحرين الجزء (٥) صفحة (٢٠٤) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت ـ وقد يراد به الوعاء الذي يوضع عليه الطعام ويؤكل فيه ـ راجع مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط صفحة (٥٥١)طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٥) راجع القميّ، عباس، منتهى الآمال الجزء (١) صفحة (٢٤٢) طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

حبيبي رسول الله ﷺ أن جبرائيل عليه السلام نزل ومعه مفاتيح كنوزِ الأرض وقال: يا محمّد، السلام يقرؤك السلام ويقول لك: إن شِئتَ سَيّرْتُ معك جبال تهامة[1] ذهباً وفضةً، وخذْ هذه مفاتيح كنوز الأرض ولا ينقص ذلك من حقك يوم القيامة..

قال: ﷺ: يا جبرائيل، وما يكون بعد ذلك؟

قال جبرائيل عليه السلام: الموت.

قال ﷺ: إذاً لا حاجة لي في الدنيا دعني أجوع يوماً وأشبع يوماً فاليوم الذي أجوع فيه أتضرع إلى ربي وأسأله، واليوم الذي أشبع فيه أشكر ربي وأحمده.

فقال جبرائيل عليه السلام: وفقّت لكلِ خيرٍ يا محمّد.

ثُمَّ قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): يا بنيّة، الدنيا دارُ غرورٍ، ودار ذلٍ وهوان، فمن قدم لأخرته شيئاً وجده، ووصل نفعه إليه..

يا بنيّة، والله لا آكل شيئاً حتى ترفعين أحد الإدامين[2][3].

---

(١) تهامة، اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز، قيل: هي مشتقة من تهم الحرّ، اشتدّ مع ركود الريح لشدة حرّها، وفي المجمع هي مشتقة من التّهم وهي الحرّ وسكون الريح، وهي أرض أولها ذات عرق من قبل نجد إلى مكة وراها بمرحلتين أو أكثر تأخذ إلى البحر ـ راجع الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين الجزء (٦) صفحة (٢٤) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) الإدام، في كتب أهل اللغة فعال بفتح الفاء ما يؤتدم به مايعاً كان أو جامداً، وفي الخبر قال: نعم الأدم الخلّ. وروي قوله: سيّد إدامكم. [أي الخلّ] لأنّه أقل مؤنة وأقرب إلى القناعة ولذا قنع به أكثر العارفين ـ راجع الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، الجزء (٦) صفحة (٦) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت ـ والمقصود حينئذٍ من الإدام صنف الطعام ولذلك في بعض النصوص قال (صلوات الله عليه): [أتقدّمين لي لونين في طبق واحد] وقد تقدمت هذه الرواية سابقاً.

(٣) راجع الجواهري، شريف مثير الأحزان صفحة (٣٨٠) طبعة دار المحجة البيضاء بيروت، وشبر، عبد الله، جلاء العيون، الجزء (١) صفحة (٢١٦) طبعة دار المرتضى بيروت.

أمير المؤمنين على مائدة الإفطار

تقول زينب ابنة أمير المؤمنين (عليهما السلام): فرفعت اللبن الحامض بأمر منه.. فلما رفعته تقدم إلى الطعام فأكل قرصاً واحداً بالملح الجريش.. ثُمَّ حمد الله وأثنى عليه..[1].

ـ المطلب الثاني: أمير المؤمنين في محراب العبادة

تقول الروايات بعد أن تناول أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فطوره أسبغ وضوءه وأخذ (صلوات الله وسلامه عليه) في الصلاة والدعاء ولم يزل تلك الليلة قائماً، وقاعداً، وراكعاً وساجداً ومبتهلاً[2] ومتضرعاً إلى الله سبحانه وتعالى

---

(١) وكان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لا يزيد على ثلاث لقم وكان يقول: أرجو أن ألقى الله وأنا خميص الحشى(*) وإنّما هي ليلة أو ليلتان.. ورآه عدي بن حاتم وبين يديه ماء قراح وكسرات من خبز الشعير فقال: لا أرى لك يا أمير المؤمنين أن تظلّ نهارك صائماً مجاهداً وبالليلِ ساهراً مكابداً ثُمَّ يكون هذا فطورك..!! فقال (صلوات الله عليه): عللّ النفس بالقليل وإلّا طلبت منك فوق ما يكفيها.
ولعلّ رغبة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كانت في أن يأتيه أمرُ الله وهو خميص.. فلا يريد أن يحمل معه من الدنيا إلّا العمل الصالح، فإنّه يريد أن يتخلص من كل ذرة مادية يمكنه التخلص منها، ولذلك فهو يصوم شهر رمضان، ويفطر على لقم ثلاث تحفظ له خيط حياته الذي أوجب الله عليه حفظه، ولو استطاع أن يحفظه بأقل من ذلك ـ وكان معذوراً عند الله ـ لاكتفى بما هو أقل من ذلك أيضاً.
راجع الكورانيّ، علي، جواهر التأريخ الجزء (١) صفحة (٤٥٢) طبعة دار الهدى قم، والمفيد، محمّد النعمان، الإرشاد الجزء (١) صفحة (١٤)، والطبرسيّ، الفضل بن الحسن، إعلام الورى صفحة (١٦٠) طبعة مؤسسة آل البيت لأحياء التراث قم. الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، المناقب صفحة (٣٩٢) طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ قم.

(٢) الابتهال بالدعاء، رفع اليدين ومدّهما تلقاء الوجه وذلك عند الدمعة، ثُمَّ الدعاء، وفي حديث آخر: الابتهال أن تبسط يديك وذراعيك إلى السماء تجاوز بهما رأسك ـ راجع الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين الجزء (٥) صفحة (٣٢٧) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(*) خميص الحشى: قال في المعجم: خَمَصَ البطن خمصاً وخموصاً ومخمصةً، خلا وضَمُرَ، ويقال: خَمَصَ الجوعُ فلاناً، أضعفه وأدخل بطنه في جوفه فهو خميص ـ راجع مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٢٥٦) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

وكان يكثر الدخول والخروج وهو ينظر إلى الكواكب ويقلّب طرفه[١] إلى السماء ويبكي ثُمَّ قرأ سورة (يس) حتى ختمها.

ثُمَّ نام (صلوات الله عليه) هنيئة.. وإنتبه فزعاً مرعوباً فتناول رداءه وجعل يمسح وجهه بثوبه ونهض قائماً على قدميه وهو يقول: اللهم بارك لنا في لقائك.. ويكثر من قول: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم..

ثُمَّ أسبغ وضوئه[٢] وقام إلى مصلاه فصلى حتى ذهب بعض الليل ثُمَّ جلس للتعقيب..

ـ رؤيا أمير المؤمنين

ولم يزل (صلوات الله عليه) يسبح الله تعالى إلى أن غفت عيناه، وهو جالس ثُمَّ استيقظ من نومه مرعوباً فجمع أولاده وأهله وقال لهم: إنّي مفارقكم في هذا الشهر..

وقد رأيتُ رسول الله ﷺ فشكوتُ إليه ما أنا فيه من التبلّد بهذه الأمّة، فقال لي ﷺ: أُدع الله عليهم.. فقلت: اللهم أبدلني خيراً لي منهم وأبدلهم شراً لي منهم.

وروى السيد الرضي رحمه الله أنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قال في سحر اليوم الذي ضُرب فيه:

ملكتني عيني وأنا جالس، فسنح لي رسول الله ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله،

---

(١) يقلّب طرفه، الطرف العين ولا يجمع لأنّه في الأصل مصدراً فيكون جمعاً وطرف البصر يطرف من باب ضرب، تحرك، وطرف بصره إذا أطبق أحد جفنه على الآخر ـ راجع الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين الجزء (٥) صفحة (٨٩) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) إسباغ الوضوء، إتمامه وإكماله وذلك في وجهين، إتمامه على ما فرض الله تعالى، وإكماله على ما سنّه رسول الله ﷺ ومنه ـ أسبغوا الوضوء ـ بفتح الهمزة أي أبلغوه مواضعه وأوفوا كل عضوٍ حقه ـ راجع الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين الجزء (٥) صفحة (١١) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

ماذا لقيتُ من أمّتك من الأود واللددّ، فقال: أدع عليهم، فقلتُ: أبدلني الله بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً مني[١].

في الرواية عن الإمام أبي محمّد الحسن المجتبى (صلوات الله عليه) أنّه قال: وأتيته سحراً فجلست إليه فقال: إنّي بتُّ الليلة أوقظ أهلي، فملكتني عيناي وأنا جالس فسنح لي رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللّدد، فقال لي: أُدع الله عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم خيراً لي منهم وأبدلهم لي شراً لهم مني[٢].

وفي رواية نهج السعادة ومقتل علي لابن أبي الدنيا عن مولانا أبي محمّد الحسن بن علي (صلوات الله عليه) قال: في اليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

خرجتُ البارحة وأبي يصلي في مسجد داره، فقال لي: يا بني إنّي بتُّ أوقظ أهلي، لأنّها ليلة الجمعة، صبيحة بدر[٣] فملكتني عيناي، فنمتُ فسنح لي رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله ماذا لقيتُ من أمتك من الأوَدِ واللّدَد!![٤] فقال لي: أدع عليهم.

---

(١) راجع شبر، عبد الله، جلاء العيون، الجزء (١) صفحة (٢١٥) طبعة دار المرتضى بيروت.

(٢) راجع الزهريّ، محمّد سعد، الطبقات الكبرى، المجلد (٢)صفحة (٣٦) طبعة دار صادر بيروت. ابن أبي الدنيا، عبد الله، مقتل علي، الحديث رقم (٩) طبعة دار البشائر بيروت.

(٣) كانت معركة بدر الكبرى في السابع عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة وفي هذه المعركة التقى الجيش الإسلاميّ بقيادة رسول الله ﷺ وجيش الكفار من قريش بقيادة أبي جهل ولقد نصر الله جيش رسول الله ﷺ على المشركين وكان ذلك من أعظم الفتوحات الإسلاميّة وأنزل الله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ سورة آل عمران، الآيات من (١٢٣ ـ إلى ١٢٦).

(٤) الأوَدِ: العوج، أي عدم استقامتهم واعوجاجهم وأود الشيء بالكسر يأود أودا، أي إعوجّ، وتأود تعوّج، وأقام أوده، أي عوجه ومنه يقيم أودكم أي اعوجاجكم، ومثله أقم بهم أودي أي =

فقلت: اللهم أبدلني بهم من هو خيرٌ منهم، وأبدلهم بي من هو شرٌّ مني[١].

قال الشريف الرضي رحمه الله:

وقال (صلوات الله عليه) في سحرة اليوم الذي ضُرب فيه: ملكتني عيني وأنا جالس فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أُمتك من الأودِ واللّدَد!!

فقال صلى الله عليه وآله: أدعُ عليهم.

فقلتُ: أبدلني الله بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شرّاً لهم مني.

قال الشريف الرضي رحمه الله يعني بالأود، الإعوجاج، وباللّدد الخصام، وهذا من أفصح الكلام[٢].

وفي رواية الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد وغيره عن محدّثي الخاصة والعامة عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قال: رأيتُ النّبيّ صلى الله عليه وآله في منامي فشكوت إليه ما لقيتُ من أمّته من الأود واللّدد، وبكيت، فقال صلى الله عليه وآله:

= اعوجاجي، والمعنى أصلح بهم شأني وأكشف بهم غمي، ونظائره ـ راجع الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين الجزء (٣) صفحة (٩) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت ـ اللّدَد: الجدل وشدة الخصومة وعدم الرجوع إلى الحق، قال في المجمع: شدة العداوة والبغضاء ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ سورة البقرة الآية (٢٠٤) أي شديدة العداوة والبغضاء والجدال للمسلمين، من قولهم ـ رجل ألد بين اللدد ـ يعني شديد الخصومة لغيره، يقال: لدّه يلدّه لدّا من باب تعب، اشتدّت خصومة.. ولدّ الرجل خصمه لدّا من باب قَتَلَ: شدّد خصومته ـ راجع الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين الجزء (٣) صفحة (١٤١) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(١) أنظر الكورانيّ، علي، جواهر التأريخ الجزء (١) صفحة (٤٤٩) طبعة دار الهدى بيروت. نقل عبد ربه الأندلسيّ في العقد الفريد أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قال: فشكوت إليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابي، وقلة رغبتهم في الجهاد، فقال: أدع الله أن يريحك منهم فدعوت الله ـ المصدر السابق.

(٢) عبده، محمّد، شرح نهج البلاغة، صفحة (١٧٣)، طبعة دار البلاغة بيروت.

لا تبك يا عليّ والتفت، فالتفتُّ فإذا رجلان مصفّدان[١] وإذا جلاميد[٢] ترضخ[٣] بها رؤوسهما.. ثُمّ قُتل عليه السلام في اليوم الثاني.

وقد رواها أيضاً أبو صالح الحنفي قال: فغدوت إليه من الغدّ فلقيتُ الناس يقولون قُتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)[٤].

إنَّ هذه الرؤى التي كان قد رآها أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وقد أخبر بها أهل بيته وأصحابه لعلّها تهدف إلى التمهيد لقضية استشهاده (صلوات الله عليه)، لكي يخفف من شدة وقعه على أهل بيته، وعلى أصحابه، وعلى شيعته والناس من حوله. فكان يحدثهم بما يراه في منامه.

ولا شك ولا ريب في صدق رؤى أوصياء الأنبياء.. (صلوات الله عليهم) فإنّ الله تعالى يريد لها أن تكون مفيدة لهم في حركتهم العملية وسياساتهم.

ـ مناجاة مع الله

روى الشيخ الزاهد ورّام في جامعه عن إسماعيل بن عبد الله الضلعي قال:

---

(١) الأصفاد هي القيود والأغلال التي توثق بها الأرجل واحدها صفد بالتحريك، ويقال: صفده يصفده صفداً، أي شدّه وأوثقه، وكذلك التصفيد، والصفد الوثاق، والصفاد بالكسر ما يوثق به الأسير من قدّ وقيد وغلّ ـ راجع الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين الجزء (٣) صفحة (٨٧) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) الجلاميد مفرده جلمود، الجلمد والجلمود كجعفر وعصفور، الصخر، ميمه زائدة ـ راجع الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين الجزء (٣) صفحة (٢٦) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٣) الرضخ، هو الدق والكسر، ومنه رضختُ رأسه بالحجارة ـ راجع الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين الجزء (٢) صفحة (٤٣٢) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٤) الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح الجزء (١) صفحة (٢٣٣) طبعة مؤسسة الإمام المهدي قم. والطبرسيّ، الفضل بن الحسن، أعلام الورى الجزء (١) صفحة (٣١٠) طبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم، وشبر، عبد الله، جلاء العيون الجزء (١) صفحة (٢١٤) طبعة دار المرتضى بيروت.

بتّ قريبا من الحيرة[1] فلمّا جنّني الليل وإذا أنا برجل قد أقبل، فاستتر برايته، ثُمَّ صفّ قدميه فأطال في المناجاة..

---

(١) روى إسماعيل بن عبد الله الفلعي وكان له صحبة مع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قال: لمّا كثر الاختلاف بين أصحاب رسول الله ﷺ وقُتل عثمان بن عفان تخوفتُ على نفسي الفتنة فعزمت على اعتزال الناس فتنحيتُ إلى ساحل البحر فأقمتُ فيه حيناً لا أدري ما فيه الناس، فخرجتُ من بيتي لبعض حوائجي وقد هدأ الليل ونام الناس فإذا أنا برجلٍ على ساحلِ البحر يناجي ربّه ويتضرّع إليه بصوتٍ شجيٍ وقلبٍ حزينٍ فأنصتُّ إليه من حيث لا يراني فسمعته يقول: يا حسن الصحبة.. يا خليفة النَّبيّين.. يا أرحم الراحمين.. البديء(*)، البديع(*) الذي ليس مثلك شيء والدائم غير الغافل، والحي الذي لا يموت، أنت كل يوم في شأن، أنت خليفة محمّد، وناصر محمّد، ومفضّل محمّد، أسألك أن تنصر وصيّ محمّد، وخليفة محمّد، والقائم بالقسط بعد محمّد، أعطف عليه بنصر أو توفه بحرمة.. =

(*) البديء، هو اسم من أسماء الله تعالى باعتبار صدور البداء عنه، والبداء مفردة من مفردات العقيدة الإسلاميّة في مدرسة أهل البيت (صلوات الله عليهم) ليس هنا محلّ عرضها وإنّما بكلمةٍ مجملة نوضّح أنّ البداء هو أن الله تعالى يُظهر لمن يشاء من خلقه ما كان قد أخفاه عنهم يقول السيد شرف الدين قدس سره: وحاصل ما تقوله الشيعة هنا أنّ الله ينقص من المرض وقد يزيد فيه، وكذا الأجل والصحة والسعادة والشقاء والمحن والمصائب، وسائر الأشياء كما يقتضيه قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ سورة الرعد الآية (٣٩). وهذا مذهب عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبي وائل وقتادة وقد رواه جابر عن رسول الله ﷺ وكان كثيرٌ من السلف الصالح يدعون ويتضرعون إلى الله تعالى أنّ يجعلهم سعداء، لا أشقياء، وقد تواتر ذلك عن أئمتنا في أدعيتهم المأثورة، وورد في السنن الكثيرة أنّ الصدقة على وجهها وبر الوالدين واصطناع المعروف يحوّل الشقاء سعادة، ويزيد في العمر، وصحّ عن ابن عباس أنّه قال: لا ينفع الحذر من القدر، ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر.. ـ أنظر السبحانيّ، جعفر، البداء في ضوء الكتاب والسنة، صفحة (٥٤) طبعة دار الأضواء بيروت.

ولذا ورد في الأخبار عن الأئمّة الأطهار (صلوات الله عليهم) قولهم:

والله لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما يكون إلى أن تقوم الساعة ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرّعد: ٣٩] فغير عالم الكتاب من العوالم السبعة يقبل البداء وإذا وجد في الأعيان فلا بداء، فالذي وجد في الأخبار من أن البداء لا يقع فيما وصل إلى الأنبياء والأئمّة بل والملائكة عليهم السلام فانّ الله لا يكذّب أنبيائه ورسله وملائكته وهذا يكون بعد وصول الأشياء إلى عالم الأعيان كما تدل عليه الأخبار الكثيرة من أن أفضل علوم الأئمّة ما يحدث لهم شيء فشيء، الأمر بعد الأمر.

(*) البديع، قال في القاموس المحيط: البديعُ، المُبْدِع، والمُبْتَدَع. قال الله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ سورة البقرة الآية (١١٧). فالبديع اسم لله تعالى باعتبار إعطاء كل موجود وجوداً جديداً آناً فآناً، فهو تبارك وتعالى بديع السماوات والأرض، بل بديع كل شيء، فإنّ بيده ملكوت كل شيء، فيميتها في مرتبة، ويحييها في مرتبة أخرى، ويميتها في شأن ويحيها في شأن آخر قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ سورة البقرة الآية (٢٨). معبّراً بلفظ المضارع الدالّ على الاستمرارية والتجدّد، وقال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ سورة الرحمن الآية (٢٩).

وكان فيما قال:

اللهم إنّي سرتُ فيهم بما أمرني رسولك وصفيك المرسل.. فظلموني.. وقاتلتُ المنافقين كما أمرني.. فجهلوني..!!

وقد مللتُهم..[١] وملوني.. وبغضتُهم.. وبغضوني.. فلم يبق لي خلّة أنتظرها إلّا المرادي..[٢] اللهم فاجعل له الشقاء.. وتغمدني بالسعادة.. إنّه قد وعدني نبيك إذا سألتك اللهم فإنّه لن يُرد دعائي.. وقد رغبتُ إليك في ذلك..

قال الراوي: ثُمَّ مضى فقفوتُ خلفه حتى دخل منزله فإذا هو علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)[٣].

ـ رؤيا أمير المؤمنين لرسول الله

تتحدث الروايات المعتبرة أنّه لمّا أخذ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مضجعه بعد أن صلى العشاء الآخرة رأى رسول الله ﷺ في عالم الرؤيا، تقول

= قال: ثُمَّ رفع رأسه وجلس بقدر التشهد ثُمَّ إنّه سلّم فيما أحسب تلقاء وجهه ثُمَّ مضى فمشى على الماء فناديته.. كلمني، فلم يلتفت، وقال: الهادي خلفك فسله عن أمر دينك، قال: قلت من هو يرحمك الله؟

قال: وصيّ محمّد من بعده.

فخرجت متوجهاً إلى الكوفة فأمسيت دونها فبتُّ قريباً من الحيرة.

(١) روى ابن حجر قال: كان علي ﷺ يقول لأهل الكوفة عند تضجره منهم: وددتُ أنه قد إنبعث أشقاكم فخضب هذه ـ يعني لحيته ـ من هذه، ووضع يده على مقدّم رأسه. أنظرالهيتمي، أحمد حجر الصواعق المحرقة، الجزء (٢) صفحة (١٢٤) طبعة مؤسسة الرسالة بيروت.

(٢) قال ابن حجر في صواعقه: وسئل ـ يعني أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ـ وهو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالى ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ سورة الأحزاب (٢٣). فقال: اللهم غفرا هذه الآية نزلت في وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحرث بن عبد المطّلب فأما عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر وحمزة قضى نحبه شهيدا يوم أحد وأما أنا فأنتظر اشقاها يخضب هذه من هذه وأشار بيده إلى لحيته وراسه عهد عهده إلي حبيبي أبو القاسم ـ أنظر الهيتمي، أحمد حجر، الصواعق المحرقة، الجزء (٢) صفحة (٣٩٢) طبعة دار الرسالة بيروت.

(٣) شبر، عبد الله، جلاء العيون، الجزء (١)، صفحة، (٢٠٨) طبعة دار المرتضى بيروت.

السيِّدة زينب ابنة أمير المؤمنين (عليهما السلام): وكأنّي به وقد جمع أولاده وأهله وقال لهم: في هذا الشهر تفقدوني، إنّي رأيتُ في هذه الليلة رؤيا هالتني.. وأريد أن أقصها عليكم.

قالوا: ما هي؟

قال: إنّي رأيتُ الساعة رسول الله ﷺ في منامي وهو يقول لي: يا أبا الحسن إنّك قادمٌ إلينا عن قريب يجيء إليك أشقاها فيخضب شيبتك من دم رأسك، وأنا والله مشتاقٌ إليك وإنّك عندنا في العشر الآخر من شهر رمضان فهلّم إلينا فما عند الله خير وأبقى..

فلمّا سمعوا كلامه ضجّوا بالبكاء والنحيب وأبدوا العويل، فأقسم عليهم بالسكوت.. فسكتوا، ثُمَّ أقبل يوصيهم ويأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر.. ثُمَّ تفرقوا[1].

ـ أمير المؤمنين في محراب العبادة

بعد أن قصّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) رؤياه على أولاده قام (صلوات الله عليه) واشتعل بالصلاة والدعاء وتلاوة القرآن فلم يزل تلك الليلة قائماً وراكعاً وساجداً ومبتهلاً ومتضرعاً إلى الله سبحانه وتعالى..

تقول السيِّدة زينب ابنة أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما): كان أبي[2] يخرج ساعة بعد ساعة يقلب طرفه في السماء وينظر في الكواكب والعلامات لمّا أخذه من القلق والأرق[3] ويكثر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» والله ما كذبت ولا كُذّبت..

---

(١) شبر، عبد الله، جلاء العيون، الجزء (١) صفحة (٢١٧)، طبعة دار المرتضى بيروت.

(٢) المفيد، محمّد النعمان، الإرشاد الجزء (١) صفحة (١٥).

(٣) أرِق أرقاً، امتنع عليه النوم ليلاً فهو أرق وآرِق ـ راجع مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (١٤) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

إنّها الليلة التي وعدت بها..[١] اللهم بارك لي في الموت، وما بعد الموت..

اللهم: بارك لي يوم ألقاك..

ثُمَّ عاد إلى مصلّاه وهو يقول: اللهم بارك لي في الموت.. ويكثر من قول: «إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، ويصلي على النَّبيّ محمّد ﷺ ويستغفر الله كثيراً..

ـ المطلب الثالث: حديث بين أمير المؤمنين وابنته زينب

تقول السيِّدة زينب (سلام الله عليها): فلمّا رأيته قلقاً[٢] متململاً[٣] أرقت معه ليلتي، وقلت: يا أبتاه مالي أراك هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد[٤]؟

---

(١) في الحديث أن رسول الله ﷺ خطب خطبة استقبل فيها شهر رمضان المبارك وبعد الخطبة سأله أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قائلاً: يا رسول الله ما أفضلُ الأعمالِ في هذا الشهر..؟
فقال ﷺ: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عزّ وجلّ. ثُمَّ بكى رسول الله ﷺ.
فقال له أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): يا رسول الله ما يبكيك..؟
فقال ﷺ: أبكي لما يُستحلّ منك في هذا الشهر..!! كأني بك وأنت تصلي لربّك وقد انبعث أشقى الأوّلين والآخرين، شقيق عاقر ناقة ثمود فضربك ضربة على قرنك فخضب منها لحيتك ـ. (راجع الكورانيّ، علي، جواهر التاريخ الجزء (١) صفحة (٤٤٦) طبعة دار الهدى قم).

(٢) يقال: قَلِقَ، قلقاً أي لم يستقرّ في مكان واحد، ولم يستقر على حال وأصابه الإضطراب والإنزعاج فهو قَلِقٌ ـ راجع مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٧٥٦) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٣) يقال: تململ، تقلب على فراشه متألماً من مرضٍ أو غم أو نحوهما، ويقال: تململ الجالس، أبدى قلقه بأن جثا على ركبتيه أو جنح إلى أحد شقيه تارة وإلى الآخر تارة أخرى ـ راجع مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٨٨٧) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٤) الرقاد، النوم، يقال: رَقَدَ رَقْداً ورُقاداً، نام ـ راجع مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٣٦٤) طبعة المكتبة الإسلاميّة.

قال: يا بنيّة، إنّ أباكِ قتل الأبطال، وخاض الأهوال، وما دخل الخوف له جوفاً، وما دخل في قلبي رعب أكثر مِمّا دخل هذه الليلة.. ثُمَّ قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]

فقلتُ: يا أبتاه ما لك تنعى نفسك هذه الليلة..؟

فقال: يا بنيّة، قد قرب الأجل، وانقطع الأمل..

تقول السيِّدة زينب (سلام الله عليها): فبكيت.

فقال لي: يا بنيّة، لا تبكي فإنّي لم أقل ذلك إلّا بما عهد إليّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله..

ثُمَّ قال لي: يا بنيّة، إذا قرب الأذان فأعلميني.

وروى إسماعيل بن زياد قال: حدثتني أُم موسى خادمة عليّ (صلوات الله عليه) وهي أيضاً حاضنة فاطمة ابنة عليّ عليهما السلام قالت: سمعتُ علياً يقول لابنته أم كلثوم:

يا بنيّة، إنّي أراني قلّ ما أصحبكم.. قالت: وكيف ذلك يا أبتاه؟

قال: إنّي رأيتُ نبيّ الله صلى الله عليه وآله في منامي وهو يمسح الغبار عن وجهي ويقول: يا عليّ لا عليك قد قضيت ما عليك.. قالت: فما مكثنا إلّا ثلاثاً حتى ضرب تلك الضربة.

فصاحت أم كلثوم.. فقال: يا بنيّة، لا تفعلي، فإنّي رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يشير إليّ بكفه، يا عليّ هلمّ إلينا فإنّ ما عندنا هو خيرٌ لك[1].

ـ صوائح تتبعها نوائح

تقول السيِّدة زينب (سلام الله عليها): فجعلتُ أراقبُ الأذان فلمّا لاح الوقت أتيته ومعي إناء فيه ماء فأسبغ الوضوء وقام ولبس ثيابه وفتح الباب

---

(١) المفيد، محمّد النعمان، الإرشاد الجزء (١) صفحة (١٦).

ونزل إلى الدار وكان في الدار إوزّ[١] أهدي إلى أخوي الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) فلمّا نزل خرجن ورآه ورفرفن بأجنحتهنّ وصحن في وجهه ولم يكن قد صحن في وجهه من قبل.

فقال (صلوات الله عليه): لا إله إلّا الله.. صوائحٌ تتبعها نوائح.. وفي غداة غدٍ يظهر القضاء..[٢].

فقالت الحوراء زينب (سلام الله عليها): يا أبتِ لِمَ تتفأل بالشّر؟

فقال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): يا بنيّة، ما منّا أهل البيت من يتفأل بسوءٍ، ولا يؤثر فأل السوء فينا، ولكن قد جرى الحق على لساني. فسمع ذلك الحسن عليه السلام فقال: وما ذاك يا أبتاه؟

فقال (صلوات الله عليه): يا بني إنّ قلبي يحدثني أنّي مقتولٌ لا محالة، ثُمَّ التفت إلى ابنته زينب أوصاها بالإوزّ فقال لها: يا بنيّة، بحقي عليك إلّا ما أطلقت هذا الإوزّ يأكل من حشائش البر ولا تحبسي من ليس له لسان، ولا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش، فأطعميه واسقيه وإلّا خلي سبيله.

وفي رواية أن هذا الحوار حصل بين أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وبين أحد الإماميين الحسنين (صلوات الله عليهما).

ـ توضيح:

هل كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) متطيراً في تلك الليلة..؟

---

(١) الإوز، نوع من الطيور يشبه البط، ولكنّه أكبر منه جسماً وأطول عنقاً ـ راجع مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٣٢) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٢) الكوفيّ، أحمد بن أعثم، الفتوح، الجزء (٤) صفحة (٢٧٧)، طبعة دار الأضواء بيروت. الكورانيّ، علي، جواهر التاريخ، الجزء (١) صفحة (٤٥٢)، طبعة دار الهدى قم، نقلاً عن نهج السعادة الجزء (٧) صفحة (١٢٠)، شبر، عبد الله، جلاء العيون، الجزء (١) صفحة (٢١٥) طبعة دار المرتضى بيروت.

وهل كان أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم) يرون أن أباهم يتطير فعلاً في تلك الليلة..؟

مع علمهم بأنّ جدهم النَّبيّ المصطفى ﷺ قد نهى عن الطيرة..؟!.

وهل أنّ أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم) يرون أن أباهم ـ الخليفة الشرعي لرسول الله ﷺ سيّد الأوصياء المعصوم عن الخطأ سهواً ـ قد خالف أمر النَّبيّ ﷺسهواً..؟!.

وهل يخالف المعصوم أحكام الشريعة سهواً..!!.

أو عمداً..!!.

أم أنّهم (صلوات الله عليهم) كانوا ينفون العصمة عن أبيهم (صلوات الله عليه)..؟!.

إنَّ مِمّا لا شك فيه أن أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم) وخصوصاً من حصل الحوار مع أحدهم وهم إمّا الإمام أبي محمّد الحسن (صلوات الله عليه) وإمّا الإمام أبي عبد الله الحسين (صلوات الله عليه) وإمّا السيّدة الجليلة زينب الحوراء (سلام الله عليها) هم من أشدّ الناس بصيرة ودراية في أمر أبيهم، وهم أعرف الناس بمعنى آية التطهير، وهم رأوا وشهدوا عن كثب رسوخُ قدم أبيهم في معنى العصمة والطهارة.

ولكن الحقيقة هي: أنّ هذا قد جاء على نفس النسق، ولنفس الغرض، الذي دعا علياً (صلوات الله عليه) ليسأل النَّبيّ ﷺ حين أخبره بأنّه سيقتل: وذلك في سلامة من ديني..؟! كما تقدم في الفصل السابق.

إنَّ أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم) يريدون أن يُسمِعوا الناس من لسان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) نفسه أن قوله (صلوات الله عليه) ـ صوائح تتبعها نوائح ـ حين سمع صياح الأوز.

وقوله . . حيازيمك للموت إن الموت لاقيكا . . وذلك حين تعلق ثوبه بالباب وإنحلّ إزاره . . إنّ هذا ليس من التطيّر . .

بل إنَّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يرى العلامات التي يعرفها عن ليلة استشهاده قد رأها رأي العين، ويعرف أنّ صياح الأوزّ في وجهه على خلاف العادة هو إحدى تلك العلامات.

ولو أن أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم) قالوا للناس ذلك مباشرة، لتوهم متوهم قاصر النظر، أو لإتهمهم متهم قليل الحياء بأنّهم إنّما يقولون ذلك من عند أنفسهم . . لأنهم يحسنون الظن بأبيهم . .

أو لأنهم لا يريدون للناس أن يعرفوا عن أبيهم هذا الأمر المعيب . . والعياذ بالله.

ـ ولا تجزع من الموت

ثُمَّ مدّ الإمام يده إلى الباب[1] وعالجه ليفتحه فتعلّق مئزره بالباب فانحلّ حتى سقط فأخذه وشدّه شداً وثيقاً وهو يقول:

أُشدد حيازيمك[2] للموت فإن الموتَ لاقيكا

---

(١) قال المسعودي: خرج أمير المؤمنين ﷺ إلى المسجد وقد عسر عليه فتح الباب وكان من جذوع النخل فاقتلعه وجعله ناحية وانحل أزاره فشده وجعل ينشد:

أُشدد حيازيمك للموت إن الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديكا.

أنظر المسعودي، علي حسين، مروج الذهب، الجزء (٢) صفحة (٤٤٠) طبعة دار القارئ بيروت.

(٢) هذه الأبيات رواها معظم المؤرخين، رواها ابن سعد في الطبقات الجزء (٢) صفحة (٣٣) طبعة دار صادر بيروت، والمسعودي في مروج الذهب الجزء (٢) صفحة (٤٣٩) طبعة دار القارئ بيروت، وابن أبي آشوب في مناقب آل أبي طالب الجزء (٣) صفحة (٨٥٣) طبعة دار المرتضى بيروت، وابن أبي الحديد في شرح النهج الجزء (٦) صفحة (٧١)، طبعة دار الكتب العلميّة بيروت، وزاد ابن أعثم الكوفيّ في الفتوح الجزء (٤) صفحة (٢٧٧) طبعة دار الأضواء بيروت هذا البيت:

=

ولا تجزع من الموتِ إذا حل بواديكا
ولا تغتر بالدهرِ وإن كان يواتيكا
فكم رفّع أقواماً وقد كانوا صعاليك[1]
كما أضحكك الدهر كذاك الدهر يبكيك

ثُمَّ قال: اللهمّ بارك لنا في الموت، اللهمّ بارك لي في لقائك.

وفي روايةٍ رواها الحسن البصري[2] قال: سهِر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في تلك الليلة ولم يخرج لصلاة الليل على عادته، فقالت له ابنته أُم كلثوم (سلام الله عليها): ما هذا السهر يا أبتاه..؟

فقال (صلوات الله عليه): إنّي مقتولٌ لو قد أصبحت..

فقالت: مُر جعدةَ[3] ليصلِّ بالناس.

قال (صلوات الله عليه): نعم، مُروا جعدة ليصلِّ..

= مصاريع إلى النجاة وللغي مناريكا

الحيزوم، ما اشتمل عليه الصدر، وجمعه حيازيم، وقال بعضهم: الحيزوم هو الصدر، ويقال للرجل: أشدد حيازيمك لهذا الأمر أي وطّن نفسك عليه ـ أنظر مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط صفحة (١٧١) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أن كلمة ـ إشدد ـ هي ليست من أصل الشعر، بل هي كلمة قالها أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لنفسه حين إنحل إزاره، فجعل يشدّه، وكأنّه كان يقول لنفسه: يا علي، اشدد إزارك، ولكنَّه بدل كلمة إزارك بيت شعر يقول:

حيازيمك للموت إن الموت لاقيكا

(١) الصعاليك.. الصُّعْلُوكُ وهو الذي لا مالَ له، وجَمْعُه صَعَالِيْكُ وصعاليك العرب فتاكها ـ أنظر ابن عباد، الصاحب، المحيط في اللغة مادة صعلك.

(٢) المفيد، محمّد النعمان، الإرشاد الجزء (١) صفحة (١٥).

(٣) هو جعدة بن هبيرة، وأمّه أمّ هانئ، أخت أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يريد أن يقول لنا أنه حتى لو أحس الإنسان بالشرّ وعلم بقرب أجله فإن الهروب لا ينفع في مثل هذه الحالة ـ راجع القميّ، عباس، منتهى الآمال، الجزء (١) صفحة (٢٤٣) طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

ثُمَّ مرّ (صلوات الله عليه) وقال: لا مفرّ من الأجلِ..

ومضى يريد المسجد بنفسه وهو يقول:

خلّوا سبيل المؤمنِ المجاهد في الله ذي الكتب وذي المشاهد
في الله لا يعبد غير الواحد ويوقظ الناس في المساجد[1]

ـ رؤيا أمير المؤمنين

تقول السيّدة زينب (سلام الله عليها): كنتُ أمشي خلف أبي فلمّا سمعتُ ذلك منه..

قلتُ: واغوثاه يا أبتاه.. مالي أراك يا قرة عيني تنعى نفسك منذ الليلة..

فأخذت في البكاء، فوقف عندي وجعل يعزيني على نفسه ويقول: يا بنيّة، ما هو بنعاءٍ ولكنّها دلالات وعلامات للموت تتبع بعضها بعضاً..

فأعلمتُ أخوي الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) وقلتُ لهما: إنّ أبانا قد تنكر حاله في هذه الليلة، فأخبرتهما بما جرى.. فأدرِكَاه.

فخرج الإمام الحسن (صلوات الله عليه) ولحق بأبيه.. فقال (صلوات الله عليه): مالك يا أبتاه خرجت في هذه الساعة..؟[2] فقال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): لأجل رؤيا أفزعتني.

فقال الحسن (صلوات الله عليه): وما هي يا أبتاه..؟

فقال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): رأيتُ كأن أخي جبرائيل نزل من

---

(١) المازندراني، محمّد شهر آشوب، المناقب، الجزء (٣) صفحة (٨٥٢)، طبعة دار المرتضى بيروت. الكوفيّ، أحمد أعثم، الفتوح الجزء (٤) صفحة (٢٧٧) طبعة دار الأضواء بيروت، القميّ، عباس منتهى الآمال، الجزء (١) صفحة (٢٤٤) طبعة الدار الإسلاميّة بيروت، المفيد، محمّد النعمان، الإرشاد الجزء (١) صفحة (١٥).

(٢) ويظهر أنه (صلوات الله عليه) قد خرج من بيته ولم يكن الوقت وقت صلاة واجبة.

السماء على جبل أبي قبيس[١] فتناول منه حجرين ومضى بهما إلى مكة فضرب بأحدهما الآخر فصارا رماداً فذراهما في الهواء فلم يبق بمكة ولا بالمدينة ولا بلدٍ من بلاد الإسلام بيتٌ إلّا دخله من ذلك الرماد شيئاً.

فقال الحسن (صلوات الله عليه): وما تأويل ذلك يا سيّدي..؟

قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): يا بنيّ إن صدقت رؤيا أبيك فإنّه مقتولٌ.. ولم يبق بيتٌ من بيوت الإسلام إلّا أدخله من ذلك همٌ وحزن.

فقال الحسن (صلوات الله عليه): ومتى يكون ذلك يا أبتاه..؟

قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): إنّ الله تفرّد بخمسةِ أشياءٍ، لم يطلع عليها نبيّ ولا وصيّ وهو قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾[٢].

ولكن عهد إليّ حبيبي رسول الله ﷺ أن يكون في العشر الأواخر من هذا الشهر يقتلني عبد الرحمن بن ملجم.

فقال الإمام الحسن (صلوات الله عليه): يا أباه[٣] إذا علمت منه ذلك فاقتله..!!.

قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): يا بنيّ لا يجوز القصاص إلّا بعد

---

(١) جبل أبي قبيس، جبل بمكة يقرب من الكعبة، سمي برجل من مذحج لأنه أول من بنى فيه، وكان يسمى الأمين لأنّ الركن كان مستودعاً فيه ـ راجع الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين الجزء (٤) صفحة (٩٤) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) سورة لقمان، الآية (٣٤).

(٣) إن سؤال الإمام الحسن (صلوات الله عليه) يهدف إلى دفع الوهم الذي ربما يطرأ على بعض الأذهان.

الجناية، والجناية لم تحصل منه، يا بني لو اجتمع الثقلان الإنس والجن على أن يدفعوا ذلك لما قدروا..

ثُمَّ قال (صلوات الله عليه) لولده الإمام الحسن (صلوات الله عليه): يا بنيّ إرجع إلى فراشك لئلا يتنغص عليك نومك.

فقال الإمام الحسن (صلوات الله عليه): يا أباه أريد أن أمضي معك إلى موضع صلاتك.

قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): بحقي عليك إلّا ما رجعت إلى فراشك لئلّا يتنغّص عليك نومك ولا تعصيني في ذلك.

قال أبو مخنف وغيره من المؤرخين: وسار أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل المسجد، والقناديل قد خمد ضوؤها، فصلى في المسجد ورده وعقب ساعة، ثم إنه قام وصلى ركعتين، ثم علا المئذنة ووضع سبابتيه في اذنيه وتنحنح ثم أذن وكان عليه السلام إذا أذن لم يبق في بلدة الكوفة بيت إلا اخترقه صوته[1].

ومن ذلك تعلم أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قد خرج من بيته وليس الوقت وقت صلاة مكتوبة بدليل قوله للإمام الحسن (صلوات الله عليه) إرجع إلى فراشك لئلا يتنغص عليك نومك.. وإشعاله للقناديل والصلاة المستحبة والتعقيب.. كل هذا إشارات وعلامات أنه لم يكن الوقت وقت صلاة واجبة.

فرجع الإمام الحسن (صلوات الله عليه) فوجد أُخته الحوراء زينب (صلوات الله عليها) قائمة خلف الباب وقد سمعت كلام أبيها فدخل إليها وجلسا يتحادثان وهما محزونان يبكيان مِمّا شهداه من حال أبيهما وسمعاه من أقواله..

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢) صفحة (٢٩٧) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

وسار أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) حتى دخل المسجد الأعظم..[١].

ـ المطلب الرابع: الدخول إلى مسجد الكوفة

تقول الروايات: دخل ابن ملجم إلى المسجد الأعظم في الكوفة مع صاحبيه ومعهم الأشعث بن قيس وهو يعلم بالمؤامرة ويعلم عزيمتهم على قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وأوطأهم على ذلك، وقد حضر معهم تلك الليلة لمعونتهم على ما أجمعوا عليه، وباتوا ليلتهم في المسجد وجلسوا مقابل السدة[٢] التي كان يخرج منها أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى الصلاة..

وكان الصحابيّ الجليل حجر بن عدي الكِندي (رضوان الله عليه) في تلك الليلة باتاً في المسجد الأعظم للعبادة..

فسمع الأشعث يقول لأبن ملجم: النجاء[٣] النجاء لحاجتك، فقد فضحك الصبح.

فأحس حجر بن عدي (رضوان الله عليه) بما أراد الأشعث..

فخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ليخبره الخبر ويحذره من القوم..

ولكنّه القدر.. جعل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يدخل إلى المسجد الأعظم من طريق ويخرج حجر بن عدي من طريق آخر، فلم يلتقِ بالإمام

---

(١) المصدر السابق. والجواهري، مثير الأحزان، صفحة (٣٨٣)، طبعة دار المحجة البيضاء بيروت. ومجموعة وفيّات الأئمّة صفحة (٥٥)، طبعة دار البلاغة بيروت. والقميّ، عباس، منتهى الآمال الجزء (١) صفحة (٢٤٤) طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

(٢) السدة، في اللغة هي الساحة القريبة من الباب ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٤٢٣) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٣) تستعمل كلمة (النجاء) في الإسراع ـ راجع مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط صفحة (٩٠٥) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(صلوات الله عليه) حتى أقبل حجر والناس يقولون: قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)..[١].

فالأشعث يستحث ابن ملجم بالنهوض لبغيته لأنَّ الفجر كاد أن يبزغ.. فهل كان الأشعث يستحدثه من تلقاء نفسه..؟!!

أو أن معاوية قد جنّده لهذه الغاية..؟!.

ـ أمير المؤمنين في المسجد الأعظم

دخل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى المسجد الأعظم.. وكان من عادته أن يتفقّد النائمين في المسجد، فكان يوقظ الناس ويقول لهم: الصلاة.. الصلاة.. يرحمكم الله..

وكانت قناديل المسجد قد خمد ضؤوها، فصلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في المسجد ركعات، وعقّب بعدها، ثُمَّ علا المئذنة ووضع سبابتيه في أذنيه[٢] ثُمّ أذّن الإمام (صلوات الله عليه).

وكان (صلوات الله عليه) إذا أذّن لم يبق في بلدةِ الكوفة بيتٌ إلّا اخترقه صوته.

أذّن الإمام (صلوات الله عليه) ونزل عن المئذنة.. وجعل يسبّح الله تعالى ويقدسه، ويكثر من الصلاة على النَّبيّ محمّد ﷺ.

وعَبَرعلى قومٍ نيام في المسجد وكان فيهم ابن ملجم، فجعل الإمام

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢) صفحة (٢٣٠) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) خصّص الحرّ العامليّ (رضوان الله عليه) الباب (١٧) من أبواب الأذان والإقامة لأستحباب وضع المؤذن أصبعيه في أذنيه، ففي الحديث عن مولانا الإمام الصادق (صلوات الله عليه) أنّه قال: من السنة إذا أذّن الرجال أن يضع إصبعيه في أذنيه. وفي حديث آخر عن الإمام الصادق (صلوات الله عليه) قال: السنة أن تضع إصبعيك في أذنيك في الأذان ـ أنظر العامليّ، الحرّ، وسائل الشيعة الجزء (٤) صفحة (٦٤١) طبعة دار إحياء التراث العربي.

(صلوات الله عليه) يوقظ الناس ويقول: الصلاة.. الصلاة.. يرحمك الله.. قمّ إلى الصلاة المكتوبة عليك..

ثُمَّ يتلو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1].

ففعل ذلك كما كان يفعله على مجاري عادته مع النائمين في المسجد، حتى وصل إلى ابن ملجم، فرأه الإمام (صلوات الله عليه) مكبوباً على وجهه، فقال له: قمّ إلى الصلاة، ولا تنم هكذا فإنّها نومةٌ يمقتها الله وهي نومة الشياطين، ونومة أهل النار، بل نم على يمينك فإنّها نومة العلماء، أو على يسارك فإنّها نومة الحكماء، ولا تنم على ظهرك فإنّها نومة الأنبياء..[2].

فتحرك ابن ملجم، كأنّه يريد أن يقوم، وهو من مكانه لا يبرح.

فقال له أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): لقد هممتَ بشيء ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾[3].

ولو شئت لأنبأتك بما أخفيته تحت ثيابك.. ثُمَّ تركه وعدل عنه إلى محرابه.

وفي رواية أن رجلاً من مراد جاء إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وهو يصلّي في المسجد، فقال له: احترس فإنّ أُناساً من مراد يريدون قتلك.

فقال (صلوات الله عليه): إنّ مع كلّ رجلٍ ملكين يحفظانه مِمّا لم يقدر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وإنّ الأجل جنة حصينة[4].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية (٤٥).

(٢) ورد في كثير من النصوص الشرعية أن النوم على الظهر هو نوم الأنبياء (صلوات الله عليهم) ويظهر من بعض النصوص أيضاً أنها نومة خاصة بهم (صلوات الله عليهم) لمناجات الوحي. أنظرمن لا يحضره الفقيه الحديث رقم (١٤٤٢).

(٣) سورة مريم، الآية (٩٠).

(٤) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢) صفحة (٢٨١) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

ـ المطلب الخامس: الفجر يأذن بالصلاة

تقدم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى المحراب.. ودخل في الصلاة.. وكان (صلوات الله عليه) يصلي نافلة الفجر، وكان يطيل الركوع والسجود كما هي عادته ﷺ فجاء ابن ملجم ووقف بحذاء الأسطوانة[1] التي كان يصلي عندها الإمام (سلام الله عليه) في حين كان وردان بن مجالد وشبيب بن بجرة يكمنان في الركن، فأمهله حتى صلى الركعة الأولى.. وسجد السجدة الأولى.. فلمّا رفع الإمام (صلوات الله عليه) رأسه من السجود حتى رفع ابن ملجم سيفه وضرب الإمام (صلوات الله عليه) وتعمّد بالضربةِ الرأس الشريف..

فوقعت الضربة على مفرق رأس الإمام.. وشاء القضاء أن تقع الضربة على موضع الجرح الذي أصابه به عمرو بن عبد ودّ العامري يوم الخندق..

فشقّت رأس الإمام (صلوات الله عليه) إلى موضع سجوده نصفين، فوقع الإمام (صلوات الله عليه) يخور بدمه الزاكي.. وابن ملجم يقول: الحكم لله لا لك يا عليّ ولا لأصحابك.

وضربه شبيب ابن بجرة، فأخطأه ووقعت الضربة على الطاق[2].

فلمّا أحسّ الإمام (صلوات الله عليه) بالضربة صبر، ولم يصرخ، ولم يتأوه، واحتسبَ.

---

(١) الإسطوانة، العمود والسارية وفي الهندسة جسم صلب ذو طرفين متساويين على هيئة دائرتين متماثلتين تحصران سطحا ملفوفا بحيث تمكن متابعته بخط يتحرك موازيا لنفسه و ينتهي طرفاه في محيطي هاتين الدائرتين و كل جسم أو شيء ذي شكل أسطواني يسمى أسطوانة أيضا راجع مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٣٧) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٢) الطاق، ما عطف من الأبنية والجمع طاقات، وقد يراد به نوع من الثياب راجع الطريّحيّ، فخر الدين مجمع البحرين الجزء (٥) صفحة (٢٠٩) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

وفي رثاء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يقول السيّد صالح الحلّي رحمه الله[1]:

خطبٌ أذاب من البتول فؤادها ... وأذاب من عين الرسول فؤادها
خطبٌ دهى مضرا وهدّ ربيعة ... وأذلّ فهرا بل أباد أيادها
أقصى قصيّا عن مراتب عزّها ... ولوى لؤي جيدها وجيادها
أوجوه فهر بالسواد تلفعي ... واحثّي على فقد الوصيّ رمادها
وتسربلي ثوب الحداد والزمي ... العين السهاد وجانبي أعيادها
إن ابن ملجم قد أباد ذرى الهدى ... وحمى الورى وعمادها وسنادها
شلّت يد الرجس المرادي إنّها ... بلغت بقتل أبي الحسين مرادها
شلّت يدٌ مدّت إليه وطالما ... أسد الشرى قسرا إليه قيادها
تربت يد قد ترّبته أما درت ... روح الخلائق فارقت أجسادها
ما كنت أحسب قبل قتل المرتضى ... أنّ الذباب فوارس أسادها
سيف أصابك قد أصاب المصطفى ... والأنبياء وشرعها ورشادها
يا ساقيا زمر العدى كأس الردى ... ومفرّقاً عند اللّقا أجنادها
من للجياد السابقات مصرّفا ... يوم الوغى جريانها وطرادها
يا مظهر الإسلام يا محي التقى ... أحيا مماتك كفرها وفسادها
أمجير دين الله بعدك أضمرت ... جند الضلال على الهدى أحقادها
رزء الوصي المرتضى قد أرجف ... الأرضين والسبع الشداد أمادها
لا غرو إن غدر ابن ملجم طالما ... عند الأعادي غادرت أمجادها
يا من جرى فيك القضاء وصروفه ... يا من بك الأحكام يا نقادها
لك في مجاري الروح في قلب ... الورى ودّ وفقدك قد برى أكبادها
قل للمتامى فاقنطي وتهيئي ... للسير مسرعة السرى وفادها

---

(١) انظر ترجمته: صفحة (٥٩٠).

اجفاً وما عوّدتها منك الجفا ... للمعتقين فمن يرى إسعادها
لا بل طوتك يد البلى عن وصلها ... يا غيثها وغياثها وعمادها
أفيدري لحد حين ضمّك في الورى ... مذ غاب شخصك أظهرت الحادها
أسهرت كل موحّد يا رزئه ... وأنمت في فرش الهنا حسّادها
يا علة الإيجاد يا علم الهدى ... لولاك ما عرف الورى إيجادها
نار المصائب ما بدت إلا ... من القوم التي قدحت عليك زنادها[1]

ـ أمير المؤمنين في محراب الشهادة

وقع الإمام (صلوات الله عليه) على وجهه الشريف قائلاً: بسم الله وبالله.. وعلى ملّة رسول الله.. هذا ما وعدنا الله ورسوله.. وصدق الله ورسوله.. فزتُ ورب الكعبة..

قتلني ابن ملجم.. قتلني ابن اليهودية.. لا يفوتنكم الرجل.

فلمّا سمع أهل المسجد صوت الإمام (صلوات الله عليه) أسرعوا إلى المحراب، وكانت الضربة مسمومة، وقد جرى السم في رأسه وبدنه الشريف، وأحاط الناس بأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وهو يشدّ رأسه بميزره والدماء تجري على وجهه الشريف ولحيته المقدسة وهو (صلوات الله عليه) يتلو قول الله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[2].

ثُمَّ قال الإمام (صلوات الله عليه): أتى أمر الله، وصدق رسول الله، هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله.

---

(١) ديوان شعراء الحسين عليه السلام الجزء (١) صفحة (٨٨) طبعة موسسة الأعلمي طهران.
(٢) سورة طه، الآية (٥٥).

ولزم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) رأسه الشريف بيديه وهو يقول: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله[١].

وانبعثت الدماء من رأسه الشريف على وجهه المبارك ولحيته المقدسة، وكان الدم كالميزاب وقد صبغ جميع أثوابه وبدنه حتى إحمرّت الأرض.

ـ ملاك الوحي يعلن شهادة أمير المؤمنين

فزلزلت الأرض .. وماجت البحار.. ورجفت السماء.. واصطفقت[٢] أبواب المسجد.. وضجت الملائكة في السماء بالنعاء وبالدعاء.. وهبّت ريحٌ عاصفة سوداء مظلمة.. ونادى ملاك الوحي جبرائيل عليه السلام بين الأرض والسماء بصوتٍ يسمعه كل مستيقظٍ

تهدمت والله أركان الهدى.. وانطمست والله نجوم السما.. وأعلام التقى.. وانفصمت والله العروة الوثقى.. قتل ابن عم المصطفى.. قتل الوصي المجتبى.. قتل والله عليّ المرتضى.. قتل خاتم الأوصياء.. قتل سيد الأوصياء.. قتله أشقى الأشقياء..[٣].

ـ زينب تنعى أباها

فلمّا سمعت زينب (سلام الله عليها) نعي الملاك جبرائيل عليه السلام لأبيها،

---

(١) القميّ، عباس، منتهى الآمال الجزء (١) صفحة (٢٤٥)، طبعة الدار الإسلاميّة.

(٢) اصطفقت، اصطفق مطاوع صفقة والشيء اضطرب وتحرك يقال اصطفقت الأشجار واصطفق العود تحركت أوتاره والبحر تلاطمت أمواجه والناس اضطربوا والمجلس بالقوم اضطرب. راجع مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٥١٧) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٣) الكورانيّ، عليّ، جواهر التأريخ الجزء (١) صفحة (٤٥٣)، طبعة دار الهدى قم، وشبر، عبد الله، جلاء العيون، الجزء (١) صفحة (٢٢٠)، طبعة دار المرتضى بيروت. والجواهري، شريف، مثير الأحزان، صفحة (٣٨٦)، طبعة دار المحجة البيضاء بيروت.

لطمت على وجهها وخدها، وشقت جيبها[١] وصاحت: واأبتاه.. واعليّاه.. وامحمّداه.. واسيّداه

وأقبلت إلى إخوتها وإلى كل من في الدار تخبرهم[٢] بالمصيبة العظمى.

ـ الناس تنعى أمير المؤمنين

فخرج الإمامان الحسنان (صلوات الله عليهما) وخرج أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من الدار وتوجهوا جميعهم نحو المسجد الأعظم حيث أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وهم في طريقهم سمعوا الناس يضجون وينوحون ويقولون:

وإماماه.. واأمير المؤمنيناه.. والله لقد قتل إمام العابدين والمجاهدين.. الذي لم يسجد لصنم قط قتل أشبه الخلق بالنّبيّ ﷺ..

وأخذت الناس الحيرة والدهشة وهم لا يعلمون.. ولا إلى أين يذهبون.

ـ أبناء أمير المؤمنين في المسجد الأعظم

وأقبل الإمامان الحسنان (صلوات الله عليهما) ومحمّد بن الحنفيّة وبقية أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) دخلوا المسجد فوجدوا أباهم حجة ربّ العالمين بتلك الحالة والكيفية، مشقوق الرأس، وقد علته الصفرة من إنبعاث الدم وشدّة السمّ، والناس من حوله في نياحة عويل وبكاء محرّق للقلوب والأكباد، فلم ترى في الكوفة ومسجدها إلّا صفق الأيدي على

---

(١) الجيب هو القميّص ونحوه ما يدخل منه الرأس عند لبسه ـ راجع قلعجي، محمّد، معجم لغة الفقهاء، صفحة (١٦٩) طبعة دار النفائس بيروت.

(٢) وفي رواية: فانتبه من صوتها كل من في الدار ـ شبر، عبد الله، جلاء العيون، الجزء (١) صفحة (٢٢٠) طبعة دار المرتضى بيروت.

الهامات، وعلّوا الصرخات، والناس يدورون، ولا يدرون إلى أين يذهبون من شدّة الصدمة والدهشة.

فدخل الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) إلى المسجد باكيين معولين قائلين: واأبتاه.. واعلياه.. ليت الموت أعدمنا الحياة، ولا نرى يومك هذا..

فأقبلا إلى المحراب.. فوجدا أباهما طريحاً في المحراب.. وأبو جعدة ومعه جماعة يعالجونه، وهم يجتهدون أن يقيموه في المحراب ليصلي بالناس، وهو لا يستطيع ولا يطيق النهوض[1].

ـ توجيه بعض النصوص

هناك جملة من المحاذير التي يمكن استفادتها من خلال النصوص التاريخية الواردة في حادثة جرح أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه) كالروايات التي يستفاد بظاهرها أن أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بما فيهم الإمام أبي محمّد الحسن والإمام أبي عبد الله الحسين (صلوات الله عليهما) كانوا جميعهم في البيت حين حصول الضربة من ابن ملجم، وقد تركوا أباهم يذهب وحده إلى المسجد مع ما أخبرهم به من إشارات وعلامات تنبئ بقرب أجله.. أو الروايات التي تقول بأن السيّدة زينب (صلوات الله عليها) هي التي أتت وأيقظت إخوتها عندما سمعت نعي جبرائيل عليه السلام، بمعنى أنهم كانوا نياماً عندما ضُرِبَ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)...!! مع العلم أنّ الوقت حينها كان وقت صلاة الصبح..!!.

فكيف ذلك..؟! والحال أن الوقت هو وقت الصلاة..! وهم (صلوات الله عليهم) نيامٌ في الدار..!! والصلاة قائمة في المسجد الأعظم.. إنّ هذه

(١) الجواهري، شريف، مثير الأحزان صفحة (٣٨٦) طبعة دار المحجة البيضاء بيروت. شبر، عبد الله، جلاء العيون، الجزء (١) صفحة (٢٢٠) طبعة دار المرتضى بيروت.

المسألة بالذات منافية بظاهرها لطريقة العصمة الخاصة بهم (صلوات الله عليهم).

وفي مقام التوجيه لهذه الروايات يمكن القول:

إنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) خرج من داره متوجهاً إلى المسجد الأعظم ولكن لم يكن حينئذٍ وقت صلاة واجبة.. وذلك بقرينة أنّه (صلوات الله عليه) دخل المسجد وأوقد القناديل.. وصلى المندوب وعقب بالأذكار والأوراد.. ثُمّ صلى.. كل ذلك قبل صلاة الصبح... كما نصّت رواية أبي مخنف[1].

ثُمّ إنّ الإمام أبي محمّد الحسن (صلوات الله عليه) قد لحق بأبيه أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه) عندما أخبرته السيّدة زينب (سلام الله عليها) بما سمعته من قوله حين سمع الإوز ـ صوائحٌ تتبعها نوائح ـ وقوله حين تعلق مئزره بالباب ـ أشدد حيازيمك للموت ـ فأراد الإمام الحسن (صلوات الله عليه) أن يلحق بأبيه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ويذهب معه.. إلّا أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لم يقبل أن يذهب ولده معه.. وأقسم عليه أن يرجع إلى فراشه لئلا يتنغص عليه نومه.. وقال له: لا تعصيني في ذلك..[2].

وهذا دليلٌ واضحٌ على أن خروج أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه) من داره حين خروجه إلى المسجد لم يكن في وقت الصلاة المفروضة.. وإلّا لو كان ذلك لما أمر ولده الإمام الحسن (صلوات الله عليه) بالرجوع إلى فراشه لئلا يتنغص عليه نومه.. ولما قال له: لا تعصيني في ذلك..! ولهذا سأله الإمام الحسن (صلوات الله عليه) عن سبب خروجه في هذا الليل..!!.

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢) صفحة (٢٧٩) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) شبّر، عبد الله، جلاء العيون، الجزء (١)، صفحة (٢١٨)، طبعة دار المرتضى بيروت.

ولذلك تجد أنّ المؤرخين اختلفوا في تحديد الضربة قال ابن عبد البر: واختلفوا أيضا هل ضربه في الصلاة أو قبل الدخول فيها..؟[١].

ومن هنا يمكن القول بأنّ الضربة وقعت قبل صلاة الصبح كما يستفاد من بعض الروايات..[٢] وعليه فإنّه لا محذور حينئذٍ من عدم وجود أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في المسجد.. لأنّ الوقت ليس وقت صلاة.

أما على القول بأنّ الضربة قد وقعت عند أداء الصلاة للروايات الواردة بهذا الشأن.. فيمكن توجيهه أنه هناك جملة من الروايات تتحدث عن وجود أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم) في المسجد مع أبيهم..

روى أبو الفرج بإسناده عن الإمام الحسن عليه السلام قال: خرجتُ وأبي يصلّي في المسجد، فقال لي: يا بنيّ إنّي بتّ الليلة أوقظ أهلي، لأنّها ليلةُ الجمعة صبيحة يوم بدر، لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، فملكتني عيناي فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: يارسول الله، ماذا لقيتُ من أُمّتك من الاود واللدد، فقال لي: أُدع عليهم، فقلتُ: اللهم أبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي من هو شرٌ مني.

قال الحسن عليه السلام: وجاء ابن النباح فآذنه بالصلاة فخرج، وخرجتُ خلفه، فاعتوره الرجلان، فأما أحدهما فوقعت ضربته على الطاق، وأما الآخر فأثبتها في رأسه[٣].

وهذه الرواية صريحة في وجود الإمام أبي محمّد الحسن (صلوات الله عليه) في المسجد الأعظم حين ضُرِبَ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

---

(١) النمري، يوسف عبد البر، الاستيعاب.

(٢) شبّر، عبد الله، جلاء العيون، صفحة (٢٠٧).

(٣) المحمودي، محمّد باقر، الجزء (٧) صفحة (١١٣).

روى الطبريّ في تاريخه عن محمّد بن الحنفيّة (رضوان الله عليه) قال: كنتُ واللّه إنّي لأُصلّي تلك الليلة التي ضرب فيها عليّ في المسجد الأعظم، في رجال كثير من أهل المصر، يصلّون قريباً من السدّة، ما هم إلّا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أوّل الليل إلى آخره، إذ خرج عليٌّ لصلاة الغداة، فجعل ينادي: أيّها الناس، الصلاة، الصلاة، فما أدري أخرج من السدّة فتكلّم بهذه الكلمات أم لا! فنظرتُ إلى بريق، وسمعتُ: الحكم للّه يا عليّ لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفاً، ثمّ رأيت ثانياً، ثمّ سمعت عليّاً يقول: لا يفوتنكم الرجل.. وشدّ الناس عليه من كلّ جانب.

قال: فلم أبرح حتى أُخذ ابن ملجم وأُدخل على عليّ، فدخلتُ فيمن دخل من الناس، فسمعتُ عليّاً يقول: النفس بالنفس، إن أنا متُّ فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيتُ رأيت فيه رأيي[1].

الناقل للرواية أحد أبناء أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه) وهو محمّد بن الحنفيّة (رضوان الله عليه)، والوصية من أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) النفس بالنفس.. كانت لولده الإمام الحسن (صلوات الله عليه) والوصيّة حصلت بعد الضربة مباشرة، وهذا دليلٌ على أن الإمام الحسن (صلوات الله عليه) كان قريباً جداً من أبيه..

فعلى القول بأنّ أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه وعليهم) كانوا في الدار حين الضربة فتوجيهه أن الضربة حصلت في وقتٍ لم يكن فيه صلاة..

---

(١) تاريخ الطبريّ: ٥/١٤٦، المعجم الكبير: ١/٩٩/١٦٨، تهذيب الآثار (مسند عليّ بن أبي طالب): ٧٥/١٣٧، المناقب للخوارزمي: ٣٨٣/٤٠١، مقاتل الطالبيّين: ٤٨ عن عبداللّه بن محمّد الأزدي؛ الإرشاد: ١/٢٠ عن محمّد بن عبد الله بن محمّد الأزدي وكلاهما نحوه، كشف الغمّة: ٢/ ٥٦.

وعلى القول بأنّ الضربة حصلت عند الفجر فتوجيهه أن أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كانوا في المسجد مع أبيهم.

ـ المطلب السادس: الإمام الحسن يصلّي بالناس

تقول الروايات بعد أن ضُرب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وقد حضر أبنائه إلى المسجد أخذ الإمام الحسن (صلوات الله عليه) رأس أبيه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ووضعه في حجره، فلمّا رأى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ولده الإمام الحسن (صلوات الله عليه) أمره أن يصلي بالناس..

تأخر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) عن الصف.. فصلى الإمام الحسن (صلوات الله عليه) بالناس، وصلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) جالساً موميأً للصلاة والدماء تجري على وجهه المبارك ولحيته المقدسة وهو يميل يميناً وشمالاً.

فلمّا فرغ الإمام الحسن (صلوات الله عليه) من الصلاة وضع رأس أبيه في حجره وهو يقول: يا أبتاه كسرت ظهري.. كيف أستطيع أن أراك بهذه الحالة..[1].

ففتح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) عينيه وقال: يا بنيّ لا غم على أبيك بعد هذا اليوم ولا جزع.. اليوم ألقى جدك محمّد المصطفى.. وجدتك خديجة الكبرى.. وأمك فاطمة الزهراء.. وإنّ الحور العين ينتظرون أباك ويترقبون قدومه ساعة بعد ساعة.. فلا بأس عليك يا بنيّ.. فطب نفساً.. وقرّ عيناً.. وكفّ عن البكاء.. لا تبك يا بني.. فقد بكت ملائكة السماء لبكائك[2].

---

(١) القميّ، عباس، منتهى الآمال، الجزء (١) صفحة (٢٤٦) طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

(٢) شبر، عبد الله، جلاء العيون، الجزء (١) صفحة (٢٢٠) طبعة دار المرتضى بيروت. الجواهري، شريف، مثير الأحزان صفحة (٣٨٦) طبعة دار المحجة البيضاء بيروت. القميّ، عباس، منتهى الآمال، الجزء (١) صفحة (٢٤٦)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

ثُمَّ عصبوا رأس الإمام (صلوات الله عليه) بردائه ونقلوه من المحراب إلى صحن المسجد..[١].

ـ الناس في المسجد الأعظم

شاع خبر ضرب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في جوانب الكوفة، فهرع[٢] الناس رجالاً ونساءً حتى المخدرات، خرجن من خدورهنّ، والجميع يسرعون نحو المسجد حيث مكان وجود أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) والكل ينادي.. واامامـاه.. واعلياه.. قُتل والله إمام عابد مجاهد.. لم يسجد لصنم قط.. كان أشبه الناس برسول الله ﷺ..[٣].

دخل الناس إلى المسجد فرأوا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ورأسه في حجر الإمام الحسن (صلوات الله عليه) والدم يسيل على وجهه الشريف، ولونه قد مال من الصفرة إلى البياض، وأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ينظر إلى آفاق السماء ويسبّح الله ويقدسه ويقول: إلهي أسألك مرافقة الأنبياء والأوصياء وأعلى درجات الجنّة[٤].

ـ أمير المؤمنين يخبر بمصيبة الحسنين

بكى الإمام الحسن (صلوات الله عليه) لحال أبيه.. فتناثرت دموعه على

---

(١) القميّ، عباس، منتهى الآمال، الجزء (١) صفحة (٢٤٦) طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

(٢) يقال هرع القوم إليه بمعنى يسرعون إليه، وعن الفراء لا يكون الإهراع إسراعاً إلّا مع رعدة، ويقال: هُرِعَ الرجل، مشى في إضطراب وسرعة، والهراع المشي في إضطراب وسرعة وشدة سَوْق ـ راجع الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين الجزء (٤) صفحة (٤١٠)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت. والمعجم الوسيط صفحة (٩٨٢) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٣) القميّ، عباس، منتهى الآمال، الجزء (١) صفحة (٢٤٦) طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

(٤) المصدر السابق.

خديه.. وتساقطت بعض الدموع على وجه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ففتح عينيه.. فوجد ولده باكياً..

فقال (صلوات الله عليه): ما هذا البكاء يا بني..؟. لا خوف ولا جزع على أبيك بعد اليوم.. يا بني.. لا تبكِ.. وأنت تقتل مسموماً.. ويقتل أخوك الحسين بالسيف هكذا.. وتلحقان بجدكما وأبيكما..وأمكما..

وفي رواية أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) نظر إلى أولاده فرآهم تكاد أنفسهم تزهق من النوح والبكاء، فجرت دموعه على خديه ممزوجة بدمه، ثُمَّ قال لهم: أتبكيا عليّ..؟!.

إبكيا كثيراً.. واضحكا قليلاً.. أما أنت يا أبا محمّد ستقتل مسموماً مظلوماً مضطهداً.. وأما أنت يا أبا عبد الله فشهيد هذه الأمّة وسوف تذبح ذبح الشاة.. وترضّ أعضاك بحوافر الخيل.. ويطاف برأسك في مماليك بني أمية.. وحريم رسول الله تسبى.. وإنّ لي ولهم موفقاً يوم القيامة[1].

ـ رواية ثانية حول ضرب أمير المؤمنين

وفي رواية أنّه عندما سمع الصحابيَّ الجليل حجر بن عديٍّ[2] (رضوان الله عليه) كلام الأشعث بن قيس لابن ملجم حين قال له: النجاء النجاء لحاجتك فقد فضحك الصبح..

فأحسّ حجر بما أراده الأشعث فقال (رضوان الله عليه): قتلته يا أعور!!.

وخرج حجر مسرعاً ليخبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بالخبر ويحذره من القوم، فخالفه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في الطريق.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر ترجمته: صفحة (٥٩٢).

فدخل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وبين يديه ابن النبّاح المؤذّن، وأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ينادي النائمين في المسجد ليوقظهم ـ أيّها الناس الصلاة الصلاة ـ وفجأة اعتوره[١] شبيب بن بجرة، وابن ملجم، فضربه شبيب بالسيف فوقعت ضربته في الطاق.. وفي رواية بعضادة[٢] الباب أما ابن ملجم فضرب الإمام (صلوات الله عليه) ضربة وقعت على جبهته المقدسة ووصلت إلى قرنه، ووصل السيف إلى دماغه، صحب الضربة كلمة ابن ملجم الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك[٣].

ـ رواية ثالثة حول ضرب أمير المؤمنين

هذه الرواية رواها محمّد بن عبد الله الأزدي قال: إنّي لأصلي في تلك الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر كانوا يصلون في ذلك الشهر من أوّله إلى آخره، إذ نظرتُ إلى رجال يصلون قريباً من السدّة، وخرج علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) لصلاة الفجر فأقبل ينادي: الصلاة الصلاة، فما أدري أنادى أما رأيت بريق السيوف وسمعتُ قائلاً يقول: لله الحكم يا عليّ لا لك ولا لأصحابك.

وسمعتُ علياً (صلوات الله عليه) يقول: لا يفوتنّكم الرجل، فإذا عليٌّ (صلوات الله عليه) مضروب[٤].

---

(١) اعتوره، بمعنى بدا فيه موضع خلل للضرب والطعن ـ أنظر مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط صفحة (٦٣٦)، طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٢) عضادة الباب، خشبتان منصوبتان مثبتان في الحائط إلى جانبه ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط صفحة (٦٠٦)، طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٣) شبر، عبد الله، جلاء العيون، صفحة (٢٠٨)، طبعة دار المرتضى بيروت.

(٤) المفيد، محمّد النعمان، الإرشاد الجزء (١) صفحة (٢٠).

ـ المطلب السابع: فرار ابن ملجم ومعاونَيه

لمّا قام ابن ملجم ومعاونَيه بضرب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) صاح الإمام (صلوات الله عليه): لا يفوتنّكم الرجل.

فهرب المتآمرون، الغادرون، المجرمون نحو أبواب المسجد، وتبادر الناس لأخذهم والقبض عليهم..

أمّا شبيب ابن بجرة، فقد جرى هارباً من باب كِندة، فأخذه رجل من حضرموت يقال له عويمر فصرعه، وجلس على صدره، وأخذ منه سيفه وهمّ بقتله، فرأى زمراً من الناس يقصدون نحوه، فخشي أن يعجّلوا عليه ولا يسمعوا منه[1] فوثب عن صدره، وخلاه وطرح السيف من يده.

فمضى شبيب هارباً، حتى دخل منزله، فدخل عليه ابن عم له، وهو عبد الله بن نجدة، فرأه يحلّ الحرير عن صدره[2]، فقال له: ما هذا..؟!! لعلك قتلت أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)؟!!.

فأراد أن يقول: لا، فقال: نعم، لشدّة ارتباكه وخوفه، فمضى ابن عمه واشتمل على سيفه ثُمَّ دخل عليه فضربه به حتى قتله[3].

أمّا وردان بن مجالد فإنّه أفلت أيضاً من أيد الناس ولم يعلم خبره ثم تبيّن أنّه قتل.

ـ إلقاء القبض على ابن ملجم

أمّا ابن ملجم فلحقه رجلٌ من همدان يقال له: أبو ذر، ولحقه رجلٌ آخر

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الحرير الذي شدوا به صدورهم ليقيهم من الطعن.

(٣) المسعوديّ، علي حسين، مروج الذهب، الجزء (٢) صفحة (٤٣٥)، طبعة دار القارئ بيروت.

وهو المغيرة بن نوفل بن عبد المطلب، فطرح عليه الهمدانيّ قطيفة[١] كانت بيده، وعاونه المغيرة فصرعاه، وأخذا السيف من يده.

وبينما الناس مجتمعة في المسجد الأعظم، عند أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في حالة من الحزن على ما حلّ بأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إذ سأل الإمام الحسن (صلوات الله عليه) أباه قائلاً: من فعل بك هذا يا مولاي؟

فقال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): فعله ابن ملجم المرادي، وسوف يطلع عليكم الساعة من هذا الباب على يد رجل محب لنا أهل البيت.

وقد أشار الإمام (صلوات الله عليه) بيده إلى باب كِندة.. فاشتغل الناس بالنظر إلى الباب الذي أشار إليه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وقد غصّ بهم الجامع، وهم ما بين باكٍ وباكية، وناعٍ وناعية، وبينما هم كذلك وإذا بصيحة قد ارتفعت، وإذا هم بزمرةِ رجالٍ قد دخلوا ومعهم ابن ملجم اللعين مكشوف الرأس مكتوفاً، والناس هذا يلعنه وهذا يلطمه[٢] وهذا يضربه وهذا يبصق في وجهه ويعضون لحمه بأسنانهم وهم يقولون له: يا عدو الله، ماذا صنعت؟!!! أهلكت أمّة محمّد، وقتلت خير الناس!!!.

وهو صامتٌ، وبين يديه رجل يقال له: حذيفة النخعي، بيده سيف مشهور يردّ الناس عن قتله وهو يقول: هذا قاتلُ أمير المؤمنين..

والناس كل واحد منهم يريد أن يبرّد غلّة صدره منه.. فلمّا نظر إليه الإمام الحسن (صلوات الله عليه) قال له: ويلك يا عدو الله.. أنت قاتل أمير المؤمنين.. ومثكلنا بإمام المسلمين.. هذا جزاؤه منك..!! حين آواك وقربك وأدناك وآثرك على غيرك..؟!.

---

(١) القطيفة كساء له أهداب، ربّما اتّخذ من الحرير أو من القطن مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط صفحة (٧٤٧)، طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٢) المفيد، محمّد النعمان، الإرشاد الجزء (١) صفحة (٢١).

هل كان بئس الإمام حتى تجازيه هذا الجزاء!! يا شقي الأشقياء.

أطرق ابن ملجم ولم ينبس بكلمة وضج الناس بالبكاء والنحيب والعويل..[١].

فقال له ابن ملجم: يا أبا محمّد، فأنت تنقذ من في النار..!![٢].

فعند ذلك ضجّ الناس بالبكاء والنحيب، فأمرهم الإمام الحسن بالسكوت.

ـ أمير المؤمنين يتحدث مع ابن ملجم

التفت الإمام الحسن عليه السلام إلى أبيه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وقال له:

يا أبتِ هذا عدوا الله قد أمكننا الله منه..

فالتفت الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى ابن ملجم وقال له: يا عدو الله ألم أحسن إليك؟

قال ابن ملجم: بلى.

قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): فما حملك على ذلك؟

قال ابن ملجم: إنّي شحذته[٣] أربعين صباحاً، وسألتُ ربّي أن يقتل به شرّ خلقه.

---

(١) القميّ، عباس، منتهى الآمال، الجزء (١) صفحة (٢٤٧)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت. شبر، عبد الله، جلاء العيون، صفحة (٢٢١)، طبعة دار المرتضى بيروت.

(٢) إشارة إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ سورة الزمر، الآية (١٩).

(٣) شحذته، شحذ السيف ونحوه شحذاً، أحدّ سنانه، فالسيف شحيذٌ ومشحود مجمع اللغة، المعجم الوسيط صفحة (٤٧٤)، طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

ـ حذيفة النخعي يروي

تقول الروايات أنّه كانت بينما الناس مجتمعة عند أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في محرابه إذ التفت الإمام الحسن (صلوات الله عليه) إلى حذيفة النخعي وقال له:

كيف ظفرت بعدو الله؟ وأين لقيته؟

فقال حذيفة النخعي: يا مولاي حديثي عجيب، وذلك أنّي كنتُ نائماً، وزوجتي إلى جانبي، إذ سمِعَتْ ناعياً ينعى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وهو يقول: تهدمت والله أركان الهدى.. وانطمست والله أعلام التقى.. وانفصمت والله العروة الوثقى.. قُتل ابن عم المصطفى.. قتل الوصيّ المجتبى.. قتل علي المرتضى.. قتله أشقى الأشقياء..

فأيقظتني زوجتي، وقالت لي: أنت نائم!! لا نامت عيناك، وقد قتل إمامك أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فانتبهت فزعاً وقلت لها مكذباً: ويلك من هذا الكلام، فضّ الله فاكِ، قد ألقى الشيطان على سمعك ذلك، فإنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ليس لأحدٍ قبله تبعة[1] ولا طلبة، وإنّه لليتيمِ كالأب الرحيم، وللأرملةِ كالزوج العطوف، ومع ذلك فمن يقدر على قتله وهو كالأسد الضرغام[2] والبطل الهُمام[3]؟

فأكثرت عليّ الكلام، وقالت: إنّي سمعتُ ما لم تسمع، وما في الكوفة

---

(١) التبعة، ككلمة، ما فيه أثم يتبع به ومنه الدعاء ولا تجعل لك عندي تبعة إلّا وهبتها والتبعة، والتباعة، المظلمة الطريطي، فخر الدين، مجمع البحرين، الجزء (٤) صفحة (٣٠٧).

(٢) الضرغام، الأسد الضاري الشديد الشجاع مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٥٣٩)، طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٣) الهُمَامُ، السيّد الشجاع السخي من الرجال، وقد يراد به الأسد مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط صفحة (٩٩٥)، طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

بيتاً إلّا وقد دخله ذلك النعي وسمع صوت التعزية من السماء وترديد القول بالنعاء..!! فوهى فؤادي.. وتحدرت مدامعي.. فظللت مبهوتاً..[1].

وإذا الناعي ينعى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وصيحة عظيمة، وقائل يقول:

قتل أمير المؤمنين.. والناعي ينعى في الأزقة والطرقات، والناس لا تفيق من البكاء والنحيب في كل جهة.

فحسّ قلبي بالشرّ، فأخذتُ سيفي وسللته من غمده، ونزلتُ حتى صرتُ في وسط الحارة[2] وإذا بعدو الله يجول فيها ويطلب مهرباً.. وقد إنسدّت جميع الطرق في وجهه فقلتُ: من أنت.. في وسط الطريق تمرّ وتجيء؟

فتسمى بغير اسمه وإنتمى إلى غير نسبه.

فقلتُ له: من أين أقبلت؟. قال: من منزلي.

قلتُ: وإلى أين تريد؟

قال: الحيرة.

قلت: سمعتُ صيحة عظيمة وقائلاً يقول: قتل أمير المؤمنين!! فهل عندك من ذلك خبر؟

قال: لا.

قلتُ: ولِمَ لا تمضي معي نتحقق الخبر.

قال: أنا ماضٍ في أمرٍ أهم منه.

---

(١) مبهوتاً، بهته الشيء بهتا أدهشه وحيره.. فشحب لونه راجع مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٧٢) طبعة المكتبة الإسلامية بيروت.

(٢) وفي رواية قال: فلما وصلتُ وسط الحيرة.. والحيرة بكسر الحاء هي البلدة القديمة بظهر الكوفة يسكنه النعمان بن المنذر والنسبة إليها حارى، وفي معجم البلدان، مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له: النجف، كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية راجع الطريحيّ، فخر الدين، مجمع البحرين، الجزء (٣) صفحة (٢٨١)، طبعة مؤسسة الوفاء.

فقلت له: ويلك، أيُّ أمرٍ أهم من قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)..!!!.

ثُمَّ قلتُ له: يا ويلك.. لعلك أنت قاتلُ أمير المؤمنين وإمام المسلمين..!!!.

وهممتُ عليه بسيفي أن أعلوه فراغ عني فانكشف سيفه فرأيته يبرق.

فقلتُ له: يا ويلك.. ما هذا السيف تحت ثيابك..؟! لعلك قاتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فأراد أن يقول: لا، فقال: نعم.

فقلتُ: إذاً والله ما لك عند الله من خلاق[1].

ورفعتُ سيفي وضربته على ساقه فوقع لحينه، فوقعتُ عليه، وصرختُ صرخةً شديدةً، فخرج أهل الحارة فأعانوني عليه، حتى أوثقته كتافاً، وجئتك به يا سيّدي، فها هو ذا بين يديك جعلني الله فداك، فاصنع ما شئت.

فقال الإمام الحسن المجتبى (صلوات الله عليه): الحمد لله الذي نصر وليّه على عدوه، فأبشر يا حذيفة بمغفرة ذنوبك[2].

ـ رفقاً بابن ملجم

ثُمَّ انكبّ الإمام الحسن (صلوات الله عليه) على أبيه يقبّله، ففتح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) عينيه وهو يقول:

---

(١) خلاق، الخَلَاقُ الحظ والنصيب من الخير وفي التنزيل العزيز ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ ويقال: فلانٌ لا خَلَاق له، لا رغبة له في الخير أنظر مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٢٥٢) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول ويقال: أن هناك فرق بين الخَلَاقُ والنصيب باعتبار أن الخَلَاق هو النصيب الوافر من الخير خاصة بالتقدير لصاحبه أن يكون نصيباً له لأنّ اشتقاقه من الخلق وهو التقدير ويجوز أن يكون من الخُلق لأنّه مِمّا يوجبه الخلق الحسن العسكري، أبو هلال، معجم الفروق اللغوية، صفحة (٢٢٣)، طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ قم.

(٢) القميّ، عباس، منتهى الآمال الجزء (١) صفحة (٢٤٧)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت. شبر، عبد الله، جلاء العيون، الجزء (١)، صفحة (٢٢٠)، طبعة دار المرتضى بيروت.

ارفقوا بي يا ملائكة ربي..

التفت الإمام الحسن المجتبى (صلوات الله عليه) إلى أبيه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وقال: هذا عدو الله، وعدوك ابن ملجم، قد أمكننا الله تعالى منه، وقد حضر بين يديك..

ففتح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) عينيه ونظر إلى ابن ملجم وقال له بضعف وإنكسار صوت: يا هذا.. لقد جئت شيئا عظيماً.. وارتكبت أمراً جسيماً.. أبئس الإمام كنتُ لك حتى جازيتني بهذا الجزاء..؟!!.

ألم أكن شفيقاً عليك..؟!.

وآثرتك على غيرك..؟!.

وأحسنت إليك..؟!.

وزدتُ في عطائك..؟!.

وقد كنتُ أعلم أنّك قاتلي لا محالة.. ولكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالى عليك وعلى أن ترجع عن غيك، فغلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقيّ الأشقياء[1].

قال الراوي: فدمعت عينا ابن ملجم وقال: يا أمير المؤمنين أفأنت تنقذ من في النار؟

فقال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): صدقت.

ثُمَّ إلتفت أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى ولده الإمام الحسن (صلوات الله عليه) وقال له: يا بني إرفق بأسيرك.. وإرحمه.. وأحسن إليه.. وأشفق عليه.. ألّا ترى إلى عينيه قد صارتا في أم رأسه، وقلبه يرجف خوفاً..؟!!.

---

(١) القمي، عباس، منتهى الآمال الجزء (١) صفحة (٢٤٧)، طبعة الدار الإسلامية بيروت.

فقال له الإمام الحسن (صلوات الله عليه): يا أبتاه قد قتلك هذا اللعين الفاجر، وأفجعنا بك، وأنت تأمرنا بالرفق به..؟!.

فقال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): نعم يا بنيّ، نحن أهل بيت الرحمة والمغفرة.. لا نزداد على الذنب إلينا إلّا كرماً وعفواً.. فأطعمه مِمّا تأكل.. وأسقه مِمّا تشرب.. فإن أنا متّ فاقصص منه بأن تقتله ثُمَّ تحرقه بالنار[1] ولا تمثل بالرجل، فإنّي سمعتُ جدك المصطفى ﷺ يقول: إياكم والمثلة[2] ولو بالكلب العقور[3]، وإن أنا عشت فأنا أعلم ما أفعل به وأنا أولى بالعفو، فنحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلّا عفواً وكرماً والرحمة والشفقة من شيمتنا.

وفي رواية الإرشاد قال:

جاء الناس إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقالوا له: يا أمير المؤمنين مرنا بأمرك في عدو الله، فلقد أهلك الأمّة، وأفسد الملّة.

فقال لهم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): إن عشت رأيتُ فيه رأيي، وأن هلكت فاصنعوا به مثل ما يصنع بقاتل النَّبيِّ، أُقتلوه ثُمَّ حرقوه بعد ذلك بالنار[4].

---

(١) وفي رواية منتهى الآمال بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة ولا تحرقه بالنار ولا تمثّل بالرجل الجزء (١) صفحة (٢٤٧).

(٢) المثلة، هي العقوبة والتنكيل ـ مجمع اللغة العربيّة، المعجم الوسيط، صفحة (٨٥٤)، طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٣) العقور، كل حيوان يعقر يسمى عقور، والعقر بالفتح هو الجرح، يقال: عقرتُ البعير بالسيف فانعقر إذا ضربت به قوائمه حتى يسقط ونتمكّن من ذبحه ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٦١٤)، طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٤) المفيد، محمّد النعمان، الإرشاد الجزء (١) صفحة (٢٢)، الطبرسيّ، الفضل بن الحسن، أعلام الورى الجزء (١) صفحة (٣٩١)، طبعة مؤسسة آل البيت لأحياء التراث قم.

الفصل الثاني

أحداث اليوم التاسع عشر من شهر رمضان

وفيه جملة من المطالب.

ـ المطلب الأوّل: أمير المؤمنين يُحمل إلى داره

قال محمّد بن الحنفيَّة[١] (رضوان الله عليه): ثُمَّ إن أبي قال: إحملوني إلى موضع مصلاي في منزلي.

فحملناه إلى داره، وهو مدنف[٢] والناس من حوله قد أشرفوا على الهلكة من شدة البكاء والنحيب[٣] والعويل..[٤] فالتفت الإمام الحسن عليه السلام إلى أبيه

---

(١) انظر ترجمته: صفحة (٥٩٦).

(٢) مدنف، قال الطريحي: دنف، المريض المدنف أي المثقل في المرض، من الدنف بالتحريك وهو المرض الملازم، يقال: دنف المرض كفرح، ثقل، وأدنفه المرض وأدنف هو فهو مدنف. ومدنف يتعدى و لا يتعدى. ورجل دنف وامرأة دنف يستوي فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع، قال المطرزي في مغربه: أدنف المريض ودنف، ثقل بالمرض ودنا من الموت، وأدنفه المرض، أثقله ـ الطريّحيّ، فخر الدين، مجمع البحرين، الجزء (٥)، صفحة (٥٩) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٣) النحيب، رفع الصوت بالبكاء، والنساء النواحب، اللاتي يرفعن أصواتهن بالبكاء والنوادب من الباكيات على الميت، وقد نحب ينحب من باب ضرب نحيبا، بكى، ويقال: النحب أشد البكاء كالنحيب وفي النهاية النحب والنحيب والانتحاب، البكاء بصوت طويل ـ الطريّحيّ، فخر الدين، مجمع البحرين، الجزء (٢) صفحة (١٦٩) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٤) العويل، رفع الصوت بالبكاء والصياح وحرارة الحزن والحب من غير نداء ولا بكاء ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط صفحة (٦٣٧) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وهو باك حزين، فقال له: يا أبتاه.. من لنا بعدك..؟

إنّ مصابنا بك اليوم مثل مصابنا برسول الله ﷺ.. من أجلك تعلمتُ البكاء..

يعزّ والله عليّ أن أراك هكذا.. فقرّبه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إليه وقال: أدنُ مني.

فدنا الإمام الحسن (صلوات الله عليه) من أبيه، فنظر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى عيني ولده فوجدهما مقروحتان[١] من البكاء، فمسح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الدموع عن عين ولده ووضع يده على موضع قلبه وقال: يا بنيّ ربط الله قلبك بالصبر.. وأجزل لك ولإخوتك عظيم الأجر.. فسكّن روعتك.. وأهدأ من بكائك.. فإن الله يؤجركم بقدر مصابكم بي..[٢].

ـ فضة تريد الانتقام من ابن ملجم

فلمّا وصل القوم بأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى المنزل ومعهم ابن ملجم موثوقاً، أقبلت فضة أمة مولاتنا السيِّدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وبيدها حربة[٣] فقالت: أمواليَ ذروني أضرب عدوّ الله بهذه الحربة، فأشفي بعض جوى[٤] صدري.

---

(١) القرح، الجرح، يقال: قرح قرحا بدت به جروح من سلاح أو بثور فهو قرح ويقال: قرح جلده، وقرح قلبه من حزن ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٧٢٤) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٢) القميّ، عباس، منتهى الآمال الجزء (١) صفحة (٢٤٨) طبعة الدار الإسلاميّة بيروت. الجواهري، شريف، مثير الأحزان صفحة (٣٩٠) طبعة دار المحجّة البيضاء بيروت. شبر، عبد الله، جلاء العيون، الجزء (١) صفحة (٢٢٣)، طبعة دار المرتضى بيروت.

(٣) الحربة، آلة قصيرة من الحديد محددة الرأس تستعمل في الحرب ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (١٦٤) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٤) جوى، في الصحاح الجوى (الحرقة وشدة الوجد) من عشق أو حزن (تاج العروس مادة جوى).

فقد أحرق فؤادي، وأقلق رقادي، وهيّج حزني، وأوهى ركني، وأجرى دمعي، وهتك ستري، واجتث أصلي وفخري.

وانقضّت عليه كالشهاب[١]، فقال لها الإمام الحسن (صلوات الله عليه): اصبري يا أمة الله.

وردّها إلى الدار.

فقالت لابن ملجم: ويلك يا عدو الله، أفجعتنا وجميع الإسلام فمصيرك إلى النار، ولا بأس على سيّدي، فلقد قتل في جنب الله، واختنقت بعبرتها.

فقال لها ابن ملجم: يا أمة الله، إبكي على نفسك إن كنتِ باكية، فلقد سقيته السم حتى عذقه[٢] ولو كانت هذه الضربة على من في الأرض لأفنتهم جميعاً[٣].

ثُمَّ أدخلوا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى حجرته، وأرقد في موضع مصلاه.

ـ زينب وأم كلثوم في محضر أمير المؤمنين

وحمل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وأدخل داره فقعدت ابنته لبابة عند رأسه وأقبلت السيّدة زينب وأختها السيّدة أم كلثوم (سلام الله عليهما) دخلتا على أبيهما حتى جلستا معه على فراشه، وأقبلتا تندبانه وتقولان: يا أبتاه.. من للصغير حتى يكبر؟ ومن للكبير بين الملاء؟ يا أبتاه.. حزننا عليك طويل.. وعبرتنا لا ترقا[٤].

---

(١) الشهاب، شعلة من نار ساطعة مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٤٩٧) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٢) بمعنى بلغ الغاية القصوى في سمه.

(٣) الخطي، علي ـ مجموعة وفيّات الأئمّة ـ صفحة (٥٩)، طبعة دار البلاغة بيروت.

(٤) رقأ الدمع، رقئا ورقوءا سكن وجف وانقطع بعد جريانه ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٣٦٣) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

فضج الناس من وراء الحجرة بالبكاء والنحيب ففتح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فنظر إلى بناته وفاضت دموعه (صلوات الله عليه) عند ذلك، وجعل يقلّب طرفيه وينظر إلى أهل بيته وأولاده، ثُمَّ دعا الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) وجعل يحضنهما ويقبّلهما.

ثُمَّ قال: الرفيق الأعلى خيرٌ مستقراً وأحسنُ مقيلا..

ضربة بضربة.. أو العفو إن كان ذلك..

ثُمَّ عرق.. ثُمَّ أفاق.. فقال (صلوات الله عليه): رأيتُ رسول الله ﷺ يأمرني بالرواح إليه عشاء ثلاث مرات.

ـ لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين

ثُمَّ أغمي عليه ساعة طويلة، ثُمَّ أفاق، وكذلك كانت علّة رسول الله ﷺ يغمى عليه ساعة ويفيق ساعة أخرى لأنّه ﷺ كان مسموماً.

فلمّا ناوله الإمام الحسن عليه السلام قعباً[1] من لبن فشرب منه قليلاً، وقال:

إحملوه إلى أسيركم.. بحقي عليكم، طيّبوا طعامه وشرابه.. وألينو فراشه.. فإن أعيش فأنا وليُّ دمي، إمّا عفواً وإمّا قصاصاً، وإن أمتْ فألحقوه بي ضربة بضربة ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[2].

يا بني عبد المطّلب، لا ألفينكم[3] تخوضون دماء المسلمين خوضاً.. تقولون: قتل أمير المؤمنين، لا يُقتلن فيّ إلّا قاتلي.

---

(١) القعب قدح ضخم غليظ ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٧٤٨) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٢) البقرة الآية (١٩٠)وأيضا سورة المائدة الآية (٨٧).

(٣) ألفينكم، يقال: لا ألفين منكم رجلا مات له ميت ليلا فانتظر به الصبح أي لا أجدن منكم أحدا كذلك، يقال: ألفيته أي وجدته على تلك الحالة ـ الجزري، المبارك، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة ـ لفا ـ الجزء (٤) صفحة (٥٣٠)، طبعة المكتبة العلميّة بيروت.

أنظروا إذا أنا مُتّ من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا يُمثّلُ بالرجل، فإنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور[١].

وروي أنّه لمّا حُمل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى منزله جاؤوا بابن ملجم ـ لعنه الله ـ مكتوفاً إلى بيتٍ من بيوت القصر فسجنوه، فقالت له أم كلثوم (سلام الله عليها) وهي تبكي: يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين..!!.

فقال لها ابن ملجم اللعين: إنّما قتلتُ أباكِ، ولم أقتل أمير المؤمنين.

فقالت له: أرجو من الله أن يشفيه، وأن الله يخزيك في الدنيا وأن النار خالداً فيها.

فقال لها ابن ملجم: إيكِ إن كنتِ باكية.. فوالله لقد اشتريت سيفي بألفٍ.. وسممته بألفٍ.. ولو كانت ضربتي هذه بجميع أهل الأرض ما نجا منهم أحد[٢].

قال أبو الفرج: وأُخرج ابن ملجم من بين يدي أمير المؤمنين وهو يقول:

نحن ضربنا يا بنة الخير إذ طغى ... أبا حسن مأمومَة فتفطّترا
ونحن حللنا ملكه من نظامه ... بضربة سيفٍ إذ علا وتجبّرا
ونحن كرام في الصباح أعزة ... إذا المرء بالموت ارتدى وتأزّرا[٣]

---

(١) العقور، بفتح فضم مبالغة في عاقر اسم فاعل من عقر ج عقر، الذي يعقر من الحيوان، الكلب العقور، الكلب المتوحش الجارح. ـ قلعجيّ، محمّد، معجم لغة الفقهاء، الجزء (١) صفحة (٣١٨) طبعة دار النفائس بيروت.

(٢) شبّر، عبد الله، جلاء العيون، صفحة (٢٢٣)، طبعة دار المرتضى بيروت. الجواهريّ، شريف، مثير الأحزان، صفحة (٣٩٠)، طبعة دار المحجّة البيضاء بيروت، نقلاً عن بحار الأنوار المجلّد (٤٢) صفحة (٢٨٨).

(٣) الطبريّ، محمّد جرير، تاريخ الأمم والملوك، الجزء (٣) صفحة (١٥٨) دار الكتب العلميّة بيروت. =

وفي رواية أن أحدهم قال لابن ملجم: يا عدوّ الله لا تفرح، فأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) سينجو، ولا بأس عليه.

فقال اللعين: إذاً فعلى من تبكي أم كلثوم..؟!!. أعليّ تبكي..؟!!. أم على عليٍّ تقيم العزاء؟!!.

والله لقد اشتريت سيفي بألفِ درهم، وسممته بألفِ، وأصلحتُ كل نقصٍ فيه، وضربتُ علياً بهذا السيف ضربةً لو قُسّمت على أهل المشرق والمغرب لأهلكتهم[1].

ـ المطلب الثاني: الأصبغ بن نباته في عيادة أمير المؤمنين

روى الشيخ المفيد والشيخ الطوسيّ (رحمهما الله) عن الصحابيّ الجليل الأصبغ بن نباته (رضوان الله عليه) قال: لمّا ضَرب ابن ملجم (لعنه الله) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، غدونا عليه نفرٌ من أصحابنا، أنا والحارث الهمداني، وسويد بن غفلة، وجماعة معنا، فقعدنا على الباب، فسمعنا البكاء، فبكينا، فخرج إلينا الحسن بن علي (صلوات الله عليهما) فقال: يقول لكم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): إنصرفوا إلى منازلكم.

فانصرف القوم غيري، فاشتدّ البكاء من منزله فبكيت، فخرج الحسن (صلوات الله عليه) وقال: ألم أقل لكم إنصرفوا؟

فقلتُ: لا والله يا بن رسول الله لا تتابعني نفسي ولا تحملني رجلاي أن أنصرف حتى أرى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ثُمَّ بكيت.

= الأربلي، علي عيسى، كشف الغمّة الجزء (٢) صفحة (٥٣)، طبعة شركة الألفين. المداثنيّ، عز الدين ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، الجزء (٦)، صفحة (٤٧)، دار الكتب العلميّة بيروت. الكورانيّ، علي، جواهر التاريخ الجزء (١) صفحة (٤٥٥)، طبعة دار الهدى قم.

(١) القميّ، عباس، منتهى الآمال، الجزء (١) صفحة (٢٥١)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

فدخل الحسن (صلوات الله عليه) فلم يلبث أن خرج فقال لي: أدخل.

فدخلت على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء قد نزف وإصفرّ وجهه، ما أدري وجهه أصفرّ أو العمامة، فأكببتُ عليه فقبلته وبكيت.

فقال لي: لا تبكِ يا أصبغ فإنّها والله الجنّة.

فقلتُ له: جعلتُ فداك إنّي أعلم والله أنّك تصير إلى الجنّة، وإنّما أبكي لفقداني إياك[1].

حديثُ أمير المؤمنين مع الأصبغ

قال الأصبغ[2]: قلتُ يا أمير المؤمنين جعلتُ فداك، حدثني بحديثٍ سمعته من رسول الله ﷺ فإنّي لا أسمع منك حديثاً بعد يومي هذا أبداً.

قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): نعم يا أصبغ، دعاني رسول الله ﷺ يوماً فقال لي: يا عليّ، انطلق حتى تأتي مسجدي، ثُمَّ تصعد منبري، ثُمَّ تدعو الناس إليك، فتحمد الله عزّ وجلّ وتثني عليه، وتصلي عليّ صلاة كثيرة، ثُمَّ تقول:

أيّها الناس، إنّي رسول رسول الله إليكم، وهو يقول لكم: إنّ لعنة الله ولعنة ملائكته المقرّبين، وأنبيائه المرسلين، ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه أو ادّعى إلى غير مواليه، أو ظلم أجيراً أجره.

فأتيتُ مسجده وصعدتُ منبره، فلمّا رأتني قريش ومن كان في المسجد أقبلوا نحوي، فحمدتُ الله وأثنيت عليه وصلّيتُ على رسول الله ﷺ صلاةً

---

(١) المصدر السابق، صفحة (٢٤٨)، الطبريّ، محمّد، بشارة المصطفى، صفحة (٢٦٠)، طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ قم.

(٢) انظر ترجمته: صفحة (٥٩٧).

كثيرةً، ثُمَّ قلتُ: أيّها الناس، إنّي رسول رسول الله إليكم، وهو يقول لكم: ألا لعنة الله، ولعنة ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين، ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه أو ادّعى إلى غير مواليه، أو ظلم أجيراً أجره.

قال (صلوات الله عليه): فلم يتكلّم أحد من القوم إلّا عمر بن الخطاب، فإنّه قال: قد أبلغتَ يا أبا الحسن، ولكنّك جِئت بكلامٍ غير مفسّر، فقلت: أُبلّغ ذلك رسول الله ﷺ.

فرجعت إلى النَّبيّ ﷺ فأخبرته الخبر، فقال: إرجع إلى مسجدي حتى تصعد منبري، فاحمد الله، واثنِ عليه، وصلّ عليّ ثُمّ قل: أيّها الناس، ما كنا لنجيئكم بشيءٍ إلّا وعندنا تأويله، وتفسيره، ألا وإنّي أنا أبوكم.. ألا وإنّي أنا مولاكم.. ألا وإنّي أنا أجيركم..[1].

رواية ثانية لحديث أمير المؤمنين مع الأصبغ

روى ابن شاذان في (الفضائل) عن الصحابيّ الجليل الأصبغ بن نباتة (رضوان الله عليه) قال: لمّا ضُرب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الضربة التي كانت وفاته فيها اجتمع إليه الناس بباب القصر، وكان يراد قتل ابن ملجم (لعنه الله).

فخرج الحسن (صلوات الله عليه) فقال: معاشر الناس، إنّ أبي أوصاني أن أترك أمره إلى وفاته، فإن كان له الوفاة، وإلّا نظر هو في حقه فانصرفوا يرحمكم الله.

فانصرف الناس ولم أنصرف.

فخرج ثانية وقال لي: يا أصبغ، أما سمعت قولي عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)؟

---

(١) شبر، عبد الله، جلاء العيون، الجزء (١)، صفحة (٢١٠)، طبعة دار المرتضى بيروت.

قلت: بلى، ولكنّي رأيتُ حاله فأحببتُ أن أنظر إليه، فأسمع منه حديثاً، فاستأذن لي رحمك الله، فدخل ولم يلبث أن خرج فقال لي: أدخل.. فدخلتُ فإذا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) معصّب بعصابة، وقد علت صفرة وجهه على تلك العصابة، وإذا هو يرفع فخذاً ويضع أُخرى من شدة الضربة وكثرة السمّ.

فقال لي: يا أصبغ، أما سمعت قول الحسن عن قولي؟

قلتُ: يا أمير المؤمنين، ولكنّي رأيتك في حالة فأحببت النظر إليك، وأن أسمع منك حديثاً.

فقال لي: أقعد، فما أراك تسمع مني حديثاً بعد يومك هذا.

إعلم يا أصبغ أنّي أتيتُ رسول الله ﷺ عائداً[1] كما جِئتَ الساعة، فقال: يا أبا الحسن، أخرج فنادِ في الناس الصلاة جامعة[2] واصعد المنبر، وقم دون مقامي بمرقاة[3] وقلّ للناس: ألا من عقّ[4] والديه فلعنة الله عليه.. ألا من أبق[5] من مواليه فلعنة الله عليه.. ألا من ظلم أجيراً أجرته فلعنة الله عليه..

يا أصبغ، ففعلتُ ما أمرني به حبيبي رسول الله ﷺ، فقام من أقصى المسجد رجل فقال: يا أبا الحسن، تكلّمت بثلاثِ كلماتٍ فأوجزتهنّ،

---

(١) عائداً، يقال: عاد إليه وله وعليه عوداً وعودة رجع وارتد ويقال: عاد فلان شيخاً والشيء أتاه مرة بعد أخرى والشيء فلاناً أصابه مرة بعد أخرى يقال: عاده الشوق أو الحنين والعليل عوداً وعيادة زاره والطبيب المريض زاره للعلاج فهو عائد جمعه عواد وعود وهن عود وعوائد والمفعول معود ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٦٣٤) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٢) صلاة جامعة، المقصود صلاة الجماعة.

(٣) مرقاة، هي وسيلة الرقي أو آلته وموضعه أو ما يرقى به أو فيه يقال صعدت مرقاة أو مرقاتين أي درجة أو درجتين ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٣٦٧) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٤) عقّ، من العقوق.

(٥) أبق، أبقاً وإباقاً هرب فهو آبق ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط صفحة (٣) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

فاشرحهنّ لنا، فلم أردّ جواباً حتى أتيتُ رسول الله ﷺ فقلتُ ما كان من الرجل.

قال الأصبغ: ثُمّ أخذ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بيدي وقال: أبسط يدك، فبسطتُ يدي، فتناول إصبعاً من أصابع يدي وقال: يا أصبغ كذا تناول رسول الله ﷺ إصبعاً من أصابع يدي، كما تناولتُ إصبعاً من أصابع يدك، ثُمَّ قال: مَه[1] يا أبا الحسن، ألا وأنّي وأنت أبوا هذه الأمّة، فمن عقّنا فلعنة الله عليه، ألا وإنّي وأنت موليا هذه الأمّة فمن أبق عنّا لعنة الله عليه، ثُمَّ قال: أمين، فقلتُ: أمين.

قال الأصبغ: ثُمّ أغمي عليه، ثُمَّ أفاق فقال لي: أقاعد أنت يا أصبغ؟

قلتُ: نعم، زادك الله من مزيدات الخير.

قال: يا أصبغ، لقيني رسول الله ﷺ في بعض طرقات المدينة وأنا مغمومٌ قد تبيّن الغمّ في وجهي، فقال لي: يا أبا الحسن، أراك مغموماً، ألا أحدثك بحديثٍ لا تغتّم بعده أبداً؟

قلتُ: نعم، قال: إذا كان يوم القيامة نصب الله منبراً يعلو منابر النّبيّين والشهداء، ثُمَّ يأمرني الله أن أصعد فوقه، ثم يأمرك الله أن تصعد دوني بمرقاةٍ، ثُمّ يأمر الله ملكين فيجلسان دونك بمرقاةٍ، فإذا استقللنا على المنبر لا يبقى أحدٌ من الأوّلين والآخرين إلّا حضر.

فينادي الملك الذي دونك بمرقاةٍ: معاشر الناس، ألا من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي.. أنا رضوان خازن الجنان، ألا إنّ الله بمنّه وكرمه وفضله وجلاله أمرني أن أدفع مفاتيح الجنّة إلى محمّد ﷺ

---

(١) مَه، إسم فعل أمر معناه أُكفف ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٨٨٩)، طبعة المكتبة الإسلامية استانبول.

وإنّ محمّداً ﷺ أمرني أن أدفعها إلى عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، فاشهدوا لي عليه.

ثُمّ يقوم ذلك الملك الذي تحت الملك رضوان بمرقاةٍ منادياً يسمع أهل الموقف: معاشر الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي.. أنا مالك خازن النيران ألا إن الله بمنّه وفضله وكرمه وجلاله قد أمرني أن أدفع مفاتيح النار إلى محمّد ﷺ، وإن محمّداً ﷺ قد أمرني أن أدفعها إلى عليّ ابن أبي طالب (صلوات الله عليه) فاشهدوا لي عليه.

فآخذُ مفاتيح الجنان والنيران، ثُمّ قال: يا عليّ، فتأخذ بحجرتي وأهل بيتك يأخذون بحجرتك، وشيعتك يأخذون بحجرة أهل بيتك.

فقال (صلوات الله عليه): فصفقتُ بكلتا يديّ وقلتُ: وإلى الجنان يا رسول الله؟

قال: إي وربّ الكعبة.

قال الأصبغ: فلم أسمع من مولاي غير هذين الحديثين..[1].

ـ المطلب الثالث: إعهد عهدك يا أمير المؤمنين

قال حبيب بن عمرو: دخلتُ على سيّدي ومولاي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وعنده الأشراف من القبائل، وشرطة الخميس[2] وما منهم إلّا وماء عينيه يترقرق على سوادهما حزناً لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

---

(١) بمعنى لم يسمع من أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) غير هذين الحديثين بعد ضربه وجرحه وإلّا فإنّ الأصبغ صحابيٌ جليل من حواري أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ـ أنظر القميّ، عباس، منتهى الآمال الجزء (١) صفحة (٢٤٨)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

(٢) شرطة الخميس.. الشُرْطَة، بضمّ الشين، واحد الشُرَط، والخَميس، بالفتح، في اللغة بمعنى الجيش، سمّي به لانقسامه إلى خمسة أقسام: المقدّمة، والساقة، والميمنة، الميسرة، والقلب، وهم طائفة مخصوصة من الجيش، قيل أن عددهم خمسة آلاف مقاتل، وقيل: ستة آلاف مقاتل.

ورأيتُ الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) ومن معهما من الهاشميين وما تنفس منهم أحد إلّا وظننتُ أن شظايا قلبه تخرج مع نفسه، ثُمَّ جمع له الأطباء في الكوفة، فلم يكن منهم أعلم بجرحه من الطبيب أثير بن عمرو وكان متطبباً صاحب الكرسي يعالج الجراحات الصعبة[1] فلمّا نظر أثير بن عمرو إلى جرح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) دعا برئة شاة حارّة فاستخرج منها عرقاً وأدخله في الجرح ثُمَّ نفخه، ثُمَّ استخرجه وإذا عليه بياض الدماغ.

فقال الناس: يا أثير كيف جرح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)؟

= وقيل: أطلق عليهم هذا اللقب لأنّه يُخمّس فيه الغنائم، وخمست في الإسلام، أي: قدمت الجيش. والشرطة أوّل طائفة من الجيش تشهد الوقعة، ووجه التعبير به عن جماعة إمّا بملاحظة أن الشرطة مأخوذ من ـ شرط ـ بفتحتين، بمعنى العلامة، وسمي به مقدمة الجيش، أو أقويائهم، لأنّهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها للأعداء، كما ينصرح ذلك من المصباح والمجمع وغيرهما. أو من الشرط، بمعنى التهيؤ، سموا بهم، لأنّهم يتهيؤون لدفع الخصم، أو من الشرط، بمعنى الألزام، كما ربّما ينصرح مِمّا رواه الكشي في ترجمة الأصبغ بن نباتة قال: قيل له: كيف سميتم شرطة الخميس يا أصبغ؟

قال: إنّا ضمنا له الذبح، وضمن لنا الفتح، يعني أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وربّما ذكر المولى التقي المجلسيّ في بعض حواشي التهذيب: الشرط: الأقوياء الذين يتقدمون الجيش، فهم أخصّ من المقدمة، كأنّهم شرطوا أن لا يرجعوا حتى يفتحوا أو يقتلوا، وكان الأصبغ منهم.

وقال السيّد السند التفرشي: والشرطة، طائفة من الجيش.. والظاهر أن المراد: الطائفة المخصوصة لا مطلقها فما قيل عليه: من أن الشرطة هي مقدّمة الجيش لا مطلق طائفته، ليس بالوجه، ثُمَّ إنّه لا يخفى أنّها تدلّ على غاية قوّة إيمان من ذكر في حقه، بل من المبشرين في لسان يعسوب المؤمنين - صلوات الله تعالى عليه - كما في ترجمة عبد الله بن يحيى الحضرمي: إنّه قال لي عليّ ﷺ يوم الجمل: أبشر يابن يحيى! فإنّك وأباك من شرطة الخميس حقاً، لقد أخبرني رسول الله ﷺ بإسمك وإسم أبيك في شرطة الخميس، والله سماكم في السماء شرطة الخميس على لسان نبيّه محمّد ﷺ ـ البروجردي، علي، طرائف المقال، الجزء (٢) صفحة (٢١٤) طبعة مكتبة المرعشي النجفيّ العامة قم، الكلباسي، أبو الهدى، سماء المقال الجزء (٢) صفحة (٢٤٧) طبعة مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلاميّة قم.

(١) المدائنيّ، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الجزء (٦)، صفحة (٧٥)، طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

فخرس أثير عن جوابهم وتلجلج[١] ثُمَّ التفت إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وقال: يا أمير المؤمنين إعهد عهدك وأمر أمرك فإنّ عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك[٢].

قال ابن أعثم: وجعل الطبيب يختلف إلى علي، واشتدت العلّة به جداً، فأحسّ من نفسه بالموت، وعلم أنّه لا ينتعش من مصرعه، فدعا بابنيه الحسن والحسين وأقعدهما بين يديه، ودعا أيضاً بمن حضر من ولده وأهل بيته، وأقبل عليهم بوجهه، فقال: يا بنيّ..! إنّي موصيكم بتقوى الله وطاعته..[٣].

توضيح:

نعتقد أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان أعلم أهل الأرض في كل شيء، فقد كانت الناس ترى منه ما يدهش العقول ويحيّر الألباب في كل العلوم، ولم يكن علمه مختصاً بأمور الدين والشريعة.

ما بلغنا عنه (صلوات الله عليه) كان ولا يزال مصدر إلهام لكل الباحثين، والعلماء والمفكرين في مختلف المجالات.

ولا شك في أنّه (صلوات الله عليه) كان أعلم الخلق بأمور الطب وعلم الأجسام..

وكان يمكنه أن يستغني بما حباه الله به من علوم عن جميع أطباء الدنيا، وليس أطباء الكوفة فقط..

---

(١) تلجلج، فلان تردّد في كلامه ولم يبن فهو لجلاج تردّد فيه، اللجلاج، من كان ثقيل اللسان يتردّد في كلامه.

(٢) المحمودي، نهج السعادة الجزء (٣) صفحة (١٧) طبعة مؤسسة النعمان النجف الأشرف، أيضا الكورانيّ، علي، جواهر التاريخ الجزء (١) صفحة (٤٥٦)، طبعة دار أنوار الهدى، أيضا القميّ، عباس، منتهى الآمال، الجزء (١)، صفحة (٢٥٠)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

(٣) كتاب الفتوح.

فلماذا إذن رضي بزيارة الأطباء له، وممارستهم المهنة في جراحته تلك؟!.

الجواب:

يمكن الإجابة على هذا التساؤل بما يلي:

أوّلاً: أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يعلم جيداً بما ستؤول إليه الأمور من تلك الضربة.. وأنّه سوف ينال الشهادة في إثرها، وهو يريد أن يُعلِّم الناس بصورةٍ عمليةٍ أن يستفيدوا من أهل الخبرة في حياتهم.. ولا يريد لهم أن يفهموا الأمور بطريقةٍ خاطئةٍ تصدّهم عن السبيل الصحيح، الذي يريد الله تعالى لهم أن يسيروا فيه.

ثانياً: لو عالج أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) نفسه، أو أهمل علاجها، حتى نزل به القضاء لأشاع أصحاب الأهواء وأهل النفاق وخدعوا بعض السذّج والبسطاء بأنَّ علياً (صلوات الله عليه) هو الذي أخطأ..!!!.

أو هو الذي قصَّر في حق نفسه..!! فقاده خطؤه أو تقصيره إلى رمسه..!!.

وربّما جعلوا ذلك ذريعةً للتخفيف من ذنب القاتل، إلى حد التبرئة..!!.

وربّما إلى إلحاقه بالمظلومين!!.

أو رفعه إلى مصاف الشهداء والصديقين!!.

بحجة أن الجرح الذي أورده القاتل على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لم يكن قاتلاً!! بل كان مجرد خدش طفيف يمكن علاجه.

ولكن علياً هو الذي قتل نفسه بإهماله..!! أو بالعلاج الخاطئ الذي خطر على باله وأضر بحاله!!.

ثالثاً: حتى لو كنا نعتقد بأنَّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) هو أعلم

أهل الأرض وقد أدهش العالم بعلومه ومعارفه إلّا أنّه (صلوات الله عليه) لعلّه لم يكن مخوّلاً بالاستفادة من علومه الخاصة التي حباه الله بها في غير شؤون الإمامة، والدلالة عليها، والهداية إلى الحق وإليها.

ـ المطلب الرابع: الوصيَّة العامة

روى سُليم بن قيس الهلالي قال: شهدتُ وصيّة عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) حين أوصى إلى ابنه الحسن (صلوات الله عليه) وأشهد على وصيّته الحسين (صلوات الله عليه) ومحمّداً وجميع ولده، وأهل بيته، ورؤساء شيعته.

النَّص على الأئمّة وتسليم ودائع الإمامة

ثُمَّ دفع إليه الكتب والسلاح ثُمَّ قال: يا بني أمرني رسول الله ﷺ أن أوصي إليك، وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إليّ رسول الله ﷺ ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعه إلى أخيك الحسين (صلوات الله عليه) ثُمَّ أقبل على ابنه الحسين (صلوات الله عليه) فقال: وأمرك رسول الله ﷺ أن تدفعه إلى ابنك علي بن الحسين..

ثُمَّ أقبل على عليّ بن الحسين (صلوات الله عليه)[1] فقال له: وأمرك رسول الله ﷺ أن تدفع وصيّتك إلى ابنك محمّد بن عليّ، فأقرئه من رسول الله ﷺ ومني السلام..

ثُمّ أقبل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) على ابنه الحسن (صلوات

---

(١) كان عمر الإمام علي بن الحسين زين العابدين (صلوات الله عليه) يوم وفاة جده أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) سنتين حيث كانت ولادته سنة (٣٨) للهجرة وفي سنة أربعين للهجرة كانت شهادة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

الله عليه) فقال: يا بنيّ أنت وليّ الأمر بعدي، ووليّ الدّم، فإن عفوت فلك وإن قتلت فضربة مكان ضربة ولا تمثّل.. ثُمّ قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لولده الحسن (صلوات الله عليه): إكتب.

نص الوصيَّة

بِسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أوصى أنه يشهد أنّه لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأن محمّداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

ثُمّ إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أوّل المسلمين.

وتعاونوا على البر والتقوى

ثُمّ إنّي أوصيك[1] يا حسن وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغه كتابي من المؤمنين بتقوى الله ربكم ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2] ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[3] فإنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: صلاح ذات البين[4]

---

(١) أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي.. ـ أنظر شرح نهج البلاغة محمّد عبده صفحة (٥٩٨) طبعة دار البلاغة بيروت.

(٢) سورة البقرة، الآية (١٣٢).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٠٣).

(٤) صلاح ذات البين أن تصلح بين قوم تفاسدوا وتباعدوا، وتجعل قلوبهم واحدة، وكلمتهم متحدة، وهذا العمل أفضل عند الله من جميع الصلاة والصيام وكل ما كان ويكون من ركوع وسجود، وتهليل وتكبير، لأنّ العبادة أمرٌ خاص بين الإنسان وخالقه، أمّا النزاع والخصام فأثره عام حيث يؤدي حتماً إلى المظالم والمفاسد، وضعف المجتمع وإنحطاطه، وفشله وتخلفه، وتغلّب الغزاة والطامعين على البلاد وتحكّمهم بأرواح العباد ومقدراتهم.

أفضل من عامة الصلاة والصيام، وإنّ البغضة حالقة[١] الدين، وفساد ذات البين، ولا قوّة إلّا بالله.

في الأرحام

ألا وأنظروا ذوي أرحامكم.. فصلوهم، يهوّن الله عليكم الحساب.

في الأيتام

والله الله[٢] في الأيتام، فلا تغيروا أفواههم[٣] ولا تضيّعوا من بحضرتكم، فقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: من عال[٤] يتيماً حتى يستغني[٥] أوجب الله له بذلك الجنّة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار.

وفي رواية: واتقوا الله في الأيتام والأرامل، وأحسنوا إليهم بما استطعتم، فإنّها وصيَّة النَّبيّ ﷺ..

في القرآن

والله الله في القرآن، لا يسبقكم إلى العمل به غيركم.

في الجيران

والله الله في جيرانكم، فإنّ رسول الله ﷺ أوصى بهم. وفي رواية النهج،

---

(١) الحالقة، هي الخصلة التي من شأنها أن تحلق، أي تهلك، وتستأصل الدين كما يستأصل الموس الشعر.

(٢) الله الله، الثانية للتأكيد، وذلك بمعنى أحذركم الله، أو خافوا الله، أو إتقوا الله.

(٣) في نصّ الكافي والتهذيب قال: فلا تغبوا أفواههم. أنظر أيضاً عبده، محمّد، شرح نهج البلاغة صفحة (٥٩٨) طبعة دار البلاغة بيروت. الطبريّ، محمّد جرير، تاريخ الأمم والملوك، الجزء (٣) صفحة (١٥٨) طبعة دار الكتب العلميَّة بيروت.

(٤) عال، بمعنى كفل وأنفق ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٦٣٧) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٥) يستغني، بمعنى حتى يحصل له الغنى ويتفي له الحاجة والعوز.

والله الله في جيرانكم فإنّهم وصيّة نبيكم مازال يوصي بهم حتى ظننا أنّه سَيُورِّثُهُم[١].

في المسجد

والله الله في بيتِ ربكم فلا يخلونّ منكم ما بقيتم فإنّه إن يُترك لم تناظروا[٢] وإنّ أدنى ما يرجع به من أمّه[٣] أن يُغفر له ما قد سلف.

توضيح: حثَّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) على التواجد في بيت الله وحذر من أن تركه موجبٌ لتعجيل حلول المصائب والرزايا بهم.

ولا شك أنّه (صلوات الله عليه) يريد بكلامهِ هذا خصوص أهل الإيمان والاستقامة من المسلمين.. ولا يريد به أهل المقالات الضالة، ولا الفسقة الفجرة، ولا أهل الظلم والنفاق والبغي والطغيان.

فإنّ تواجد أمثال هؤلاء في بيتِ الله لا يمنع من حلول الكوارث والرزايا..!!.

أوّلاً: لأنّ وجودهم في بيت الله كعدمهم.

ثانياً: لأنّ حضورهم في بيت الله، وهم على ما هم عليه قد يكون من موجبات اشتداد غضبه سبحانه وتعالى على الناس.

في الصلاة

والله الله في الصلاة، فإنّها خيرُ العمل، وإنّها عمود دينكم.

---

(١) عبده، محمّد، شرح نهج البلاغة، صفحة (٥٩٨)، طبعة دار البلاغة بيروت.

(٢) تناظروا، بمعنى لم ينظر إليكم باحترام وتقدير، ويظهر من كلمات الشارحين أن المقصود بالمسجد المسجد الحرام، وربّما كان المعنى يتعجل الانتقام منكم.

(٣) أمّه، يعني من حج البيت الحرام فإنّ الله تعالى يغفر له ذنوبه التي تقدمت.

في الزكاة

والله الله في الزكاة فإنّها تطفئ غضب الرّب.

في الصيام

والله الله في شهر رمضان فإنّ صيامه جنة من النار.

في الحج

ثُم الحج إلى بيت الله الحرام! فهو الشريعة التي بها أمرتم.

في الفقراء والمساكين

والله الله في الفقراء والمساكين فشاركوهم في معيشتكم.

في الجهاد

والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم[1] فإنّما يجاهد في سبيل الله رجلان، إمام هدى، ومطيع له مقتد بهداه.

في ذرية رسول الله

والله الله في ذرية نبيكم فلا يُظلمنّ بين أظهركم، وأنتم تقدرون على الدفع عنهم.

توضيح: إنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يريد أن يُلفت نظر الأمّة الإسلاميّة إلى أن هناك ذرية لرسول الله ﷺ يتوجب عليكم أن تحافظوا عليهم وهم حجج الله على العباد.. هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بالنّص القرآنيّ فهؤلاء سوف يكونون مقصداً للطغاة ولحكام الجور من أجل التخلّص منهم والقضاء عليهم فعليكم بنصرهم

(١) عبده، محمّد، شرح نهج البلاغة، صفحة (٥٩٨)، طبعة دار البلاغة بيروت.

والذّب عنهم وإلّا فإنّ الظلم والجور سوف يلحق جميع الناس، فلماذا خصّ الذريّة بالذكر، وألزم الناس كلهم حتى أبناءه بالدفاع عنها..

في أصحاب رسول الله

والله الله في أصحاب نبيّكم الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يؤوا مُحدثاً فإنّ رسول الله ﷺ أوصى بهم ولعن المحدث منهم ومن غيرهم والمؤوي للمحدث.

توضيح: هذا ردٌ واضح وصريح على المنطق المدعى الذي يقول بعدالة الصحابة وأن جميع أصحاب النَّبيّ ﷺ عدولاً.. فإنَّ هذا التصريح من الإمام (صلوات الله عليه) قد دلّ على أنّ في الصحابة الذين كانوا على قيد الحياة إلى سنة أربعين، وسيبقون من بعده ربّما إلى عشرات السنين من هو محدثٌ، أو من يؤوي المحدث، وأن لعنة رسول الله ﷺ واقعة على هؤلاء.. وأن وصيّة الرسول لا تشملهم.

في النساء

والله الله في النساء، وفيما ملكت أيمانكم[1] فإنّ آخر ما تكلم به نبيكم أن قال: أوصيكم بالضعفين، النساء، وما ملكت أيمانكم.

الصلاة خير العمل

الصلاة، الصلاة، الصلاة، لا تخافوا في الله لومة لائم يكفيكم الله من آذاكم وبغى عليكم

---

(١) قال الله تبارك وتعالى في كتابه المجيد ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ سورة النساء، الآية (٣).

واعتصموا بحبل الله

وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله عزّ وجلّ[١] ولا تتركنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيوليّ الله الأمر أشراركم، ثُمّ تدعون فلا يستجاب لكم.

عليكم يا بنيّ بالتواصل والتباذل[٢] والتبارّ[٣] وإياكم والنفاق، والتقاطع، والتدابر[٤] والتفرّق ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٥].

وفي رواية أنّه قال: يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً، تقولون: قتل أمير المؤمنين. ألا لا تقتلن بي إلّا قاتلي.

انظروا إذا أنا متّ من ضربته هذه، فاضربوه ضربةً بضربةٍ، ولا تمثلوا بالرجل؛ فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور.

حفظكم الله من أهلِ بيتٍ، وحفظ فيكم نبيّكم، أستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام[٦].

وفي رواية أعثم قال: قال (صلوات الله عليه): حفظكم الله يا أهل بيتي وحفظ فيكم سنّة نبيّه محمّد ﷺ وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

هذه الوصيَّة الشريفة رواها ثقة الإسلام الكلينيّ رحمه الله في كتابه الكافي[٧]

---

(١) قال الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ سورة البقرة، الآية (٨٣).

(٢) التباذل، من البذل وهو العطاء.

(٣) التبارّ، من البر وهو أن يبرّ أحدكم الآخر.

(٤) التدابر، وهو التقاطع والتمزق والتفرق.

(٥) سورة المائدة، الآية (٢).

(٦) الهلالي، سليم، كتاب سُليم بن قيس الهلالي، صفحة (٤٤٥)، طبعة دار الحوراء بيروت.

(٧) الكلينيّ، محمّد، أصول الكافي، الجزء (٧)، صفحة (٧٢-٧٣)، طبعة دار التعارف بيروت.

ورواها الشريف الرّضيّ رحمه الله في نهج البلاغة[١] ورواها أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين[٢] ورواها الأربلي رحمه الله في كشف الغمة[٣] ورواها الطبريّ في تاريخه[٤] ورواها الشيخ الطوسيّ رحمه الله في التهذيب[٥]، ورواها في من لا يحضره الفقيه[٦] ورواها الخوارزميّ في المناقب[٧] ورواها[٨] أغلب أهل السيرة والتاريخ مع تفاوتٍ يسير في الزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير.

ـ المطلب الخامس: إنّها والله الجنّة

بعد أن سمع الناس وصيّة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يئسوا من مولاهم، وقام لهم بكاء وعويل، فسكتهم الإمام الحسن (صلوات الله عليه) لكيلا تهيج النساء بالبكاء ويضطرب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فسكتوا.. وصاروا ينشجون[٩] نشيجاً خفيفاً، إلّا أنّ الأصبغ بن نباتة (رضوان الله عليه) شرق[١٠] بعبرته وبكى بكاءً عالياً، فأفاق أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من غشوته فقال: لا تبكِ فإنّها والله الجنّة.

---

(١) عبده، محمّد، شرح نهج البلاغة، صفحة (٥٩٨)، طبعة دار البلاغة بيروت.

(٢) الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبين، الجزء (٦) صفحة (١١).

(٣) الأربلي، علي، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، الجزء (٢) صفحة (٥٢)، طبعة شركة مكتبة الألفين.

(٤) الطبريّ، محمّد جرير، تأريخ الأمم والملوك، الجزء (٣)، صفحة (١٥٨)، طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

(٥) الطوسيّ، محمّد، تهذيب الأحكام، الباب (٦) من أبواب الوصيّة، طبعة دار التعارف بيروت.

(٦) الصدوق، محمّد، من لا يحضره الفقيه، باب رسم الوصيّة، طبعة دار التعارف بيروت.

(٧) الخوارزمي، الموفّق، المناقب، الجزء (١) صفحة (٣٤٦)، طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين قم.

(٨) المحمودي، محمّد، نهج السعادة، الجزء (٣) صفحة (١٧)، طبعة دار النعمان النجف.

(٩) نشج الباكي نشجاً ونشيجاً تردّد البكاء في صدره من غير انتحاب والنشيج الصوت المتردّد في الصدر جمعه نشج ويقال عبرة نشج، لها صوت ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٩٢١) طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(١٠) شرق، إمّا بمعنى ظهر، أي ظهرت عبرته، وإمّا بمعنى غصّ بعبرته ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٤٨٠)، طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

فقال: نعم يا أمير المؤمنين، وأنا أعلم والله أنّك تصير إلى الجنّة، وإنّما أبكي لفراقك يا سيّدي.

قال حبيب بن عمرو: فما أحببتُ أن الأصبغ يتكلّم بهذا الكلام مع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فأردتُ أن أرفع ما وقع في قلب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من كلام الأصبغ (رضوان الله عليه) فقلتُ: لا بأس عليك يا أبا الحسن فإنّ هذا الجرح ليس بضائرٍ، وما هو بأعظم من ضربة عمرو بن عبد ودّ، فإنّ البرد لا يزلزل الجبل الأصمّ[1] ولفحة الهجير[2] لا تجفّف البحر الخضم، واللّيث يضري[3] إذا خدش، والصل[4] يقوى إذا ارتعش..!!.

فنظر إليّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) نظرة رأفةٍ ورحمةٍ، وقال: هيهات يا ابن عمرو نفذ القضاء، وأبرم المحتوم، وجرى القلم بما فيه، وإنّي مفارقكم.

أمير المؤمنين يعزي ابنته زينب

فلمّا سمعت أم كلثوم كلام أبيها مع حبيب بن عمرو، بكت.

فقال لها أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): يا بنيّة لو رأيتِ مثل ما رأيتُ لما بكيتِ على أبيكِ.

قال حبيب: فقلتُ له: وما الذي ترى يا أمير المؤمنين؟

قال (صلوات الله عليه): يا حبيب أرى ملائكة السماوات، والنّبيّين،

---

(١) الأصمّ، ذو الصمم والذي لا يطمع فيه ولا يرد عن هواه والصلب المصمت ويقال: حلم أصم واسع لا يتزعزع وخطب أصم شديد ومكان أصم لا ينبت ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، صفحة (٥٢٤)، طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

(٢) الهجير، يعني الهواء السخن الذي يكون في وسط النهار.

(٣) ضرا، العرق أو الجرح ضرواً وضرواً بدا منه دم لا يكاد ينقطع والإناء ونحوه سال بما فيه من سائلٍ فلا يكاد ينقطع وفلان وغيره استخفى فهو ضار وضريّ ـ المصدر السابق صفحة (٥٣٩).

(٤) الصلّ، هي الحية من أخبث الحيات ـ المصدر السابق صفحة (٥٢١).

بعضهم في أثر بعض وقوفاً إليّ يتلقّوني، وهذا أخي محمّد رسول الله ﷺ جالسٌ عندي يقول: أقدم فإنّ أمامك خيرٌ لك مِمّا أنت فيه[١].

ـ المطلب السادس: الأشعث يتأكّد من قتل أمير المؤمنين

نقل ابن أبي الدنيا في كتابه ـ مقتل علي ـ قال: حدثنا عوانة بن الحكم، أن حجر بن عدي لمّا انصرف الناس من صلاة الغداة من مسجد الأشعث وكان حجر بن عدي إمامهم فلمّا سلّم قال الناس: ضرب أمير المؤمنين الليلة فنظر حجر إلى الأشعث فقال ألم أر ابن ملجم معك وأنت تناجيه تقول له: فضحك الصبح..؟

والله لو أعلم ذلك حقاً لضربت أكثرك شعراً.

فقال الأشعث: إنّك شيخ قد خرفت[٢].

ذكر المؤرخون في كتبهم أنّ الأشعث بن قيس بعث ابنه قيس بن الأشعث صبيحة اليوم الذي ضُرب به أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ليتأكّد هل أصيب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إصابة بالغة أم لا، قال الأشعث لولده قيس: أيْ بنيّ إذهب وانظر كيف أصبح الرجل، وكيف تراه..؟

فذهب ابن الأشعث فنظر إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فرجع إلى أبيه وقال له: رأيتُ عينيه داخلتين في رأسه.

فقال الأشعث: عينيْ دميغ[٣] ورب الكعبة[٤].

---

(١) الكورانيّ، علي، جواهر التاريخ الجزء (١) صفحة (٤٥٨)، طبعة أنوار الهدى قم، نقلاً عن الأنوار العلوية للنقدي صفحة (٣٣٢).

(٢) ابن أبي الدنيا، عبد الله، مقتل علي، الحديث، رقم (٢٤) طبعة دار البشائر بيروت.

(٣) دميغ، يقال: فلانا دمغا شجه حتى بلغت الشجة دماغه وأخرج دماغه فهو وهي دميغ ـ المصدر السابق صفحة (٢٩٦).

(٤) الزهريّ، محمّد بن سعد، الطبقات الكبرى، الجزء (٢) صفحة (٣٧)، طبعة دار صادر بيروت. الكورانيّ، علي، جواهر التاريخ الجزء (١) صفحة (٤٧٥)، طبعة دار أنوار الهدى قم، نقلاً عن أنساب الأشراف.

ـ المطلب السابع: لا تبغيا الدنيا

تقول الروايات بعد أن فرغ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من وصاياه العامة بدأ بوصاياه الخاصة وكانت أولى وصاياه للولديه الإمامين الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) دعاهما إليه وأوصاهما قائلاً:

أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا[1] الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زُوِيَ[2] عنكما، وقولا بالحقّ، وارحما اليتيم، وأعينا الضعيف، وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً، ولا تأخذكما في الله لومة لائم[3].

أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم؛ فإنّي سمعت جدكما ﷺ يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام.

وعن مولانا الإمام أبي جعفرٍ الباقر (صلوات الله عليه) أنّه قال: لمّا احتضر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) جمع بنيه حسناً، وحسيناً، وابن الحنفية، والأصاغر من ولده، فوصاهم وكان في آخر وصيته:

يا بنيّ، عاشروا الناس عِشرة إن غبتم حنوا إليكم.. وإن فقدتم بكوا عليكم..

يا بنيّ، إنّ القلوب جنود مجندة، تتلاحظ بالمودة، وتتناجي بها، وكذلك هي في البغض، فإذا أحببتم الرجل من غير خير سبق منه إليكم فارجوه، وإذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه إليكم فاحذروه[4].

---

(١) لا تبغيا: بمعنى لا تريدا.

(٢) زُوِيَ، منع.

(٣) عبده، محمّد، شرح نهج البلاغة صفحة (٥٩٧)، طبعة دار البلاغة بيروت. المناقب للخوارزميّ الجزء (١) صفحة (٣٤٦).

(٤) الأمالي للطوسي صفحة (٥٩٥).

وصيّته إلى محمّد بن الحنفية

ثُمّ نظر (صلوات الله عليه) إلى ولده محمّد بن الحنفيّة (رضوان الله عليه)، فقال له: هل سمعت ما أوصيتُ به أخويك؟ قال محمّد بن الحنفيّة (رضوان الله عليه): نعم.

قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك وتزيين أمرهما، ولا تقطعنّ أمراً دونهما.

توضيح:

إنَّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يطلب من ولده محمّد بن الحنفيَّة أن لا يقطع أمراً دون الحسنين (صلوات الله عليهما) فإنَّه وإنَّ كان رجلاً عاقلاً، له كامل الأهلية في تصرفاته وتحركاته إلّا أنّ هذا لا يعني استقلاليته المطلقة في اتخاذ القرارات، وتبني المواقف.. بل عليه أن يبقى خاضعاً لإرادتهما (صلوات الله عليهما)..

ولا شك ولا ريب أن الأخوّة من حيث هي لا تفرض هذه التابعية المطلقة بأيّ وجه من الوجوه إلّا أن تجد سبباً وجيهاً ومعقولاً.. وليس هو إلّا الإمامة الشرعية المفترضة من الله تبارك وتعالى، وخصوصاً مع ملاحظة قول المصطفى ﷺ في حقهما حيث قال: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا.

وصيّته للحسنين بابن الحنفيَّة

ثُمّ التفت أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى ولديه الحسنين (صلوات الله عليهما) وقال لهما:

أوصيكما به، فإنّه سيفكما، وابن أبيكما، وقد علمتما أن أبوكما كان يحبه فأكرماه واعرفا حقه[1].

---

(١) المسعودي، علي، مروج الذهب الجزء (٢) صفحة (٤٣٥)، طبعة دار القارئ بيروت. الأربلي، علي، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة صفحة (٥١)، طبعة شركة الألفين.

توضيح:

إنّ الإمامين الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) يعلمان بأنّ أباهما يحب أخاهما محمّداً.. وهذا يرتب عليهما حقاً لأبيهما.. يفترض فيهما (صلوات الله عليهما) أن يؤدياه إليه.

وهو أنّه من مفردات بر الولد بالوالد أن يحب من يحبه والده.. وأن يبغض من يبغضه الوالد.. والالتزام بهذا البر لا يعتبر من حقوق الوالد.

بل إنّ الالتزام بحب من يحبه الوالد يعتبر فضيلة للولد ولذا طلب (صلوات الله عليه) من الإمامين الحسنين (صلوات الله عليهما) أن لا تفوتهما هذه الفضيلة، فيبادرا إلى بر أبيهما بهذه الطريقة، بأن يحبا من يحبه (صلوات الله عليه).

توضيح ثاني:

إنَّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لم يخاطب من أولاده سوى ثلاثة هم: الإمام الحسن والإمام الحسين (صلوات الله عليهما) ومحمّد ابن الحنفية (رضوان الله عليه) فيرد السؤال التالي.

لماذا خصص أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وصيته لأبنائه هؤلاء دون غيرهم؟. أين العباس وإخوته..؟!!. وأين عمر الأطرف، وأبي بكر بن علي، وسائر ولده.. فلماذا لم يخاطب أحداً منهم..؟!

وفي مقام الإجابة يمكن القول:

إنَّ عدداً من ولد الإمام (صلوات الله عليه) كانوا صغاراً لم يبلغوا الحلم، أو كان إلى ذلك الحين لا يزال حملاً. كما ظهر من وصيته التي رواها مولانا أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه) حيث جاء فيها أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قد جمع الحسن والحسين ومحمّد بن الحنفيَّة والأصاغر من ولده..

وهذا يعني أنّه كان من بين أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من هو دون البلوغ.

أما العباس بن علي (صلوات الله عليه) فلم يكن قد بلغ الحلم حين استشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لأنّه ولد سنة ست وعشرين للهجرة، فيكون عمره أربعة عشر سنة.

وجعفر بن علي استشهد وهو ابن تسع وعشرون سنة في واقعة الطف فيكون عمره حين استشهاد أبيه تسع سنوات.

وعبد الله استشهد في واقعة الطف وهو ابن خمس وعشرين سنة، فيكون عمره حين شهادة أبيه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) خمس سنوات.

وعثمان بن علي (صلوات الله عليهما) فقد استشهد وهو ابن إحدى وعشرين سنة في واقعة الطف فيكون عمره حين استشهاد أبيه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) سنة.

عمر بن علي بن أبي طالب

وأما عمر بن علي فتقول بعض الروايات أنّه ولد في خلافة عمر بن الخطاب، وكان عمر هو الذي طلب من أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أن يفوض إليه تسميته.. فيكون حين استشهاد أبيه بالغاً.

وبعض الروايات تقول أنّه قد ولد بعده، كما صرّح بذلك ابن عنبة فيكون أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) هو الذي سماه.

والظاهر أنّه قد وقع الخلط بين عمر الأطرف، وعمر الأصغر وهو من شهداء الطف كما يروى.

وأما عمر الأطرف، فعاش خمساً وثمانين سنة، ولم يحضر كربلاء. وهو الذي نتحدث عنه.

وقد اختلفوا في أن العباس أكبر أم أخوه عمر، فكان ابن شهاب العكبري، وأبو الحسين الأشناني، وابن خداع يرون: أنّ عمر هو الأكبر، وشيخنا أبو الحسن شيخ الشرف والبغداديّون، يرون: أن عمر أصغر من العباس.

وعلى أي حال لو كان عمر الأطرف هذا بالغاً، فلعلّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لم يره أهلاً للخطاب.. كما أفصحت عنه الحوادث اللاحقة، فهو يُخطّئ أخاه الإمام الحسين (صلوات الله عليه) فيما جرى له في كربلاء.

وقد تخلّف عمر عن أخيه الحسين (صلوات الله عليه) ولم يسر معه إلى الكوفة، وكان قد دعاه إلى الخروج معه فلم يخرج.

ويقال: إنّه لمّا بلغه شهادة أخيه الحسين (صلوات الله عليه) خرج في معصفرات له، وجلس بفناءِ داره وقال: أنا الغلام الحازم، ولو أخرج معهم لذهبت في المعركة وقتلت..

وكان أول من بايع عبد الله بن الزبير، ثُمَّ بايع بعده الحجاج، وأراد الحجاج إدخاله مع الحسن بن الحسن في توليته صدقات أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فلم يتيسر له ذلك..[1].

ـ المطلب الثامن: وصيّة أمير المؤمنين لولده الحسن

روى الشيخ الطوسيّ رحمه الله في (الأماليّ)، والشيخ المفيد رحمه الله في (المجالس)، عن الإمام الحسن بن علي (صلوات الله عليهما) قال:

---

(١) العامليّ، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الإمام علي، الجزء (٣١) صفحة (٣٠) طبعة المركز الإسلاميّ للدراسات قم.

لمّا حضرت أبي الوفاة، أقبل يوصي، فقال: هذا ما أوصى به عليّ بن أبي طالب أخو محمّد رسول الله ﷺ وابن عمّه، وصاحبه.

أوّل وصيّتي أنّي أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله وخيرته، اختاره بعلمه، وارتضاه لخيرته، وأنّ الله باعثٌ من في القبور، وسائلُ الناس عن أعمالهم، عالمٌ بما في الصدور.

ثُمّ إنّي أوصيك يا حسن، وكفى بك وصيّاً، بما أوصاني به رسول الله ﷺ، فإذا كان ذلك يا بنيّ فالزم بيتك، وابكِ على خطيئتك، ولا تكن الدنيا أكبر همّك.

وأوصيك يا بنيّ بالصلاة عند وقتها، والزكاة في أهلها عند محلّها، والصمت عند الشبهة، والاقتصاد في العمل، والعدل في الرضا والغضب، وحسن الجوار، وإكرام الضيف، ورحمة المجهود وأصحاب البلاء، وصلة الرحم، وحبّ المساكين ومجالستهم، والتواضع، فإنّه من أفضل العبادة.

وقصّر الأمل، واذكر الموت، وازهد في الدنيا فإنّك رهن موت، وغرض بلاء، وصريع سقم.

وأوصيك بخشية الله في سرّ أمرك وعلانيتك، وأنهاك عن التسرّع بالقول والفعل، وإذا عرض شيء من أمر الآخرة فابدأ به، وإذا عرض شيء من أمر الدنيا فتأنّ حتى تصيب رشدك فيه.

وإياك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء، فإنّ قرين السوء يضرّ جليسه، وكنّ لله يا بنيّ عاملاً، وعن الخنا زجوراً، وبالمعروف آمراً، وعن المكر ناهياً، وواخِ الإخوان في الله، وأحبّ الصالح لصلاحه، ودارِ الفاسق عن دينك، وأبغضه بقلبك، وزايله بأعمالك، لئلّا تكون مثله.

وإيّاك والجلوس في الطرقات، ودفع المماراة، ومجاراة من لا عقل له ولا علم، واقتصد يا بنيّ في معيشتك، واقتصد في عبادتك، وعليك فيها

بالأمر الدائم الذي تطيقه، والزم الصمت تسلم، وقدّم لنفسك تغنم، وتعلّم الخير تعلم، وكن لله ذاكراً على كلّ حال، وإرحم من أهلك الصغير، ووقّر منهم الكبير، ولا تأكلنّ طعاماً حتى تصدّق منه قبل أكله، وعليك بالصوم، فإنّه زكاة الأبدان وجُنّة لأهله، وجاهد نفسك، وإحذر جليسك، واجتنب عدوّك، وعليك بمجالسِ الذكر، وأكثر من الدعاء، فإنّي لم آلك يا بنيّ نصحاً وهذا فراق بيني وبينك..

وأوصيك بمحمّد خيراً، فإنّه شقيقك، وابن أبيك، وقد تعلم حبّي له.

وأما أخوك الحسين.. فهو ابن أمك.. ولا أريد الوصاية بذلك.

والله الخليفة عليكم.. وإياه أسأل أن يصلحكم.. وأن يكفّ الطغاة البغاة عنكم.. والصبر الصبر حتى يُنزل الله الأمر.. ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم[1].

توضيح:

من الملاحظ أنّه (صلوات الله عليه) لم يوجه كلاماً خاصاً بالإمام الحسين (صلوات الله عليه) سوى ما خاطبه به بالاشتراك مع أخيه الإمام الحسن (صلوات الله عليه) تجاه أخيهما محمّد.

وقد كان معظم كلامه (صلوات الله عليه) موجهاً إلى الإمام الحسن (صلوات الله عليه) رعاية لموقع الإمامة الفعلية فيه من بعده.

أما وصيّته (صلوات الله عليه) لولده الإمام الحسن (صلوات الله عليه) بالإمام الحسين (صلوات الله عليه) فلإنا الإمام الحسين (صلوات الله عليه) له

---

(١) الطوسيّ، محمّد، الأمالي، صفحة (٨)، طبعة دار الثقافة قم. المفيد، محمّد، أمالي المفيد، صفحة (٢٢٢)، طبعة انتشارات كنگره جهانى شيخ مفيد قم. المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢)، صفحة (٢٠٢)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت. المحموديّ، محمّد باقر، نهج السعادة الجزء (٩)، صفحة (١٢٨)، طبعة دار النعمان النجف.

ميزة تفرض على الإمام الحسن (صلوات الله عليه) أن يضاعف من حبه لأخيه، لينال بذلك فضيلتين:

الأولى: يكون الإمام الحسن (صلوات الله عليه) بحبه للحسين قد برَّ أباه (صلوات الله عليه) لأنّ أباه يحب الإمام الحسين (صلوات الله عليه).

الثانية: يكون الإمام الحسن (صلوات الله عليه) بحبه للحسين قد برَّ أمّه السيّدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) لأنّ الزهراء (صلوات الله عليها) كانت تحب ولدها الحسين (صلوات الله عليه) أيضاً.. وقد أشار إليه بذلك حيث قال: فهو ابن مك.

وفي رواية رواها عقبة بن أبي الصهباء قال: لمّا ضَرب ابن ملجم علياً (صلوات الله عليه) دخل عليه الحسن (صلوات الله عليه) وهو باكٍ، فقال له: ما يبكيك يا بنيّ..؟!.

قال: وما لي لا أبكي.. وأنت في أوّل يوم من الآخرة، وآخر يوم من الدنيا..؟!.

فقال: يا بنيّ، إحفظ أربعاً وأربعاً، لا يضرك ما عملت معهن.

قال: وما هن يا أبة..؟!.

قال: إنّ أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الحسب الكرم وحسن الخلق.

قال: قلت: يا أبة هذه الأربع، فأعطني الأربع الأخر.

قال: إيّاك ومصادقة الأحمق؛ فإنّه يريد أن ينفعك فيضرك، وإيّاك ومصادقة الكذاب؛ فإنّه يقرب إليك البعيد ويبعد عليك القريب، وإيّاك

ومصادقة البخيل؛ فإنّه يقعد عنك أحوج ما يكون إليه، وإيّاك ومصادقة الفاجر؛ فإنّه يبيعك بالتافه[١].

وفي رواية أخرى قال للحسن: أوصيك أيّ بنيّ بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء؛ فإنّه لا صلاة إلّا بطهورٍ، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش[٢].

(١) تاريخ مدينة دمشق الجزء (٤٢) صفحة (٥٦١ و ٥٦٢).
(٢) الطبريّ، محمّد، تاريخ الأمم والملوك الجزء (٤) صفحة (١١٣) طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت.

الفصل الثالث

أحداث الليلة العشرين من شهر رمضان

وفيه جملة من المطالب:

ـ المطلب الأوّل: سلوني قبل أن تفقدوني

قال محمّد بن الحنفيّة (رضوان الله عليه): بتنا ليلة العشرين من شهر رمضان المبارك مع أبي (صلوات الله عليه) وقد نزل السمّ إلى قدميه، وكان تلك الليلة يصلّي من جلوس، وهو يعزينا على نفسه، ويوصينا بما هو أهله من أفعال الخيرات، واجتناب الشرور، ويكثر من ذكر الله تعالى، وقول: «لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم».

فلمّا أصبحنا أقبل الناس يعودونه، ويسلّمون عليه، وهو يردّ عليهم ويكلمهم، ثُمّ قال:

أيّها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، وخففوا سؤالكم، لمصيبة إمامكم.

قال: فبكى الناس بكاءً شديداً وأشفقوا أن يسألوه تخفيفاً[1].

---

(١) ومن جملة معجزاته(*) (صلوات الله عليه)، هو خصوص تكلّمه مع أنّه كان مجروحاً، جرحاً عميقاً، =

(*) في مصطلحات علم الكلام يقولون: المعجزة هي الأمر الخارق لقانون الطبيعة والعادة مع إدّعاءٍ للنبوّة، أما إذا حصل الأمر الخارق لقانون الطبيعة والعادة من غير إدّعاءٍ للنبوّة فهذا يسمى كرامة وليس معجزة.

حجر بن عدي يرثي أمير المؤمنين

ثُمَّ قام الصحابيَّ الجليل حجر بن عدي الطائيَّ (رضوان الله عليه)، ووقف بين يدي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وأنشد يرثيه بهذه الأبيات قائلاً:

يا أسفي على المولى التقيّ أبي الأطهار حيدرة الزكي
قتيلاً قد غدا بحسام نغل لعينٍ فاسقٍ رجسٍ شقيّ
فيلعن ربّنا من حاد عنكم ويبرء منكم لعنا وبيّ
لأنكم بيوم الحشر ذخري وأنتم عترة الهادي النَّبيّ

فلمّا بصر به أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وسمع شعره قال له: كيف بك يا حجر إذا دُعيت إلى البراءة مني..؟. فما عساك تقول..؟

فقال حجر (رضوان الله عليه): والله يا أمير المؤمنين لو قُطّعتُ بالسيف إرباً إربا، وأضرم لي النار وألقيت فيها لأثرت ذلك على البراءة منك..!!

فقال له أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): وفّقت لكل خيرٍ يا حجر، جزاك الله خيراً عنّا أهل البيت.

= مسموماً، على أثر ضربة ابن ملجم الملعون، بحيثُ أنه ضربه ضربة وصلت إلى حاجبه، وفلقت هامته المقدّسة، وحسب القاعدة المتعارف عليها، كان من المفروض أن يفقد حواسه وإدراكاته، ويصبح غير قادر على النطق والكلام أبداً، بل لا يشعر بأيّ شيء أصلاً، إلّا أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مع ذلك كله كان يتكلّم بكلام حسن، يأخذ بالألباب، فكان هذا الأمر إحدى معجزاته (صلوات الله عليه) أما الجرح الآخر الذي أصاب جميع أعضاء بدنه، هو سريان السمّ في أعضاء بدنه الشريف من أثر ضربة ابن ملجم لعنه الله، حيث أنّ الملعون سمّم سيفه بألف دينار، وهوى بذلك السيف المسموم على فرق رأسه المبارك، فأثّر ذلك السمّ في الإمام (صلوات الله عليه) وسرى من رأسه إلى رقبته وتمام بدنه وأطرافه.

لذا، فمن الأعمال المناسبة في هذه الأيام حيثُ الإمام طريح الفراش يعاني من ألم الجرح والسم، عيادته على فراش المرض، وأيضاً توديعه والسلام عليه بسلام خاص يليق بحضرة الإمام (صلوات الله عليه) ـ التستري جعفر ـ فوائد المشاهد ـ صفحة (١٥٨)، طبعة دار الحوراء بيروت.

ثُمّ تناول أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) شربة من لبن، فشربها، وقال: هذا آخر شرابي من الدنيا[١].

ـ المطلب الثاني: خففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم.

في صباح اليوم العشرين من شهر رمضان المبارك، كانت الوفود تدخل على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لتسلّم عليه وليعودوه، وهو يردّ عليهم، ويقول: سلوني قبل أن تفقدوني.

وكان الإمام الحسن بن علي (صلوات الله عليهما) يردّد على مسامع الناس الحاضرين قائلاً: سلوه قبل أن تفقدوه، وخففوا سؤالكم عنه.

فما زال الناس يسألون أمامهم (صلوات الله عليه) عمّا يريدون، وهو (صلوات الله عليه) يجيبهم ويعلّمهم كثيراً من الأحكام، ويبيّن لهم من مسائل أصول الدين والشريعة ومفاهيم الإسلام ويوعظهم بما يزجرهم من ارتكاب الآثام.

وكان الصحابيّ الجليل عبد الله بن عباس (رضوان الله عليه) حاضراً عند أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، يقول ابن عباس (رضوان الله عليه): كان في نفسي أن أسأله عن سبعين مسألة، وأنا مشفق عليه، لما أرى ما به، فما شعرت به إلّا وقد قال لي: يا ابن العم عندك مسائل تريد أن تسألني عنها..؟

قلتُ: نعم.

فاحتوى على ما في نفسي وشرح لي عن كل مسألة...[٢].

---

(١) الكورانيّ، علي، جواهر التاريخ، الجزء (١)، صفحة (٤٥٨)، طبعة دار الهدى قم. منتهى الآمال، الجزء (١)، صفحة (٢٥١)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت. شبر، عبد الله، جلاء العيون، صفحة (٢٢٤)، طبعة دار المرتضى بيروت.

(٢) الخطي، علي، مجموعة وفيّات الأئمة، صفحة (٦١)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

أمير المؤمنين يتحدّث

ذكر جماعة من أهل النقل والأخبار بأسانيد معتبرة عن مولانا أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) عن أبيه مولانا أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه)، عن أبيه مولانا الإمام علي بن الحسين زين العابدين (صلوات الله عليهما) أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) بعد أن ضربه عبد الرحمن بن ملجم، وقد حفّ به القوّاد وقيل له: يا أمير المؤمنين أوصِ، فقال:

أثنوا ليّ الوسادة، فثنيت له، فقال:

الحمد لله قدره[١] متّبعين أمره[٢] وأحمده كما أحب، ولا إله إلّا الله الواحد الأحد، الفرد الصمدّ كما انتسب[٣].

أيّها الناس، كل امرئ ملاقيه[٤] ما يفرّ منه في فراره، الأجل تُسَاقُ[٥] النفس إليه، والهرب منه موافاته[٦] كم طَرَدتُ[٧] الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر، فأبى الله عزّ ذكره إلّا إخفاءه، هيهات، علمٌ مكنون مخزون.

---

(١) أي: الحمد لله حقّ قدره.

(٢) الحمد لله على اتباع أمره.

(٣) كما انتسب، أي كما نسب نفسه جلّا وعلا في سورة التوحيد

(٤) وفي رواية [كل امرئ لاقٍ في فراره ما منه يفرّ] إشارة إلى الأمور الحتّمية كالموت ومنها قول الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ سورة الجمعة، الآية (٨).

(٥) والأجل تساق إليه النفس، ما يساق إلى النفس زمان السوق، والأجل الموت.

(٦) من حمل اللازم على الملزوم، لأنّ الإنسان ما دام يهرب من الموت بالحركات والتصرّفات فهي تفني عمره، فكان الهروب من الموت موافاته.

(٧) واطّرد الأمر، بمعنى تبع بعضه بعضا وجرى، والمعنى: إنّي جمعتُ أسرار حوادث الأيام وغرائبها في ذهني وخفي عنكم لضعف عقولكم

أما وصيّتي فالله لا تشركوا به شيئاً[١] ومحمّد ﷺ فلا تضيعوا سنته، أقيموا هذين العمودين[٢] وأوقدوا هذين المصباحين، وخلاكم ذَمٌّ[٣] ما لم تشردوا[٤] وحمل كل امرئ منكم مجهوده، وخففَ عن الحَمَلَة ربٌّ رحيم[٥]، ودين قويم، وإمام عليم.

أنا بالأمس صاحبكم.. وأنا اليوم عبرة لكم.. وغداً مفارقكم.. غفر الله لي ولكم..

إن تُثبتِ الوطأة[٦] في هذه المزلّة فذاك المراد، وأن تدحض القدم فإنّا كنّا في أفياء أغصان وذرى[٧] ومهابّ رياح، وتحت ظلّ غمام أضمحلّ في الجو متلفّقها[٨] وعفا في الأرض مخطّها[٩] وإنّما كنتُ جاراً جاوركم بدني أياماً، وستعقبون منّي جثة خَلَاءً ساكنةً بعد حراك، وكاظمة[١٠] وصامتة بعد نطق، ليعظكم هُدُوّي، وخفوت إطراقي[١١]، وسكون أطرافي، فإنّه أوعظ أمري من النطق[١٢]

---

(١) وفي رواية [فأن لا تشركوا بالله جلّ ثناؤه شيئاً]

(٢) العمودان، التوحيد والنبوّة

(٣) خلّاكم ذم، أي أعذرت وسقط عنك الذم.

(٤) ما لم تشردوا، أي تتفرقوا في الدين.

(٥) وفي رواية [وخفّف عن الجهلة ربٌّ رحيم]

(٦) كناية عن البرء من الأمراض والأسقام

(٧) الذرى، إسمٌ لما ذرّته الرياح، شبه ما فيه الإنسان في الدنيا من الأمتعة بما ذرّته الرياح في عدم الثبات وقلة الإنتفاع.

(٨) متلفّقها، بكسر الفاء أي ما انتظم واجتمع من متفرقات الغمام، وفي رواية المسعودي يقول: [كنا في إعصار ذي رياح، تحت ظل غمامة إضمحلّ راكدها، فمحطها من الأرض حياً، وبقي من بعدي جُثةً جأواء، ساكنة بعد حركة، كاظمة بعد نطق، ليعظكم هدوئي، وجفوت أطرافي، إنّه أوعظ لكم من نطق البليغ، ودّعتكم وداع إمرئ مرصد لتلاق، وغدٌ ترون ويكشف عن ساق، عليكم السلام إلى يوم المرام..] المسعودي، علي مروج الذهب الجزء (٢) صفحة (٤٤٦)، طبعة دار القارئ بيروت.

(٩) مخطّها، أي ما يحدث في الأرض من الخط الفاصل بين الظل والنور.

(١٠) الكظوم، السكوت، وخفت الصوت سكن.

(١١) الأطراق، لعلّ المراد به الحركات والضربات.

(١٢) وفي رواية [فإنّه أعوظ لكم من الناطق البليغ]

البليغ، والقول المسموع، ودّعتكم ووداعي لكم وداع مرصد للتلاقي، غداً ترون أيامي، ويكشف الله عزّ وجلّ لكم عن سرائري، وتعرفونني بعد خلوّ مكاني، وقيام غيري مقامي.

فإن أبقى فأنا وليّ دمي، وإن أفنى فالفناء ميعادي، العفو لي قربة، ولكم حسنة، فاعفوا وأصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم..؟. فيا لها حسرة على كلّ ذي غفلة، أن يكن عمره عليه حجة، أو توديه أيّامه إلى النار شقوة.

جعلنا الله وإيّاكم ممّن لا تقتصر به عن طاعة الله رغبة، أو تحلّ به بعد الموت نقمة، فإنّما نحن له وبه.

ثُمّ أقبل علينا يوصينا، وقال لولده الحسن (صلوات الله عليه): يا بنيّ ضربةً مكان ضربة ولا تأثم[(١)(٢)].

وزاد ابن عساكر في تاريخه قوله (صلوات الله عليه):

عش ما بدا لك قصرك الموت ... لا مرحل عنه ولا فوت
بينا غنى بيت وبهجته ... زال الغنى وتقوض البيت
يا ليت شعري ما يراد بنا ... ولقل ما يجدي لنا ليّ[(٣)]

وصيّةُ أمير المؤمنين بابن ملجم

ذكر المؤرّخون وأهل التحقيق أنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بعد أن ضربه ابن ملجم كان يوصي أبناءه بقاتله.

فقد روي أنّه لمّا وقف ابن ملجم بين يدي أمير المؤمنين (صلوات الله

---

(١) لا تأثم، يحتمل فيه وجهين: أوّلاً، أن تكون اللام للنفي أي لا تأثم في الزيادة. وثانياً، أن تكون للنهي ويكون محمولاً على ترك الأولى أو أنّك تكون عند الناس منسوباً إلى الإثم.

(٢) شبّر، عبد الله، جلاء العيون، صفحة (٢١٠)، طبعة دار المرتضى بيروت، نقلاً عن الكليني والسيّد ابن طاووس (رحمهما الله). المسعودي، علي، مروج الذهب الجزء (٢) صفحة (٤٤٦)، طبعة دار القارئ بيروت. الخطي، علي، مجموعة وفيّات الأئمّة، صفحة (٦١)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

(٣) أنظر تاريخ مدينة دمشق الجزء (٤٢) صفحة (٥٦٢).

عليه) في المسجد الأعظم إلتفت أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى ولده الحسن (صلوات الله عليه) وقال له: يا بنيّ إرفق بأسيرك، وإرحمه وأشفق عليه، ألا ترى إلى عينيه قد صارتا في أمّ رأسه، وقلبه يرجف خوفاً.

فقال له الحسن (صلوات الله عليه): يا أبتِ قد قتلك هذا اللعين وأفجعنا فيك وأنت تأمرنا بالرفق به..؟!.

فقال (صلوات الله عليه): يا بنيّ، نحن أهل بيت الرحمة والمغفرة، فأطعمه مِمّا تأكل، وأسقه مِمّا تشرب، فإن أنا متّ فاقتصّ منه بأن تقتله ثُمّ تحرقه بالنّار ولا تمثّل بالرجل، فإنّي سمعتُ جدّك ﷺ يقول: إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور، وإن أنا عشت فأنا أعلم ما أفعل به، وأنا أولى بالعفو، فنحن أهل بيتٍ لا نزداد على المذنب إلينا إلّا عفواً وكرماً..[1].

وقد أراد بعضهم أن يقتصّ من قبيلة مراد بأجمعها فقال: يا أمير المؤمنين خلْ بيننا وبين مراد فلا تقوم لهم زاعبة أو راعبة أبداً..

إلّا أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لم يرضى بذلك أبداً.. بل كان يقول: النفس بالنفس، والجروح قصاص..

وكان (صلوات الله عليه) يردّد على مسامع أهل بيته وأصحابه قائلاً: يا بني عبد المطّلب لا ألفينّكم تخوضون دماء المسلمين تقولون: قتل أمير المؤمنين.. قتل أمير المؤمنين..!! ألا لا يُقتلنّ إلّا قاتلي، وقد نهاهم عن المثلة ولو بالكلب العقور[2].

وفي رواية قرب الإسناد أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قال للحسن والحسين (صلوات الله عليهما): إحبسوا هذا الأسير وأطعموه وأُسقوه وأحسنوا

---

(١) شبر، عبد الله، جلاء العيون، صفحة (٢٢٢)، طبعة دار المرتضى بيروت.

(٢) الطبريّ، محمّد جرير، تاريخ الأمم والملوك، الجزء (٣)صفحة (١٥٨)، طبعة دار الكتب العلميّة بيروت. الرشهريّ، محمّد، موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة والتاريخ الجزء (٨) صفحة (٧٧)،طبعة دار الحديث قم.

أساره، فإن أصحّ وعشتُ فأنا ولي دمي وأنا أولى بما صنع بي، وإن شئت استنفذت وإن شئت عفوت وإن شئت صالحت، وإن متّ فذلك إليكم فإن بدا لكم أن تقتلوه فلا تمثلوا به[1].

وروى أبو عثمان المازني أنّه (صلوات الله عليه) قال:

تلكم قريش تمناني لتقلني فلا وربك ما فازوا وما ظفروا

فإن بقيت فرهن ذمتي لهم بذات ودقين لا يعفو لها أثر

وإن هلكت فإنّي سوف أوترهم ذل الممات فقد خانوا وقد غدروا[2]

فقد روى الحاكم في المستدرك أنّه (صلوات الله عليه) أوصى أولاده بابن ملجم فقال: أحسنوا إليه فإن أعش فهضمٌ أو قصاص، وإن أمتّ فعاجلوه فإنّي مخاصمه عند ربّي عزّ وجلّ.

وفي رواية ثانية أنّه قال: إصنعوا به ما صنع رسول الله ﷺ برجلٍ جعل له على أن يقتله فأمر أن يُقتل ويحرق بالنار..[3].

ـ المطلب الثالث: إسلام جماعة من اليهود

تقول الرواية: وجاء جماعة من اليهود، فاستأذنوا على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في تلك الساعة، فأذن لهم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بالدخول، فدخلوا عليه، وأسلموا على يديه، فأخبرهم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) عن كثيرٍ من الأحكام الشرعية والمفاهيم الإسلاميّة.

وقد سُئلوا عن سبب إسلامهم..؟

فقالوا: إنّنا رأينا الساعة أنّ المياه قد تكدّرت، والهواء قد سكن، والجوّ

---

(١) الحميري عبد الله ـ قرب الإسناد ـ صفحة (٨)، طبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم.

(٢) ابن شهر آشوب، محمّد، مناقب آل أبي طالب، صفحة (٨٥٤)، طبعة دار المرتضى بيروت.

(٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة الجزء (٢) صفحة (٥٣٤)، طبعة دار التعارف بيروت.

قد إسودّ، والبهائم قد صفّت آذانها، والسحاب قد أقبل على داره، والطّير قد رفرف على بيته، فعلمنا أنّه وصيّ نبيّ، وذلك مكتوبٌ في التوراة[١].

ـ المطلب الرابع: مجددا مع الأصبغ

ورد عن الصحابيّ الجليل الأصبغ بن نباتة (رضوان الله عليه) قال: لمّا ضُرب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الضربة التي مات فيها كنا عنده ليلاً، فأغمي عليه، فأفاق فنظر إلينا.

فقال: ما يجلسكم..؟

فقلنا: حبّك يا أمير المؤمنين.

فقال: أما والذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام والإنجيل على عيسى عليه السلام والزبور على داوود عليه السلام، والفرقان على محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، لا يحبني عبدٌ إلّا رآني حيثُ يسرُّه، ولا يبغضني عبدٌ إلّا رآني حيثُ يكرهه.

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني أنّي أُضرب في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان، في الليلة التي مات فيها موسى عليه السلام، وأموت في ليلة إحدى وعشرين تمضي من شهر رمضان، في الليلة التي رُفع فيها عيسى عليه السلام[٢].

---

(١) الخطيّ، علي، مجموعة وفيّات الأئمة، صفحة (٦٢)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

(٢) الكورانيّ، علي، جواهر التاريخ الجزء (١) صفحة (٤٥٩)، طبعة دار أنوار الهدى قم، نقلاً عن شرح الأخبار الجزء (٢) صفحة (٤٤٦).

الفصل الرابع

أحداث يوم العشرين من شهر رمضان

وفيه جملة من المطالب.

ـ المطلب الأوّل: زينب تسأل عن حديث أم أيمن[1]

روى أصحاب المجامع الحديثية حديثاً ذكره الشيخ الأجلّ أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القميّ رحمه الله في كتابه الجليل المشهور (كامل الزيارات) يصل سنده إلى قدامة بن زائدة عن زائدة عن الإمام علي بن الحسين (صلوات الله عليه) عن زينب ابنة عليّ (صلوات الله عليه) في حديثٍ طويل..

تقول السيّدة الجليلة زينب ابنة أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما): فلمّا ضُرب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ورأيتُ عليه أثر الموت منه، قلتُ له: يا أبه، حدثتني أم أيمن بكذا وكذا وقد أحببتُ أن أسمعه منك.

فقال: يا بنيّة الحديث كما حدثتكِ أم أيمن.

ثُمَّ قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مخاطباً ابنته الحوراء (سلام الله عليها):

وكأنّي بكِ.. ونساءِ أهلكِ.. سبايا بهذا البلد أذلّاء خاشعين.. تخافون

---

(١) انظر ترجمتها: صفحة (٥٩٨).

أن يتخطفكم الناس، فصبراً صبراً.. فوالذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، ما لله على ظهر الأرض يومئذٍ وليٌّ غيركم، وغير محبيكم وشيعتكم.

ولقد قال لنا رسول الله ﷺ حين أخبرنا بهذا الخبر: إنّ إبليس ـ لعنه الله ـ في ذلك اليوم يطيرُ فرحاً، فيجول الأرض بشياطينه وعفاريته، فيقول: يا معشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية، وأورثناهم النار، إلّا من اعتصم بهذه العصابة، فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم وحملهم على عداوتهم وإغرائهم بهم وأوليائهم حتى تستحكم ضلالة الخلق وكفرهم ولا ينجو منهم ناجٍ، ولقد صدق عليهم إبليس وهو كذوب إنّه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح، ولا يضرّ مع محبتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر.

قال زائدة: ثُمّ قال عليّ بن الحسين (صلوات الله عليه) بعد أن حدثني بهذا الحديث: خذه إليك ما لو ضربت في طلبه آباط الإبل حولاً لكان قليلاً[1].

ـ المطلب الثاني: حديث أم أيمن كاملاً

وإليك فيما يلي نص حديث أم أيمن (رضوان الله عليها) كاملاً كما رواه الشيخ جعفر بن محمّد بن قولويه القميّ رحمه الله في كتابه الشهير (كامل الزيارات).

بسند طويل يصل إلى الراوي الجليل قدامه بن زائدة، قال: حدثني أبي، قال: قال عليّ بن الحسين (صلوات الله عليه): بلغني يا زائدة أنّك تزور قبر أبي عبد الله الحسين (صلوات الله عليه) أحياناً.

فقلتُ: إنّ ذلك لكما بلغك.

فقال لي: فلماذا ذا تفعل ذلك..؟

---

(١) القميّ، جعفر، كامل الزيارات، صفحة (٤١٥)، الحديث رقم (٤٤٥)، طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ، قم.

ولك مكانٌ عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا، والواجب على هذه الأمّة من حقّنا!!

فقلتُ: والله ما أريد بذلك إلّا الله ورسوله، ولا أحفل بسخط من سخط، ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه.

فقال: والله إنّ ذلك لكذلك..؟!

فقلتُ: والله إنّ ذلك لكذلك.

يقولها ثلاثاً، وأقولها ثلاثاً

فقال: أبشر، ثُمّ أبشر، ثُم فلأخبرنّك بخبرٍ كان عندي في النخب المخزون.

فإنّه لمّا أصابنا بالطف ما أصابنا، وقتل أبي (صلوات الله عليه) وقتل من كان معه من ولده، وإخوته، وسائر أهله، وحُملت حرمه ونساءه على الأقتاب، يراد بنا الكوفة، فجعلتُ أنظر إليهم صرعى، ولم يواروا، فعظم ذلك في صدري، واشتدّ لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبينت ذلك مني عمتي زينب الكبرى (سلام الله عليها) بنت عليّ (صلوات الله عليه) فقالت: مالي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدي وأبي وإخوتي..؟

فقلتُ: وكيف لا أجزع وأهلع..!!! وقد أرى سيّدي، وإخوتي، وعمومتي، وولد عمي، وأهلي، مضرجين بدمائهم، مرملين بالعرى، مُسلّبين لا يكفنون، ولا يوارون، ولا يعرج عليهم أحد، ولا يقربهم بشر، كأنّهم أهل بيتٍ من الديلم والخرز..؟!!.

فقالت: لا يجزعنّك ما ترى، فوالله إنّ ذلك لعهد من رسول الله ﷺ إلى جدك، وأبيك، وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمّة، لا تعرفهم فراعنة هذه الأمّة وهم معروفون في أهل السماوات أنّهم يجمعون الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة، وينصبون لهذا الطف علماً لقبر

أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيام وليجتهدنّ أئمّة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلّا ظهوراً وأمره إلّا علوّاً.

فقلتُ: وما هذا العهد وما هذا الخبر..؟

فقالت: حدثتني أم أيمن، أنّ رسول الله ﷺ زار منزل فاطمة (سلام الله عليها)، في يوم من الأيام، فعملت له حريرة، وأتاه عليّ (صلوات الله عليه) بطبقٍ فيه تمر.

ثُمّ قالت أم أيمن: فأتيتهم بعسٍ فيه لبن وزبد، فأكل رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) من تلك الحريرة، وشرب رسول الله ﷺ وشربوا من ذلك اللبن، ثُمّ أكل وأكلوا من ذلك التمر والزبد، ثُمّ غسل رسول الله ﷺ يده، وعليّ يصبّ عليه الماء، فلمّا فرغ من غسل يده مسح وجهه ثُمّ نظر إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) نظراً عرفنا به السرور في وجهه، ثُمّ رمق بطرفه نحو السماء ملياً، ثُمّ وجه وجهه نحو القبلة وبسط يديه ودعا، ثُمّ خرّ ساجداً وهو ينشج، فأطال النشوج، وعلا نحيبه، وجرت دموعه، ثُمّ رفع رأسه وأطرق إلى الأرض، ودموعه تقطر كأنّها صوب المطر، فحزنت فاطمة وعليّ والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) وحزنتُ معهم، لما رأينا من رسول الله ﷺ، وهبناه أن نسأله، حتى إذا طال ذلك قال له عليّ وقالت له فاطمة: ما يبكيك يا رسول الله..؟

لا أبكى الله عينيك فقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك.

فقال: يا أخي سررتُ بكم [وقال مزاحم بن عبد الوارث في حديثه ها هنا: فقال: يا حبيبي]

إنّي سررتُ بكم سروراً ما سرورتُ مثله قط، وإنّي لأنظر إليكم، وأحمد الله على نعمته فيكم.

إذ هبط عليّ جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمّد إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع على ما في نفسك، وعرف سرورك بأخيك، وابنتك، وسبطيك، فأكمل لك النعمة، وهنّاك العطيّة، بأنّه جعلهم وذرياتهم ومحبّيهم وشيعتهم معك في الجنّة، لا يفرّق بينك وبينهم، يحبون كما تحبى، - وفي نسخة [يحيون كما تحي] (وما هو في المتن هو الأنسب وهو من الحباء وهو العطاء) ويعطون كما تعطى، حتى ترضى، وفوق الرضا على بلوى كثيرة تنالهم في الدنيا ومكاره تصيبهم بأيدي أناسٍ ينتحلون ملتك ويزعمون أنّهم من أمّتك، برءا من الله ومنك.

خبطاً خبطاً وقتلاً قتلاً، شتى مصارعهم، نائيةً قبورهم، خيرةً من الله لهم ولك فيهم، فاحمد الله عزّ وجلّ على خيرته وارض بقضائه.

فحمدتُ الله ورضيتُ بقضائه بما اختاره لكم.

ثُمّ قال لي جبرائيل عليه السلام: يا محمّد، إنّ أخاك مضطهد بعدك، مغلوب متعوب من أعدائك، ثُمّ مقتول بعدك، يقتله أشرّ الخلق والخليقة، وأشقى البرية، يكون نظير عاقر الناقة، ببلدٍ تكون إليه هجرته وهو مغرس شيعته وشيعة ولده، وفيه على كل حال يكثر بلواهم ويعظم مصابهم وإنّ سبطك هذا ـ وأومأ بيده إلى الحسين (صلوات الله عليه) ـ مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك، وأخيار أمّتك بضفة الفرات بأرض يُقال لها كربلاء من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريتك في اليوم الذي لا ينقضي كربه ولا تفنى حسرته، وهي أطيب بقاع الأرض، وأعظمها حرمة، وإنّها بطحاء الجنّة، فإذا كان ذلك اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله وأحاطت به كتائب الكفر واللعنة تزعزعت الأرض من أقطارها، ومادت الجبال وكثر

اضطرابها، واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السماوات بأهلها غضباً لك يا محمّد ولذريتك، واستعظاماً لما يُنتهك من حرمتك ولشرّ ما تكافي به في ذريتك وعترتك، ولا يبقى شيءٌ من ذلك إلّا استأذن الله عزّ وجلّ في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين، الذين هم حجّة الله على خلقه بعدك.

فيوحي الله إلى السماوات والأرض والجبال والبحار ومن فيهنّ، إنّي أنا الله الملك القادر الذي لا يفوته هارب ولا يعجزه ممتنع وأنا أقدر فيه على الانتصار والانتقام، وعزتي وجلالي لأعذّبنّ من وتر رسولي وصفيّ وانتهك حرمته وقتل عترته ونبذ عهده، وظلم أهل بيته عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين.

فعند ذلك يضج كل شيء في السماوات والأرضين بلعن من ظلم عترتك واستحلّ حرمتك.. فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها تولى الله عزّ وجلّ قبض أرواحها بيده.. وهبط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة معهم آنية من الياقوت والزمرّد مملؤة من ماء الحياة وحلل الجنّة وطيب من طيب الجنّة.. فغسّلوا جثثهم بذلك الماء وألبسوها الحلل وحنّطوها بذلك الطيب.. صلّت الملائكة صفاً صفاً عليهم.. ثُمَّ يبعثُ اللهُ قوماً من أمّتك لا يعرفون الكفار ولم يشركوا في تلك الدماء بقولٍ ولا بفعلٍ ولا نيّةٍ، فيوارون أجسامهم.. ويقيمون رسماً لقبر سيّد الشهداء بتلك البطحاء يكون علماً لأهل الحق وسبباً للمؤمنين إلى الفوز.. وتحفّه ملائكة من كل سماء مائة ألف في كل يوم وليلة.. ويصلّون عليه.. ويسبّحون الله عنده.. ويستغفرون الله لمن زاره.. ويكتبون أسماء من يأتيه من أمّتك متقرباً إلى الله تعالى وإليك بذلك.. وأسماء آبائهم وعشائرهم وبلدانهم ويوسمون في وجوههم بميسم نور عرش الله [هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء] فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نورٌ تغشى منه الأبصار، يدلّ عليهم ويعرفون به، وكأنّي بك يا محمّد بيني وبين ميكائيل وعليّ أمامنا،

ومعنا من ملائكة الله ما لا يحصى عددهم ونحن نلتقط من ذلك الميسم في وجهه من بين الخلائق حتى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائده، وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمّد.. أو قبر أخيك.. أو قبر سبطيك.. لا يريد به غير الله عزّ وجلّ وسيجتهد أناسٌ ممّن حقت عليهم اللعنة من الله والسخط أن يعفوا رسم ذلك القبر ويمحوا أثره، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً.

ثُمَّ قال رسول الله ﷺ: فهذا أبكاني وأحزنني.

قالت زينب (سلام الله عليها): فلمّا ضرب ابن ملجم لعنه الله أبي (صلوات الله عليه) ورأيتُ عليه أثر الموت منه، قلتُ له: يا أبه حدثتني أم أيمن بكذا وكذا وقد أحببتُ أن أسمعه منك.

فقال: يا بنيّة الحديث كما حدثتكِ أم أيمن، وكأنّي بكِ ونِساء أهلك سبايا بهذا البلد أذلّاء خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس، فصبراً صبراً.

فوالذي خلق الحبّة، وبرأ النسمة، ما لله على ظهر الأرض يومئذٍ ولي غيركم وغير محبيكم وشيعتكم.

ولقد قال لنا رسول الله ﷺ حين أخبرنا بهذا الخبر: إنّ إبليس ـ لعنه الله ـ في ذلك اليوم يطير فرحاً فيجول الأرض بشياطينه وعفاريته، فيقول: يا معشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية وأورثناهم النار إلّا من اعتصم بهذه العصابة، فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم وحملهم على عداوتهم وإغرائهم بهم وأوليائهم حتى تستحكم ضلالة الخلق وكفرهم ولا ينجو منهم ناجٍ، ولقد صدق عليهم إبليس وهو كذوب إنّه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالحٌ ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم ذنبٌ غير الكبائر.

قال زائدة: ثُمّ قال علي بن الحسين (صلوات الله عليه) بعد أن حدثني بهذا الحديث خذه إليك ما لو ضربت في طلبه آباط الأبل حولاً لكان قليلاً..[١].

ـ المطلب الثالث: زينب تطلبُ كفيلاً من أبيها

ورد في بعض الروايات أن السيّدة زينب (سلام الله عليها) ابنة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لمّا رأت أباها وقد جمع أولاده وأخذ يوصيهم، تقدّمت (سلام الله عليها) إلى أبيها وقالت: يا أبتاه أريد أن تختار لي من إخوتي من يكفلني ويلتزم بي.

فقال (صلوات الله عليه) بنيّة زينب هؤلاء إخوتك..!! فاختاري من تريدين هذا الحسن وهذا الحسين.

فقالت (سلام الله عليها): الحسن والحسين أئمتي وسادتي، وأنا أخدمهما بعيني، ولكن أريد من إخوتي من يخدمني لعلّي أحتاج إلى سفر في هذه الحياة، فيخدمني ويكفلني في السفر.

فقال (صلوات الله عليه): اختاري منهم من شئتِ.

فمدّت زينب (سلام الله عليها) بصرها إلى إخوتها فما وقع الاختيار إلّا على قمر العشيرة أبي الفضل العباس (صلوات الله عليه).

فقالت (سلام الله عليها): يا أبتاه أريد أخي هذا وأشارت إلى العباس (سلام الله عليه).

التفت أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى ولده العباس وقال له: بنيّ أُدنُ مني.

---

(١) القميّ، جعفر، كامل الزيارات، صفحة (٤١٥)، رقم الحديث (٤٤٥)، طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ، قم.

فدنا العباس (سلام الله عليه) من أبيه فأخذ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بيد زينب (سلام الله عليها) ووضعها في يد العباس (سلام الله عليه)، والتفت إلى ولده وقال له: بنيّ هذه وديعة مني إليك.

فتحادرت دموع أبي الفضل العباس (سلام الله عليه) على خديه لمّا سمع وصيّة أبيه وقال: يا أبتاه لأنعمنّك عيناً، وأبذل كل جهدي في حفظها ورعايتها.

فأخذ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ينظر إلى ولده العباس تارة، وإلى ابنته زينب تارة أخرى.. ويبكي[1].

(١) الكلباسي، الخصائص العباسية، صفحة (٣٣٧)، طبعة دار الحوراء بيروت. الهنداوي، محمّد، مجمع مصائب أهل البيت الجزء (١) صفحة (٣٣٣)، طبعة دار المحجة البيضاء بيروت، نقلاً عن كتاب النّص الجليّ في مولد العباس بن عليّ صفحة (٥٦-٥٧).

الفصل الخامس

أحداث ليلة الواحد والعشرون من شهر رمضان

وفيه جملة من المطالب:

ـ المطلب الأوّل: وصيّةُ أمير المؤمنين لولده العباس[١]

ذكر الشيخ الحائري ﵀ في كتابه (معالي السبطين) قال: وفي كتاب عدة الشهور، لمّا كانت ليلة إحدى وعشرين من رمضان وأشرف علي ﵇ على الموت أخذ العباس (سلام الله عليه) وضمّه إلى صدره الشريف وقال: ولدي، وستقرّ عيني بك في يوم القيامة، ولدي إذا كان يوم عاشوراء ودخلت المشرعة إيّاك أن تشرب الماء وأخوك الحسين (صلوات الله عليه) عطشان..[٢].

---

(١) انظر ترجمته: صفحة (٥٩٩).

(٢) ولقد أبرّ أبو الفضل العباس (سلام الله عليه) وصيّة أبيه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) والتزم تنفيذها والعمل بها، لذلك وردت الأخبار أنّه في يوم عاشوراء لمّا توجه نحو الفرات لجلب الماء بعد أن أخذ الأذن من أخيه الحسين (صلوات الله عليه) كان قد أحاط بالفرات أربعة آلاف فارس، فكشفهم عن المشرعة ونزل الماء فلمّا أحسّ ببرودة الماء اغترف بيده غرفة ليشرب فتذكر عطش أخيه الحسين (صلوات الله عليه) فرمى الماء من يده وراح ينشد هذه الأبيات:

يا نفسُ من بعد الحسين هوني ... وبعده لا كنتِ أن تكوني
هذا حسينٌ واردُ المنونِ ... وتشربين باردَ المعينِ
تالله ما هذا فعالُ ديني ... ولا فعالُ صادق اليقينِ

أنظر، الحائري، محمّد مهدي، راجع معالي السبطين الجزء (١) صفحة (٤٤٦)، طبعة مؤسسة النعمان بيروت.

ـ المطلب الثاني: وصيّة التجهيز والدفن

ثُمّ إنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أوصى ولده الإمام الحسن (صلوات الله عليه) بوصيّة التجهيز والدفن، فقال:

إذا أنا متّ يا أبا محمّد[1].. فغسلني، وكفّني، وحنّطني، ببقيّة حنوط جدك رسول الله ﷺ فإنّه من كافور الجنّة، جاء به جبرائيل عليه السلام إليه، ثُمّ ضعني على سريري، ولا يتقدّم أحدٌ منكم مقدّم السرير، وإحملوا مؤخره واتبعوا مقدّمه، فأيّ موضعٍ وضُع القدّم فضعوا المؤخر، فحيثُ قام سريري فهو موضع قبري، ثُمّ تقدّم يا أبا محمّد وصلّي عليّ يا بنيّ يا حسن، وكبر سبعاً[2]، وإعلم أنّه لا يحلّ ذلك على أحدٍ غيري، إلّا على رجلٍ يخرج في آخر الزمان، إسمه القائم، من ولد أخيك الحسين (صلوات الله عليه) يُقّوم إعوجاج الحق، فإذا أنت صلّيت عليّ يا حسن فنّح السرير عن موضعه، ثُمّ إكشف التراب عنه، فترى قبراً محفوراً، ولحداً مثقوباً، وساجةً منقوبةً، فأضجعني فيها، فإذا أردت الخروج من قبري فأفقدني فإنّك لا تجدني، وإنّي لاحقٌ بجدّك رسول الله ﷺ.

واعلم يا بنيّ، ما من نبيّ يموت، وإن كان مدفوناً بالمشرق ويموت وصيّه بالمغرب إلّا ويجمع الله عزّ وجلّ بين روحيهما وجسديهما ثُمّ يفترقان فيرجع كلُ واحدٍ منهما إلى موضع قبره، وإلى موضعه الذي حط فيه.

ثُمّ أُهيل التراب عليّ، ثُمّ غيّب قبري، ثُمّ يا بنيّ بعد ذلك إذا أصبح الصباح أخرجوا تابوتاً إلى ظاهر الكوفة على ناقةٍ وأمر بمن يسيرها بما عليها

---

(١) وفي رواية أنّه (صلوات الله عليه) أوصى لولديه الحسنين (صلوات الله عليهما) وليس لخصوص الإمام الحسن (صلوات الله عليه).

(٢) وفي رواية تسعاً وفي رواية خمساً.

كأنّها تريد المدينة بحيثُ يخفى على العامة موضع قبري الذي تضعني فيه..[١].

وقد ورد عن مولانا الصادق (صلوات الله عليه) أنّه قال: لمّا أصيب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قال للحسن والحسين (صلوات الله عليهما): غسلاني وكفناني وحنطاني واحملاني على سريري، وأخرجاني واحملا مؤخر السرير فإنّكما تكفيان مقدّمه، ثُمّ إئتيا بي الغريين[٢] فإنّكما ستريان صخرة بيضاء تلمع نوراً، فاحتفرا فيها فإنّكما تنتهيان إلى قبرٍ محفورٍ ولحدٍ ملحودٍ ولِبن موضوع، فالحداني وأشرجا عليّ اللِبن وأرفعا لِبنة مِمّا يلي رأسي فانتظرا ما تسمعان[٣].

أمير المؤمنين يوصي بإخفاء قبره

في بعض الروايات المعتبرة عن مولانا أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أمر أبنه الحسن (صلوات الله عليه) أن يحفر له أربعة قبورٍ في أربعة مواضع، قبرٌ في المسجد[٤]، وقبرٌ في الرحبة[٥]، وقبرٌ في الغري[٦] وقبرٌ في دار جعدة بن هبيرة[٧].

---

(١) القميّ، عباس، منتهى الآمال صفحة (٢٥٤)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت. شبر، عبد الله، جلاء العيون صفحة (٢٢٤)، طبعة دار المرتضى بيروت. الكورانيّ، علي، جواهر التاريخ الجزء (١) صفحة (٤٦١)، طبعة دار أنوار الهدى، نقلاً عن بحار الأنوار.

(٢) الغريّان طربالان، وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب ﷺ ـ راجع معجم البلدان، للحمويّ الجزء (٤) صفحة (١٩٦).

(٣) الطوسيّ، محمّد، تهذيب الأحكام الجزء (٦) صفحة (١٠٦)، طبعة دار التعارف بيروت. ابن طاووس، فرحة الغريّ، صفحة (٣٠و ٤٩). المفيد، محمّد، الإرشاد الجزء (١) صفحة (٢٣). الطبرسيّ، أعلام الورى الجزء (١) صفحة (٣٩٣).

(٤) مسجد الأعظم في الكوفة المقدسة.

(٥) الرحبة، بالضمّ: بقرب القادسية على مرحلة من الكوفة، وبالفتح: محلّة بالكوفة.

(٦) النجف الأشرف.

(٧) جعدة بن هبيرة، أمّه أم هاني أخت أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وقد مرّ سابقاً.

وإنّما أراد بهذا أن لا يعلم أحدٌ من أعدائه موضعُ قبره[١] وكان الهدف من إخفاء القبر المطهر أن لا يعلم أعدائه الخوارج بموضعِ قبره الشريف لئلّا يحفروه، ويخرجوا جسده فقد كانوا في غاية البغض والعداء له (صلوات الله عليه).

أمير المؤمنين يعزّي الحسنين بمصائبهما

قال الراوي: ثمّ إنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قال لولديه الحسن والحسين (صلوات الله عليهما): يا أبا محمّد، ويا أبا عبد الله، وكأنّي بكما وقد خرجت عليكما الفتن من ها هنا وها هنا.. فاصبرا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين..

ثُمّ التفت إلى ولده الحسن (صلوات الله عليه) وقال له: أمّا أنت يا أبا محمّد ستقتل مسموماً مضطهداً.

ثمّ إلتفت إلى ولده الحسين (صلوات الله عليه) وقال له: وأمّا أنت يا أبا عبد الله فشهيدُ هذه الأمّة.. فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه، وكأنّي بك تستسقي الماء فلا تسقى، وتنادي فلا تجاب، وتستغيثُ فلا تغاث، وكأنّي بأهل بيتك قد سُبوا، وبثقلك قد نُهب، وكأنّي بالسماء قد أمطرت لقتلك دماً ورماداً، وكأنّي بالجنّ قد ناحت عليك، وكأنّي بموضعِ تربتك قد صار مختلف زوّارك من الملائكة والمؤمنين..[٢].

---

(١) القمي، عباس، منتهى الآمال، الجزء الأوّل، صفحة (٢٥٤)، طبعة الدار الإسلاميّة، شبر، عبد الله، جلاء العيون، صفحة (٢٢٥)، طبعة دار المرتضى بيروت. الخطي، علي، مجموعة وفيّات الأئمّة صفحة (٦٤)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

(٢) المحمودي، محمّد، نهج السعادة في مستدركات نهج البلاغة الجزء (٢) صفحة (٧٤٣)، طبعة دار النعمان النجف الأشرف.

المطلب الثالث: أمير المؤمنين في ذمة الله

قال محمّد بن الحنفيّة (رضوان الله عليه): ولمّا كانت ليلة إحدى وعشرين وأظلم الليل، وهي الليلة الثانية من الكائنة، جمع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أولاده وأهل بيته، واحداً واحداً، إناثاً وذكوراً، صغيراً وكبيراً، وأوصاهم بطاعة الله تعالى، وطاعة أخويهم الحسن والحسين (صلوات الله عليهما).

وكانت شفتاه تختلجان بذكر الله تعالى، ثُمّ قال لهم: الله خليفتي عليكم وهو حسبي ونعم الوكيل، وأمرهم وأوصاهم بجميع الأحكام التي وصّاه بها رسول الله ﷺ، وأوصاهم ببعضهم خيراً.

وفي تلك الليلة تزايد أثر السمّ في جسده الشريف، ثُمّ عرضنا عليه المأكول والمشروب فأبى ونحن ننظر إلى يديه ورجليه وقد إحمرتا جميعاً، فكبُرَ ذلك علينا وأيسنا منه وجعل جبينه يرشح عرقاً وهو يمسحه بيده ويقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إنّ المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه وصار كاللؤلؤ الرطب وسكن أنينه.

ثُمّ نادى أولاده كلهم بأسمائهم صغيراً وكبيراً واحداً واحداً وهو يقول لهم: الله خليفتي عليكم أستودعكم الله جميعاً..

وهم يبكون فقال له الحسن (صلوات الله عليه): يا أبتِ ما دعاك إلى هذا..؟

فقال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): رأيتُ رسول الله في منامي قبل هذه الكائنة بليلةٍ فشكوت إليه ما أنا فيه من التكدّر والأذى من هذه الأمّة، فقال ﷺ: أدعُ عليهم.

فقلتُ: اللهم أبدلهم بي شرّاً مني، وأبدلني بهم خيراً منهم، فقال

رسول الله ﷺ قد استجاب الله دعاك، وإنّ الله سينقلك إلينا بعد ثلاثة أيام، وقد مضت الثلاثة.

يا أبا محمّد أوصيك بأبي عبد الله خيراً، فأنتما مني وأنا منكما.

ثُمّ التفت إلى أولاده من غير فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وأوصى بهم، وأوصاهم بأن لا يخالفوا أولاد فاطمة (سلام الله عليها) يعني الحسن والحسين (صلوات الله عليهما).

ثمّ قال (صلوات الله عليه): أحسن الله لكم العزاء.. ألا وإنّي منصرفٌ عنكم وراحلٌ في ليلتي هذه ولاحقٌ بحبيبي رسول الله ﷺ كما وعدني.

ثُمّ أغمي عليه ساعة وأفاق.. فقال (صلوات الله عليه): هذا رسول الله ﷺ وعمي الحمزة (رضوان الله عليه) وأخي جعفر (رضوان الله عليه) وأصحاب رسول الله (رضوان الله عليهم) وكلهم يقولون: عجّل قدومك علينا فإنّا إليك مشتاقون.

ثُمّ أدار عينيه في أهل بيته كلهم وقال: أستودعكم الله جميعاً.. سدّدكم الله جميعاً.. حفظكم الله جميعاً.. الله خليفتي عليكم.. وكفى بالله خليفة.

ثُمّ قال: وعليكم السلام يا رسل ربي.. لمثلِ هذا فليعمل العاملون.. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾[1].

ثُمّ عرق جبينه.. وهو يذكر الله تعالى كثيراً..

وما زال يذكر الله ويتشهّد الشهادتين، ثمّ استقبل القبلة وغمّض عينيه ومدّ يديه ورجليه وقال:

أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبده ورسوله..

---

(١) سورة النحل، الآية (١٢٨).

ثُمّ فاضت روحه الطاهرة.. وقضى نحبه شهيداً[١] مظلوماً مضروباً مسموماً، وكانت هذه الواقعة ليلة الجمعة ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان، ليلة القدر الثانية سنة أربعين للهجرة النبوية الشريفة.

يومٌ كيومِ وفاة رسول الله

فعند ذلك صرخت السيّدة زينب (سلام الله عليها) وأختها أم كلثوم (رضوان الله عليها) وجميع نسائه وبناته والعلويات، وقد شقّوا الجيوب، ولطموا الخدود، وارتفعت الصيحة من دار أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قد قُبض، فأقبل النساء والرجال يهرعون أفواجاً أفواجاً، وصاحوا صيحةً عظيمةً، فارتجّت الكوفة بأهلها وكثر البكاء والنحيب وكثر الضجيج بالكوفة وقبائلها ودورها وجميع أقطارها، فكان ذلك اليوم كيوم وفاة رسول الله ﷺ.

ولمّا صار الليل تغيّرت آفاق السماء وارتجّت الأرض وسمع الناس تسبيحاً وتقديساً في الهواء، وعلموا أنّها أصوات الملائكة، وسمع الناس الجنّ يبكون وينوحون، ويرثون أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)[٢].

وفي رواية، أنّه لمّا قضى (صلوات الله عليه) نحبه، أقاموا عزاءه وارتفعت الأصوات بالنّياحة والعويل من أهل بيته ونسائه وهنّ حاسرات،

---

(١) الكورانيّ، علي، جواهر التاريخ الجزء (١) صفحة (٤٦٠)، طبعة دار أنوار الهدى قم. القميّ، عباس، منتهى الآمال الجزء (١) صفحة (٢٥١)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت. شبّر، عبد الله، جلاء العيون صفحة (٢٢٤)، طبعة دار المرتضى بيروت. الخطي، علي، مجموعة وفيّات الأئمّة صفحة (٦٤)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

(٢) شبر، عبد الله، جلاء العيون صفحة (٢٢٩)، طبعة دار المرتضى بيروت. قال الواقدي: لمّا بلغ الصحابة خبر مقتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بكوا عليه، وقال أبو مسعود الأنصاري: كنا نعدّه خير البشر. أنظر المحموديّ، محمّد، نهج السعادة الجزء (٩) صفحة (٤٦٠)، طبعة دار النعمان النجف.

وخرجت نساء بني هاشم، مشققات الجيوب، لاطمات الخدود، وارتجّت الكوفة بالنياحة والعويل، ودهش النّاس وصار كأنّه اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ وأقبل الناس من كل فجٍ، وأخذتهم الرجفة والزلزلة، وأظلمت الدنيا، وأغبر الأفق، وكسفت الشمس، وما قُلِبَ في ذلك اليوم حجرٌ إلّا وجد تحته دمٌ عبيط، وكثر النوح من تحت الأرض من الجنّ، وسمع الناس جبرائيل مع الملائكة ينعونه في السّماء، وقائلاً يُسمع صوته ولا يُرى شخصه يقول:

بنفسي ومالي ثُمَّ أهلي وأسرتي ... فداء لمن أضحى قتيل ابن ملجمِ
علي أمير المؤمنين ومن بكت ... لمقتله البطحاء وأكناف زمزمِ
وظلّ له أفق السّماء كأنّه ... شقيقة ثوب لونها لون عندمِ
وناحت عليه الجنّ إذ فجعت به ... حنيناً كثكلى نوحها بترنمِ
تكاد الصفا والمروتان كلاهما ... يهدا وبان النقص في ماء زمزم
لفقد عليّ خير من وطاء الثرى ... أخي المصطفى الهادي النَّبيّ المكرمِ[1]

ـ المطلب الرابع: بكاء الأرض والسماء

روى الصحابيّ الجليل عبد الله بن عباس (رضوان الله عليه) قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ السماء والأرض لتبكي على المؤمن إذا مات أربعين صباحاً، وإنّها لتبكي على العالم إذا مات أربعين شهراً، وإنّ السماء والأرض ليبكيان على الرسول أربعين سنة، وإنّ السماء والأرض ليبكيان عليك يا عليّ إذا قتلت أربعين سنة.

قال ابن عباس (رضوان الله عليه): لقد قُتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) على الأرض بالكوفة فأمطرت السماء ثلاثة أيامٍ دماً.

---

(١) الخطي، علي، مجموعة وفيّات الأئمّة، صفحة (٦٥)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

وروى أبو حمزة عن مولانا الصادق (صلوات الله عليه) وقد روي أيضا عن سعيد بن المسيّب أنّه لمّا قُبض أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لم يُرفع من وجه الأرض حجرٌ إلّا وجد تحته دم عبيط[١].

وروى الخطيبُ وتاريخ النسوي أنّه سأل عبد الملك بن مروان الزهريّ: ما كانت علامة اليوم الذي قتل فيه علي (صلوات الله عليه)؟

قال: ما رفع حصاة من بيت المقدس إلّا كان تحتها دم عبيط[٢].

وعن الزهريّ، قال: قال عبد الملك بن مروان ـ وكنتُ آتياً من بيت المقدس ـ: يا زهري، ما كانت علامة اليوم الذي قتل فيه علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)..؟

فقلت: أصبح الناس ببيتِ المقدس وما يقلب أحد حجراً إلّا وتحته دم عبيط[٣].

ولمّا توفي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) سُمع في داره هاتفاً يقرأ هذه الآية المباركة ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[٤].

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله بإسنادٍ معتبر عن مولانا الصادق (صلوات الله عليه) قال: سأل عبد الملك أبي (صلوات الله عليه) فقال: أخبرني عن الليلة التي قُتل فيها علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، بما أستدلّ النائي عن المصر الذي قتل فيه عليّ..؟ وما كانت العلامة فيه للناس..؟ وأخبرني هل كانت لغيره في قتله عبرة..؟

---

(١) دمٌ عبيط، أي دم طري.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢) صفحة (٣٠٨) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٣) البحراني، هاشم، مدينة المعاجز الجزء (٣) الحديث (٧٣٤) طبعة مؤسسة المعارف الإسلاميّة قمّ المقدسة.

(٤) سورة فصلت الآية (٤٠).

فقال أبي (صلوات الله عليه): إنّه لمّا كانت الليلة التي قُتل فيها عليّ (صلوات الله عليه) لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلّا وجد تحته دمٌ عبيط حتى طلع الفجر، وكذلك كانت الليلة التي قتل فيها يوشع بن نون وكذلك كانت الليلة التي رفع فيها عيسى بن مريم وكذلك الليلة التي قتل فيها الحسين (صلوات الله عليه)[1].

نوح الملائكة والجن على أمير المؤمنين

قال محمّد بن الحنفيّة (رضوان الله عليه): فلمّا أظلم الليل تغيّر أفق السماء وارتجّت الأرض وجميعُ من عليها بقوة، وكنا نسمع جلبة وتسبيحاً في الهواء، فعلمنا أنّها أصوات الملائكة.. فلم يزل كذلك إلى أن طلع الفجر ثُمَّ ارتفعت الأصوات، وسمعنا هاتفاً بصوتٍ يسمعه الحاضرون ولا يرون شخصه يقول:

بنفسي ومالي ثُمَّ أهلي وأسرتي ... فداءٌ لمن أضحى قتيل ابن ملجم
علي رقى فوق الوغى ... فهدت به أركان بيت المحرم
علي أمير المؤمنين ومن بكت ... لمقتله البطحا وأكناف زمزم
يكاد الصفا والمشعران كلاهما ... يهدا وبان النقص في ماء زمزم
وأصبحت الشمس والقمر ضياءها ... لقتل علي لونها لون دلهم
وضلّ له أفق السماء كآبة ... كشقة لونها لون عندم
وناحت عليه الجن إذ فجعت به ... حنيناً كثكلى ونوحها بترنمِ
وأضحى إليها الجود والنبل مقتماً ... وكان التقي في قبره المتهدم
وأضحى التقي والخير والحلم والنهى ... وبات العلى في قبره المتهدم
يكاد الصفا والمستجار كلاهما ... يهدا وبان النقص في ماءِ زمزم
علي خير من وطئ الحصى ... وأخا العالم الهادي النَّبيّ المعظّمِ[2]

---

(١) شبّر، عبد الله، جلاء العيون صفحة (٢٣٠) طبعة دار المرتضى بيروت.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار الجزء (٤٢) صفحة (٢٩٣)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

فكانت الأرض والسماوات والملائكة والجنّ والإنس يبكون تلك الليلة على مصاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ويرثونه.

يقول محمّد بن الحنفيّة: وسمعنا في الهواء جلبة عظيمة، وتسبيحاً، فعلمنا أنّها أصوات الملائكة، فلم نزل كذلك حتى بدا الصباح فارتفعت الأصوات فخرجنا وإذا بصائحٍ في الهواء يقول:

يا للرجال لعظم هول مصيبة ... قدحت فليس مصابها بالهازلِ
والشمس كاسفة لفقد إمامنا ... خير الخلائقِ والإمام العادلِ
يا خير من ركب المطي ومن مشى ... فوق الثرى من حافي وناعلِ
يا سيّدي لقد هددت قواءنا ... والحق أصبح خاضعاً للباطلِ[1]

وقد ورد عن مولانا أبي عبد الله الحسين (صلوات الله عليه) أنّه قال: لمّا قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) سمعتُ جنّية ترثيه بهذه الأبيات:

لقد هدّ ركني أبو شبرّ ... فما ذاقت العين طيب الوسن
ولا ذاقت العين الكرى ... وألقيتُ دهري رهين الحزن
وأقلقني طول تذكاره ... حرارة ثكل الرقوب الشثن

ويقول أنس ابن مالك: سمعتُ صوت هاتفٍ مّن الجنّ:

يا من يؤم إلى المدينة قاصدا ... أد الرسالة غير ما متوان
قتلت شرار بني أمية سيّداً ... خير البريّة ماجدا ذا شان
رب المفضل في السماء وأرضها ... سيف النَّبيّ وهادم الأوثان
بكت المشاعر والمساجد بعد ما ... بكت الأنام له بكل مكان

(١) المصدر السابق صفحة (٢٩٧).

ويروى أيضاً عن أنس ابن مالك أنّه سمع الجنّ يقول:

لقد مات خير الناس بعد محمّد وأكرمهم فضلاً وأوفاهم عهدا
وأضربهم بالسيف في مهج العدى وأصدقهم قيلاً وأنجزهم وعدا[1]

ـ المطلب الخامس: أمير المؤمنين على المغتسل

نُقِلَ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى المغتسل للتّجهيز.. قال محمّد بن الحنفيّة (رضوان الله عليه): لمّا توجّه أخواي الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) لغسل أبي (صلوات الله عليه) كان الحسن (صلوات الله عليه) يغسله.. والحسين (صلوات الله عليه) يصبّ له الماء.. لم يحتاجا إلى أحدٍ يقلّبُ جسده الشريف، بل كان الجسد الشريف كلمّا غسلوا منه طرفاً انقلب على الطرف الآخر بنفسه، وكان ينبعث من جسده الشريف رائحةً طيبةً أطيب من رائحةِ المسك والعنبر.

وفي رواية أنّ الإمام الحسين (صلوات الله عليه) قال لأخيه الإمام الحسن (صلوات الله عليه): أما ترى إلى خفّة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

فقال الإمام الحسن (صلوات الله عليه): يا أبا عبد الله، أنّ معنا قوماً يعينونا.

فلمّا فرغا (صلوات الله عليهما) من الغسل، نادى الإمام الحسن (صلوات الله عليه) أخته الحوراء زينب (سلام الله عليها) قال لها: يا أخيّة، ناوليني فاضل حنوط جدي رسول الله ﷺ فأتته بالحنوط فلمّا فتحه انتشرت منه رائحةً طيّبةً دخلت جميع بيوت الكوفة وشوارعها.

---

(١) ابن شهر آشوب، محمّد، مناقب آل أبي طالب، صفحة (٨٥٥)، طبعة دار المرتضى بيروت.

فوضع الإمام الحسن (صلوات الله عليه) على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من ذلك الحنوط، ثُمَّ كُفّن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في خمسةِ أثوابٍ ووضع على السرير.

وفي رواية أنّ الذي تولى غسله ابناه الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) وعبد بن جعفر وعبد الله بن عباس (رضوان الله عليهما)[1].

توضيح:

جاء في كثيرٍ من الروايات عن أهلِ بيتِ العصمةِ والطهارةِ (صلوات الله عليهم) أن الإمام المعصوم (صلوات الله عليه) لا يغسله إلّا إمام معصوم مثله.

وعلى فرض وجود غير الإمامين الحسنين (صلوات الله عليهما) معهما في التغسيل كما ورد أن عبد الله بن جعفر وعبد الله بن العباس حضرا تغسيل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فإنّ ذلك لا يتنافى مع الخصوصيَّة للإمام المعصوم (صلوات الله عليه) ويكون حضور غير المعصوم من باب التشريف والتكريم لذلك الغير، ولو بأن يناول الإمام الماء، أو غيره مِمّا يحتاج إليه.

وقد حصل مثل هذا الأمر أو قريباً منه مع الإمام زين العابدين (صلوات الله عليه) عندما حضر كربلاء لدفن سيد الشهداء الإمام أبي عبد الله الحسين (صلوات الله عليه) وقد حضر أيضا بنو أسد وعاونوا الإمام على ذلك..

---

(١) المدائنيّ، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الجزء (٦)، صفحة (٧٦)، طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

حنوط[١] أمير المؤمنين

وقد كان عند أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مسكٌ، فأوصى أن يحنّط به، وكان (صلوات الله عليه) يقول: إنّه من بقية حنوط النَّبيّ ﷺ وروي ذلك عن هارون بن سعد أيضاً[٢].

وكان جبرئيل ﷺ قد نزل على رسول الله ﷺ بحنوطٍ، وزنه أربعون درهماً، فقسّمه رسول الله ﷺ ثلاثة أجزاءٍ: جزء له، وجزء لعلي، وجزء لفاطمة (صلوات الله وسلامه عليهم)[٣].

التكفين:

وقيل: إنّه كُفّن في ثلاثةِ أثوابٍ بيض، ليس فيها قميص ولا عمامة[٤].

الصلاة:

وصلى على الجثمان الطاهر ولده الإمام أبي محمّد الحسن (صلوات الله عليه) وهذا مجمع عليه بين المؤرخين.. وكبر عليه خمساً، وقيل: ستاً، وقيل: سبعاً[٥].

---

(١) فائدة فقهيّة: التحنيط:
تحنيط الميت واجب في الفقه الإسلاميّ وهو عبارة عن مسح جبهة الميت ببودرة الكافور ـ أي بالكافور المطحون أو المدقون ـ وراحتي يديه وركبتيه ورأسي إبهاميّ رجليه وتعرف هذه الأعضاء بالمساجد السبعة.
يقول العلّامة آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي تغمده الله: الحنوط وهو مسح الكافور على بدن الميت.. ولا إشكال في كونه من الواجبات لدلالة الأخبار المعتبرة عليه.. ويجب مسحه على المساجد السبعة وهي الجبهة واليدان والركبتان وإبهاما الرجلين ويستحب اضافة طرف الانف إليها أيضا بل هو الاحوط.. ـ أنظر الخوئي، أبو القاسم،التنقيح شرح العروة الوثقى، الجزء (٨) صفحة (٣٨٧) طبعة دار الهدى للمطبوعات قم.
(٢) الكليني، محمد، الكافي، الجزء (١) صفحة (٣٨٥) طبعة دار التعارف ـ بيروت.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٢٢) صفحة (٥٤٤) طبعة مؤسسة الوفاء ـ بيروت.
(٤) المصدر السابق، الجزء (٤٢) صفحة (٢٥٤).
(٥) تاريخ مدينة دمشق، الجزء (٤٢) صفحة (٥٦٣ و٥٦٤).

لكن هناك من يدعي: أنه كبر عليه أربعاً[١].

وعن اليعقوبيّ في تاريخه وصلى الإمام الحسن على أبيه، وكبر عليه سبعاً، وقال: أما إنّه لا يكبر على أحد بعده[٢].

وفي وصيته (صلوات الله عليه) لابنه الحسن (صلوات الله عليه) قال: وصلِّ عليّ يا بنيّ يا حسن، وكبّر عليّ سبعاً، واعلم أنّه لا يحلّ ذلك لأحدٍ غيري[٣].

وبذلك تفهم على أن الحكم بالتكبير سبعاً هو حكم خاص وتشريفي له من الله تعالى، لأنّه (صلوات الله عليه) يتحدّث عن حكم شرعي، كان يعرفه ويخبر الناس به، فدلّ بذلك على أن لعلي (صلوات الله عليه) أحكاماً اختصّه الله تعالى بها.

وبعض هذه الأحكام ـ كمسألة التكبير ـ يتعلّق به بعد استشهاده، فهذا يدلّ على أنّه (صلوات الله عليه) ليس كغيره من الذين يقدمهم الناس عليه، لمجرد استيلائهم على الخلافة، وانتزاعهم إيّاها منه بالقوّة، وبالتدبير الخفيّ، ثُمَّ الجليّ.. فإنّ ذلك لا يعطيهم ميزة عليه، بل إنّ اختصاصه بهذا الحكم حتى بعد وفاته.. وعدم جواز تسريته لغيره من بعده، يدلّ على أن ما يدعى لهم من فضلٍ، أو من قرب منزلةٍ يحتاج إلى تدقيق وتحقيق، فإنّ وراء الأكمة ما وراءها..

ـ المطلب السادس: الخضر يرثي أمير المؤمنين

روى ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني رحمه الله في كتابه الكافي بسندٍ يصل إلى أسيد بن صفوان صاحب رسول الله ﷺ.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ اليعقوبي.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢) صفحة (٢١٥ و٢٩٢) طبعة مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

يقول الصحابيّ الجليل أسيد بن صفوان:

لمّا كان اليوم الذي قُبض فيه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إرّتجّ الموضعُ بالبكاء، ودهش الناس كيوم قُبض النَّبيّ ﷺ.. وجاء رجلٌ[1] باكياً وهو مسرعٌ مسترجعٌ[2] وهو يقول: اليوم انقطعت خلافةُ النبوّة.

حتى وقف على باب البيت الذي فيه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، فقال:

رحمك الله يا أبا الحسن.. كُنتَ أوّل القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدّهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم عناءً، وأحوطهم[3] على رسول الله ﷺ، وآمنهم على أصحابه، وأفضلهم مناقب، وأكرمهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول الله ﷺ، وأشبههم به هدياً وخلقاً وسَمْتاً[4] وفعلاً، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً.

قويت حين ضعُفَ أصحابه، وبرزت حين استكانوا، ونهضتَ حين وهنوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ همّ أصحابه، وكنتَ خليفته حقاً، لم تنازع[5]،

---

(١) في رواية عن محمّد بن الحنفيّة أنّه بعد الفراغ من تغسيل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وتكفينه وتحنيطه وُضع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) على السرير، فدخل رجلٌ أزهري اللون وانتحب، وبكى برفيع صوته ودمعه كالسيل الجاري، وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا سيّد الوصيين، السلام عليك يا وصي خاتم الوصيين ـ راجع مجموعة وفيّات الأئمّة صفحة (٦٥) طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

(٢) الاسترجاع، هو قول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٦]

(٣) أحوطهم، أكثرهم حفظاً وحرصاً على رسول الله ﷺ

(٤) السَمْت، الطريق الواضح والمذهب والسكينة والوقار والهيئة. مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط.

(٥) تنازع، واللفظ على اتجاهين، أوّلاً: إذا كان للمعلوم فيكون المعنى أنّ لم تتصدّ بالسلاح لأخذ الخلافة وذلك لعدم وجود الأعوان والأنصار، ثانياً: إذا كان للمجهول فيمكن أن يكون المقصود أنّه لم ينازعه أحد في أصل الخلافة فإنّها ممّا اتفقت عليه الأمّة وإنّما النزاع في أنّه هل تقدّم عليه أحد فيها أم لا؟ ـ الكلينيّ، محمّد، أصول الكافي، الجزء (١)، صفحة (٥٢٧)، طبعة دار التعارف بيروت.

ولم تضرع[١] برغم المنافقين، وغيظ الكافرين، وكره الحاسدين، وصغر الفاسقين.

فقمتَ بالأمر حين فشلوا، ونطقتَ حين تتعتعوا[٢] ومضيت بنور الله إذ وقفوا، فاتّبعوك فهُدوا.

وكنت أخفضهم صوتاً، وأعلاهم قنوتاً[٣]، وأقلّهم كلاماً، وأصوبهم نطقاً، وأكبرهم رأياً، وأشجعهم قلباً، وأشدّهم يقيناً، وأحسنهم عملاً، وأعرفهم بالأمور.

كنتَ والله يعسوباً للدين أوّلاً وآخراً[٤]، الأوّل حين تفرّق الناس، والآخر حين فشلوا.

وكنتَ للمؤمنين أباً رحيماً، إذ صاروا عليك عيالاً، فحملتَ أثقال ما عنه ضعفوا، وحفظتَ ما أضاعوا، ورعيتَ ما أهملوا، وشمّرت[٥] إذ اجتمعوا، وعلوت إذ هلعوا[٦]، وصبرت[٧] إذ أسرعوا، وأدركت أوتار[٨] ما طلبوا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا.

كنتَ على الكافرين عذاباً صبّاً ونهباً، وللمؤمنين عمداً[٩] وحصناً، فطرت والله بنعمائها[١٠]، وفزتَ بحبائها، وأحرزتَ سوابقها، وذهبت بفضائلها، لم تفلل حجّتك، ولم يزغ قلبك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن ولم تخرّ.

---

(١) أي لم تـتكن.

(٢) تتعتعوا، بمعنى أنّك كنت تحلّ المسائل والمشاكل العويصة، في الوقت الذي عجز القوم عن الحلّ.

(٣) أي طاعة وخضوعاً، وفي النهج: وأعلاهم قوتاً.. أي سيفاً.

(٤) لعلّ المراد بالأوّل زمان رسول الله ﷺ وبالآخر بعده، أو كلاهما.

(٥) تهيّأت.

(٦) جزعوا أفحش الجزع.

(٧) بمعنى فيما ينبغي الإسراع فيه.

(٨) جمع وتر بالكسر وهو الجناية.

(٩) العمد بالتحريك جمع عمود.

(١٠) في بعض النسخ ـ بغمائها ـ والغماء، الداهية.. وقوله ـ فطرت ـ يمكن أن يقرأ على بناء المجهول من =

كنتَ كالجبل لا تحركه العواصف، وكنت كما قال[١]: أمن النّاس في صحبتك وذات يدك.

وكنت كما قال: ضعيفاً في بدنك، قويّاً في أمر الله، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، كبيراً في الأرض، جليلاً عند المؤمنين.

لم يكن لأحدٍ فيك مهمزٌ[٢]، ولا لقائلٍ فيك مغمزٌ[٣]، ولا لأحدٍ فيك مطمع[٤]، ولا لأحدٍ عندك هوادة[٥]، الضعيف الذليل عندك قويٌ عزيز حتى تأخذ له بحقه، والقوي العزيز عندك ضعيفٌ ذليلٌ حتى تأخذ منه الحق، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواءٌ، شأنك الحقّ والصدقّ والرفقّ، وقولك حكم وحتَمْ، وأمرك حِلم وحزم، ورأيك عِلْم وعَزْم فيما فعلت، وقد نهج السبيل، وسهل العسير، وأطفئت النيران، واعتدل بك الدين، وقوي بك الإسلام، فظهر أمر الله ولو كره الكافرون، وثبت بك الإسلام والمؤمنون، وسبقت سبقاً بعيداً، وأتعبت من بعدك تعباً شديداً، فجللت عن البكاء، وعظمت رزيتك في السّماء، وهدّت مصيبتك الأنام، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاه، وسلّمنا لله أمره، فو الله لن يصاب المسلمون بمثلك أبداً.

= الفطر بمعنى الخلقة.. أي: أنت مفطوراً على البلاء أو النعماء، ويمكن أن يكون الفاء عاطفة والطاء مكسورة من الطيران،أي ذهبت إلى الدرجات العلى مع الدواهي التي أصابتك في الأمّة، أو طرت وذهبت بنعمائهم وكراماتهم ففقدوها بعدك، وقيل إنّه فطرت على بناء المجهول وتشديد الطاء من قولهم: فطرت الصائم.. إذا أعطيته الفطور.. وفي نهج البلاغة فطرت والله بعنانها واستبددت برهانها ومرجع الضميرين فيهما إلى الفضيلة، واستعير هنا للفظ الطيران للسبق العقلي.

(١) أي كما قال النّبيّ ﷺ في حقك.

(٢) الهمز، الغيبة والوقيعة في الناس وذكر عيوبهم.

(٣) الإشارة بالعين والحاجب وهو كناية أيضاً عن اثبات المعائب.

(٤) أي مطمع يضلك ويصرفك عن الحق.

(٥) الهوادة، السكون والرخصة والمحاباة.

كنتَ للمؤمنين كهفاً وحصناً، وقُنّة راسياً، وعلى الكافرين غلظة وغيظاً، فألحقك الله بنبيّه، ولا أحرمنا أجرك، ولا أضلّنا بعدك.

وسكت القوم حتى انقضى كلامه، وبكى، وبكى أصحاب رسول الله ﷺ ثُمَّ طلبوه فلم يصادفوه[1].

وكان النّاس كلهم يبكون لما يسمعون من كلامه.

ثُمَّ انتحب باكياً،وانكبّ عليه يقبّله، والناس مِمّا عاينوه منه سكارى، كأنّهم سقوا خمراً.

ثُمَّ غاب ولم يعلموه، فسألوا الإمام الحسن (صلوات الله عليه) وهو يبكي، فقال:

هذا أخوه الخضر.

ثُمَّ تأوّه (صلوات الله عليه) وقال: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وانقطاع ظهراه.. وأبتاه.. واعليّاه.. وافاطماه.. وامحمّداه..

من أجلكم تعلمنا البكاء، فإلى الله المشتكى، وهو المستعان على الأمور كلها[2].

ـ المطلب السابع: موكب التشييع

قال محمّد بن الحنفيّة (رضوان الله عليه): ثُمَّ تقدّم الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) إلى السرير من مؤخره كما أوصى (صلوات الله عليه) وإذا مقدّمه قد ارتفع ولا يرى حامله، وكان حاملاه من مقدّمه جبرائيل

(١) الكلينيّ، محمّد، أصول الكافي، الجزء (١)، صفحة (٥٢٦)، طبعة دار التعارف بيروت.
(٢) الخطيّ، عليّ، مجموعة وفيّات الأئمّة، صفحة (٦٧)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

وميكائيل عليهما السلام ونحن نسمع تسبيحاً، وتقديساً، وتكبيراً، وتهليلاً، من أعلى الهواء، وقائلاً يقول: أحسن الله لكم العزاء في سيّدكم حجّة الله، وأعظم لكم الأجر وجزاكم أحسن الجزاء..

وهكذا انطلق موكب التشييع والصوت يردد هذه التعزية على هذه الصفة، وخرجن نساءُ أهل الكوفة وهنّ بحالةٍ تُصدِّع القلوب القاسية بالندب والبكاء.

وخرج السرير مائلاً نحو النجف الأشرف بظاهر الكوفة.

يقول محمّد بن الحنفيّة (رضوان الله عليه): وكنتُ أرى جنازة أبي (صلوات الله عليه) على هذه الهيئة.. وأراد بعض النّاس أن يخرجوا في تشييعه وأن يتّبعوا جنازته، فمنعهم الإمام الحسن (صلوات الله عليه) وردّهم، وأمرهم بالرجوع.

وكان الإمام الحسن (صلوات الله عليه) يبكي ويقول:

لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، يا أبتِ قد كسرتَ ظهري، وإنّما أشكو إلى الله ما نزل بي، يا أبتاه.. واانقطاع ظهراه.. من أجلك تعلّمتُ البكاء.. إلى الله المشتكى.

قال محمّد بن الحنفيّة: والله لقد نظرتُ إلى السرير، وإنّه ليمرّ بالحيطان والنخل فتنحني له.

ووفقاً لرواية آمالي الشيخ الطوسيّ رحمه الله قال: أنّه لمّا مرّت جنازةُ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بقائم[1] الغري وهو بابٌ قديمٌ كأنّه الميل، ويُسمّونه العلم، إنحنى وإعوجّ احتراماً للنعش المطهّر، كما إنحنى سرير أبرهة إذ دخل عليه عبد المطلب تعظيماً له.

---

(١) يقوم اليوم مكان هذا القائم مسجدٌ يقال له: مسجدَ حنّانة، ويقع هذا المسجدَ إلى الشرق من النجف الأشرف على بعد ثلاثة الآف ذراع.

توضيح:

انطلاق موكب التشييع ليلاً والدفن في الليلِ ليس من السنّة المنصوص عليها، وإنّما السبب في ذلك هو ما سيأتي من أن الضرورة فرضت الدفن ليلاً.. وفرضت أيضاً الاقتصار في التشييع على أفراد بأعيانهم، ممّن يحرصون على كتمان سرّه (صلوات الله عليه).. لأنّهم كانوا يخشون من نبش بني أمية له، وإحراق جسده الشريف بعد تسلطهم.. ونجد أن التاريخ يحدثنا عن محاولات كبيرة لهذه الغاية، كان هذا التكتم سبباً في فشلها.

وقد أشبه هذا ما جرى لزوجته الصديقة الكبرى السيِّدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) من بعض الوجوه.

فرحة الغريّ

كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يأتي إلى النجف الأشرف ينظر إليها ويقول: وادي السلام.. ومجمع أرواح المؤمنين.. ونِعم المضجع هذا المكان..

وكان (صلوات الله عليه) يقول: اللهم إجعل قبري بها[1].

وفي الرواية أيضاً أنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) نظر إلى ظهر الكوفة فقال: ما أحسن ظهركِ، وأطيب قعركِ، اللهم إجعل قبري بها[2].

تقول السيّدة زينب ابنة أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما): خرجتُ أُشيّعُ جنازة أبي (صلوات الله عليه) وكنّا نسمع دويّاً وحفيفاً حتى وصلنا إلى ظهر الغريّ[3] وقد انتهينا إلى موضعِ قبره (صلوات الله عليه) وإذا هو صخرة

---

(١) ابن عساكر، علي، تاريخ دمشق، الجزء (١)، صفحة (٢١٣)، طبعة دار الفكر بيروت.
(٢) العلوي، عبد الكريم، فرحة الغريّ، صفحة (٣١).
(٣) المصدر السابق، صفحة (٣٤).

بيضاء تلمع نوراً وإذ مقدّم السرير قد وضع، فوضع الحسن (صلوات الله عليه) مؤخّره، ثُمَّ قام وصلّى عليه، والجماعة خلفه[١]، ثُمَّ برز بالبردة التي نشف بها رسول الله ﷺ وفاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، فنشّف بها أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، ثمّ أخذ المعول فضرب ضربةً واحتفر فانشقّ القبر عن ضريحٍ، فإذا هو بساجةٍ مكتوبٌ عليها:

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبرٌ ادّخره نوح النَّبيّ لعلي وصيّ محمّد قبل الطوفان بسبعمائة عام).

ثُمَّ وُضع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في قبره.. فانشقّ القبر فلا أدري أغار سيّدي في الأرض أم أسري به إلى السماء..!!.

وفي رواية عن مولانا الصادق (صلوات الله عليه) أنّ الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) أخذا اللبنة من عند الرأس بعدما أشرجا اللبن عليه، فإذا ليس في القبر شيء..[٢].

تقول السيّدة زينب (سلام الله عليها) وبينا نحن كذلك إذ سمعتُ ناطقاً وهاتفاً لنا بالتعزية يقول:

(أحسن الله لكم العزاء في سيّدكم وحجة الله على خلقه)[٣].

وفي الرواية عن مولانا الإمام جعفر بن محمّد الصادق (صلوات الله عليه) كان الناطق يقول: **(أمير المؤمنين كان عبداً صالحاً فألحقه الله بنبيّه)**.

---

(١) قيل: أنّ الإمام الحسن (صلوات الله عليه) كبّر على أبيه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) خمساً كما في رواية راجع جواهر المطالب الجزء (٢) صفحة (١٠٩) طبعة مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة.
وقيل: كبّر عليه سبعاً ـ راجع منتهى الآمال الجزء (١) صفحة (٢٥٦) وجلاء العيون صفحة (٢٣٠).
وقيل: كبّر عليه تسعاً ـ راجع كشف الغمة في معرفة الأئمّة الجزء (٢) صفحة (٥٣).

(٢) العلوي، عبد الكريم، فرحة الغري، صفحة (٣٠).

(٣) المصدر السابق، صفحة (٣٤).

ثُمَّ قال (صلوات الله عليه): وكذلك يُفعل بالأوصياء بعد الأنبياء حتى لو أنّ نبياً مات في المشرق ومات وصيّه في المغرب لألحق الله الوصيّ بالنَّبيّ[١].

ثُمَّ انصرف أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بعد أن سووا التراب عليه، وهم مسرورون بإكرام الله لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، فلحقهم قوم من الشيعة لم يشهدوا الصلاة عليه، فأخبروا بما جرى وبإكرام الله أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

فقالوا: نحب أنّ نعاين من أمره ما عاينتم فأخبرهم أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أنّ الموضع قد عفي بوصيَّة منه (صلوات الله عليه) فمضوا ثُمَّ عادوا.. فقالوا: لم نجد شيئاً[٢].

هذا، وقد تولى دفن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أبناءه (صلوات الله عليهم) وابن أخيه عبد الله بن جعفر[٣] وابن عمه عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) وقد تمّ دفنه (صلوات الله عليه) قبل طلوع الفجر[٤].

جمعٌ من الأنبياء والملائكة يحضر التشييع

في الرواية عن أبي بصير (رضوان الله عليه) قال: سألتُ الإمام أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه) عن قبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فإنّ الناس قد اختلفوا فيه..؟

قال (صلوات الله عليه): إنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) دُفن مع أبيه نوح في قبره.

قلت: جعلتُ فداك من تولى دفنه..؟

---

(١) الطوسيّ، محمّد، تهذيب الأحكام، الجزء (٦)، صفحة (١٠٦)، طبعة دار التعارف بيروت.

(٢) المفيد، محمّد، الإرشاد، الجزء (١)، صفحة (٢٣).

(٣) انظر ترجمته: صفحة (٦٠١).

(٤) الطبرسيّ، الفضل، أعلام الورى الجزء (١) صفحة (٣٩٣)، طبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

فقال (صلوات الله عليه): رسول الله ﷺ مع الكرام الكاتبين بالروح والريحان[١].

وفي رواية عن الإمام أبي محمّد الحسن (صلوات الله عليه) أنّه لمّا وضع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في الضريح نظر الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) إلى الضريح فإذا هو مغطى بثوب من سندسٍ، فكشف الحسن (صلوات الله عليه) مِمّا يلي وجه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فوجد رسول الله ﷺ والنَّبيّين وآدم وإبراهيم (عليهما السلام) يتحدّثون مع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، وكشف الحسين (صلوات الله عليه) مِمّا يلي رجليه فوجد السيّدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) ومعها السيّدات الجليلات حواء، ومريم ابنة عمران، وآسيا بنت مزاحم، (عليهنّ السلام) ينحْنَ على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ويندبّنه..[٢].

ـ المطلب الثامن: رثاء صعصعة بن صوحان[٣]

روى العلّامة المجلسيّ رحمه الله في كتابه بحار الأنوار بإسناده عن لوط بن يحيى عن أشياخه قال:

لمّا أُلحد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وقف الصحابيّ الجليل صعصعة بن صوحان العبدي (رضوان الله عليه) على قبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، ووضع إحدى يديه على فؤاده والأخرى قد أخذ بها التراب، ويضرب به رأسه، ثُمَّ قال: بأبي أنت وأمّي يا أمير المؤمنين...

ثُمَّ قال: هنيئاً لك يا أبا الحسن..!.

---

(١) العلوي، عبد الكريم، فرحة الغري، صفحة (٤٨).

(٢) القمّي، عباس، منتهى الآمال، الجزء (١)، صفحة (٢٥٧)، طبعة الدار الإسلاميّة.

(٣) انظر ترجمته: صفحة (٦٠٤).

فلقد طاب مولدك، وقوي صبرك، وعظم جهادك، وظفرت برأيك، وربحت تجارتك، وقدمت على خالقك، فتلقّاك الله ببشارته، وحفّتك ملائكته، واستقررت في جوار المصطفى، فأكرمك الله بجواره، ولحقت بدرجة أخيك المصطفى، وشربت بكأسه الأوفى، فأسأل الله أن يمنّ علينا باقتفائنا أثرك، والعمل بسيرتك، والموالاة لأوليائك، والمعاداة لأعدائك، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك، فقد نلت ما لم ينله أحد، وأدركت ما لم يدركه أحد، وجاهدت في سبيل ربّك بين يدي أخيك المصطفى حقّ جهاده، وقمت بدين الله حقّ القيام، حتى أقمت السننّ، وأبرت الفتنّ، واستقام الإسلام، وانتظم الإيمان، فعليك مني أفضل الصلاة والسلام..

بك اشتدّ ظهر المؤمنين، واتّضحت أعلام السُبُل، وأقيمت السننّ، وما جمع لأحدٍ مناقبك وخصالك، سبقت إلى إجابة النَّبيّ ﷺ مقدماً مؤثراً، وسارعت إلى نصرته، ووقيته بنفسك، ورميت سيفك ذا الفقار في مواطن الخوف والحذر، قصم الله بك كلّ جبار عنيد، وذلّ بك كلّ ذي بأسٍ شديدٍ، وهدم بك حصون أهل الشرك والكفر والعدوان والردى، وقتل بك أهل الضلال من العدى، فهنيئاً لك يا أبا الحسن..!.

لقد شرّف الله مقامك، وكنت أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ نسباً.. وأوّلهم إسلاماً.. وأوفاهم يقيناً.. وأشدّهم قلباً.. وأبذلهم لنفسه مجاهداً.. وأعظمهم في الخير نصيباً.. فلا حرمنا الله أجرك.. ولا أذلّنا بعدك.. فوالله لقد كانت حياتك مفاتحٌ للخير.. ومغالقٌ للشرّ.. وإنّ يومك هذا مفتاح كلّ شرّ.. ومغلاقُ كلّ خيرٍ.. ولو أنّ الناس قبلوا منك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولكنّهم آثروا الدنيا على الآخرة..[1].

---

(١) الريشهريّ، محمّد، موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة والتاريخ، الجزء (٨) صفحة (٧٣)، طبعة دار الثقافة قم، نقلاً عن بحار الأنوار الجزء (٤٢) صفحة (٢٩٥).

يقول الإمام الصادق (صلوات الله عليه): ثُمَّ أنشد صعصعة بن صوحان هذه الأبيات:

مَن لي بِأُنسكَ يا أُخيَّا ومَن لي أن أبثَّكَ ما لدَيّا
ألا طَوَتكَ خُطُوبُ دَهْرٍ قد تَوالى لِذاكَ خُطوبُه نَشْراً وَطَيّا
فَلو نشرَتْ قِواكَ ليَ المَنايا شكوتُ إليكَ ما صَنَعَتْ إلَيّا
بَكيتُك يا عليُّ بِدُرِّ عَيني فَلم يُغنِ البُكاءُ عَليكَ شَيّا
كفى حُزناً بدفنِك ثُمّ إنّي نَفضتُ تُرابَ قَبرِكَ مِن يَدَيّا
وكانت في حياتِكَ لي عِظاتٌ وأنتَ اليومَ أوْعَظُ مَنكَ حَيّا
فيا أسفاً عليكَ وطولَ شَوقِي إليكَ لَوْ أنّ ذلكَ رَدّ شيّا
دعوتك يا عليّ فلم تجبني وردت دعوتي بأساً عليّا
بموتك ماتت اللذات عني وكانت حية إذ كنت حيّا
فيا أسفي عليك وطول شوقي إليك لو أن ذلك رد ليّا[1]

وقال (رضوان الله عليه) أيضاً في رثاء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

هل خبّر القبر سائليه أم قرّ عيناً بزائريه
أم هل تراه أحاط علماً بالجسد المستكن فيه
لو علم القبر من يواري تاه على كلّ من يليه
يا موت ماذا أردت مني حققت ما كنتُ أتقيه
يا موت لو تقبل افتداء لكنتُ بالروح أفتديه
دهر رماني بفقد إلفي أذمّ دهري وأشتكيه[2]

---

(١) النيسابوري، محمّد، روضة الواعظين، صفحة (١٥٣)، طبعة منشورات الرضى قم. ابن شهر آشوب، محمّد، مناقب آل أبي طالب، صفحة (٨٥٦)، طبعة دار المرتضى بيروت.

(٢) المصدر السابق (٨٥٦).

ثُمَّ بكى صعصعة بكاءً شديداً.. وأبكى كل من كان معه.

وعدلوا إلى الحسن والحسين ومحمّد وجعفر والعباس وباقي أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم أجمعين) فعزوهم في أبيهم. وانصرف الناس ورجع أولاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه وعليهم) وشيعتهم إلى الكوفة[١].

ـ المطلب التاسع: رثاء عبد الله بن عباس[٢]

تقول الروايات: لمّا استشهد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وتمّ دفنه قال الصحابيّ الجليل عبد الله بن عباس (رضوان الله عليه): هذا اليوم نقص الفقه والعلم من أرض المدينة.. إنّ نقصان الأرض نقصان علمائها.. وخيار أهلها.. إنّ الله لا يقبض هذا العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال.. ولكنَّه يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمٌ اتخذ الناس رؤوساء جهّالاً.. فيسألوا فيفتوا بغير علم فيضلوا وأضلوا..[٣].

ثُمَّ أنشد عبد الله بن عباس (رضوان الله عليه) هذه الأبيات:

وهزّ عليّ بالعراقين لحيته ... مصيبتها جلّت على كلّ مسلم
وقال سيأتيها بالسيف من الله نازلٌ ... ويخضبها أشقى البريّة بالدم
فعالجته بالسيف شُلّت يمينه ... لشؤم قطام عند ذاك ابن ملجم
فيا ضربة من خاسرٍ ضلّ سعيه ... تبوّأ منها مقعداً في جهنم

---

(١) الريشهريّ، محمّد، موسوعة الإمام عليّ في الكتاب والسنّة والتاريخ الجزء (٨) صفحة (٧٣)، طبعة دار الثقافة قم.

(٢) انظر ترجمته: صفحة (٦٠٧).

(٣) الريشهريّ، محمّد، موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة والتاريخ، الجزء (٨) صفحة (٧٢)، طبعة دار الحديث قم، ابن شهر آشوب، محمّد، مناقب آل أبي طالب صفحة (٨٥١) دار المرتضى بيروت. البحرانيّ، هاشم، تفسير البرهان، الجزء (٤)، صفحة (٢٩٨)، طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت.

فـفـاز أمـيـر الـمـؤمـنـيـن بـحـظـه وإن طرقت إحدى الليالي بمعظم
ألا إنّـمـا الـدنـيـا بـلاءٌ وفـتـنـة حلاوتها شيبت بصبر وعلقمِ[1]

وروى سليمان بن يسار قال: رأيت ابن عباس لمّا توفي أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة وقد قعد على المسجد محتبياً ووضع فرقه على ركبتيه وأسند يده تحت خده وقال:

أيّها الناس.. إنّي قائلٌ فاسمعوا ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا مات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) وأُخرج من الدنيا ظهرت في الدنيا خصال لا خير فيها..[2].

فقلت: وما هي يا رسول الله..؟

فقال: تقل الأمانة.. وتكثر الخيانة.. حتى يركب الرجل الفاحشة وأصحابه ينظرون إليه.. والله لتضايق الدنيا بعده بنكبة، ألا وإن الأرض لم تخل مني.. ما دام علي بن أبي طالب حياً في الدنيا بقية من بعدي.. عليٌّ في الدنيا عوض مني بعدي.. عليٌّ كجلدي، عليٌّ لحمي، عليٌّ عظمي، عليٌّ كدمي، عليٌّ عروقي، عليٌّ أخي، ووصيي في أهلي، وخليفتي في قومي، ومنجز عداتي، وقاضي ديني، قد صحبني عليٌّ في ملماتِ أمري، وقاتل معي أحزاب الكفار، وشاهدني في الوحي وأكل معي طعام الأبرار، وصافحه جبرائيل عليه السلام مراراً نهاراً جهاراً، وشهد جبرائيل وأشهدني أن علياً (صلوات الله عليه) من الطيبين الأخيار.

وأنا أشهدكم معاشر الناس لا يتساءلون من علم آمركم ما دام عليٌّ فيكم،

---

(١) القمي، عباس، منتهى الآمال، الجزء (١)، صفحة (٢٥٨)، طبعة الدار الإسلامية بيروت. المدائني، عز الدين، شرح نهج البلاغة، الجزء (٦)، صفحة (٧٨)، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢) صفحة (٣١٠) طبعة مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

فإذا فقدتموه فعند ذلك تقوم الآية: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾[1] صدق الله وصدق نبي الله[2].

عبد الله بن عمر يرثي أمير المؤمنين

ويروى أن عبد الله بن عمر بن الخطاب عندما جاءه نعي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قرأ قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[3] ثُمَّ قال راثياً له: لقد كنت يا أمير المؤمنين الطرف الأكبر في العلم، اليوم نقص علم الإسلام، ومضى ركن الإيمان..[4].

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٤٢).

(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢)، صفحة (٣١٠)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٣) سورة الرعد، الآية (٤١).

(٤) ابن شهر آشوب، محمّد، مناقب آل أبي طالب صفحة (٨٥١)، طبعة دار المرتضى بيروت. البحراني، هاشم، تفسير البرهان الجزء (٤) صفحة (٢٩٧)، طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت.

الفصل السادس

أحداث اليوم الواحد والعشرون من شهر رمضان

وفيه جملة من المطالب.

ـ المطلب الأوّل: بروحك إنني علّقتُ روحي

بعد أن تمّ دفنُ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) رجع أبنائه وكان معهم خواص شيعتهم فسمعوا أنيناً.. فقفوا أثره واقتربوا من سور الكوفة فإذا به رجلٌ قد توسّد لِبنة، وقد أجهده المرض وأخذ منه مأخذاً، وهو يحنّ حنين الثكلى الوالهة، وينوح ويتألّم، فوقف عنده الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) وسألاه عن حاجته.

فقال الرجل إنّي رجلٌ غريبٌ، لا أهل لي وقد أعوزتني المعيشة، وأتيتُ إلى هذه البلدة منذ سنة، وكل ليلة يأتيني شخص إذا هدأت العيون بما أقتات من طعام وشراب، ويجلس معي، يؤنسني ويسلّيني عمّا أنا فيه من الهمّ والحزن، وقد فقدته منذ ثلاثة أيام.

فقال له الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) وهما يبكيان: صفه لنا.

فقال الرجل: إنّي مكفوف البصر لا أبصره.

فقالا له: ما اسمه..؟

قال: كنتُ أسأله عن اسمه فيقول: إنّما أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة.

فقالا له: أسمعنا من حديثه.

قال الرجل: لقد كان دأبه التسبيح والتقديس، والتكبير والتهليل، وإنّ الأحجار والحيطان تجيب بإجابته والأرض والسماء تسبّح بتسبيحه، وتهلل بتهليله، وحينما كان يجلس بقربي كان يقول: مسكينٌ جالس مسكيناً، غريبٌ جالس غريباً.

لمّا سمع أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كلام الرجل أخذ بعضهم ينظر إلى البعض الآخر ثُمَّ قالوا للرجل: إنّ هذه الصفات والشمائل التي ذكرتها هي لسيّدنا ومولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

فقال الرجل: ما حدث له إذ لم يصلني منذ ثلاثة أيام ..؟

فقال الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) وهما يبكيان: قد ضربه أشقى الأشقياء، وانتقل إلى جوار ربه، وقد فرغنا الآن من دفنه.

فلمّا سمع الرجل ذلك لم يتمالك دون أن رمى بنفسه على الأرض وجعل يضرب برأسه الصخور ويحثو على رأسه التراب ويصرخ صراخ المعولة الفاقدة ويقول: من أنا حتى يصلني أمير المؤمنين..!! لِمَ قتلوه..؟!.

فأخذ الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) بتسكيته فلم يهدأ، ثُمَّ قال لهما بالله عليكما ما أسمكما وإسم أبيكما؟

فقال له الحسن (صلوات الله عليه): أبونا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وأنا الحسن بن عليّ، وهذا أخي الحسين، وهؤلاء بقيّة أولاده وأقربائه، وجملة من أصحابه، ونحن الآن راجعون من دفنه.

قال الرجل: سألتكما بالله، وبجدكما رسول الله، وأبيكما وليّ الله، إلّا ما

عرجتما بي على قبره لأجدّد به عهداً، فقد تنغّص عيشي بقتله وتكدّرت حياتي بعد دفنه.

فأخذ الإمام الحسن (صلوات الله عليه) بيد الرجل، والحسين (صلوات الله عليه) بيده الأخرى والنّاس من وراءهما بالبكاء والعويل حتى أتوا إلى قبره الشريف، فانحنى الرجل على القبر وجعل يمرغ جسمه عليه ويحثوا التراب على رأسه وهو يقول: [يعزُّ عليّ فراقه]، حتى غشي عليه، وهم من حوله يبكون، وقد أشرفوا على الهلاك من كثرة البكاء والنحيب، فلمّا أفاق من غشوته رفع كفّيه إلى السماء وقال:

[اللهم إنّي أسألك بحق من سكن هذه الحفرة المنورة أن تلحقني به، وتقبض روحي إليك فإنّي لا أقدر على فراقه]

فاستجاب الله دعاءه، فما وجدوه إلّا مثل الخشبة اليابسة وقد قبضه الله وقضى نحبه.

فبكى عليه الحاضرون بكاءً شديداً ثُمَّ غسّلوه وجهّزوه وصلّوا عليه ودفنوه بتلك البقعة المطهرة بجنب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)[1].

ـ المطلب الثاني: خطبة رثائية للإمام الحسن

بعد أن أودع الإمام الحسن وإخوته (صلوات الله عليهم) جسد أبيهم المبارك في أرض النجف الأشرف وتمّ دفنه، ورجعوا إلى الكوفة مع شيعتهم احتشد جمع كبير من النّاس في المسجد الأعظم وقد غصّ بهم المكان على سعته.. فخرج مولانا أبي محمّد الحسن (صلوات الله عليه) وعليه عمامة سوداء فوقف خطيباً حيثُ كان يقف أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وحوله

(١) الهنداوي، محمّد، مجمع مصائب أهل البيت، الجزء (٤) صفحة (١٤٤) طبعة دار المحجة البيضاء بيروت نقلاً عن وفاة أمير المؤمنين للبلادي. روضة الشهداء صفحة (١٧٢).

من بقي من وجوه المهاجرين والأنصار فأراد الكلام فخنقته العبرة.. فقعد ساعة ثُمَّ قام فقرأ خطبة فصيحة بليغة.

فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النَّبيّ محمّد ﷺ وابتدأ خطابه عن مصابه بأبيه الذي أصيب به جميع المسلمين.

فقال: إنّه قد قبض في هذه الليلة رجلٌ ما سبقه الأوّلون ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، وإنّه كان لصاحب راية رسول الله ﷺ وإنّ رسول الله ﷺ قال فيه: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

أينما وجهه رسول الله ﷺ كان جبرائيل عليه السلام عن يمينه، وميكائيل عليه السلام عن يساره، ثُمَّ تُردّ رايته، ولا يرجع ولا ينثني حتى يفتح الله عليه.

ولقد توفي في الليلة التي نزل فيها القرآن[1] وعرج فيها عيسى بن مريم إلى السماء، وقبض فيها يوشع بن نون وصيّ موسى، وصعد فيها بروح يحي بن زكريا[2] وما خلّف خضراء ولا بيضاء سوى سبعمائة درهم فضلت عن عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله، وقد أمرني أن أردها إلى بيت المال.

ثُمَّ بكى (صلوات الله عليه) وبكى الناس من حوله حتى ارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب من جميع أنحاء الكوفة وعاد إلى حديثه بعد أن استنصت النّاس فقال:

أيّها النّاس.. من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن عليّ، وأنا ابن النَّبيّ، والوصيّ، وأنا ابن البشير النذير، والداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير وأنا ابن أهل البيت الذين كان جبرائيل عليه السلام ينزل إلينا ويصعدُ

---

(١) ابن شهر آشوب، محمّد، مناقب آل أبي طالب صفحة (٨٥٥)، طبعة دار المرتضى بيروت.

(٢) الكلينيّ، محمّد، أصول الكافي، الجزء (١) صفحة (٥٢٩) طبعة دار التعارف بيروت.

من عندنا، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وافترض مودتهم على كل مسلم.

فقال في كتابه: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ﴾[1] الحسنة مودتنا أهل البيت[2].

ـ المطلب الثالث: أخذ البيعة

ولمّا أنهى خطابه قام إليه عبد الله بن عباس (رضوان الله عليه) ودعا النّاس إلى بيعته وقال: معاشر النّاس هذا ابن نبيّكم، ووصيّ إمامكم، فبايعوه..

فاستجاب النّاس لهذه الدعوة المباركة وأعلنوا الرضا والانقياد وكان مجمل قولهم: ما أحبّه إلينا وأوجب حقه علينا ومن أحقّ بالخلافة والبيعة منه.

وأقبل النّاس يتسابقون على بيعته، وعلى حرب من حارب وسلم من سالم، وتمّت البيعة في الكوفة، وقد أجمع المؤرخون على أنّ خلافته كانت في صبيحة اليوم الذي دُفن فيه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)[3].

خطبة البيعة

بعد أن تمّت البيعة نودي في النّاس فاجتمعوا في مسجد الكوفة فصعد الإمام أبي محمّد الحسن (صلوات الله عليه) المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثُمَّ قال: الحمد لله الذي أحسن علينا الخلافة أهل البيت وعنده نحتسب عزانا

---

(١) سورة الشورى، الآية (٢٣).

(٢) الحسنيّ، هاشم، سيرة الأئمّة الاثني عشر، الجزء (١)، صفحة (٥٠٠)، طبعة دار التعارف بيروت.

(٣) القمي، عباس، منتهى الآمال، الجزء (١) صفحة (١١٦) طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

في خير الأباء رسول الله ﷺ وعند الله نحتسب عزانا في أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)[١].

نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسوله الأقربون، وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين الذين خلّفهما رسول الله ﷺ في أمّته [إنّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي][٢] فالتالي كتاب الله، والمعوّل علينا في تفسيره، لا نتظنّى في تأويله، بل نتيقّن حقائقه، فأطيعونا فإنّ طاعتنا مفروضة إذا كانت بطاعة الله عزّ وجلّ ورسوله مقرونة، قال الله عزّ وجلّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[٣].

ثُمَّ قال: أيّها الناس..! إنّ الدنيا دار بلاء وفتنة، وكلّ ما فيها فآئل إلى زوال وإضمحلال، وقد نبأنا الله عنها لكي نعتبه، وتقدّم إلينا فيها بالوعد لكي نزدجر، فلا يكون له علينا حجة بعد الإعذار والإنذار، فازهدوا فيما يفنى، وارغبوا فيما يبقى، وخافوا الله في السرّ والعلانية، ألا! وقد علمتم أنّ أمير المؤمنين علياً [عليه السلام] حياً وميتاً عاش بقدر، ومات بأجل، وإنّي أبايعكم على أن تحاربوا من حاربتُ، وتسالموا من سالمت.

فقال النّاس: سمعنا وأطعنا، فمرنا بأمرك يا أمير المؤمنين..[٤].

---

(١) المصدر السابق، الجزء (١) صفحة (٢٥٩).

(٢) عن زيد ابن أرقم (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي تاركٌ فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله عزوجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فوا كيف تخلفوني فيهما ـ راجع ذخائر العقبى للطبري صفحة (١٦) طبعة مكتبة القدسي القاهرة ـ ولا شك أنّ حديث الثقلين هو من الأحاديث المتواترة عند الفريقين ولا يختلف فيه أحد من المسلمين.

(٣) سورة النساء، الآية (٥٩).

(٤) الكوفيّ، ابن أكثم، كتاب الفتوح، الجزء (٤)، صفحة (٢٨٣)، طبعة دار الأضواء بيروت.

رثاء الإمام الحسن لأمير المؤمنين

وفي الرواية أنّ الإمام أبي محمّد الحسن (صلوات الله عليه) رثى أباه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بأبيات فيقول:

أين من كان لعلم المصطفى في الناس بابا
أين من كان إذا ما قحط النّاس سحابا
أين من كان إذا نودي في الحرب أجابا
أين من كان دعاه مستجابا ومجابا

وقال (صلوات الله عليه) أيضاً:

خلّ العيون وما أردن من البكاء على عليّ
لا تقلبن من الخليّ فليس قلبك بالخليّ
لله أنت إذا الرجال تضعضعت وسط النديّ
فرّجت غمته ولم تركن إلى فشلٍ وعيّ

وقال (صلوات الله عليه) أيضاً:

خذل الله خاذليه ولا أغمد عن قاتليه سيف الفناء[1]

ـ المطلب الرابع: فقد جعلنا لوليه سلطانا

قال الراوي: فلمّا فرغ أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من دفنه، ورجعوا إلى منزل أبيهم دخلت زينب ابنة أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما) على أخيها الحسن (صلوات الله عليه) وأقسمت عليه أن لا يترك الملعون ابن ملجم في الحياة ساعة واحدة، وكان الإمام (صلوات الله عليه) قد عزم على تأخيره ثلاثة أيامٍ، فأجابها إلى ذلك، وخرج لوقته وساعته، وجمع أهل بيته وأهل البصائر منَ أصحاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الذين كانوا على

(١) ابن شهر آشوب، محمّد، مناقب آل أبي طالب صفحة (٨٥٥) طبعة دار المرتضى بيروت.

عهد رسول الله ﷺ كصعصعة بن صوحان والأحنف بن قيس، وأشبههما (رضي الله عنهم) وتشاوروا في قتل ابن ملجم، فكلٌّ أشار بقتله في ذلك اليوم

واجتمع رأيهم على قتله في المكان الذي ضُرب فيه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقال عبد الله بن جعفر (رضوان الله عليه): إقطعوا يديه ورجليه ولسانه وأُقتلوه بعد ذلك.

وقال بعضهم: إجعلوه غرضاً للنشاب وأحرقوه بالنار.

وقال آخر: إصلبوه حياً حتى يموت.

فقال الإمام الحسن (صلوات الله عليه): أنا ممتثل فيه ما أمرني به أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أضربه ضربة بالسيف حتى يموت وأحرقه بالنار بعد ذلك.

ثُمَّ أمر (صلوات الله عليه) أن يأتوه بابن ملجم فجاؤوا به مكتوفاً حتى أدخلوه إلى الموضع الذي ضَرب فيه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) والناس يلعنونه ويوبخونه، وهو ساكتٌ لا يتكلّم، فقال له الإمام الحسن (صلوات الله عليه): يا عدو الله، قتلت والله أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وإمام المسلمين، وأعظمت الفساد في الدين.

فقال: يا حسن ويا حسين ما تريدان تصنعان بي..؟

فقالا له: نريد قتلك كما قتلت سيّدنا ومولانا.

فقال لهما[1]: إصنعا ما شئتما أن تصنعا ولا تعنّفا من استزله الشيطان

---

(١) قال ابن ملجم للإمام الحسن (صلوات الله عليه): ما الذي أمرك به أبوك..؟
قال: أمرني أن لا أقتل غير قاتله وأن أشبع بطنك، وأنعم وطاءك، فإن عاش، أقتصّ أو أعفو، وإن مات ألحقناك به.
فقال ابن ملجم: كان أبوك ليقول الحق ويقضي به في حال الغضب والرضا، فضربه الحسن (صلوات الله عليه) بالسيف فالتقاه بيده فندرت وقتله ـ راجع موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة والتاريخ، الجزء (٨) صفحة (٧٨) طبعة دار الحديث قم.

فصد عن السبيل، ولقد زجرت نفسي فلم تنزجر..!! ونهيتها فلم تنته..!! فدعها تذوق وبال أمرها ولها عذاب شديد، ثُمَّ بكى.

فقال له الإمام الحسن (صلوات الله عليه): ويلك ما هذه الرقة..؟ أين كانت حين وضعت قدمك وركبت خطيئتك..؟ فقال ابن ملجم لعنه الله ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[1].

ولقد انقضى التوبيخ والمعايرة، وإنّما قتلتُ أباك وحصلتُ بين يديك[2]، فاصنع ما شئت، وخذ بحقّك مني كيف شئت، ثُمَّ برك على ركبتيه.. فقام الإمام الحسن (صلوات الله عليه) وأخذ السيف بيده وجرّده من غمده فهزبه حتى لاح الموت في حدّه ثُمَّ ضربه ضربة أدار بها عنقه فاشتدّ زحام الناس عليه وعلت أصواتهم، فلم يتمكّن من فتح باعه، فارتفع السيف إلى باعِهِ فأبرأه فانقلب عدو الله على قفاه يخور في دمه، وابتدره الناس بأسيافهم فقطعوه إرباً إرباً وعجّل الله بروحه إلى النار وبئس القرار، ثُمَّ جمعوا جثته وأخرجوه من المسجد وجمعوا له حطباً وأحرقوه بالنار[3].

---

(١) سورة المجادلة، الآية (١٩).

(٢) وروي أنّه لمّا أراد الإمام الحسن (صلوات الله عليه) قتل اللعين ابن ملجم، قال للإمام (صلوات الله عليه): هل لك في خصلة..؟ وإنّي والله ما أعطيتُ الله عهداً إلّا وفيتُ به، إنّي كنتُ قد أعطيتُ الله عهداً عند الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت خلّيت بيني وبينه، ولك الله عليّ إن لم أقتله - أو قتلته ثُمَّ بقيت - أن آتيك حتى أضعَ يدي في يدك. فقال له الحسن (صلوات الله عليه): أما والله حتى تعاين النار فلا، ثُمَّ قدّمه فقتله، ثُمَّ أخذه الناس فأدرجوه في بواري ثُمَّ أحرقوه بالنار.. ـ راجع تاريخ الطبريّ الجزء (٣) صفحة (١٥٩) طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

(٣) روى الأربلي رحمه الله قال: وروى أحمد بن حنبل في مسنده قال: لمّا ضرب ابن ملجم ـ لعنه الله ـ علياً الضربة، قال عليٌّ عليه السلام: إفعلوا به كما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يفعل برجلٍ أراد قتله، فقال: أقتلوه ثُمَّ حرقوه.. فلمّا قضى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) نحبه وفرغ أهله من دفنه جلس الحسن (صلوات الله عليه) وأمر أن يؤتى بابن ملجم فجيء به فلمّا وقف بين يديه قال: يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين، وأعظمت الفساد في الدين..؟!!.
ثُمَّ أمر به فضربت عنقه واستوهبت أم الهيثم بنت الأسود النخعية جيفته منه لتتولى إحراقها فوهبها لها =

وقيل: طرحوه في حفرة وطمّوه بالتراب، وهو يعوي كعوي الكلاب في حفرته إلى يوم القيامة.

وروى الحميري في (قرب الإسناد) بإسنادٍ معتبر عن أبي البختري عن مولانا الإمام أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) قال: إنّ الحسن (صلوات الله عليه) قدّم ابن ملجم - لعنه الله - فضرب عنقه بيده، فقال: قد عاهدتُ الله عهداً أن أقتل أباك، فقد وفيت، فإن شئت فاقتل، وإن شئت فاعف، فإن عفوت ذهبتُ إلى معاوية فقتلته، وأرحتك.

فقال (صلوات الله عليه): لا حتى أعجلك إلى النار، فقدّمه فضرب عنقه[1].

وأقبلوا إلى قطام فقطّعوها بالسيف إرباً إرباً، ونهبوا دارها ثُمَّ أخرجوها إلى ظاهر الكوفةِ وأحرقوها بالنار وعجلّ الله بروحها إلى النار وغضب الجبار[2].

ـ المطلب الخامس: السيِّدة زينب تندب أباها

قال أبو مخنف: فلمّا فرغ أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من قتل ابن ملجم وقطام أقبل الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) إلى المنزل، فالتقت بهم الحوراء زينب (سلام الله عليها) وأنشدت تقول هذه الأبيات لمّا سمعت بقتل ابن ملجم:

ألا يا عينُ جودي وأسعدينا ألا فابكي أمير المؤمنينا

= فأحرقتها بالنار ـ أنظر كشف الغمّة في معرفة الأئمّة الجزء (٢) صفحة (٥٨) طبعة شركة مكتبة الألفين بيروت.

(١) العلوي، قرب الإسناد، صفحة (٩) الحديث رقم (٥١٥)، طبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢)، صفحة (٢٩٧)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت. الريشهريّ، محمّد، موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة والتاريخ، المجلّد (٨) صفحة (٧٧) وما بعدها، طبعة دار الحديث قم.

وتبكي أمّ كلثوم عليه ... بعَبَرتها وقد رأتِ اليقينا
ألا قلّ للخوارج حيثُ كانوا ... فلا قرّت عيونُ الحاسدينا
وأبكي خير من رَكِبَ المطايا ... وحَثّ بَها وأقْرَى الظاعنينا
وأبكي خير من ركب المطايا ... وفارسها ومن ركب السفينا
ومن لبس النّعال ومن حَفَاها ... ومن قرأ المثاني والمئينا
ومن صام الهجير وقام ليلاً ... وناجى الله خير الخالقينا
إمامٌ صادقٌ برٌّ تقيّ ... فقيه قد حوى علماً ودينا
شجاع أشوس بطل همام ... ومقدام الأساود في العرينا
كميٌّ باسلٌ قرْمٌ هزبرٌ ... حَمِيٌّ أرْوَعٌ ليثٌ بطينا
فعمرو قاده في الأسر لمّا ... طغا وسقى ابن ودّ منهُ حِينا
ومرحب قدّه بالسيف قدّا ... وعفّر ذا الخمار على الجبينا
وبات على الفراش يقي أخاه ... ولم يعبأ بكيد الكافرينا
ويدعو للجماعة من عصاه ... ويقضي بالفرائض مستبينا
وكلّ مناقب الخيرات فيه ... وحُبُّ رسول ربِّ العالمينا
مضى بعد النَّبيّ فدته نفسي ... أبو حسنٍ وخيرُ الصالحينا
إذا استقبلت وجه أبي حسينٍ ... رأيت البدر فاق الناظرينا
وكنا قبل مقتله بخيرٍ ... نرى رسول الله فينا
يُقيمُ الحقّ لا يرتابُ فيه ... ويُنهكُ قطع أيدي السارقينا
وليس بكاتم علما لديه ... ولم يُخلق من المتجبرينا
ومن بعد النَّبيّ فخيرُ نفسٍ ... أبو حسنٍ وخير الصالحينا
فلو أنا سُئلنا المال فيه ... بَذلنا المالَ فِيه والبنينا
فلا كأنّ النّاس إذ فقدوا علياً ... نِعامٌ جال في بلد سِنينا
والله لا أنسى عليّاً ... وحُسنَ صلاته في الراكعينا
وقلّ للشامتين بنا رويداً ... سيلقى الشامتون كما لقينا

ألا أبلغ معاوية بن حرب فلا قرّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا وذللها ومن ركب السفينة
ومن لبس النعال ومن حذاها ومن قرأ المثاني والمبينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين رأيت النور فوق الناظرينا
لقد علمت قريش حين كانت بأنّك خيرهم حسباً ودينا
فلا تشمت معاوية بن حرب فإنّ بقية الخلفاء فينا
وأجمعنا الإمارة عن تراض إلى ابن نبينا وإلى أخينا
فلا نعطي زمام الأمر فينا سواه الدهر آخر ما بقينا
وإنّ سراتنا وذوي حجانا وتواصوا أن نجيب إذا دعينا
بكلّ مهنّد غضب وجرد عليهنّ الكماة مسومينا[1]

فلم يبق أحدٌ في المسجد إلّا انتحب وبكى لبكائها، وكل من كان حاضراً من عدوٍ وصديق، ولم أرى باكية ولا باكياً أكثر من ذلك اليوم[2].

ـ المطلب السادس: إسلام راهب من اليهود

روى أبو القاسم الحسن بن محمّد المعروف بابن الرفاء بالكوفة قال: كنتُ بالمسجدِ الحرام فرأيتُ الناس مجتمعون حول مقام إبراهيم.

فقلتُ: ما هذا..؟

قالوا: راهب أسلم.

---

(١) نسب ابن شهر آشوب في المناقب هذه القصيدة الرثائية للصحابي الجليل أبي الأسود (رضوان الله عليه)، وقيل: أنّها لأم الهيثم بنت العربان الخثعميّة.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٤٢)، صفحة (٢٩٩)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

فأشرفت عليه فإذا شيخ كبير عليه جبة صوف وقلنسوة صوف، عظيم الخلقة وهو قاعد بحذاء مقام إبراهيم، فسمعته يقول:

كنتُ قاعداً في صومعتي، فأشرفتُ منها فإذا طائر كالنسر قد سقط على صخرةٍ على شاطئ البحر، فتقيأ فرمى بربع إنسان، ثُمَّ طار فتفقدته فعاد فتقيأ فرمى بربع إنسان كذا إلى أن تقيأ باقيه، ثُمَّ طار فدنت الأرباع فقام رجلاً فهو قائم وأنا أتعجب حتى انحدر الطير فضربه وأخذ ربعه وطار وفعل به في الثلاثة الأرباع كذلك.

فبقيت أتفكر وأتحسّر ألا أكون سألته من هو فبقيت أتفقد الصخرة حتى رأيتُ الطير فأقبل وفعل كما فعل فالتأمت الأرباع وصار رجلاً فنزلتُ وقمتُ بإزائه ودنوتُ منه وسألته من أنت..؟

فسكت عني، فقلتُ: بحق من خلقك من أنت..؟

فقال: أنا ابن ملجم.

فقلتُ: وما فعلت..؟!!.

قال: قتلتُ علي بن أبي طالب..!! فوكّل الله بي هذا الطائر يقتلني كل يوم قتلة.. فهذا خبري..

وانقض الطائر فأخذ ربعه وطار.

فسألت عن عليّ فقالوا: ابن عم رسول الله ﷺ فأسلمت[1].

(١) الأربلي، علي، كشف الغمة، الجزء (٢) صفحة (٥٤) طبعة مكتبة الألفين.

القسم السابع

فرح الخوارج بمقتلِ أمير المؤمنين

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأوّل: معاوية يفرح بمقتلِ أمير المؤمنين
- المطلب الثاني: عائشة تفرح بمقتلِ أمير المؤمنين
- المطلب الثالث: الخوارج يفرحون بمقتلِ أمير المؤمنين

ـ المطلب الأوّل: معاوية يفرح بمقتل أمير المؤمنين

تقول الروايات: لمّا بلغ معاوية بن أبي سفيان نعي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، فرح فرحاً شديداً، وقال: إنّ الأسد الذي كان يفترش ذراعيه في الحرب قد قضى نحبه، ثُمَّ قال:

للأرنبِ ترعى أينما سرحت ... وللضباء بلا خوف ولا وجل

وفي روايةِ الراغب عن شريك أنّه قال: لمّا أتى معاوية نبأ مقتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان متكئاً، فاستوى جالساً، ثُمَّ قال: يا جارية غنيني، فاليوم قرّت عيني.

فأنشأت تقول:

ألا أبلغ معاوية ابن حرب ... فلا قرّت عيون الشامتينا

أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير النّاس طرّاً اجمعينا

قتلتم خير من ركب المطايا ... وأفضلهم ومن ركب السفينا

فرفع معاوية عموداً كان بين يديه فضرب رأسها ونثر دماغها[1].

---

(١) المحمودي، نهج السعادة، الجزء (٩)، صفحة (٤٦٠)، طبعة مؤسسة النعمان النجف الأشرف. وفي هذه الأبيات دلالة واضحة وإشارة صريحة على ضلوع معاوية في اغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ولهذا اعتبر الكثير من المؤرخين وأهل التحقيق أنّ هذه الأبيات تعدّ وثيقة ودليلاً على تواطؤ معاوية في جريمة اغتيال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)،وقد نسب جملة من المؤرخين هذه الأبيات إلى الصحابيّ الجليل أبي الأسود الدؤليّ (رضوان الله عليه)، راجع، الطبريّ في تاريخه، الجزء (٣) صفحة (١٦٠) طبعة دار الكتب العلميّة ببيروت. والمسعودي في مروجه الجزء (٢) صفحة (٤٣٨)، طبعة دار القارئ بيروت.

ـ المطلب الثاني: عائشة تفرح بمقتل أمير المؤمنين

روى الطبريّ في تاريخه والمسعودي في مروجه وابن سعد في طبقاته وأبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبيين وابن الأثير وغيرهم، قالوا: لمّا جاء عائشة خبر قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) سجدت!!![1] ثُمَّ تمثّلت:

ما زال إهداء القصائد بيننا شتم الصديق وكثرة الألقابِ
حتى تركت كان قولك فيهم في كل مجمع طنين ذبابِ[2]

وروى الشيخ المفيد رحمه الله أنّه لمّا جاء الناعي[3] فنعى أهل المدينة وسمعت عائشة بنعيه استبشرت وقالت: من قتله؟ فقيل لها: رجلٌ من مراد، فقالت متمثّلة:

فإن يك ناعياً فلقد نعاه لنا من ليس في فيه التراب

ثُمَّ خرتّ ساجدةً شكراً لله على ما بلغها من قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ورفعت رأسها وهي تقول:

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافرِ[4]

فقالت لها زينب ابنة أبي سلمة: ألعليّ تقولين هذا..؟!!.

---

(١) نقل السيّد المقدّس عبد الحسين شرف الدين رحمه الله قضية سجودها شكراً لله على ما بلغها من قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، وقد علّق على ذلك فقال رحمه الله: ولله قول من يقول من أبطال أهل البيت علماً وعملاً.....

قد قيل تبتِ!! وعليّ غمضا فلم سجدتِ الشكر لمّا قبضا
ولم ركبتِ البغل في يوم الحسن تؤججين نار هاتيك الفتن

ـ راجع شرف الدين، عبد الحسين، النّص والاجتهاد، صفحة (٣٤٧)، طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت.

(٢) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، الجزء (١)، صفحة (٥٣٣)، طبعة دار التعارف بيروت.

(٣) وكان الذي ذهب بنعيه سفيان بن عبد شمس بن أبي وقّاص الزهريّ ـ تاريخ الطبريّ الجزء (٣) صفحة (١٩٥) طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

(٤) الزهريّ، ابن سعد، الطبقات الكبرى، الجزء (٢) صفحة (٤٠)، طبعة دار القارئ بيروت.

فتضاحكت وقالت: إنّي أنسى فإذا نسيتُ فذكّروني.

وقد علّق السيّد الشريف المرتضى ﷺ فقال: وهذه سخرية منها بزينب بنت أبي سلمة، وتمويه عليها، تخوفاً من شناعتها، ومعلومٌ ضرورة أنّ الناسي والساهي لا يتمثّل بالشعر في الأغراض التي تطابق مراده، ولم يكن ذلك منها إلّا عن قصدٍ ومعرفةٍ[١].

هذا، وقد روي عن مسروق أنّه قال: دخلتُ عليها فاستدعت غلاماً باسم عبد الرحمن، قالت: عبدي.

قلتُ لها: فكيف سمّيته عبد الرحمن..؟

قالت: حباً لعبد الرحمن ابن ملجم قاتل علي[٢].

ـ المطلب الثالث: الخوارج يفرحون بمقتل أمير المؤمنين

وقد فرح الكثير من الخوارج بقتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وفي ذلك قال عمران ابن حطان الرقاشي الخارجي يمدح ابن ملجم في ضربته من شعرٍ له:

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلّا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنّي لأذكره حيناً فأحسبه ... أوفى البريّة عند الله ميزانا
أكرم بقوم بطون الأرض أقبرهم ... لم يخلطوا مهجة شرّ الخلق إنسانا
أمسى عشية غشاه بضربته ... مِمّا جناه من الآثام عريانا

وقد ردّ عليه جملة من الشعراء

(١) الكورانيّ، علي، جواهر التاريخ، الجزء (١)، صفحة (٤٧٢)، طبعة دار أنوار الهدى قم.
(٢) المصدر السابق صفحة (٤٧١)، وقد ذكرت لهذه القضية مصادر متعددة مثل الطبريّ في تاريخه وابن الأثير في الكامل وابن سعد في طبقاته والمرزباني في معجم الشعراء، وغيرهم.

منهم: طاهر بن محمّد، حكاه عنه سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص فقال:

يا ضربة من لعين ما أراد بها ... إلّا أمام الهدى ظلماً وعدوانا
إنّي لأذكره يوماً فأثبته ... أشقى البرية عند الله خسرانا
وقال هذا رسول الله سيّدنا ... وخاتم الرسل إعلاماً وإعلانا

ومنهم: القاضي أبو الحارث الطبريّ.

أورده سبط بن الجوزي أيضاً، وفي الإصابة عارضه الإمام أبو الطيّب الطبريّ، وذكر البيتين الأوّلين فقط، فقال:

إنّي لأبرأ مِمّا أنت قائله ... عن ابن ملجم الملعون بهتانا
إنّي لأذكره يوماً فألعنه ... دينا والعن عمران بن حطانا
يا ضربة من شقيّ ما أراد بها ... إلّا ليهدم للإسلام أركانا
عليك ثُمَّ عليه الدهر متصلا ... لعائنُ الله إسراراً وإعلانا
فأنتم من كلاب النار جاء به ... نصّ الشريعة برهاناً وتبيانا

وزاد بعضهم على هذه الأبيات بيتاً آخر فقال:

عليكما لعنة الجبار ما طلعت ... شمس وما أوقد في الكون نيرانا

ومنهم: السيّد الحميري، فقال:

لا در در المراد الذي سفكت ... كفاه مهجة خير الخلق إنسانا
قد صار مِمّا تعاطاه بضربته ... مِمّا عليه من الإسلام عريانا
أبكى السّماء لباب كان يعمره ... منها وحنت عليه الأرض تحنانا
طوراً أقول ابن ملعونين ملتقطٌ ... من نسل إبليس بل قد كان شيطانا
ويل أمه أي ماذا لعنة ولدت ... لا أن كما قال عمران ابن حطانا
عبدٌ تحمّل إثماً لو تحمله ... ثهلان طرفة عينٍ هدّ ثهلانا

ومنهم: أبو بكر بن حمّاد، أو بكر بن حمّاد التاهرتي.

قل لابن ملجم والأقدار غالبة ... هدمت ويلك للإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم ... وأول الناس إسلاماً وإيماناً
وأعلم الناس بالقرآن ثُمَّ بما ... سنّ الرسول لنا شرعاً وتبيانا
صهر النَّبيّ ومولاه وناصره ... أضحت مناقبه نوراً وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له ... مكان هارون من موسى ابن عمرانا
وكان في الحرب سيفاً صارماً ... ذكراً ليثاً إذا لقي الأقران أقرانا
ذكرتُ قاتله والدمع منحدرٌ ... فقلت سبحان ربِّ النّاس سبحان
إنّي لأحسبه ما كان من بشر ... كلّا ولكنَّه قد كان شيطانا
أشقى مراد إذا عُدت قبائلها ... وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت ... على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها ... قبل المنية أشقاها وقد كانا
لقوله في شقي ظلّ مجترماً ... ونال ما ناله ظلماً وعدوانا
بل ضربة من غوي أوردته لظى ... فسوف يلقى بها الرحمن غضبانا
كأنّه لم يرد قصداً بضربته ... إلّا ليصلى عذاب الخلد نيرانا[1]

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة الجزء (١) صفحة (٥٣٤)، طبعة دار التعارف بيروت. المسعودي، علي، مروج الذهب الجزء (٢) صفحة (٤٣٧)، طبعة دار القارئ بيروت.

القسم الثامن

ظهور القبر المطهّر

وفيه جملة من المطالب:

- المطلب الأوّل: روايات في فضل الغري
- المطلب الثاني: أمير المؤمنين في مدفن نوح
- المطلب الثالث: سبب إخفاء القبر الشريف
- المطلب الرابع: ظهور القبر الشريف

ـ المطلب الأوّل: روايات في فضل الغريّ

تحدثت جملة من الروايات الشريفة عن فضل الغري والدفن في تلك البقعة المقدسة.. من تلك الروايات ما رواه الثقة الجليل المفضل بن عمر (رضوان الله عليه) قال: دخلتُ على أبي عبد الله (صلوات الله عليه) فقلتُ له: إنّي أشتاق إلى الغريّ.

فقال: ما شوقك إليه..؟

فقلتُ له: إنّي أحبُ أن أزور أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

فقال: هل تعرف فضل زيارته..؟

قلت: لا يا ابن رسول الله، إلّا أن تعرّفني ذلك..؟

فقال: إذا زرت أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فاعلم أنّك زائر عظام آدم، وبدن نوح، وجسم علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم).

فقلتُ: يا ابن رسول الله إن آدم هبط بسرانديب[1] في مطلع الشمس، وزعموا أن عظامه في بيت الله الحرام، فكيف صارت عظامه في الكوفة؟

---

(١) سَرَنْدِيبُ: بفتح أوله وثانيه وسكون النون ودال مهملة مكسورة وياء مثناة من تحت وباء موحدة ديب بلغة الهنود هو الجزيرة وسرن لا أدري ما هو، قال الشاعر:

وكنت كما قد يعلم الله عازماً أروم بنفسي من سرنديب مقصداً

هي جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند طولها ثمانون فرسخاً في مثلها وهي جزيرة تشرع إلى بحر هركند وبحر الأعباب وفي سرنديب الجبل الذي هبط عليه آدم عليه السلام يقال له: الرّهون وهو ذاهب في السماء يراه البحريون من مسافة أيام كثيرة وفيه أثر قدم آدم عليه السلام وهي قدم واحدة =

فقال: إنّ الله أوحى إلى نوح (صلوات الله عليه) وهو في السفينة أن يطوف بالبيتِ أسبوعاً، فطاف بالبيت كما أوحى الله إليه، ثُمَّ نزل في الماء إلى ركبتيه، فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم، فحمله في جوف السفينة حتى طاف ما شاء الله أن يطوف، ثُمَّ ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها، ففيه قال الله للارض: ﴿ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ سورة هود، الآية (٤٤). فبلعت ماءها من مسجد الكوفة كما بدأ الماء منه، وتفرق الجمع الذين كانوا مع نوح في السفينة.

فأخذ نوح ﷺ التابوت فدفنه في الغريّ، وهو قطعة من الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليماً، وقدس عليه عيسى تقديساً، واتخذ عليه إبراهيم خليلاً واتخذ محمّداً ﷺ حبيباً، وجعله للنبيين مسكناً.

والله ما سكن فيه بعد أبويه الطيبين آدم ونوح أكرم من أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فإذا زرت جانب النجف فزر عظام آدم وبدن نوح وجسم عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليهم) فإنّك زائر الآباء الأوّلين، ومحمّداً خاتم النَّبيّين، وعلياً سيّد الوصيين، وإن زائره تفتح له أبواب السماء عند دعوته، فلا تكن عن الخير نواماً.

ورواه جعفر بن محمّد بن قولويه في (المزار) ورواه ابن طاووس[1].

= مغموسة في الحجر طولها نحو سبعين ذراعاً ويزعمون أنّه خطا الخطوة الأخرى في البحر وهو منه على مسيرة يوم وليلة ويُرى على هذا الجبل في كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا غيم ولا بد له في كل يوم من مطرٍ يغسله يعني موضع قدم آدم ﷺ ويقال: إن الياقوت الأحمر يوجد على هذه الجبال تحدره السيول والأمطار إلى الحضيض فيُلقط وفيه يوجد الماس أيضاً ومنه يُجلب العود فيما قيل، وفيها نبت طيب الريح لا يوجد بغيرها، ولها ثلاثة ملوك كل واحد منهم عاصٍ على صاحبه وإذا مات ملكهم الأكبر قطع أربع قِطع وجُعل كل قطعة في صندوق من الصندل والعود فيحرقوه بالنار وامرأته أيضاً تتهافت بنفسها على النار حتى تحترق معه أيضاً ـ معجم البلدان لياقوت الحموي الجزء (٣) صفحة (٢١٥).

(١) الحرّ العامليّ، محمّد حسن، وسائل الشيعة الجزء (١٠) الباب (٢٧) من أبواب المزار الحديث رقم (١) صفحة (٢٩٩) طبعة دار التراث العربيّ بيروت.

ـ المطلب الثاني: أمير المؤمنين في مدفن نوح

ورد في جملة من الروايات أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مدفونٌ في قبر نوح النَّبيّ (صلوات الله عليه) فقد روى أبو بصير وهو من أصحاب مولانا أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) قال: قلتُ لأبي عبد الله (صلوات الله عليه): أين دفن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)؟

قال: دُفن في قبر أبيه نوح.

قلتُ: وأين قبر نوح..؟ الناس يقولون: إنّه في المسجد..؟

قال: لا، ذاك في ظهر الكوفة[1].

وروى عبد الكريم بن أحمد بن طاووس في كتابه ـ فرحة الغري ـ بإسناده إلى أبي بصير قال: سألت أبا جعفر (صلوات الله عليه) عن قبرِ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فإنّ الناس قد اختلفوا فيه..؟

فقال: إن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) دفن مع أبيه نوح في قبره[2].

وروي عن عبد الرحيم القصير قال: سألت أبا عبد الله (صلوات الله عليه) عن قبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)؟

فقال: أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مدفونٌ في قبر نوح.

قال: قلت: ومن نوح؟

قال: قبر نوح النَّبي عليه السلام[3].

وأيضاً روى عبد الرحيم القصير قال:

---

(١) الحرّ العامليّ، محمّد حسن، وسائل الشيعة الجزء (١٠) الباب (٢٧) من أبواب المزار الحديث رقم (٢) صفحة (٣٠٠) طبعة دار إحياء التراث العربيّ بيروت.

(٢) المصدر السابق الحديث رقم (٣).

(٣) المصدر السابق الحديث رقم (٤).

سألتُ أبا جعفر (صلوات الله عليه) عن قبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فإن الناس قد اختلفوا فيه.

فقال: إنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) دفن مع أبيه نوح عليه السلام.

وقد ورد أيضاً عن أبي أسامة، عن أبي عبد الله (صلوات الله عليه) قال: سمعته يقول: الكوفة روضة من رياض الجنّة، فيها قبر نوح وإبراهيم، وقبور ثلاثمائة نبي وسبعين نبيا وستمائة وصي، وقبر سيد الأوصياء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)[١].

وأيضاً ورد عن مولانا أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) قال: قبر علي هو في الغريّ ما بين صدر نوح ومفرق رأسه مِمّا يلي القبلة[٢].

ـ المطلب الثالث: سبب إخفاء القبر الشريف

ذكرنا فيما سبق أنّه قد صدرت الوصيّة من أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كما في الكتب المعتبرة عن مولانا الصادق (صلوات الله عليه) أنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أمر ابنه الإمام الحسن (صلوات الله عليه) أن يحفر له أربع قبور في أربع مواضع، في المسجد الأعظم، وفي الغريّ، وفي الرحبة، وفي دار جعدة بن هبيرة، وإنّما أراد بهذا أن لا يعلم أحد من أعدائه بموضع قبره.

لا يخفى على من جاس خلال الديار وتفحَّص في مجامع الأخبار وما ورد في شأن مقتل أبي الأطهار أن يدرك أنّ الغرض من إخفاء القبر المطهّر هو أن لا يعلم أحدٌ من الأعداء من الخوارج والنواصب من بني أمية[٣] والمنافقين بموضعِ

(١) المصدر السابق الحديث رقم (٦) صفحة (٣٠١).
(٢) المصدر السابق الحديث رقم (٧) صفحة (٣٠٢).
(٣) ابن شهر آشوب، محمّد، مناقب آل أبي طالب، صفحة (٨٥١) طبعة دار المرتضى بيروت.

قبره (صلوات الله عليه) لأنّهم كانوا في غاية العداء والبغض والنصب، لئلا يحفروه ويخرجوا جسده المطهر.

فإنّه (صلوات الله عليه) قد تحقق وعلم ما جرى له من الوقائع العظيمة والحروب الكثيرة زمن رسول الله ﷺ وبعده، فأوجب ذلك حقد المنافقين والمارقين عليه، وجاء في الرواية[١] أنّ الإمام الحسن (صلوات الله عليه) عندما أراد أن ينفّذ حكم القصاص بابن ملجم وأخذ ليقتله، قال اللعين للإمام الحسن (صلوات الله عليه): إنّي أريد أن أسارك بكلمة يا بن رسول الله.

فأبى الإمام الحسن (صلوات الله عليه) أن يقترب منه وقال: إنّه يريد أن يعض أذني.

فقال اللعين: والله لو أمكنني منها لأخذتها من صماخة[٢].

فإذا كان هذا فعال هذا الكافر الخبيث الزنيم[٣] وإذا كان قد وصل به الحقد إلى هذه الغاية وهو على تلك الحالة قد أُتي به للقتل والقصاص..؟!.

فما بالك بحقدِ معاوية بن أبي سفيان وعدائه ونصبه وأصحابه وبني أمية قاطبة لأهل البيت (صلوات الله عليهم) والملك بأيديهم..؟!.

لقد كان معاوية وأصحابه وبني أمية ينصبون العداء والبغض لعلي ولأبنائه (صلوات الله عليهم) وكانوا يبالغون في إطفاء نور أهل البيت (صلوات الله عليهم) وإخفاء آثارهم ومحو فضائلهم ومناقبهم وإزاحتهم عن مقاماتهم.

ولهذا السبب أوصى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لولديه الحسن

---

(١) شبر، عبد الله، جلاء العيون، صفحة (٢٣٥)، طبعة دار المرتضى بيروت.

(٢) الصماخ، قناة الأذن التي تفضي إلى طبلته ـ المعجم الوسيط مادة صمخ.

(٣) الزنيم، ذو الزنمة والدعي وهو الملحق بقوم واللئيم المعروف بلؤمه أو شره ـ المعجم الوسيط مادة زنم.

والحسين (صلوات الله عليه) أن يدفن سراً خوفاً من بني أمية وأعوانهم من الخوارج وأمثالهم أن يتهجموا على قبره الشريف لو كان ظاهراً.

بل ربّما نبشوه وهذا في غاية الإمكان..!!! فهل يرضى بنو هاشم وشيعة أمير المؤمنين بذلك..؟!.

ألا يكون ذلك سبباً للمحاربة والفتنة التي أغضى عنها أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في حياته..؟!.

فكيف يرضى أن يكون سبباً لذلك في وفاته..؟!.

وكيف لا يرضى بترك ما فيه مادة النزاع بعد وفاته..؟!.

مع علمه (صلوات الله عليه) أنّ أهل بيته (صلوات الله عليهم) متى أظهروا القبر الشريف وأظهروا له التبجيل والتعظيم وقاموا بزيارته وتبعهم على ذلك شيعتهم فقد دلوا عليه حينئذٍ ووقع المحذور فاقتضت الحكمة إخفائه.

هذا.. وقد حاول الحجاج بن يوسف الثقفي أن يجد الجسد الطاهر لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، فنبش ثلاثة آلاف قبر في منطقة النجف الأشرف فلم يجده[1] وكان يريد أن يخرجه ويحرقه بالنار كما فعلوا فيما بعد بحفيده زيد بن علي (رضوان الله عليه).

وقد سُئل محمّد بن السائب عن السبب في تعمية القبر الشريف لمولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ومجهوليته.

فقال: مخافة أن تنبشه الخوارج وغيرهم[2].

ولكن التاريخ يُثبت لنا أن غير الخوارج أيضاً كانوا أحرص على أن يجدوا قبره (صلوات الله عليه)، وينبشوه، ويستخرجوه، ويحرقوه.

---

(١) أنظر روضات الجنات الجزء (٢) صفحة (٥٤).

(٢) تاريخ مدينة دمشق الجزء (٤٢) صفحة (٥٦٥).

الاختلاف في مكان القبر

وهكذا بقي القبر مخفياً مدّة من الزمن، فكان هذا الخفاء سبباً في اختلاف موضع دفنه (صلوات الله عليه)، فذهبت جماعة إلى أنّه مدفون في رحبة مسجد الكوفة، وذهب آخرون إلى أنّه مدفونٌ في قصر الإمارة، وذهب آخرون إلى أنّه مدفون في المدينة المنورّة في البقيع حيث حمله الإمام الحسن (صلوات الله عليه)، وذهب بعض الجهلة إلى أنّه (صلوات الله عليه) مدفون بمشهدٍ في الكرخ، وكانوا يزورونه..!!! إلى غير ذلك من الأقوال.

وقد أجمعت الشيعة الإمامية الاثنا عشرية على أنّه (صلوات الله عليه) مدفونٌ بالغريّ في الموضع المعروف عند الخاص والعام، وهو من المتواترات ورواه الرواة وأهل التاريخ خلفاً عن سلف طبقاً لما رووه عن أئمّة الدين.

قال الأربلي رحمه الله: وقد ورد في موضعِ مدفنه بالغريّ من جهة أصحابنا ما هو كافٍ وشافٍ وليس ذكر ذلك مِمّا يتعلّق به غرض، والخلاف فيه ظاهر، كل الشيعة متفقون على أنّه دُفن في الغريّ حيثُ هو معروفٌ الآن يزار، بأخبار يروونها عن السلف وفيهم الإمام المعصوم، والجمهور يذكرون مواضع أحدها هذا الموضع، وهذا لا يضرنا فيه خلاف من خالف[1].

وقد أورد عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي بعد أن عرض رواية عن الإمام أبي عبد الله الحسين (صلوات الله عليه) تبين أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مدفون في الغريّ فقال: وهذه الرواية هي الحقّ وعليها العمل وقد قلنا فيما تقدّم أنّ أبناء الناس أعرفُ بقبورِ آبائهم من غيرهم من الأجانب، وهذا القبر الذي بالغريّ هو الذي كان بنو علي يزورونه قديماً

(١) الأربلي، علي، كشف الغمّة في معرفة الأئمة، الجزء (٢) صفحة (٥٨) طبعة شركة مكتبة الألفين.

وحديثاً، ويقولون: هذا قبر أبينا، لا يشكّ أحد في ذلك من الشّيعة، ولا من غيرهم، أعني بني عليّ من ظهر الحسن والحسين وغيرهما من سلالته المتقدّمين والمتأخرين، ما زاروا ولا وقفوا إلّا على هذا القبر بعينه[١] وقد توفي أبو الغنائم شيخ القرّاء في زمانه في سنة عشر وخمسمائة وكان محدّثاً من أهل الكوفة ثقة حافظاً وكان من قُوّام الليل، ومن أهل السنّة، وكان يقول: ما بالكوفة من هو على مذهب أهل السنّة وأصحاب الحديث غيري، وكان يقول: مات بالكوفة ثلاثمائة صحابيّ ليس قبر أحدٍ منهم معروفاً إلّا قبر أمير المؤمنين، وهو هذا القبر الذي يزوره الناس الآن[٢].

ورد في كتاب إقبال الأعمال كلام حول القبر المطهر قال: فصلٌ فيما نذكره من جواب الجاهلين بقبرِ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من المخالفين.

إعلم أن كل ميّت كان قبره مشهوراً أو مستوراً فإنّ أهل بيته والمخصوصون بمصيبته والموصوفون بشيعته وخاصته يكونون أعرف بموضعِ دفنه وقبره وهذا اعتبار صحيح لا يجحده إلّا مكابر أو ضعيف في عقله أو حقير في قدره.

وقد علم أعيان أهل الإسلام أن عترة مولانا عليّ (صلوات الله عليهم) وشيعته الذين لا يحصرهم عدد ولا يحويهم بلدة مطبقون متفقون على أن هذا الضريح الشريف الذي يزوره أهل الحقائق من المغارب والمشارق هو قبر مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فمن العجب أن كل إنسان وقف على قبر دارس وقال هذا قبر أبي أو جدي حكم له الحاضرون بتصديقه ولم ينازعوه في تحقيقه ويكون قبر مولانا علي (صلوات الله عليه) لا يقبل فيه قول أولاده الذين لا يحصيهم إلّا الله جلّ جلاله.

---

(١) المدائنيّ، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الجزء (٦) صفحة (٧٦) طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

(٢) المصدر السابق، الجزء (٦) صفحة (٧٧).

ومن العجب أن يكون أصحاب كل ملةٍ وعقيدةٍ يرجع في معرفة قبور رؤسائهم إليهم ولا يرجع في قبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى أصحابه وشيعته وخاصته.. وإنّما بعض المخالفين ذكروا أنّهم لا يعرفون أن هذا موضع قبره الآن وربّما روى بعضهم أن قبره في غير هذا المكان.

واعلم أن قبر مولانا علي (صلوات الله عليه) إنّما ستره ذريته وشيعته عن المخالفين عليه ولقد صدق المخالف إذا لم يعرفه فإنّ ستره إنّما كان منه ومن أمثاله فكيف يطلع عليه[1].

ـ المطلب الرابع: ظهور القبر الشريف

كانت الوصيّة من أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لولديه الإمامين الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) أن يدفناه في الغريّ من نجف الكوفة، وأمرهم بإخفاء قبره لِمَا كان (صلوات الله عليه) يعلمه من دولة بني أمية من بعده واعتقادهم في عداوته وما ينتهون إليه بسوء النيات فيه من قبيح الفعال والمقال بما تمكنوا من ذلك، فلم يزل قبره (صلوات الله عليه) مخفيّاً حتى دلّ عليه مولانا الإمام جعفر بن محمّد الصادق (صلوات الله عليه).

زيارات الإمام الصادق (صلوات الله عليه) للقبر الشريف

لا شك أنّ أبناء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه وعليهم) كانوا يزورون قبر أبيهم وكذلك أئمّة أهل البيت (صلوات الله عليهم) ولكن لم يكن ذلك علاناً ظاهراً وإنّما كان مخفياً مستوراً[2].

---

(١) إقبال الأعمال صفحة (٤٦٩).

(٢) عطاردي، عزيز الله، مسند الإمام الرضا الجزء (٣) صفحة (٢٤٢) طبعة مؤسسة آستان قدس رضوي قم المقدسة

روى صفوان الجمّال قال: سار الإمام جعفر بن محمّد الصادق (صلوات الله عليه) وأنا معه في القادسيّة[١]، حتى أشرف على النجف، ثُمَّ قال (صلوات الله عليه): إعدل بنا.. فعدلت به.

فلم يزل سائراً حتى أتى الغريّ فوقف على القبر، فساق السلام من آدم عليه السلام على نبيّ نبيّ (سلام الله عليهم أجمعين) وأنا أسوق السلام معه، حتى وصل السلام إلى النَّبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ خرّ على القبر فسلّم عليه وعلا نحيبه.

ثُمَّ قام فصلى أربع ركعات، وصلّيتُ معه، وقلت له: يا بن رسول الله ما هذا القبر..؟

قال (صلوات الله عليه): هذا قبر جدّي عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه)[٢].

وفي حديثٍ آخر عن صفوان قال: خرجتُ مع الصادق (صلوات الله عليه) من المدينة أريد الكوفة، فلمّا جزنا باب الحيرة[٣] قال: يا صفوان، قلتُ: لبيك يا بن رسول الله.

قال: تُخرج المطايا[٤] إلى القائم، وجدّ الطريق إلى الغريّ.

قال صفوان: فلمّا صرنا إلى قائم الغريّ أخرج رِشاءً[٥] معه دقيقاً قد عُمِلَ

---

(١) القادسيّة مدينة بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً، وبينها وبين الغريين أربعة أميال، وقعت عندها الحرب المعروفة بين المسلمين والفرس ـ معجم البلدان الجزء (٤) صفحة (٢٩١).

(٢) القمّي، محمّد، من لا يحضره الفقيه الجزء (٢) صفحة (٥٨٦)، طبعة دار التعارف بيروت. قولويه، جعفر، كامل الزيارات، صفحة (٨٣)، طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ قم، العلوي، عبد الكريم، فرحة الغريّ، صفحة (٩٩).

(٣) الحيرة مدينة جاهلية كثيرة الأنهار وهي تبعد عن الكوفة نحو فرسخ، وكانت منازل آل النعمان ابن المنذر ـ راجع تقويم البلدان صفحة (٢٩٩).

(٤) المطايا، الخيل.

(٥) الرِشاء هو الحبل ـ ابن منظور، لسان العرب، الجزء (١٤) صفحة (٣٢٢)، طبعة دار الكتب العلميّة بيروت.

من الكِبثار[١] ثُمَّ تبعّد من القائم مغرباً خطىً كثيرة، ثمّ مدّ ذلك الرشاء حتى انتهى إلى آخره، ثُمَّ ضرب بيده إلى الأرض فأخرج منها كفاً من تراب فشمّه ملياً، ثُمَّ أقبل يمشي حتى وقف على موضع القبر الآن، ثُمَّ ضرب بيده المباركة إلى التربة فقبض منها قبضةً ثُمَّ شهق شهقة حتى ظننت أنّه فارق الدنيا.

فلمّا أفاق قال: ها هنا والله مشهد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ثُمَّ خطّ تخطيطاً.

فقلتُ: يا بن رسول الله، ما منع الأبرار من أهل بيته من إظهار مشهده..؟

قال (صلوات الله عليه): حذراً من بني مروان والخوارج أن تحتال في أذاه[٢].

وروى الشيخ المفيد ﵀ أنّ القبر الشريف بقي مخفياً طيلة حكم الأمويين وفي حكم بني العباس وقد دلّ عليه الإمام جعفر بن محمّد (صلوات الله عليه) وزاره عند وروده إلى أبي جعفر المنصور الدوانيقي وهو بالحيرة، فحينئذٍ عرفته الشيعة واستأنفوا إذ ذاك زيارته[٣].

وكان (صلوات الله عليه) يبيّن لأصحابه وشيعته فضل البقعة المطهّرة التي دُفن فيها أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ويحثّهم على زيارته.

ففي الرواية أنّه عندما كان في الكوفة سأله أصحابه عن فضل البقعة التي دُفن فيها أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقال: وأمّا البقعة التي دفن فيها أمير المؤمنين فإنّ نوحاً لمّا طافت السفينة وهبط جبريل ﷺ على نوح فقال: إنّ الله يأمرك أن تنزل ما بين السفينة والركن اليماني فإذا استقرّت قدماك على الأرض

---

(١) الكِبثار، حبل النارجيل وهو نخيل الهند تتخذ من ليفه حبال للسفن ـ المصدر السابق، الجزء (٥) صفحة (١٥٣).

(٢) العلوي، عبد الكريم، فرحة الغريّ، صفحة (٩٢).

(٣) المفيد، محمّد، الإرشاد الجزء (١) صفحة (١٠). الطبرسيّ، الفضل، أعلام الورى الجزء (١) صفحة (٣١٢)، طبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

فابحث بيدك هناك فإنّه يخرج تابوت آدم فاحمله معك في السفينة فإذا غاص فابحث بيدك الماء فادفنه بظهر النجف بين الذكوات[1] البيض والكوفة، فإنّها بقعة اخترتها له ولك يا نوح ولعلي بن أبي طالب وصيّ محمّد ﷺ ففعل نوح ووصى ابنه ساماً أن يدفنه في البقعة التي مع التابوت الذي لأدم فإذا زرتم مشهد أمير المؤمنين فزوروا آدم ونوح وعليّ (صلوات الله عليهم)[2].

ومن ذلك يظهر جلياً أنّ الدليل والبرهان على أنّ قبره الشريف بالغريّ تواتر الأخبار الواردة عن الأئمّة المعصومين (صلوات الله عليهم) المروية خلفاً عن سلف، وإجماع الأمّة، وما حصل عنده من الأسرار والآيات وظهور المعجزات وخارق العادات.

الشيعة تزور القبر المطهّر

بعد أن أظهر الإمام جعفر بن محمّد الصادق (صلوات الله عليه) قبر جدّه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وحيث كان يذهب لزيارته مع أصحابه ويخبرهم بموضعه.. أخذ بعض الشيعة يخبر البعض الآخر بموضع القبر المطهر ويذهبون لزيارته.. روى عبد الله بن سنان أحد الرواة الذين رووا عن الإمام أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) قال: أتاني عمر بن يزيد فقال لي: إركب، فركبتُ معه، فمضينا حتّى أتينا منزل حفص الكناسيّ فاستخرجته فركب معنا، ثُمَّ مضينا حتى أتينا الغريّ فانتهينا إلى قبرٍ، فقال: إنزلوا.. هذا قبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

فقلنا: من أين علمت..؟

---

(١) لعله أراد التلال الصغيرة التي كانت محيطة بالقبر الشريف لضيائها وتوقّدها عند شروق الشمس عليها لاشتمالها على الحصيّات البيض والدّراري وبالجمرة الملتهبة ـ راجع مرآة العقول للمجلسي الجزء (٥) صفحة (٣٠٥).

(٢) الخصيبي، الحسين، الهداية الكبرى، صفحة (٨٣)، طبعة دار البلاغة بيروت.

فقال: أتيته مع أبي عبد الله (صلوات الله عليه) حيثُ كان بالحيرة غير مرّة وخبّرني أنّه قبره[١].

الرشيد يزور القبر المطهر

ظل القبر الشريف مخفياً مكتوماً منذ وفاته (صلوات الله عليه) سنة أربعين للهجرة وحتى انقضاء دولة بني أمية عام اثنين وثلاثين بعد المائة ولم يطّلع عليه في هذه المدّة إلّا أبنائه والخواص من شيعته.. وظلّ هكذا حتى ظهرت دولة بني العباس..

وذهب ما كان يحذره العلويون من أعدائهم الخوارج فدلّوا عليه بعض شيعتهم وجعلوا يتردّدون لزيارته ويتعاهدونه ليلاً ونهاراً ولم يكن يومها إلّا أكمّة أو ربوة قائمة فصار ظاهراً للعيان وأزداد إقبال الناس عليه وفي هذه الحال كثرة الأخبار في تعيينه وتحديد موضعه.. وتذكر بعض الأخبار أن الحاكم العباسي هارون الرشيد قد إكتشف قبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) صدفةً من خلال كرامة أجراها الله تعالى عند الضريح المقدس.. كان ذلك بعد أن بيّنه أهل البيت (صلوات الله عليهم) لخواص شيعتهم..

روى عبد الله بن خازم قال: خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيّد، فصرنا إلى ناحية الغريين والثوية[٢] فرأينا ظباءً، فأرسلنا عليها الصقورة والكلاب، فجاولتها ساعة ثُمَّ لجأت الظباء إلى أكمّة[٣] فسقطت عليها، فسقطت الصقورة ناحية ورجعت الكلاب، فعجب الرشيد من ذلك.. ثُمَّ إنّ الظباء هبطت في الأكمّة، فهبطت الصقورة والكلاب، فرجعت الظباء إلى الأكمّة، فتراجعت عنها الكلاب والصقورة، ففعلت ذلك ثلاثاً، فقال

---

(١) الكليني، محمّد، أصول الكافي، الجزء (١)، صفحة (٥٢٨)، طبعة دار التعارف بيروت.

(٢) الثوية، موضع قريب من الكوفة ـ راجع الحموي، ياقوت، معجم البلدان الجزء (٢) صفحة (٨٧).

(٣) الأكمة، الرابية الخشنة بكثرة الحجارة، انظر المعجم الوسيط، مادة (كمأ).

الرشيد: إركضوا فمن لقيتموه فأتوني به، فأتيناه بشيخٍ من بني أسد، فقال له هارون: أخبرني عن هذه الأكمّة..؟!.

فقال الرجل: إن جعلتَ لي الأمان أخبرتك.

قال الرشيد: لك عهد الله وميثاقه أن لا أهيجك ولا أؤذيك.

قال: حدثني أبي عن آبائي أنّهم كانوا يقولون: إنّ هذه الأكمّة قبر عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) جعله الله حرماً لا يأوي إليه شيء إلّا أمن.

فنزل هارون.. فدعا بماء وتوضأ وصلّى عند الأكمّة وتمرّغ عليها وجعل يبكي ثُمَّ انصرفنا[1].

وبعد أن إطلع عليه الرشيد أمر ببناء قبّة على القبر الشريف سنة مائة وسبعون بعد الهجرة وجعل لها أربعة أبواب وهي من طين أحمر وطرح على رأسها جرّة خضراء وبنى الضريح المقدّس بحجارةٍ بيضاء ووضع عليه قنديلاً مرصّعاً بالجواهر وأخذ الناس في زيارته ودفن موتاهم حوله ومجاورته.

هذا، وقد تعرّض القبر الشريف إلى محاولة هدم من قبل بعض سلاطين الدولة العباسيّة.. ينقل أبو الفرج الأصبهاني أنّه وقعت حرب بين العباسيين والعلويين بسبب المسجد الذي بناه أبو الحسن علي بن إبراهيم العلوي في وسط المسجد الجامع في الموضع الذي كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يجلس فيه للقضاء، فإنّ العباسيين أنكروا ذلك وهدموه وصاروا إلى قبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فشعثوا من حائطه وأرادوا هدمه فخرج إليهم الطالبيون فقاتلوهم فقتل من العباسيين نفرٌ وقتل من الطالبين رجل[2].

---

(١) المفيد، محمّد، الإرشاد الجزء (١) صفحة (٢٦)، الديلمي، الحسن، إرشاد القلوب، الجزء (٢) صفحة (٣٨٦)، طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت.

(٢) انظر العلوي، عبد الكريم، فرحة الغري، صفحة (٥٠) وإرشاد القلوب صفحة (٣٨٧).

القسم التاسع

زيارة أمير المؤمنين

وفيه تمهيد وجملة من المطالب:

- المطلب الأوّل: مشروعيّة الزيارة
- المطلب الثاني: أحاديث في فضل زيارة أمير المؤمنين
- المطلب الثالث: أفضل من زيارة الحسين
- المطلب الرابع: كلمة للشيخ المظفّر
- المطلب الخامس: آداب آداء الزيارة
- المطلب السادس: أهداف آداب الزيارة
- المطلب السابع: أوقات الزيارة

تمهيد:

نعتقد أن زيارة قبور المؤمنين والصالحين من الأصول الإسلاميّة الثابتة بالأدلّة الشرعيَّة ويترتب على الزيارة مضافاً إلى الأجر والثوب الذي جعله الله للزائر، آثاراً تربوية وأخلاقية في نفوس الزائرين وذلك من خلال الموعظة التي يكتسبها الزائر بالتفكّر في أصحاب هذه القبور الذين كانوا يعيشون في هذه الدنيا وحيث أنّهم كانوا يقومون بكلِ الأعمال والنشاطات التي كانت تكفل لهم السعادة في الدنيا والآن أصبحوا رهائن قبورهم حيث أجسدهم خامدة وجثثهم هامدة، ومن الطبيعي لصاحب الفكر والضمير أن يتّعظ، حيث أن هذه المشاهد كفيلة بأن توقظ الغافلين وتنبّه العاصين وتدفع الإنسان نحو التوبة واللجوء إلى الله تبارك وتعالى لأنّه عندما يتفكّر الإنسان في أصحاب هذه المشاهد وينظر إلى أعماله وإلى تقصيره، ويتيقن أنّه سوف يأتي اليوم الذي يكون فيه رهين قبره، فإنّه سوف يطرح على نفسه هذا السؤال، فيقول: ما قيمة الحياة الدنيا التي نعيشها..؟

ما قيمة الحياة التي سرعان ما سوف تنتهي..؟

ما قيمة الإنسان الذي سوف يكون مآله إلى الموت ورقوده تحت التراب حيث تتسارع عليه هوام الأرض ويفنى جسده ولا يبق له أثر..؟

هل تستحق هذه الدنيا الفانية أن يعيش فيها الإنسان ظالماً..؟

هل تستحق أن يكون فيها الإنسان فاسداً..؟

إنّ هذه التساؤلات سوف يواجهها الضمير.. ويتفكّر بها البصير.. ولا شك أنّها كفيلة بأنّ تغيّر من سلوكيات الإنسان نحو الأفضل على المستوى الروحي والنفسي..

ـ المطلب الأوّل: مشروعيّة الزيارة

أجمع المسلمون بجميع مذاهبهم على مشروعية الزيارة للنبيّ ﷺ حتى أن أتباع ابن تيمية غير مانعين أبداً عن أصل الزيارة..!! وإنّما كلامهم ومنعهم في شدّ الرحال لهذا الهدف والتوسّل والصلاة عند المراقد الشريفة وتشييد القبور وتزيينها وما إلى ذلك..

ولا شك ولا ريب في أنّ زيارة قبر النَّبيّ المصطفى ﷺ تعتبر من أعظم القربات إلى الله.. ومن أجلّها شأناً..

فإنّ بقعةً ضمّت خير الأنبياء والرسل وأكرمهم عند الله تبارك وتعالى لها شأنٌ خاصٌ ومزيةٌ يعجز القلم عن وصفها..

على أن الغرض الصحيح من زيارة القبور هو تذكر الآخرة.. كما ورد في الحديث الصحيح الذي نصّ على الإذن في زيارة القبور للموعظة الحسنة.. وتذكر الآخرة..

فمتى كانت الزيارة لغرض صحيح يقرّه صاحب الشريعة وكانت ممدوحة من جميع الجهات.. ولا إشكال حينئذٍ فيها..

ومِمّا لا خفاء فيه أن زيارة قبر المصطفى ﷺ تفعل في نفوس أولي الألباب أكثر مِمّا تفعله أيُّ عبادةٍ أخرى..

فالذي يقف على قبر النَّبيّ المصطفى ﷺ ذاكراً ما لاقاه وقاساه وعاناه في سبيل الدعوة إلى الله.. وفي سبيل إخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور الهداية..

وما بثّه من مكارم الأخلاق في العالم أجمع وما محاه من فساد عام شامل على أرجاء المعمورة وما جاء به من شريعة سمحاء مبنيّة على جلب المصالح للمجتمع الإنساني ودرء المفاسد عنه..

لا بدّ أن يمتلئ قلبه حباً.. وعشقاً لذلك الرسول الذي أوذي في الله وجاهد في سبيل الله حق جهاده حتى قال: ما أوذي نبيٌ مثل ما أوذيتُ به.

ولا بدّ أن يحبب إليه العمل بكل ما جاء به ولا بدّ أن يستحي من معصية الله ورسوله وذلك هو الفوز العظيم.. وهذا لا شك أنّه واحدة من فلسفة تشريع الزيارة.

ثُمَّ إنّ زيارة قبر المصطفى ﷺ ومشاهدة مهبط الوحي وزيارة العاملين المخلصين من أهل بيت العصمة والطهارة (صلوات الله عليهم أجمعين) ومن الصحابة والتابعين الذين كانوا يذودون عن الدين الله تعالى.. والذين ضحوا بأرواحهم وأموالهم في سبيل الله تعالى.. من دون أن تؤثّر عليهم لذّة ملكٍ أو تستولي على أنفسهم شهوةٌ من متاع الحياة الدنيا وزينتها بل خرجوا من الدنيا بزخرفها ومتاعها ولم تشغلهم الأموال ولا اللذات عن الكفاح والنضال في سبيل الله ومن أجل الله فنصروا دين الله.. فنصرهم الله.

إنّ زيارة أصحاب هذه القبور لهي جديرة بأن تكون من أجلّ القرب لِمَا تُحدثه في أنفس الزائرين من عظاتٍ بليغةٍ تحملهم على القدوة بهؤلاءِ في أعمالهم وأقوالهم وتحركاتهم في الحياة..

ولو أن المسلمين استمسكوا حقاً بما استمسك به سكّان هؤلاء القبور الذين هزموا قبائل الشرك وأحزاب الضلال من المشركين واليهود والفرس والرومان إبّان قوّتهم مع أن قوّة المسلمين المادّية يومئذٍ لا تكاد تذكر بجانب قوّة أعدائهم لكان لهم شأنٌ آخر ولما تغلب عليهم أحد ولما وجدت هذا الإنحطاط والسقوط والخضوع...

ولذلك فإنّ زيارة قبر النَّبيّ المصطفى ﷺ وزيارة قبور أهل بيته من الأئمّة الأطهار (صلوات الله عليهم) وأصحابه الأخيار (رضوان الله عليهم) الذين عملوا من أجل الإسلام تعتبر من أقرب القربات أجلّها وأشدّها تأثيراً على نفوس العاملين المخلصين الذين يعملون في الحقول الإسلاميّة أو الذين يعتبرهم الإسلام أعضاءً في المجتمع الإسلاميّ وهم الذين يعبدون الله وحده ويأتمرون بما أمرهم به رسوله ﷺ وينتهون عمّا نهاهم عنه وأولئك هم الفائزون..

فإذا لم يكن في زيارة قبور قادة الدين سوى هذه الموعظة الحسنة وهذا الأثر الجليل لكفى في كونها من أجلّ الأعمال الصالحة التي يحث عليها الدين الحنيف..

وكيف يسكن قلب المؤمن المسلم الذي يستطيع أن يحجّ البيت العتيق في مكة المكرمة ولا يستطيع أن يزور قبر المصطفى ﷺ..؟!!.

كيف يرضى المؤمن القادر أن يكون حاجاً بيت الله الحرام بمكة المكرمة قريباً من المدينة مهبط الوحي ولا تهتز نفسه شوقاً إلى زيارتها..؟!!.

وإلى زيارة قبر النَّبيّ المصطفى (صلى الله عليه وسلم)..؟!!.

كيف تمكّنه نفسه مع عدم زيارة قبور البقيع الذي كان يذهب النَّبيّ ﷺ إلى زيارتها ويقول: أمرني ربي أن أستغفر لأهل البقيع..؟!!.

كيف تمكّنه نفسه من عدم زيارة قبور شهداء معركة بدر وأحد وقبور شهداء الدعوة..!!.

ونحن فيما نستعرض آراء أصحاب المذاهب الإسلاميّة عند أهل السنّة والشيعة.. وبعدها نستعرض رأي ابن تيميّة وأتباع مذهبه ومن ثُمَّ نعرض الدليل على كِلا الرأيين.

آراء أصحاب المذاهب الإسلاميّة.

ـ يقول المحقق عبد الرحمن الجزيري في كتابه القيم ـ الفقه على المذاهب الأربعة ـ في معرض حديثه عن مسائل الحج وأحكامه: أما زيارة قبر النَّبيّ (صلى الله عليه [وآله] وسلم) فهي من أعظم القرب وكما تندب زيارة القبور للرجال تندب أيضا للنساء العجائز اللاتي لا يخشى منهن الفتنة إن لم تؤد زيارتهن إلى ندب أو النياحة.. وإلّا كانت محرمة.

أما النساء التي يخشى منهن الفتنة ويترتب على خروجهن لزيارة القبور مفاسد كما هو الغالب على نساء هذا الزمان فخروجهن للزيارة حرام باتفاق الحنفيّة والمالكيّة، أما الحنابلة والشافعيّة فقالوا: يكره خروج النساء لزيارة القبور مطلقاً سواء كنّ عجائز أو شواب إلّا إذا علم أن خروجهن يؤدي إلى فتنة أو وقوع محرم وإلّا كانت الزيارة محرمة.. وينبغي أن تكون الزيارة مطابقة لأحكام الشريعة فلا يطوف حول القبر ولا يقبل حجرا ولا عتبة ولا خشبا ولا يطلب من المزور شيئا إلى غير ذلك..[1].

ومنه تفهم أن أئمَّة المذاهب قد ذهبوا إلى استحباب أصل زيارة قبر النَّبيّ ﷺ بالإجمال واعتبرته أمراً محبباً إليه شرعاً بالعنوان الأوّلي للرجال والنساء حتى العجائز..

أما بالعنوان الثانوي فيما لو ترتب على الزيارة مفسدة ولم تكن الزيارة مطابقة لما عليه النصوص الشرعيه فتصبح محرّمة.

أما حكم السفر إلى المزارات وخاصة السفر لزيارة قبر نبينا محمّد ﷺ فقد اختلفوا في ذلك على فريقين.

---

(١) الجزيري، عبد الرحمن، الفقه على المذاهب الأربعة،الجزء (١) صفحة (٩٤٥) طبعة دار الثقلين بيروت.

الفريق الأوّل: ذهب إلى القول بجواز السفر وشدّ الرحال إلى زيارة قبر النَّبيّ ﷺ وإلى قبور الأئمّة والصالحين والشهداء.

الفريق الثاني: ذهب إلى القول بعدم الجواز.. بمعنى عدم جواز السفر وشدّ الرّحال إلى زيارة قبر النَّبيّ ﷺ وبالتالي فمن باب أولى عدم جواز السفر إلى زيارة غيره من القبور ويكون التنبيه حينئذٍ من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى بمعنى إذا منعنا من السفر لزيارة قبره ﷺ فمن باب أولى نمنع من السفر إلى زيارة قبر من دونه مهما كانت رتبته.

وقد اختلف علماء أهل السنّة في حكم السفر إلى زيارة قبر النَّبيّ ﷺ، فمنهم من يقول بجواز ذلك بل يجعلونه من الأمور المستحبة.

ومنهم من يقول بعدم جوازه ويعدونه من الأمور المبتدعة والمحرمة.. وكانوا يستدلّون على ذلك بجملة من الأدلّة.

أوّلاً: القائلون بالجواز: استدلوا بأدلّة من الكتاب والسنة: أما أدلّة الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

ووجه الاستدلال بهذه الآية كما يقول السبكي: دلّت الآية على الحث على المجيء إلى الرسول ﷺ والاستغفار عنده واستغفاره لهم وذلك وإن ورد في حال الحياة فهي رتبة له ﷺ لا تنقطع بموته تعظيماً له.

ويقول أيضاً: والمجيء صادق على المجيء من قرب ومن بعد بسفر وغير سفر ولا يقال (إن جاؤوك) مطلق والمطلق لا دلالة له على كل فرد وإن كان صالحاً لها لأنّا نقول هو في سياق الشرط فيعم، فمن حصل منه الوصف المذكور ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

وأمّا من السنة فقد ذكروا أدلّة كثيرةً نذكر منها ما هو نصّ في هذا الموضوع:

أوّلاً: ما أخرجه الدارقطني بسنده قال: حدثنا عبد الله بن محمّد بن عبد العزيز أنبأنا أبو الربيع بن أبي داود عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي.

والرواية التي رواها نافع، عن بن عمر، عن النَّبيّ ﷺ قال: من زارني كنتُ له شهيداً أو شفيعاً.. وقال: من حجّ البيت ولم يزرني فقد جفاني.

وكذلك عن أبي هريرة، عن النَّبيّ ﷺ قال: من زارني بعد موتي فكأنّما زارني حيّاً.

وأيضاً عن أنس، عن النَّبيّ ﷺ قال: من زارني ميّتاً كمن زارني حيّاً، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة[1].

وكذلك ما أخرجه ابن عدي في الكامل قال: حدثنا علي بن إسحاق حدثنا محمّد بن النعمان بن شبل حدثني مالك عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني.

والرواية التي رواها البُخاريّ عن النَّبيّ ﷺ أنّه قال: خرج يوماً فصلّى على أهل أُحد صلاته على الميّت، ثُمّ إنصرف إلى المنبر..[2]. وهذا واضحٌ في مشروعية زيارة القبور.

وكذلك ما رواه البُخاريّ بإسناده عن أنس، قال: مرّ النبيّ (صلّى الله عليه[وآله] وسلّم) بامرأة تبكي عند قبر، فقال: إتّقي الله واصبري[3].

فالنَّبيّ ﷺ لم ينهها عن زيارة القبر، وإنّما أمرها بالصبر.

---

(١) البلاغي، محمّد جواد، الرّد على الوهابيّة صفحة (٥٠) طبعة مؤسسة آل البيت لأحياء التراث نقلاً عن صحيح البُخاريّ الجزء (٢) صفحة (١١٤) وسنن أبي داود جزء (٣) الحديث رقم (٣٢٢٣).

(٢) المصدر السابق، صفحة (٥١)، نقلاً عن صحيح البُخاريّ.

(٣) المصدر السابق، صفحة (٥٢)، نقلاً عن سنن الدار قنطي.

وعن أبي هريرة قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: ما من أحدٍ يسلّم عليّ إلّا ردّ الله إليّ روحي حتى أرد عليه السلام[١].

وفي الرواية عن ابن عمر كان إذا قدم من سفر دخل المسجد ثُمَّ أتى القبر فقال: السلام عليك يا رسول الله.. السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا أبتاه[٢].

عن عبد الله بن دينار أنّه قال: رأيتُ عبد الله بن عمر يقف على قبر النَّبيّ ﷺ ثُمَّ يسلّم على النَّبيّ ﷺ (٢) ويدعو لأبي بكر وعمر...[٣].

وعن عمر.. قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: من زار قبري أو قال من زارني كنتُ له شفيعاً أو شهيداً ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الأمنين يوم القيامة.

عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ من حج فزار قبري بعد موتى كان كمن زارني في حياتي[٤].

إلى غير ذلك من الروايات الواردة في هذا المجال والتي تدل على استحباب الزيارة واستحباب شدّ الرحال إلى زيارة قبر النَّبيّ ﷺ.

ـ وأما فقهاء الإمامية فقد ذهبوا إلى أنّه تستحب زيارة قبر النَّبيّ ﷺ استحباباً مؤكداً إجماعاً.. بل هو ضرورة دينيّة وقد استفاضت به الأخبار المطلقة والمتضمّنة لخصوص ما بعد الممات.. ويتأكد ذلك زيادة في حق الحاج.. وللإمام (صلوات الله عليه) أن يجبر الناس على ذلك لو تركوها.. قال في المنتهى: لو ترك الناس زيارة النَّبيّ ﷺ قال الشيخ رحمه الله: يجبرهم

---

(١) سنن البيهقيّ باب زيارة قبر رسول الله ﷺ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

الامام عليها.. ويقول صاحب الحدائق: إنّ ذلك [أي ترك الناس لزيارة قبر النَّبيّ] يدّل على الجفاء، وهو محرّم فيجبرهم الإمام عليها لذلك..

ففي الرواية عن مولانا أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليهم) قال: لو أن الناس تركوا الحج لكان على الوالى أن يجبرهم على ذلك، وعلى المقام عنده، ولو تركوا زيارة النَّبيّ ﷺ لكان على الوالى أن يجبرهم على ذلك، وعلى المقام عنده، فان لم يكن لهم أموال أنفق عليهم من بيت مال المسلمين[1].

أخبارٌ في فضل الزيارة ومشروعيتها

استندت الإمامية في القول باستحباب زيارة قبور المعصومين (صلوات الله عليهم) على أخبار كثيرة تعدت حدّ الاستفاضة ووصلت إلى التواتر نعرض جملة منها كنموذج في الاستدلال على المسألة.

رواية أولى: رواها يزيد بن عبد الملك، عن أبيه، عن جده قال: دخلتُ على فاطمة عليها السلام فبدأتني بالسلام، ثُمَّ قالت: ما بدا بك..؟

قلتُ: طلب البركة، قالت: أخبرني أبي وهو ذا هو: أنّه من سلّم عليه وعلي ثلاثة أيام أوجب الله له الجنّة.

قلت لها: في حياته وحياتك..؟

قالت: نعم وبعد موتنا..[2].

---

(١) البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة الجزء (١٧) صفحة (٤٠٠) طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة.

(٢) النراقي، أحمد مستند الشيعة الجزء (١٣) صفحة (٣٢٨) طبعة مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث قم المشرفة.

رواية ثانية: رواها السدوسيّ: قال: قال رسول الله ﷺ: من أتاني زائراً كنتُ شفيعه يوم القيامة[١].

رواية ثالثة: رواها أبو شهاب: قال الحسين عليه السلام لرسول الله ﷺ: يا أبتاه ما لمن زارك..؟

فقال رسول الله ﷺ: يا بنيّ، من زارني حياً أو ميتاً أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك كان حقا علي أن أزوره يوم القيامة واخلصه من ذنوبه[٢].

رواية رابعة: ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله، ودرجة النَّبيّ ﷺ أرفع الدرجات فمن زاره إلى درجته في الجنّة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى..[٣].

رواية خامسة: رواها زيد الشّحام قال: قلتُ لأبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه): ما لمن زار رسول الله ﷺ قال: كمن زار الله فوق عرشه[٤].

يعني أن لزائره من الثواب والأجر كمن رفعه الله إلى سمائه وأدناه من عرشه، وأراه من خاصة ملكوته ما به توكيد كرامته، وليس على مقتضى التشبيه.

رواية سادسة: ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: يا عليّ من زارني في حياتي أو بعد موتي أو زارك في حياتك أو بعد موتك أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد موتهما ضمنت له يوم القيامة إنّ أخلصه من أهوالها وشدائدها حتى أصيره معي في درجتي.. ورواه ابن قولويه في (المزار)[٥].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الحرّ العامليّ، محمّد حسن، وسائل الشيعة، الجزء (١٠)، الباب (٢)، من أبواب المزار الحديث رقم (١١)، صفحة (٢٥٥)، طبعة دار إحياء التراث العربيّ بيروت.

(٤) المصدر السابق الباب (٣) من أبواب المزار الحديث رقم (٦).

(٥) الحرّ العامليّ، محمّد حسن، وسائل الشيعة، الجزء (١٠)، الباب (٢)، من أبواب المزار الحديث رقم (١٦)، صفحة (٢٥٥)، طبعة دار إحياء التراث العربيّ بيروت.

رواية سابعة: رواها أبو حجر ـ يحيى ـ الأسلمي، عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) قال: قال رسول الله ﷺ: من أتى مكة حاجاً ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنّة، ومن مات في أحد الحرمين مكة والمدينة لم يعرض ولم يحاسب، ومن مات مهاجراً إلى الله عزّ وجلّ حشر يوم القيامة مع أصحاب بدر[١].

رواية ثامنة: رواها علي بن شعيب، عن مولانا أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) قال: بينا الحسين بن علي (صلوات الله عليه) قاعدٌ في حجر رسول الله ﷺ ذات يوم إذ رفع رأسه فقال له: يا أبه، قال: لبيك يا بنيّ.

قال: ما لمن أتاك بعد وفاتك زائراً لا يريد إلّا زيارتك..؟

فقال: يا بنيّ، من أتاني بعد وفاتي زائراً لا يريد إلّا زيارتي فله الجنّة.. ومن أتى أباك بعد وفاته زائراً لا يريد إلّا زيارته فله الجنّة.. ومن أتى أخاك بعد وفاته زائراً لا يريد إلّا زيارته فله الجنّة.. ومن أتاك بعد وفاتك زائراً لا يريد إلّا زيارتك فله الجنّة..[٢].

رواية تاسعة: جميل بن صالح عن مولانا أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) قال: إنّ زيارة قبر رسول الله ﷺ تعدل حجة مع رسول الله ﷺ مبرورة..[٣].

رواية عاشرة: وروى الشيخ المفيد رحمه الله في كتابه (المقنعة) قال: قال (صلوات الله عليه) قال: قال رسول الله ﷺ من زارني في حياتي أو بعد موتي كان في جواري يوم القيامة..[٤].

---

(١) المصدر السابق الباب (٣) من أبواب المزار، الحديث رقم (٣).

(٢) المصدر السابق الحديث (١٨).

(٣) المصدر السابق الحديث رقم (٧).

(٤) المصدر السابق الحديث رقم (٨) صفحة (٢٦٣).

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي دلت على استحباب شدّ الرحال إلى زيارة قبر المصطفى ﷺ.

لا بدّ من التأكيد على أن الزيارة وخصوصاً زيارة مراقد المعصومين (صلوات الله عليهم) وكذلك زيارة مراقد العلماء والفقهاء وقادة الدين والأمّة فضلاً عن أنّها من الأمور العبادية لا شك أيضاً أنّها نوع من أنواع الترويج للدين والقيم الدّينيّة والمعنويّة.

فقد جاء في كتب السيرة والتاريخ أن رسول الله ﷺ كان يذهب في أُخريات حياته إلى تربة البقيع ويستغفر لأصحاب القبور، ويقول: أمرني ربي أن أستغفر لأهل البقيع.

ثُمَّ قال: إذا زرتموهم فقولوا: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنّا إنْ شاء الله بكم لاحقون..[1].

ابن تيميّة يحرّم زيارة القبور

ذهب ابن تيمية وابن حجر وابن عبد الهادي ومن تبعهم إلى القول بحرمةِ زيارة القبور مطلقاً وأن زائر القبر أشبه بعابد الوثن.. وذهبوا أيضاً إلى القول بحرمة زيارة قبر النَّبيّ ﷺ أو قبور الصحابة أو العلماء والفقهاء أو غيرها..[2].

وقالوا أن السفر من أجل الزيارة ـ سواء زيارة قبر النَّبيّ ﷺ أو زيارة قبر غيره ـ هو نوع من أنواع السفر المحرّم الذي لا يقصرّ فيه المسافر في صلاته..!!.

---

(١) السبحانيّ، جعفر، العقيدة الإسلاميّة، صفحة (٣١٤)، طبعة الوكالة العالمية بيروت.

(٢) الفوزان، صالح، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، الجزء (٢) صفحة (٤٦) طبعة مؤسسة الرسالة بيروت.

ومن أجل ذلك ما كانوا يتردّدون على القبر الشريف لرسول الله ﷺ.

قال ابن تيميّة في موضع آخر: لا يجوز زيارة قبور الأئمّة ولا شدّ الرّحال من الأماكن البعيدة لأجل زيارة قبر النّبيّ ﷺ وأنّها من الشرك وعبادة لغير الله تعالى.

وقد علم من ضرورة دين الإسلام أن النّبيّ لم يأمر بما ذكروه ـ يعني الإمامية ـ من أمر المشاهد، ولا شرّع لأمتّه مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين بل هذا من دين المشركين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[1].

قال ابن عباس: هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح، لمّا ماتوا عكفوا على قبورهم، فطال عليهم الأمد، فصوروا تماثيلهم ثُمَّ عبدوهم.. إلى آخر كلامه...

وقال أيضاً في جملة كلام له على الإمامية: إنَّهم يعظمون المشاهد المبنيّة على القبور، فيعكفون عليها مشابهة للمشركين، ويحجون إليها كما يحج الحاج إلى البيت العتيق، ومنهم من يجعل الحج إليها أعظم من الحج إلى الكعبة، بل يسبون من لا يستغني بالحج الذي فرضه الله تعالى على عباده.

وهذا من جنس دين النصارى والمشركين الذين يفضلون عبادة الأوثان على عبادة الرحمن، وقد صنف شيخهم المفيد كتاباً سماه مناسك المشاهد، جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله قياماً للناس[2].

ويقول ابن عثيمين: شدّ الرّحال إلى زيارة القبور أيّاً كانت هذه القبور لا

---

(١) سورة نوح، الآية (٢٣).

(٢) القزويني الحائري، محمّد، البراهين الجليّة في رفع تشكيكات الوهّابيّة، صفحة (٦٤-٦٥) طبعة مركز الأبحاث العقائديّة قمّ المشرّفة.

يجوز لأنّ النَّبيّ، (صلى الله عليه[وآله] وسلّم) يقول: لا تُشدّ الرّحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى.

والمقصود بهذا أنّه لا تُشدّ الرحال إلى أي مكان في الأرض لقصد العبادة بهذا الشدّ، لأنّ الأمكنة التي تخصص بشدّ الرحال هي المساجد الثلاثة فقط وما عداها من الأمكنة لا تُشدّ إليها الرحال فقبر النَّبيّ (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) لا تُشدّ الرّحال إليه، وإنّما تُشدّ الرّحال إلى مسجده فإذا وصل المسجد فإنّ الرجال يُسنّ لهم زيارة قبر النَّبيّ (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم)، وأمّا النساء فلا يُسنّ لهنّ زيارة قبر النَّبيّ (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم)[1].

هذه المسألة التي أفتى فيها ابن تيميّة أعني من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين، ومشاهدهم فقد نقل فيها اختلاف العلماء في الإباحة والمنع، فمن مبيح لذلك كأبي حامد الغزالي وأبي محمّد المقدسي، ومن مانع لذلك كابن بطة وابن عقيل وأبي محمّد الجويني والقاضي عياض، وهو قول الجمهور نصَّ عليه مالك ولم يكن يخالفه أحد من الأئمّة وهو الصواب.. فقام عليه بعض المعاصرين له كالسبكيّ ونحوه[2].

وطائفة من المتأخرين على الجواز، فاستحباب شدّ الرّحال إلى القبور والمشاهد والتقرب به إلى الله كما ظنّه السبكيّ وغيره قولٌ مبتدع مخالف للإجماع قبله، والأحاديث التي احتج بها.. والسبكيّ أجاز ذلك في سائر القبور فخالف الأحاديث وخرق الإجماع..[3].

أدلّة القائلين بالمنع: هذا الفريق استدل بالأدلة التالية:

---

(١) عثيمين، محمّد، مجموع فتاوى ورسائل، باب القبور، المسألة رقم (٢٩٩).

(٢) عبد الوهاب، محمّد، موسوعة توحيد ربّ العبيد، الجزء (٤) صفحة (٤٥٩)، طبعة جامعة محمّد سعود، الرياض.

(٣) المصدر السابق، صفحة (٤٦٤).

(أ) ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة.. عن النَّبيّ ﷺ قال: لا تشدّ الرّحال إلّا إلى ثلاثة مساجد. المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الأقصى.

(ب) ما أخرجه.. مالك بسنده عن أبي هريرة.. أنّه قال: لقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري فقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من الطور. فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تعمل المطي إلّا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام وإلى مسجدي هذا وإلى مسجد إيليا أو بيت المقدس يشك.

ووجه الاستدلال بهذين الحديثين من وجهة نظر هذا الفريق هو أن الشارع قد نهى عن السفر إلى أي مكان للعبادة غير المساجد الثلاثة المستثناة في أسلوب حصر بمعنى أن السفر إلى أي مكان للعبادة محصور في المساجد الثلاثة. وعلى هذا فالسفر إلى زيارة قبر النَّبيّ ﷺ يدخل في النهي العام لعدم ورود ما يخرجه عن ذلك ولأنّ الصحابة قد فهموا ذلك كما يدل عليه قول أبي بصرة الغفاري في الحديث الثاني ومن ثُمَّ يعدون ذلك أنّه من البدع المحرمة.

يقول ابن تيمية في هذا المقام: إذا كانت المساجد التي هي من بيوت الله التي أمر فيها بالصلوات الخمس قد نهى عن السفر إليها حتى مسجد قباء الذي يستحب لمن كان بالمدينة أن يذهب إليه لما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر ... عن النَّبيّ ﷺ: أنّه كان يأتي قباء كل سبت راكباً وماشياً.. إلى أن قال مؤكداً ذلك: وروى الترمذي أنّ النَّبيّ ﷺ قال: من تطهّر في بيته فأحسن الطهور ثُمَّ أتى مسجد قباء لا يريد إلّا الصلاة فيه كان له كعمرة». وكذلك ينهى عن السفر إلى الطور المذكور في القرآن فمن باب أولى أن ينهى عن السفر إلى غيرها من الأمكنة.

ويقول أيضاً في مكان آخر: قال بعض العلماء: قوله: من تطهر في بيته ثُمَّ

أتى مسجد قباء.. تنبيه على أنه لا يشرع قصده بشد الرحال بل إنما يأتيه الرجل في بيته الذي يصلح أن يتطهر فيه ثُمَّ يأتيه فيقصده كما يقصد الرجل مسجد مصره دون المساجد التي يسافر إليها، وأمّا المساجد الثلاثة فقد اتفق العلماء على استحباب إتيانها للصلاة ونحوها.

ويقول محيي الدين البركوي: السفر إلى زيارة قبور الأنبياء بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة والتابعين، ولا أمر بها رسول ربّ العالمين، ولا استحبها أحد من أئمّة المسلمين، فمن اعتقد ذلك قربة وطاعة فقد خالف السنة والإجماع ولو سافر إليها بذلك الاعتقاد يحرم بإجماع المسلمين فصار التحريم من جهة اتخاذه قربة، ومعلوم أن أحداً لا يسافر إليها إلّا لذلك.

ويقول ناصر الدين الألباني في هذا المقام: المستثنى منه في هذا الحديث ليس هو المساجد فقط كما يظن كثيرون بل هو كل مكان يقصد للتقرب إلى الله فيه سواء كان مسجداً أو قبراً أو غير ذلك بدليل ما رواه أبو هريرة قال في حديث له: فلقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري فقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من الطور فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تعمل المطي إلّا إلى ثلاثة مساجد.. الحديث

فهذا دليل على أنّ الصحابة فهموا الحديث على عمومه ويؤيده أنه لم ينقل عن أحد منهم أنّه شد الرحل لزيارة قبر ما.

هذه مجمل ما ورد في هذا المقام من قبل القائلين بحرمة السفر إلى زيارة قبر النَّبيّ ﷺ.

هذا.. ومن الملاحظ أن أصحاب هذا المبنى قد استندوا على روايات قاصرة عن المطلب، واستحسانات لا يمكن أن تكون دليلاً في الاستنباط الفقهي والشرعي.. وقد عرفت أيضاً مخالفتها لما عليه الكثير من الروايات المرويّة في الصحاح.. فتأمّل.

ـ المطلب الثاني: أحاديث في فضل زيارة أمير المؤمنين

كثرت الأحاديث في فضل زيارة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) منها ما جعل لزائره (صلوات الله عليه) من الأجر والثواب ما لمائة ألف شهيد.. ومنها ما جعل له غفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر.. ومنها أن زائره يأتي آمنا يوم القيامة.. ومنها أن زائره يهون عليه الحساب.. ومنها أن زائره (صلوات الله عليه) تستقبله وتشيعه الملائكة.. وتعوده إذا مرض.. وإذا مات شيعته إلى قبره بالاستغفار.. ومنها ما جعل لمن زاره بكل خطوة حجة مقبولة.. وعمرة مبرورة.. وحاجته مقضية.. وله النجاة من النار.. وله الفوز بالجنّة.. وينفس الله عنه كربته..

وفيما يلي نعرض بعض الأحاديث الواردة في هذا المقام.

الحديث الأوّل: رواه محمّد بن مسلم، عن مولانا أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) قال: ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وإنه لينزل كل يوم سبعون ألف ملك، فيأتون البيت المعمور فيطوفون به، فإذا هم طافوا به نزلوا فطافوا بالكعبة، فإذا طافوا بها أتوا قبر النَّبيّ ﷺ فسلموا عليه، ثُمَّ أتوا قبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فسلموا عليه، ثُمَّ أتوا قبر الحسين (صلوات الله عليه) فسلموا عليه، ثُمَّ عرجوا، وينزل مثلهم أبداً إلى يوم القيامة.

وقال (صلوات الله عليه): من زار قبر أمير المؤمنين عارفاً بحقه غير متجبرٍ ولا متكبرٍ كتب الله له أجر مائة ألف شهيد، وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، وبعث من الآمنين، وهوّن عليه الحساب، واستقبلته الملائكة، فإذا انصرف شيعته إلى منزله، فإن مرض عادوه، وإن مات شيعوه بالاستغفار إلى قبره..[1].

---

(١) الحرّ العامليّ، محمّد حسن، وسائل الشيعة الجزء (١٠) الباب (٢٣) من أبواب المزار الحديث رقم (١) صفحة (٢٩٣) طبعة دار إحياء التراث العربيّ بيروت.

الحديث الثاني: رواه يونس بن أبي وهب القصري قال: دخلتُ المدينة فأتيتُ أبا عبد الله (صلوات الله عليه) فقلتُ له: أتيتك ولم أزر قبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقال: بئس ما صنعت!! لولا إنّك من شيعتنا ما نظرت إليك!! ألا تزور من يزوره الله تعالى مع الملائكة..؟ ويزوره الأنبياء عليهم السلام ويزوره المؤمنون..!!.

قلت: جعلت فداك، ما علمت ذلك.

قال: فاعلم أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) عند الله أفضل من الأئمّة (صلوات الله عليهم جميعاً) كلهم، وله ثواب أعمالهم، وعلى قدر أعماله فضلوا.

وهذا الحديث رواه الكلينيّ في الكافي، ورواه ابن قولويه في المزار، ورواه الشيخ الجليل المفيد في المقنعة عن مولانا الإمام جعفر الصادق (صلوات الله عليه) قال: من ترك زيارة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لم ينظر الله إليه، ألا تزورون من تزوره الملائكة[1].

الحديث الثالث: رواه بعض أصحاب مولانا الإمام جعفر الصادق (صلوات الله عليه) قال: كنتُ عند جعفر بن محمّد الصادق (صلوات الله عليهما) وقد ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) فقال ابن مارد لأبي عبد الله (صلوات الله عليه): ما لمن زار جدك أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)..؟

فقال: يا ابن مارد، من زار جدي عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوةٍ حجة مقبولة.. وعمرة مبرورة.. والله يا ابن مارد ما تطعم النار قدماً تغيرت في زيارة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ماشياً كان أو راكباً، يا ابن مارد أكتب هذا الحديث بماء الذهب..[2].

---

(١) المصدر السابق، الباب (٢٣) من أبواب المزار الحديث رقم (٢) صفحة (٢٩٣).

(٢) المصدر السابق الحديث رقم (٣) صفحة (٢٩٤).

ولعله كناية عن تعظيمه والاعتناء به والاهتمام بتدوينه وحفظه.

ورواه السيّد ابن طاووس في مصباح الزائر عن ابن مارد، وكذا حديث يونس المتقدم.

الحديث الرابع: رواه بعض أصحاب مولانا أبي عبد الله (صلوات الله عليه) قال: قال أبو عبد الله الصادق (صلوات الله عليه): نحن نقول: بظهر الكوفة قبر لا يلوذ به ذو عاهة إلّا شفاه الله..[1].

الحديث الخامس: أيضاً عن أبي عبد الله (صلوات الله عليه) قال: إنّ إلى جانب كوفان قبراً ما أتاه مكروبٌ قط فصلى عنده ركعتين أو أربع ركعات إلّا نفّس الله كربه وقضى حاجته.

قال: قلت: قبر الحسين بن علي (صلوات الله عليه)..؟

فقال لي برأسه: لا.

فقلت: قبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)..؟

فقال برأسه: نعم..[2].

الحديث السادس: رواه يونس ابن ظبيان قال: أتيت أبا عبد الله (صلوات الله عليه) حين قدم الحيرة، وذكر حديثاً حدثناه إلّا أنّه قال: سار معه حتى انتهى إلى المكان الذي أراد، فقال: يا يونس، أقرن دابتك، فقرنت بينهما، ثُمَّ رفع يديه، ثُمَّ دعا.. ففهمته وعلمته.

فقال لي: يا يونس، أتدري أي مكان هذا..؟

فقلت: لا والله، ولكنّي أعلم أنّي في الصحراء، فقال: هذا قبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يلتقي هو ورسول الله ﷺ يوم القيامة..[3].

الحديث السابع: رواه صفوان بن مهران الجمّال عن مولانا الإمام

---

(١) المصدر السابق الحديث رقم (٥) صفحة (٢٩٥).

(٢) المصدر السابق الحديث رقم (٦) صفحة (٢٩٥).

(٣) المصدر السابق الحديث رقم (٧) صفحة (٢٩٥).

جعفر بن محمّد الصادق (صلوات الله عليه) قال: سار وأنا معه في القادسية حتى أشرف على النجف، فقال: هذا هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدي نوح، فقال: ﴿سَآوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾[1] فأوحى الله تعالى إليه: أيعتصم بك مني أحد..؟ فغار في الأرض، وتقطع إلى الشام.

ثُمَّ قال (صلوات الله عليه): إعدل بنا، قال: فعدلت به فلم يزل سائراً حتى أتى الغريّ فوقف به، ثُمَّ أتى القبر فساق السلام من آدم على نبيّ نبيّ (صلوات الله عليهم) وأنا أسوق السلام معه، حتى وصل السلام إلى النَّبيّ ﷺ ثُمَّ خرّ على القبر فسلّم عليه وعلا نحيبه، ثُمَّ قام فصلّى أربع ركعات ـ وفي خبر آخر ست ركعات ـ وصلّيتُ معه، فقلتُ: يابن رسول الله ما هذا القبر..؟

فقال (صلوات الله عليه): هذا قبر جدي عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه)[2].

الحديث الثامن: رواه الشيخ المفيد رحمه الله في كتابه المقنعة عن مولانا الإمام جعفر بن محمّد الصادق عن آبائه (صلوات الله عليهم) عن النَّبي ﷺ قال: من زار علياً بعد وفاته فله الجنّة..[3].

الحديث التاسع: رواه بعض المحدثين عن مولانا أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) أنَّه قال: إنَّ أبواب السماء لتفتح عند دعاء الزائر لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فلا تكن عن الخير نواماً..[4].

الحديث العاشر: رواه محمّد بن همّام قال: وجدتُ في كتاب كتبه ببغداد

---

(١) سورة هود الآية (٤٣).

(٢) الحرّ العامليّ، محمّد حسن، وسائل الشيعة الجزء (١٠) الباب (٢٣) من أبواب المزار الحديث (٩) صفحة (٢٩٦)، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٣) المصدر السابق، الجزء (١٠) الباب (٢٣) من أبواب المزار الحديث رقم (١٠) صفحة (٢٩٦).

(٤) المصدر السابق الحديث رقم (١١) صفحة (٢٩٦).

جعفر بن محمّد قال: حدثنا محمّد بن الحسن الرازي، عن الحسين بن إسماعيل الصميري، عن أبي عبد الله (صلوات الله عليه) قال: من زار أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ماشياً كتب الله له بكل خطوةٍ حجة وعمرة، فإن رجع ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجتين وعمرتين..[1].

ـ المطلب الثالث: أفضل من زيارة الحسين

قد صرحت بعض الروايات أنّ زيارة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أفضل من زيارة أبي عبد الله الحسين (صلوات الله عليه) وأفضل من الحج والعمرة المندوبين وإليك بعض الأحاديث.

الحديث الأوّل: جاء في كتب الأخبار بالإسناد إلى عمر بن عبد الله بن طلحة النهدي، عن أبيه، قال: دخلتُ على أبي عبد الله (صلوات الله عليه) فقال: يا عبد الله بن طلحة، ما تزور قبر أبي الحسين (صلوات الله عليه)..؟

قلت: بلى، إنا لنأتيه.

قال: تأتونه في كل جمعة..؟

قلت: لا.

قال: فتأتونه في كل شهر..؟

فقلت: لا.

فقال: ما أجفاكم..!!.

إنّ زيارته تعدل حجة وعمرة، وزيارة أبي عليّ (صلوات الله عليه) تعدل حجتين وعمرتين[2].

الحديث الثاني: رواه عبد الكريم بن أحمد بن طاووس في كتاب ـ فرحة

---

(١) المصدر السابق الباب (٢٤) من أبواب المزار الحديث رقم (١) صفحة (٢٩٦).

(٢) المصدر السابق الجزء (١٠) الباب (٢٥) من أبواب المزار الحديث رقم (١) صفحة (٢٩٧).

الغري ـ عن أبي شعيب الخراساني قال: قلتُ لأبي الحسن الرضا (صلوات الله عليه): أيّما أفضل زيارة قبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أو زيارة الحسين (صلوات الله عليه)..؟

قال: إنّ الحسين قتل مكروباً فحقيق على الله عزّ وجلّ ألا يأتيه مكروب إلّا فرج الله كربه.

وفضل زيارة قبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) على زيارة الحسين كفضلِ أمير المؤمنين على الحسين (صلوات الله عليه).

ثُمَّ قال لي: أين تسكن..؟

قلتُ: الكوفة، فقال: إنّ مسجد الكوفة بيت نوح لو دخله رجل مائة مرة لكتب الله له مائة مغفرة، أما إنّ فيه دعوة نوح عليه السلام حيث قال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾[1] قلت: من عني بوالدي..؟. قال: آدم وحواء..[2].

الحديث الثالث: رواه أبو عامر واعظُ أهلِ الحجاز قال: أتيتُ أبا عبد الله (صلوات الله عليه) فقلتُ له: ما لمن زار قبره ـ يعني أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ـ وعمّر تربته..؟

فقال: يا أبا عمّار، حدثني أبي، عن أبيه، عن جدّه الحسين بن عليّ، عن عليّ (صلوات الله عليهم) أن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال له: والله لتقتلن بأرض العراق وتدفن بها.

قلتُ: يا رسول الله، ما لمن زار قبورنا وعمّرها وتعاهدها..؟

قال لي: يا أبا الحسن، إنّ الله جعل قبرك وقبور ولدك بقاعاً من بقاع الجنّة، وعرصة من عرصاتها، وإنّ الله جعل قلوب نجباءٍ من خلقه، وصفوة

---

(١) سورة نوح الآية (٢٨).

(٢) الحرّ العامليّ، محمّد حسن، وسائل الشيعة الباب (٢٥) من أبواب المزار الحديث رقم (٢) صفحة (٢٩٧) طبعة دار إحياء التراث العربيّ بيروت.

من عباده تحنّ إليكم، وتحتمل المذلة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها تقرباً منهم إلى الله، ومودةً منهم لرسوله، أولئك ـ يا علي ـ المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي، وهم زواري غداً في الجنّة.

يا عليّ، من عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنّما أعان سليمان بن داود على بناءِ بيتِ المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه، فأبشر وبشّر أوليائك ومحبيك من النعيم، وقرة العين، بما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ولكن حثالة من الناس يعيّرون زوّار قبوركم بزيارتكم كما تعيّر الزانية بزناها، أولئك شرار أُمّتي لا أنالهم الله شفاعتي ولا يردون حوضي..[1].

وهذا الحديث الشريف يدل على استحباب الزيارة استحباباً مؤكداً وإعمار المشاهد المشرّفة للأئمّة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين).

الحديث الرابع: رواه أبو عامر، عن مولانا الإمام جعفر بن محمّد الصادق، عن أبيه، عن جده (صلوات الله عليهم) قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ (صلوات الله عليه): إنّ الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنّة.. ثُمَّ ذكر بقيّة الحديث، إلّا أنّه قال: فمن عمّر قبورهم ثُمَّ قال: ومن زار قبورهم..[2].

وهذه الأحاديث تدل على استحباب الزيارة لمراقد الأئمّة المعصومين (صلوات الله عليهم) واستحباب تعميرها.

❁ ❁ ❁

(١) المصدر السابق، الجزء (١٠) الباب (٢٦) من أبواب المزار الحديث (١) صفحة (٢٩٨).
(٢) المصدر السابق، الحديث رقم (٢)، صفحة (٢٩٩).

نفهم من خلال ما تقدم من نصوص الروايات أنّ زيارة قبور المعصومين (صلوات الله عليهم) أمرٌ راجحٌ شرعاً لا يختلف فيه أحدٌ من أتباع مدرسة أهل البيت (صلوات الله عليهم) ولا شك أنّ سيرة المسلمين المتصلة بزمن رسول الله ﷺ تكشف على الأقل عن شرعيّة الزيارة.

وقد ثبت استحباب زيارة قبور المعصومين (صلوات الله عليهم) وقبور أصحابهم وقبور المؤمنين والصالحين بالرأي الفقهي الشيعي المعتمد على الدليل الشرعي من دون أي معارض.

وقد اعتبر الفقهاء أنّ مراسم زيارة قبور المعصومين (صلوات الله عليهم) والصالحين والمؤمنين ـ بما تشتمل عليه من دعاءٍ وقراءة القرآن لهم وعبادة الله من صلاة ودعاء وقراءة وتسبيح عندهم فضلاً عن تلاوة الزيارة المنصوصة لهم ـ من شعائر الله العظمى.

يقول العلّامة الشيخ محمّد مهدي شمس الدين رحمه الله في معرض حديثه عن أصل مشروعية الزيارة:

إنّ ما قدمناه يكشف بوضوح عن مشروعيّة الزيارة واستناداً إلى هذه المشروعيّة مارس المسلمون في جميع عصورهم رجالاً ونساءً هذا العمل باعتباره شعيرة من شعائر الله، ولم ينكر عليهم ذلك أحد من فقهائهم ومحدّثيهم ووعاظهم بل حثُّوهم على ذلك،ولم يعرف الزجر عن هذا العمل إلّا من ابن تيميّة.. ومحمّد بن عبد الوهّاب في العصور الأخيرة، وقد واجه علماء المسلمين هذا الموقف الفقهي من هذه المسألة بالتعجُّب والاستنكار وبيّنوا فساد هذا الرأي القائل بالتحريم بأدلّة من الكتاب والسنّة والإجماع ودليل العقل، فحين وجّه أئمّة أهل البيت (صلوات الله عليهم) شيعتهم لزيارة الحسين عليه السلام فإنّما كانوا يُطبّقون حكماً شرعياً عامّاً على مورد من موارده الخاصّة وهو الحسين بن عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليهما)، وقد

أظهر أئمّة أهل البيت (صلوات الله عليهم) عناية كبرى بتوجيه المسلمين بعامة والشيعة بخاصة لزيارة النَّبيّ ﷺ وأئمّة أهل البيت (صلوات الله عليهم) والرجال والنساء الذين أبلَوا بلاءً حسناً في تأريخ الإسلام بجهاد أعدائه وإرساء قواعده توصلاً إلى غايات دينيّة تربوية[١].

ـ المطلب الرابع: كلمة للشيخ المظفّر

في معرض حديثه عن عقيدة الشيعة الإمامية الاثنا عشرية فيما يخصّ زيارة القبور بشكلٍ عام وزيارة المراقد الشريفة للمعصومين (صلوات الله عليهم) بشكل خاص يقول العلّامة المجدّد الشيخ محمّد رضا المظفَّر رحمه الله:

...ومِمّا امتازت به الإمامية العناية بزيارة القبور، قبور النَّبيّ والأئمّة عليهم الصلاة والسلام، وتشييدها، وإقامة العمارات الضخمة عليها، ولأجلها يضحّون بكلّ غال ورخيص، عن إيمان وطيب نفس.

ومردّ كلّ ذلك إلى وصايا الأئمّة، وحثّهم شيعتهم على الزيارة، وترغيبهم فيما لها من الثواب الجزيل عند الله تعالى، باعتبار أنّها من أفضل الطاعات والقربات بعد العبادات الواجبة، وباعتبار أنّ هاتيك القبور من خير المواقع لاستجابة الدعاء والانقطاع إلى الله تعالى.

وجعلوها أيضاً من تمام الوفاء بعهود الأئمّة، إذ (أنّ لكلِ إمامٍ عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء.. زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبةً في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه، كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة)[٢].

---

(١) شمس الدين، محمّد مهدي، ثورة الحسين في الوجدان الشعبيّ، صفحة (٥٦)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

(٢) الحرّ العامليّ، محمّد حسن، الفصول المهمّة في أصول الأئمّة الجزء (٣) صفحة (٢٦٩) طبعة مؤسسة معارف إسلامي إمام الرضا قمّ.

من فوائد الزيارة

وفي زيارة القبور من الفوائد الدِّينيَّة والاجتماعية ما تستحقّ العناية من أئمتنا، فإنّها في الوقت الذي تزيد من رابطة الولاء والمحبة بين الأئمّة وأوليائهم، وتجددّ في النفوس ذكر مآثرهم وأخلاقهم وجهادهم في سبيل الحق، تجمع في مواسمها أشتات المسلمين المتفرِّقين على صعيد واحد، ليتعارفوا ويتآلفوا، ثُمَّ تطبع في قلوبهم روح الانقياد إلى الله تعالى.. والانقطاع إليه، وطاعة أوامره، وتُلقِّنهم في مضامين عبارات الزيارات البليغة الواردة عن آل البيت حقيقة التوحيد والاعتراف بقدسيّة الإسلام والرسالة المحمّدية، وما يجب على المسلم من الخُلق العالي الرصين، والخضوع إلى مدبِّر الكائنات، وشكر آلائه ونعمه، فهي من هذه الجهة تقوم بنفس وظيفة الأدعية المأثورة..

الأدب الروحي

بل بعضها يشتمل على أبلغ الأدعية وأسماها، كزيارة ـ أمين الله ـ وهي الزيارة المرويّة عن الإمام زين العابدين عليه السلام حينما زار قبر جدّه أمير المؤمنين عليه السلام[1].

كما تُفهم هذه الزيارات المأثورة مواقف الأئمّة عليهم السلام وتضحياتهم في سبيل نصرة الحق وإعلاء كلمة الدين، وتجرّدهم لطاعة الله تعالى، وقد وردت بأسلوب عربي جزل، وفصاحة عالية، وعبارات سهلة يفهمها الخاصّة والعامّة، وهي محتوية على أسمى معاني التوحيد ودقائقه، والدعاء والابتهال إليه تعالى.

فهي بحق من أرقى الأدب الديني بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة والأدعية

---

(١) القميّ، جعفر، كامل الزيارات، صفحة (١٢٢) طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ قمّ.

المأثورة عنهم، إذ أُودعت فيها خلاصةُ معارف الأئمّة عليهم السلام فيما يتعلّق بهذه الشؤون الدِّينيَّة والتهذيبيَّة[١].

يتحدّث العلّامة الشيخ محمّد مهدي شمس الدين رحمه الله عن هدفيَّة الزيارة للمراقد المطهرة لدى مذهب أهل البيت (صلوات الله عليهم) ويكشف اللثام عن فلسفة هذه الشعيرة المباركة فيقول:

لقد وجّه أئمّة أهل البيت (صلوات الله عليهم) شيعتهم نحو الزيارة للنَّبيّ صلى الله عليه وآله وللأئمّة السابقين عليهم السلام لخدمة هدف كبير هو إبقاء الصلة حيّة نابضة بين الإسلام الحيّ وبين الإنسان الشيعيّ لئلا يتحوّل الإسلام في ذهنه إلى مجرد ممارسات طقسيّة وفقه ميّت، ولئلا تكون النماذج التطبيقيّة (الرسميّة) للإسلام التي يعايشها المسلم في حياته اليوميّة على صعيد الحكم، وعلى صعيد المجتمع هي النماذج المحتذاة والمعترف بها من قبله، وإنّما تبقى حيّة في ذهنه النماذج السليمة البريئة الصافية للإسلام، وتبقى حيّة في ذهنه الممارسات الأمنية الصادقة للإسلام..

إنّ أئمّة أهل البيت (صلوات الله عليهم) حين جعلوا من الزيارة مؤسسة فكريّة سياسيّة اجتماعيّة أرادوا أن يجعلوا الإنسان الشيعي على صلة حيّة ومباشرة بمنابع إسلامية في الفكر والنظريّة في التطبيق والممارسة، فالنصوص التي يزار بها رسول الله صلى الله عليه وآله تسلّط الأضواء على جهود رسول الله صلى الله عليه وآله في الدعوة إلى الإسلام ونشره وتثبيته. إلى جانب ما تشتمل عليه من عبارات المدح والثناء لرسول الله صلى الله عليه وآله وتعظيمه وتكريمه، والنصوص التي يزار بها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) تتضمَّن بيان جهوده الفكريّة والعمليّة في سبيل الإسلام وكذلك النصوص التي يزار بها أئمّة أهل البيت الآخرون، وتكاد كل زيارة من الزيارات المعتمدة تشتمل على تعهُّد

---

(١) المظفّر، محمّد رضا، عقائد الإمامية، صفحة (١٢٩).

أمام الله ينشئه الإنسان الشيعيّ مع المزور بوجه خاصّ، ومع الرسول وأئمّة أهل البيت [صلوات الله عليهم] بوجه عام على أن يبقى أميناً على عهدهم وطريقتهم وسنّتهم[1].

ـ المطلب الخامس: آداب آداء الزيارة

ثُمَّ إنّ في آداب أداء الزيارة أيضاً من التعليم والإرشاد ما يؤكّد تحقيق تلك المعاني الدِّينيَّة السامية، من نحو رفع معنوية المسلم، وتنمية روح العطف على الفقير، وحمله على حسن العشرة والسلوك، والتحبّب إلى مخالطة الناس.

فإنّ من آدابها ما ينبغي أن يصنع قبل الدخول إلى المرقد المطهَّر وزيارته والشروع بالزيارة المقدسة..

ومنها، ما ينبغي مراعاته أثناء الزيارة..

ومنها، ما ينبغي صنعه فيما بعد الزيارة..

ونحن هنا نعرض بعض هذه الآداب للتنبيه على مقاصدها التي قلناها.

أوّلاً: الغسل، أن يغتسل الزائر قبل الخروج من بيته لسفر الزيارة..

ثانياً: الاشتغال بذكر الله، أن يتجنّب الزائر التحدّث في الطريق باللغو والخصام والجدال، بل ينبغي أن يشغل لسانه وقلبه بذكر الله تعالى تسبيحاً وتقديساً وتهليلاً ودعاءً، ولا يستحسن الحديث إلّا بالخير وذكر الله وكثرة.. الصلاة على محمّد وآل محمّد.

ثالثاً: المعاشرة الحسنة، أن يلتزم الزائر حسن الصحبة لمن يصحبه، وأن يساعد أصحابه في السفر، وأن لا يحجم عن السعي في قضاء حوائجهم قدر

---

(١) شمس الدين، محمّد مهدي، ثورة الحسين في الوجدان الشعبيّ صفحة (٥٨) طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

المستطاع كي ينفّس الله عنه ثلاثاً وسبعين كربة ويجيره من الهمّ والغمّ وينفّس كربه العظيم يوم القيامة.

رابعاً: الغسل، إذا وصل الزائر إلى مقصده يُستحب له أن يغتسل قبل الشروع بالزيارة ويتطهّر، ولا شك أنّه قد ورد الحثّ والتأكيد من ألسنة المعصومين (صلوات الله عليهم) على الغسل لما له من أهميّة في أن يبقى الزائر نضيف البدن وقاية له من كثيرٍ من الأمراض من جهة، ولئلا يزعج الناس من حوله من خلال الروائح النتنة التي يفرزوها البدن نتيجة التعب والمشقّة ولهذا ورد في الحديث عن أبي عبد الله (صلوات الله عليه) في قوله عزّ وجلّ: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[1] قال: الغسل عند لقاء كل إمام[2].

وأيضاً ورد في الرواية عن مولانا الإمام جعفر بن محمّد الصادق (صلوات الله عليه) قال: إذا أردت الزيارة لقبر أمير المؤمنين عليه السلام فاغتسل من منزلك..[3].

وقد ورد أن يدعو الزائر بعد الانتهاء من الغسل بالمأثور، لغرض تنبيهه على تلكم الأهداف العالية فيقول:

اللّهُمَّ إجعل لِي نوراً وطهوراً، وحِرزاً كافياً من كلّ داءٍ وسقَمٍ، ومن كلّ آفةٍ وعاهة. وطهِّر به قلبي وجوارحي، وعظامي ولحمي ودمِي، وشَعري وبشري ومخّي وعظمي، وما أقلّت الأرض منّي. واجعل لِي شاهِداً يومَ حاجَتي، وفقرِي وفاقَتِي..[4].

خامساً: اللباس، من الآداب أن يلبس الزائر أفضل وأحسن وأنظف ما

---

(١) سورة الأعراف، الآية (٣١).

(٢) الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة الجزء، الباب (٢٩) من أبواب المزار صفحة (٣٩٠) الحديث رقم (١٩٤٤٣) طبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم.

(٣) القميّ، جعفر، كامل الزيارات، صفحة (١٨٦)، طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ قم.

(٤) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٩٧)، صفحة (١٣٢)، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

عنده من الثياب، فإنّ الأناقة في الملبس في المواسم العامّة ما يحبّب الناس بعضهم إلى بعض، ويقرِّب بينهم، ويزيد في عزّة النفوس والشعور بأهميّة الموسم الذي يشترك فيه.

وذكر محمّد بن المشهدي في (مزاره) أنّ مولانا الإمام جعفر بن محمّد الصادق (صلوات الله عليه) علّم محمّد بن مسلم هذه... قال: إذا أتيت مشهد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فاغتسل غسل الزيارة والبس أنظف ثيابك..[1].

ويستحسن أن تكون الثياب بيضاء اللون.. ومِمّا ينبغي أن نلفت النظر إليه في هذا التعليم أنّه لم يُفرض فيه أن يلبس الزائر أحسن الثياب على العموم، بل يلبس أحسن ما يتمكّن عليه، إذ ليس كل أحدٍ يستطيع ذلك، وفيه تضييق على الضعفاء لا تستدعيه الشفقة، فقد جمع هذا الأدب بين ما ينبغي من الأناقة، وبين رعاية الفقير وضعيف الحال.

سادساً: الطيب، أن يتطيَّب الزائر ما وسعه الطيب، وفائدته كفائدة لبس أحسن الثياب، فقد ورد في الرواية عن صفوان الجمال، عن مولانا الإمام جعفر بن محمّد الصادق (صلوات الله عليه) ـ في حديث ـ قال:

قلتُ له: كيف نزور أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)؟

فقال: يا صفوان إذا أردت ذلك فاغتسل والبس ثوبيك طاهرين غسيلين أو جديدين ونل شيئاً من الطيب، فإنّ لم تنل أجزأك..[2].

وذكر محمّد بن المشهدي في (مزاره) أن الصادق (صلوات الله عليه) علّم محمّد بن مسلم هذه الزيارة قال: إذا أتيت مشهد أمير المؤمنين (صلوات الله

---

(١) المشهدي، محمّد، فضل الكوفة ومساجدها، صفحة (٦٧) طبعة دار المرتضى بيروت.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٩٧) صفحة (٢٣٦) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

عليه) فاغتسل غسل الزيارة والبس أنظف ثيابك، وشم شيئاً من الطيب وامش وعليك السكينة والوقار.

وقد ذكر بعض العلماء إنّه تستثنى سنّة الطيب عند زيارة مرقد المولى أبي عبد الله الحسين (صلوات الله عليه) خاصة..[١].

سابعاً: السكينة والوقار، أن يقصر خطاه إذا خرج إلى الروضة المقدّسة، ويمشي على السكينة والوقار، وأن يكون خاضعاً خاشعاً غاضّاً من بصره، وأن يطأطئ رأسه فلا يلتفت إلى الأعلى ولا إلى جوانبه، وأن يشغل لسانه وهو يمضي إلى الحرم المطهر بالتكبير والتهليل والتحميد والتسبيح ويكثر من ذكر الصلاة على محمّد وآل محمّد.

وواضح ما في هذا من توقير للحرم والزيارة، وتعظيم للمزور، وتوجّه إلى الله تعالى، وانقطاع إليه، مع ما في ذلك من اجتناب مزاحمة الناس ومضايقتهم في المرور، وعدم إساءة بعضهم إلى بعض.

ذكر محمّد بن المشهدي في (مزاره) أن مولانا الإمام جعفر بن محمّد (صلوات الله عليه) في حديثه مع محمّد بن مسلم حول آداب الزيارة قال:.. إذا أتيت مشهد أمير المؤمنين عليه السلام فاغتسل غسل الزيارة والبس أنظف ثيابك، وشم شيئاً من الطيب وامش وعليك السكينة والوقار..[٢].

ثامناً: التكبير، أن يكبّر الزائر بقول: ـ الله أكبر ـ إذا شاهد القبر المطهر قبل الشروع في الزيارة وفي الرواية أنّ من كبّر أمام الإمام (صلوات الله عليه) وقال: لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له.. كتب له رضوان الله أكبر.

وينبغي أن يكرّر ذلك ما شاء، وقد حددت بعض الزيارات هذا الذكر

---

(١) القمي، عباس، مفاتيح الجنان، صفحة (٣٤٧) طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.
(٢) المصدر السابق.

المبارك إلى أن تبلغ المائة، وفي ذلك فائدة إشعار النفس بعظمة الله، وأنّه لا شيء أكبر منه، وأنّ الزيارة ليست إلّا لعبادة الله وتعظيمه وتقديسه في إحياء شعائر الله وتأييد دينه.

تاسعاً: الاستئذان، عندما يصل الزائر إلى الحرم المطهّر من الآداب أن يقف بباب الحرم ويستأذن الدخول، ويجتهد لتحصيل الرقّة والخشوع والإنكسار، والتفكّر في عظمة ذلك المرقد المنوّر وجلاله، وأنّ صاحب المرقد الشريف يرى مكان الزائر ويسمع كلامه ويرد سلامه وأن يتدبّر الزائر في لطفهم (صلوات الله عليهم) لشيعتهم وزائريهم، وأن يتأمّل في فساد نفسه وجفائه لأئمته (صلوات الله عليهم) حين رفض تعاليمهم، ولم يلتزم بوصاياهم.

فلو التفت إلى نفسه التفات المتفكّر المدقق، لتوقفت قدماه عن المسير وعقله عن التفكير فيما هو فيه من تقصير، ولخشع قلبه ودمعت عينه، وهذا هو لبُّ فائدة الزيارة وفلسفتها.

يقول الشيخ القميّ في مفاتيحه: ينبغي أن يتمثّل الزائر بهذه الأبيات التي نظمها السخاوي في هذا الموضع، فيقول:

قالوا غداً نأتي ديار الحمى ... وينزل الركب بمغناهُمُ
فكُلُّ من كان مطيعاً لهُمْ ... أصبح مسروراً بلُقياهُمُ
قُلْتُ فلي ذنبٌ فما حيلتي ... بأي وجهٍ أتلقّاهُمُ
قالوا أليس العفو من شأنهمْ ... لا سيّما عمّن ترجّاهُمُ
فجئتهمْ أسعى إلى بابهم ... أرجُوهُمُ طوراً وأخشاهُمُ

وينبغي أن يتمثّل بهذه الأبيات:

ها عبدك واقفٌ ذليلٌ ... بالباب يُمدُّ كفَّ سائِلٌ
قد عزَّ عليَّ سُوءُ حالي ... ما يفعل ما فعلت عاقلٌ

يـــا أكـــرم مـــن رجـــاه راجٍ عـــن بـابـك لا يُـردُّ سـائِـلٌ[١]

عاشراً: السجود شكراً، أن يسجد شكراً لله تعالى على بلوغه تلك البقعة المطهرة.. وأن يقبّل العتبة المباركة..

لا شك أن الزائر عندما يقع نظره على القبة المنيرة لضريح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يعرض في نفسه النشاط والإنبساط، ويثور قلبه عشقاً وولاءً وانقياداً وهمةً.

لذلك ينبغي للزائر أن يتوجّه نحو أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بمجامع قلبه، وأن يمدحه ويثني عليه بكل لسان وبيان ولا سيّما إذا كان من أهل العلم والفهم وأن يتمثّل بعض أبيات القصيدة الأزرية ويقول:

أيُّـهـا الـرّاكـب الـمُـجِـدُّ رُوَيْـداً بـقـلُـوبٍ تـقـلَّـبـتْ فـي جـواهـا
إنْ تَـراءَتْ أرض الْـغَـرِيَّـيـنِ فَـاخْـضَـعْ وَاخْـلَـعِ الـنَّـعْـلَ دُونَ وادي طُـواهـا
وإذا شِـمْـتَ قُـبَّـةَ الْـعـالَـمِ الأعْـلـى وَأَنْـوارُ رَبِّـهـا تَـغْـشـاهـا
فَـتَـواضَـعْ فَـثَـمَّ دارَةُ قُـدْس تَـتَـمَـنَّـى الأفْـلاكُ لَـثْـمَ ثَـراهـا
قُـلْ لَـهُ وَالـدُّمُـوعُ سَـفْـحُ عَـقـيـق وَالْـحَـشـا تَـصْـطَـلـي بِـنـارٍ غَـضـاهـا
يَـا بْـنَ عَـمِّ الـنَّـبـيِّ أَنْـتَ يَـدُ الـلـهِ الَّـتـي عَـمَّ كُـلَّ شَـيْء نَـداهـا
أَنْـتَ قُـرْآنُـهُ الْـقَـدِيـمُ وَأَوْصـا فُـكَ آيـاتُـهُ الَّـتـي أَوْحـاهـا
خَـصَّـكَ الـلـهُ فـي مَـآثِـرَ شَـتّـى هِـيَ مِـثْـلُ الأعْـدادِ لا تَـتَـنـاهـى
لَـيْـتَ عَـيْـنـاً بِـغَـيْـرِ رَوْضِـكَ تَـرْعـى قَـذِيَـتْ وَاسْـتَـمَـرَّ فـيـهـا قَـذاهـا
أَنْـتَ بَـعْـدَ الـنَّـبِـيِّ خَـيْـرُ الْـبَـرايـا وَالـسَّـمـا خَـيْـرُ مـا بِـهـا قَـمَـراهـا
لَـكَ ذاتٌ كَـذاتِـهِ حَـيْـثُ لَـوْلا أَنَّـهـا مِـثْـلُـهـا لَـمـا آخـاهـا
قَـدْ تَـراضَـعْـتُـمـا بِـثَـدْي وِصـال كـانَ مِـنْ جَـوْهَـرِ الـتَّـجَـلّـي غِـذاهـا
يـا أَخـا الْـمُـصْـطَـفـى لَـدَيَّ ذُنُـوبٌ هِـيَ عَـيْـنُ الْـقَـذا وأنـت جَـلاهـا

(١) القمي، عباس، مفاتيح الجنان، صفحة (٣٨١) طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.

لَكَ في مُرْتَقَى الْعُلى وَالْمَعالي دَرَجاتٌ لا يُرْتَقى أَدْناها
لَكَ نَفْسٌ مِنْ مَعْدَنِ اللُّطْفِ صيغَتْ جَعَلَ اللهُ كُلَّ نَفْس فِداها

الحادي عشر: أن يلتزم الزائر بآداب الدخول والخروج فيقدّم الرجل اليمنى للدخول، والرجل اليسرى للخروج، ملتزماً بذلك آداب الدخول والخروج من المسجد.

الثاني عشر: أن يتلو الزيارة من وقوف، إلّا إذا كان له عذر يمنع من ذلك من ضعف أو ما إلى ذلك.

الثالث عشر: أن يلتزم الزائر بالنَّصّ الوارد عن المعصومين (صلوات الله عليهم).

الرابع عشر: صلاة ركعتين، وبعد الفراغ من الزيارة النَّبيّ ﷺ أو الإمام (صلوات الله عليه) يصلّي ركعتين على الأقل، تطوّعاً وعبادة لله تعالى، ليشكره على توفيقه إياه، ويهدي ثواب الصلاة إلى المزور.

وفي الدعاء المأثور الذي يدعو به الزائر بعد هذه الصلاة ما يفهم الزائر أنّ صلاته وعمله إنّما هو لله وحده، وأنّه لا يعبد سواه، وليست الزيارة إلّا نوع من أنواع التقرّب إليه تعالى زلفى، إذ يقول:

اللّهمَّ لكَ صلَّيتُ، ولكَ ركعتُ، ولَكَ سجدتُ.

وحدَكَ لا شريكَ لكَ، لأنّه لا تكون الصلاةُ والركُوعُ والسجودُ إلّا لَكَ.

لأنّك أنتَ الله لا إلهَ إلّا أنتَ.

اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآلِ محمّد، وتقبَّل منّي زيارَتِي، وأعطِني سؤلِي، بمحمّد وآلِهِ الطاهرينَ.

ـ المطلب السادس: أهداف آداب الزيارة

من خلال دراسة آداب الزيارة لمراقد المعصومين (صلوات الله عليهم)

الواردة عنهم عليهم السلام يتوضّح لمن يريد أن يفهم الحقيقة عن مقاصدهم في زيارة مراقدهم المشرفة وما يلقم المتجاهلين حجراً حينما يزعمون أنّها عندهم من نوع عبادة القبور، والتقرّب إليها، والشرك بالله.

وأغلب الظن أنّ غرض أمثال هؤلاء هو التزهيد فيما يجلب لأتباع أهل البيت (صلوات الله عليهم) من الفوائد الاجتماعية الدِّينيَّة في مواسم الزيارات، إذ أصبحت هذه الشعائر شوكة في أعين أعداء آل بيت محمّد، وإلّا فما نظنهم يجهلون حقيقة مقاصد آل البيت (صلوات الله عليهم) فيها.

حاشا أولئك الذين أخلصوا لله نيّاتهم، وتجرّدوا له في عباداتهم، وبذلوا مهجهم في نصرة دينه أن يدعوا الناس إلى الشرك في عبادة الله.

ثُمَّ إنّه ليست حقيقة الزيارة إلّا السلام على النَّبيّ صلى الله عليه وآله أو الإمام المعصوم (صلوات الله عليه) باعتبار أنّهم ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] فهم يسمعون الكلام، ويردّون الجواب، ويكفي أن يقول فيها مثلاً: السلام عليك يا رسول الله.

غير أنّه ينبغي للزائر أن يقرأ فيها المأثور الوارد من الزيارات عن آل البيت (صلوات الله عليهم) لما فيها ـ كما ذكرنا ـ من المقاصد العالية والفوائد الدينية، مع بلاغتها وفصاحتها، ومع ما فيها من الأدعية العالية التي يتّجه بها الإنسان إلى الله تعالى وحده.

أمّا زيارة القبور وإقامة المآتم، فليست هي من نوع التقرّب إلى غير الله تعالى في العبادة ـ كما توهّمه بعض من يريد الطعن في طريقة الإمامية، غفلة عن حقيقة الحال فيها ـ بل هي من نوع التقرّب إلى الله تعالى بالإعمال

(١) سورة آل عمران، الآية (١٦٩).

الصالحة، كالتقرّب إليه بعيادة المريض، وتشييع الجنائز، وزيارة الإخوان في الدين، ومواساة الفقير.

فإنّ عيادة المريض ـ مثلاً ـ في نفسها عملٌ صالحٌ يتقرّب به العبد إلى الله تعالى بهذه العيادة، وليست مِمّا يُتقرّب بها إلى المريض.. فهل توجب عيادة المريض العبادة لغير الله تعالى أو الشرك في عبادته عزّ وجلّ..؟!!.

وكذلك بقية الأعمال الصالحة التي منها: زيارة القبور، وإقامة المآتم، وتشييع الجنائز، وزيارة الإخوان..

أمّا كون زيارة القبور وإقامة المآتم من الإعمال الصالحة الشرعية، فذلك محل إثباته في علم الفقه، وليس هنا موضع إثباته.

إنّ إقامة هذه الأعمال ليست من نوع الشرك في العبادة ـ كما يتوهّمه البعض ـ وليس المقصود منها عبادة الأئمّة (صلوات الله عليهم) وإنّما المقصود منها إحياء أمرهم، وتجديد ذكرهم، وتعظيم شعائر الله فيهم يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1][2].

قال ابن مدلل:

زر بالغريّ العالم الرباني ... علم الهدى ودعائم الايمان
وقل السلام عليك يا خير الورى ... يا أيّها النبأ العظيم الشأن
يا من على الأعراف يعرف فضله ... يا قاسم الجنات والنيران
نار تكون قسيمها يا عدتي ... أنا آمن من منها على جثماني
وأنا مضيفك والجنان لي القرى ... إذا أنت أنت مورد الضيفان

وقال دعبل بن عليّ الخزاعيّ:

---

(١) سورة الحج، الآية (٣٢).

(٢) المظفّر، محمّد رضا، العقائد الإمامية، صفحة (١٣٣).

سلام بالغداة وبالعشي على جدث بأكناف الغري
ولا زالت غزال النور ترجى إليه صبابة المزن الروي
إلّا ذا حبذا ترب بنجد وقبر ضم أوصال الوصي
وصيَّ محمّد بأبي وأمّي وأكرم من مشى بعد النَّبيّ
لان حجوا إلى البلد القصي فحجي ما حييت إلى علي

وكُتب على مشهده (صلوات الله عليه):

هذا ولي الله في ارضه في جنة الخلد وآلائه
لا يقبل الله له زائرا لم يبر من سائر أعدائه

وقال ابن رزيك:

كأني إذ جعلت اليك قصدي قصدت الركن بالبيت الحرام
وخيل لي بأبي في مقامي لديه بين زمزم والمقام
أيا مولاي ذكرك في قعودي ويا مولاي ذكرك في قيامي
وأنت إذا انتبهت سمير فكري كذلك أنت اني في منامي
وحبك إن يكن قد حل قلبي وفي لحمي استكن وفي عظامي
فلولا أنت لم تقبل صلاتي ولولا أنت لم يقبل صيامي
عسى اسقى بكأسك يوم حشر ويبرد حين أشربها اوامي[1]

ـ المطلب السابع: أوقات الزيارة

ثبت بالدليل الشرعي استحباب زيارة مراقد المعصومين (صلوات الله عليهم) مطلقاً، من دون أن يحدد الدليل وقت مخصوص للزيارة.. فيمكن للإنسان أن يأتي الزيارة في أي وقتٍ شاء.

(١) المازندراني، محمّد، مناقب آل أبي طالب ـ الجزء (٣) صفحة (١١٨) طبعة المكتبة الحيدرية النجف الأشرف.

نعم ورد حثٌ في الأدلة الشرعية على استحباب الزيارة في أيام معينّة، بمعنى الحثّ على عدم تفويت الفرصة في الزمن المعين، وهذا موجودٌ وواضحٌ في عالم الشريعة فالصوم مثلاً مستحبٌ في كل وقت، إلّا أنّه في شهري رجب وشعبان يشتدّ استحبابه، وهكذا الصلاة تطوعاً فإنّها مستحبة في كل وقت لأنّها خير موضوع، ولكن تشتدّ استحباباً بعد منتصف الليل بشروطها.

وهكذا الزيارة فهي راجحة شرعاً في أي وقت أتى بها الزائر، إلّا أن هناك أوقاتاً أشدّ استحباباً من أوقات أخرى.. وعليه فلا ينبغي التقصير في أمر الزيارة على الأقل في الأوقات التي ورد عليها الحثّ.

وفيما يلي نورد بعض الأوقات المحبب إليها شرعاً فيما يخصّ زيارة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه):

أوّلاً: ليلة السابع والعشرين من شهر رجب الحرام، المقصودة بليلة المبعث النبويّ الشريف.. وهي ليلة شريفة ذات شأن عظيم عند الله وأفضل أعمال هذه الليلة هي زيارة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

ثانياً: اليوم السابع والعشرون من شهر رجب الحرام المقصود بيوم المبعث النّبويّ الشريف.. وهو من الأعياد العظيمة في الإسلام، ومن أهم أعمال هذا اليوم زيارة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

ثالثاً: اليوم الحادي والعشرون من شهر رمضان المبارك وهو يوم شهادة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فتستحب الزيارة.

رابعاً: اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة الحرام هو يوم الغدير الأغرّ وهو عيد الله الأكبر وهو من أعظم أعياد الأمّة الإسلاميّة..!!. ويستحب فيه زيارة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وينبغي أن يجتهد الإنسان ويحضر عند المرقد الشريف.

خامساً: اليوم السابع عشر من شهر ربيع الأوّل وهو يوم ولادة رسول الله ﷺ ويستحب في هذا اليوم زيارة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

سادساً: يستحب زيارة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كل يوم أحد من الإسبوع.

ولا ينبغي أن يقصّر الإنسان المؤمن في زيارة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقد ورد في رواية الكافي عن يونس بن أبي وهب القصري قال: دخلتُ المدينة فأتيتُ أبا عبد الله (صلوات الله عليه)، فقلتُ: جعلتُ فداك، أتيتُك ولم أزُر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)!!

قال: بئس ما صنعت..!! لولا أنّك من شيعتنا ما نظرت إليك، ألا تزور من يزوره الله مع الملائكة، ويزوره الأنبياء، ويزوره المؤمنون..؟!!.

قلتُ: جعلت فداك، ما علمت ذلك.

قال: إعلمْ أنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، أفضل من الأئمّة كلّهم، وله ثواب أعمالهم، وعلى قدر أعمالهم فُضِّلوا..[1].

وقد ورد عن مولانا الإمام جعفر الصادق (صلوات الله عليه): من ترك زيارة أمير المؤمنين عليه السلام لم ينظر الله إليه، ألا تزورون من تزوره الملائكة والنّبيّون..؟!.

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من كلّ الأئمة، وله مثل ثواب أعمالهم، وعلى قدر أعمالهم فُضِّلوا..[2].

وقد تقدم الكلام في شأن استحباب زيارة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، الجزء (٢٥) صفحة (٣٦١) طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

(٢) الحرّ العامليّ، محمّد، وسائل الشيعة، الباب (٢٣)، من أبواب المزار الحديث رقم (١٩٤٢١) صفحة (٣٧٦) طبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم.

القسم العاشر

في رثاء أمير المؤمنين

وفيه تمهيد وجملة من القصائد:

- القصيدة الأولى: للسيد حيدر الحلي: قم ناشد الإسلام عن مصابه
- القصيدة الثانية: للسيد حيد الحلي: أقائمٌ بيتِ الهدى الطاهرِ
- القصيدة الثالثة: للسيد جعفر الحلي: لبس الإسلام إبراد السواد
- القصيدة الرابعة: للسيد مهدي الأعرجي: رزءٌ به قد هدت قوائمه
- القصيدة الخامسة: للسيد مهدي الأعرجي: مصاب قد لوى للدين جيداً
- القصيدة السادسة: للسيد مهدي الأعرجي: مصاب دهى الإسلام فانهد جانبه
- القصيدة السابعة: للسيد مهدي الأعرجي: سيف أشقى الخلق من أب وجد
- القصيدة الثامنة: للأديب محمّد رضا الأزري: مصاب رمى ركن الهدى فتصدعا
- القصيدة التاسعة: للشيخ كاظم البستي: خطبٌ ألم بركن الدين فانهارا
- القصيدة العاشرة للسيد صالح القزويني: تالله لا أنساه في محرابه
- القصيدة الحادية عشر: للشيخ سلمان البحراني: أي رزءٍ شجى الرسول النَّبيّا

تمهيد:

لقد دأب العلماء والأدباء على نظم القصائد مدحاً ورثاءً بحق أهل البيت (صلوات الله عليه).

ونحن نعتقد أن الشعر الرثائي له بعيدين أساسيين، فهو بالإضافة إلى بعده العاطفي، له بعد آخر حيث يخلّد الوقائع والأحداث، وعليه فتكون المقطوعات الشعرية والقصائد والأراجيز عبارة عن وثائق يمكن أن تكون مدخلاً ودليلاً لإثبات الوقائع أو نفيها في البحث العلمي التاريخي. ولذلك ورد عن أئمّة أهل البيت (صلوات الله عليهم) المدح والثناء لمن ينظم الشعر بحقّهم (صلوات الله عليهم)، روى عبد الله بن الفضل الهاشميّ قال: قال أبو عبد الله الصادق (صلوات الله عليه): من قال فينا بيت شعر بني الله تعالى له بيتاً الجنّة..[1].

وورد أيضاً عن مولانا أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) أنّه قال: ما قال فينا قائل بيتاً من الشعر حتى يؤيد بروح القدس[2].

وفي ذلك إطلاق يستفاد منه أنّه يستحبّ نظم الشعر سواءٌ كان النظم في فضائلهم أو في مصائبهم (صلوات الله عليهم).

ولذلك ورد في بعض كلماتهم أنّ ثواب إنشاد الشعر بحقّهم لكل بيت بيت في الجنّة.

---

(١) الصدوق، محمّد، عيون أخبار الرضا، الجزء (٢) صفحة (١٦) طبعة مؤسسة الأعلميّ بيروت.
(٢) المصدر السابق.

وأيضاً روى الحسن بن الجهم قال: سمعتُ الرضا (صلوات الله عليه) يقول: ما قال فينا مؤمنٌ شعراً يمدحنا إلّا بني الله له مدينه في الجنّة أوسع من الدنيا سبع مرات، يزوره كل ملك مقرب وكل نبيّ مرسل فأجزل الله للصاحب الجليل الثواب على جميع أقواله الحسنه وأفعاله الجميلة وأخلاقه الكريمة وسيرته الرضيّة وسنته العادلة وبلغه كل مأمول وصرف عنه كل محذور وأظفره بكل خير مطلوب وأجاره من كل بلاء ومكروه بمن استجار من حججه الأئمّة عليهم السلام بقوله في بعض أشعاره فيهم:

إنّ ابن عبّاد استجار بمن يترك عنه الصروف مصروفه

وفي قوله في قصيده أخرى:

إنّ ابن عبّاد استجار بكم فكل ما خافه سيكفاه

وجعل الله شفعاؤه الذين أسماؤهم على نقش خاتمه شفيع إسماعيل في الآخرة محمّد والعترة الطاهرة وجعل دولته متّسعة الأيام متصلة النظام مقرونة بالدوام ممتدة إلى التمام مؤيدة له إلى سعادة الأبد وباقية له إلى غاية الأمد بمنه وفضله[1].

ولا شك أن شعراء أهل البيت (صلوات الله عليهم) كان لهم احتفاءاً كبيراً من الأئمّة المعصومين (صلوات الله عليهم) فقد كان الإمام جعفر الصادق (صلوات الله عليه) يقوم إجلالاً لشعراء التعزية ويجلسهم بقربه، ويمدحهم أمام أصحابه وشيعته، وكذلك كان الإمام علي بن موسى الرضا (صلوات الله عليه) حيث كان يرحب بالشعراء ويمدحهم.

وتنقل الروايات أنّه كان يمدح الشاعر المعروف دعبل بن عليّ الخزاعيّ وكان بعد أن يستمع إلى شعره يقول له: لقد نطق روح القدس على لسانك..

ومن هنا يمكن فهم طريقة الشعر منهم أنّها طريقة للتعرّف على مظلوميّتهم

---

(١) المصدر السابق صفحة (١٧).

(صلوات الله عليهم) من جهة، وعلى معرفة مقامهم وفضائلهم من جهة أخرى، ولذلك يمكن القول أنّ الدافع لنظم الشعر بهذين اللونين ـ المصائب والفضائل ـ هو العاطفة الدِّينيّة المتمثّلة بالولاء الإمامي للإنسان الشيعيّ، وبالأجر والثواب المتمثّل بالروايات المادحة لشعراء هذين اللونين.

وفيما يلي نذكر بعض القصائد في رثاء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

ـ القصيدة الأولى: للأديب السيّد حيدر الحليّ

قُم ناشد الإسلام عن مُصابه ... أُصيب بالنَّبيّ أم كتابِهِ
أم أنَّ ركبَ الموتِ عنه قد سَرى ... بالروُّحِ محمولاً على رِكابِهِ
بلى قضى نفسُ النَّبيّ المرتضى ... وأُدرِجَ الليلةَ في أثوابِهِ
مضى على اهتضامِهِ بغُصَّةٍ ... غصَّ بها الدهرُ مدى أحقابِهِ
عاش غريباً بينها وقد قضى ... بسيفِ أشقاها على اغترابِهِ
لقد أراقوا ليلةَ القدرِ دماً ... دِماؤها انصبَبَنَ بانصبابِهِ
تَنزَّلَ الرّوحُ فوافى روحَه ... صاعدةً شوقاً إلى ثوابِهِ
فضجَّ والأملاكُ فيها ضَجَّةً ... منها اقشعرَّ الكونُ في إهابِهِ
وانقلبَ السلامُ للفجر بها ... للحشر إعوالاً على مُصابِهِ
اللّه نفس أحمدٍ من قد غدا ... من نفس كلّ مؤمنٍ (أولى به)
غادرهُ ابنُ مُلجمٍ ووَجَهُهُ ... مُخضَّبٌ بالدمِ في محرابِهِ
وجهٌ لوجهِ اللّهِ كم عفَّرَهُ ... في مسجدٍ كان (أبا ترابِهِ)
فأغبرَّ وجهُ الدينِ لاصفرارِهِ ... وخُضّبَ الإيمانُ لاختِضابِهِ
ويزعمونَ حيثُ طَلّوا دمهُ ... في صومهم قد زِيدَ في ثوابِهِ
والصومُ يدعو كلَّ عامٍ صارخاً ... قد نضحوا دَمي على ثيابِهِ
إطاعةٌ قتلُهمُ مَن لَم يكن ... تُقبلُ طاعاتُ الورى إلّا بِهِ
قتلتم الصَّلاة في محرابِها ... يا قاتليه وهو في محرابه

وشقَّ رأس العدل سيف جوركم ... مذ شقَّ منه الرأس في ذبابه
فليبك (جبريلُ) له ولينتحب ... في الملأ الأعلى على مُصابه
نعم بكى والعيسُ من بُكائه ... ينحبُ والرعدُ من انتحابه
منتدباً في صرخةٍ وإنّما ... يستصرخُ (المهديّ) في انتدابه
يا أيّها المحجوبُ عن شيعته ... وكاشف الغُمّى على احتجابه
كم تغمد السيف لقد تقطّعت ... رقابُ أهلِ الحق في ارتقابه
فأنهض لها فليس ألّاك لها ... قد سئم الصابرُ جرع صابه
واطلُب أباك المرتضى ممّن غدا ... مُنقلباً عنه على أعقابه
فهو كتاب الله ضاع بينهم ... فاسأل بأمر الله عن كتابه
وقل ولكن بلسان مُرهفٍ ... واجعل دماء القوم في جوابه:
يا عُصبة الإلحاد أين من قضى ... مُحتسباً وكنتِ في احتسابه
أين أمير المؤمنين أو ما ... عن قتله اكتفيت في اغتصابه
لله كم جُرعة غيظٍ ساغها ... بعد نبيّ الله مِن أصحابه
وهي على العالمِ لو توزَّعت ... أشرقت العالم في شرابه
فانعَ إلى أحمدَ ثقل أحمدٍ ... وقُل له يا خير مَن يُدعى به
إنَّ الألى على النفاقِ مَردَوا ... قد كشفوا بَعدك عن نقابه
وصيَّروا سّرح الهُدى فريسةً ... للغيّ بين الطلس من ذيابه
وغادروا حقَّ أخيك مضغةً ... يلوكها الباطلُ في أنيابه
وظلَّ راعي أفكهم يحلبُ مِن ... ضرع لبون الجور في وطابه
فالأمة اليومَ غدت في مجهلٍ ... ضلَّت طريقَ الحقِ في شعابه
عادوا بها بعدك جاهليّةً ... مذ قتلوا الهادي الذي تُهدى به
لم يتشعَّب في قريش نسبٌ ... إلّا غداً في المحضِ مِن لُبابه
حتّى أتيت فأتى في حسبٍ ... قد دخل التنْزيلُ في حسابه
فيا لها غَلطةُ دهرٍ بعدها ... لا يحمدُ الدهر على صوابه

مشى إلى خُلف بها فأصبحت أرؤُسُهُ تتبع من أذنابه
وما كفاهُ أن أرانا ضِلّة وِهادهُ تعلو على هِضابه
حتّى أرانا ذئبه مُفترساً بين الشبول لَيثه في غابه
هذا أمير المؤمنين بعدما ألجأهم للدين في ضِرابه
وقادَ من عُتاتهم مَصاعباً ما أسمحت لولا شبا قِرضا به
قد ألفَ الهيجاَ حتّى ليلها أغرابه يأنس في عُقابه
يمشي إليها وهو في ذِهابهِ أشدُّ شوقاً منه في إيابه
كالشبلِ في وثبتهِ والسيفُ في هبَّتهِ والصلُّ في انسيابه
أرداه مَن لو لَحظته عينهُ في مأزقٍ لفرَّ من إرهابه
ومرَّ من بين الجموع هارباً يَودُّ أن يخرج من إهابه
وهو لعمري لو يشأُ لَم ينَل ما نال أشقى القوم في آرابه
لكن غدا مُسلّماً مُحتسِباً والخير كلّ الخير في احتسابه
صلّى عليه الله من مضطهدٍ قد أغضبوا الرحمن في اغتصابه[1]

ـ القصيدة الثانية: للأديب السيد حيدر الحلي

قال السيد الحلي رحمه الله يرثي جده الإمام أمير المؤمنين علي وأولاده (صلوات الله عليهم أجمعين) ويستنهض الإمام الحجة محمّد بن الحسن المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف):

أقائمَ بيتِ الُهدى الطاهر كم الصبرُ فتَّ حشا الصابرِ
وكم يتظلمُ دينُ الإله إليك من النّفر الجائرِ
يمدُّ يدا تشتكي ضعفَها لطبّكَ في نبضها الفاتر
نرى مِنكَ ناصره غائبا وشركُ العِدى حاضرُ الناصر

(١) البحراني، رياض المدح والرثاء، صفحة (٤٣) طبعة دار الحوراء بيروت.

فنوسع سمعك عتبا يكاد يُثيركَ قبل نِدى الأمرِ
نهزّك لا مؤثرا للقعود على وثبة الأسد الخادر
ونوقض عزمك لا بائتاً بمقلة مَن ليسَ بالسّاهر
ونعلم أنّك عمّا تروم لم يَكُ باعُك بالقاصِر
ولم تخشَ من قاهر حَيثما سوى الله فوقكَ من قاهرِ
ولابدَّ من أن نرى الظّالمين بسيفكَ مَقطوعةَ الدّابرِ
بيومٍ به ليسَ تبقى ضُباك على دارعِ الشرك والحاسِر
ولو كنتَ تَملك أمر النهوض أخذتَ له أُهبة الثائرِ
وإنّا وإن ضرَّستنا الخطوبُ لنعطيكَ جهدَ رِضى العاذر
ولكن نرى ليسَ عِند الإله أكبرُ من جاهكَ الوافرِ
فَلو تسألِ اللّهَ تعجيلهُ ظهوركَ في الزّمن الحاضر
لوافتكَ دعوتُه بالنّهوض بأسرع من لمحة النّاظرِ
فثقّف عَدلُكَ مِن ديننا قنا عجمتها يَد الأطرِ
وسكّن أمنُك منّا حشا غَدت بين خافقتي طائرِ
إلى مَ وحتى مَ تشكو العقامَ لسيفِكَ أمُّ الوغى العاقر
وكم تتلظّى عُطاشُ السيوف إلى وِرد ماء الطلى الهامرِ
أما لِقعودكَ من آخرٍ أثِرها فديتُك من ثائر
وقُدها تُميت ضحى المشرقين بظلمة قطامِها المائر
يرِدن بمن لا بغير الحِمام أودركَ الوِترَ بالصادرِ
وكلّ فتى جِنيت ضلعُه على قلب ليث شرىً هاصر
بحدّثه أسمر حاذقٌ بزجر عُقاب الوَغى الكاسر
بانّ له إن سرى مستميتا لطعن العدى أوبة الظافرِ
فيغدو أخفَّ لضمّ الرِّماح منه لضمّ المها العاطر
أولئكَ آل الوغى المُلبسون عدوَّهم ذلةَ الصاغر

هُمُ صفوة المجد من هاشِم وخالصة الحسب الفاخرِ
كواكبِ منك بليل الكفاح تحفُّ بنّيرها الباهرِ
لهم أنتَ قطبٌ وغى ثابتٌ وهُم لكَ كالفلك الدّائر
ضِماء الجيادِ ولكنُّهم رواء المثقَّف والباترِ
كماةٌ تُلقَّبُ أرماحُهم برضّاعة الكبد الواغِر
وتُسمى سيوفهم الماضيات لدى الروع بالأجل الحاضرِ
فان سدّ دو السمر حكّوا السما وسدوّا الفضاءَ على الطائر
وإن جردوا البيض فالصافنات تعوم ببحر دِم زاخرِ
فثمَّةَ طعنُ قنا لا تُقيل أسنَّتها عثرَة الغادر
وضربٌ يؤلّف بين النفوس وبين الردى إلفةَ القاهرِ
ألا أينكَ اليوم يا طالبا بماضي الذحول وبالغابر
وأين المعدُّ لمحو الضلال بتجديد رسم الهدى الدائرِ
وناشرَ رايةِ دين الإله وناعش جدَّ التقى العاثر
ويا بن الأُلى ورثوا كابرا خميدَ المآثر عن كابرِ
ومن مدحُهم مفخر المادحين وذكرُهُم شرفُ الذّاكر
ومن عاقَدوا الحربَ أن لا تنام عَن السيف منُهم يد الساهرِ
تَداركْ بسيفك وترَ الهدى فقد أمكنتكَ طلى الواتر
كفى أسفا أن يمرَّ الزمان ولستَ بناه ولا آمرِ
وأن ليسَ أعيننا تستضيء بمصباح طلعتكَ الزّاهر
على أنّ فينا اشتياقا اليك كشوق الربى للحيا الماطرِ
عليكَ إمامَ الهدى عز ما غَدا البر يَلقى مِن الفاجر
لكَ الله حِلمكَ غَرَّ البغاة فأنساهم بطشةَ القادر
وطولُ انتظارك فتَّ القلوب وأغضى الجفونَ على عائر
فكم يَنحت الهمُّ أحشائنا وكم تستطيل يدُ الجائرِ

وكم نُصبَ عينيكَ يا بن النَّبيِّ نساط بِقدر البَلا الفائر
وكم نحن في لَهوات الخطوب نناديك من فِمها الفاغرِ
ولم تَك منّا عيونُ الرجاء بغيركَ معقودةَ الناظر
أصبرا على مثل حزّ الُمدى ولفحةِ جمر الغضا السّاعرِ
أصبرا وهذي تيوس الضلال قد أمنت شفرةَ الجازر
أصبرا وسرب العِدى راتعٌ يروح ويغدو بلا ذاعرِ
نرى سيفَ أوّلهم مُنتضى على هامنا بيد الآخر
به تُعرق اللحمَ منّا وفيه تشظّي العظامَ يدُ الكاسر
وفيه يومونا خطّة بها ليس يرضى سوى الكافرِ
فنشكوا إليهم ولا يَعطفون كشكوى العقيرةِ للعاقرِ
وحين التقت حَلقات البِطان ولَم نرَ للبغيي من زاجر
عجبنا إليك من الظالمين عجيجَ الجِمالِ من الناحرِ
وبتنا نَودُّ الردى كلّنا لنُنقلَ عَنهم إلى قابر
أجل يَومنا ليس بالأجنبي مِن يَوم والدك الطّاهر
فباطنُ ذاكَ الضلال القديم مُضمرِه عينُ ذا الظاهرِ
إلى الآن تَعمِقُ تلك الجراح وأوجعَ منها نَوى السابر
فعنك انطوى أيُّ تلك الخطوب فَتحتاج فيهِ إلى الناشرِ
أيَومُ النَّبيّ ومن هاهُنا أُتينا بهذا البَلا الغامر
غَداة قضى فَغدا العالمون وكلّ له دهشةُ الحائرِ
وهبَّ وما نامَ حِقدُ القلوب ولكن رَأى فُرصة الثائر
فأضرمَها فتنة لم تَدع رشادا لبادٍ ولا حاضرِ
غدا الدين أهونَ لما ذكت لدى القوم من سحمة الصاهر
أذلك أم يوم أضحى الوصيّ يرى فيئه طعمةَ الفاجرِ
وعَنه تقاعد صَحب النَّبيّ ومالوا إلى بيعة الماكرِ

فما في مُهاجرة المسلمين لهُ بَعد طه سوى الهاجر
ولا في قَبيلة أنصارهم شلهُ حَيث أفردَ من ناصرِ
بني قيلةٍ بَعُدت قيلةٌ وما ولدت عن رضا الغافر
أيصبح فيكم بلا عاضد وصيُّ الرسول ولا وازر
وقهرا إلى شيخ تيم يُقاد بكفّ ابن حنتمة العاهر
وَتُبتزُّ فاطمة بينكم بحُيلَتها من أبي الطاهرِ
وأنتم حضور ولَم تَغضبوا فيا بؤس للملا الحاضر
وحين قضت بيعة الغاصبين باذواء فرع الهدى الناضر
غَدت عثرةُ الوحي لم تخل منهم ولا حَلبة الشاة من ضائر
ترى غِيلةَ الشرك أنىّ تحلّ بنجدٍ من الأرض أو غائر
وحَتىّ غَدوا بين مقبورة بملحدها في الدجى السّاتر
وبَين قَتيل بمحرابه خضيب الثوى بالدّم القاطرِ
وميت بري منه سمّ العدو حشا ملؤها خِشية الفاطر
وبَين صَريع بصيخودةٍ تريبِ ألمحيّا بها عافر
قضى والهدايةُ في مصرع ووُسّد والرُّشد في قابر
ومن ساهر الهمّ يبغي النهوض منتظرٍ دعوةَ الأمر
مصائبُ يفطرنَ قلب الجليد وينضخن دمعا حشى الصابر
فهل يُنشد الصبر في مثلها وما مثلُها دارَ في خاطرِ

ـ القصيدة الثالثة: للأديب السيد جعفر الحلي

لبس الإسلام أبراد السواد يوم أردى المرتضى سيف المرادي
ليلة ما أصبحت إلّا وقد غلب الغي على أمر الرشاد
والصلاح انخفضت أعلامه وغدت ترفع أعلام الفساد
ما رعى الغادر شهر الله في حجة الله على كل العباد

وبـبـيـت الله قـد جـدّلـه ساجداً ينشج من خوف المعاد
يـا لـيـال أنـزل الله بـهـا سور الذكر على أكرم هادي
مُحيت فيك على رغم الهدى آية في فضلها الذكر ينادي
قـتـلـوه وهـو فـي مـحـرابـه طاوي الأحشاء عن ماء وزاد
سل بعينيه الدجى هل جفّتا عن بكاً أو ذاقتا طعم الرقاد؟
وسل الأنجم هل أبصرنه ليلة مضطجعاً فوق الوساد؟
وسل الصبح هل صادفه ملّ من نوح مذيب للجماد؟
عاقر الناقة مع شقوته ليس بالأشقى من الرجس المرادي
فلقد عمم بالسيف فتى عمّ خلق الله طراً بالأيادي
فبكته الأنس والجن معاً وطيور الجومع وحش البوادي
وبكاه الملأ الأعلى دماً وغدى جبريل بالويل ينادي
هدمت والله أركان الهدى حيث لا من منذر فينا وهادي

ـ القصيدة الرابعة: للأديب السيّد مهدي الأعرجيّ

رزءٌ به الدين قد هدَّت قوائمه وفي السما نصبت حزناً مآتمه
ومادت الأرض شجواً والسما انفطرت وأسودَّ منقلباً في الكون عالمه
وأقفرت عرصات العلم واندرست منه الرسوم وقد أقوت معالمه
يا ليلة القدر جلّت فيكِ فاجعة أوهت قوى الدين فانهارت دعائمه
قضى عليٌّ بمحراب الصلاة ببيت الله وهو مصلّى الفرض صائمه
أفديه قد عاش بين الناس مغترباً ومات وهو كتوم الغيظ كاظمه
قل لليتيم مضى من كان يطعمه فمن به بعده تنهى مطاعمه
لم أنسه حين بات الليل مبتهلاً يرى الحمام وقد لاحت علائمه
يرعى النجوم ويدعو الله مبتهلاً والليل قد طبّق الآفاق فاحمه
ويح ابن ملجم لم لا شلّ ساعده رعباً ولِمَ لا ينافي الضرب صارمه

لولا الصلاة لكانت لا تساعده رجلاه وامتلات رعباً حيازمه
وكيف يقوى على من لم تكن أبداً تُنسى مغازيه وتُنسى ملامحه
عجبت للسيف لِمَ لا فلّ مضربه وكيف أثبت في يمناه قائمه
فأعجب لمن في الوغى أردى ابن ودّ وقد كان الهزبر جلاداً لا يقاومه
وشقَّ مرحب في الهيجاء صارمه وكان كاللّيث مرهوب تصادمه
يرديه في وسط المحراب مشتغلاً بالفرض أشقى الورى طرّاً وغاشمه
قل للوفود اذهبي للأهل خائبة فقد مضى الجود وانجابت غمائمه

ـ القصيدة الخامسة: للأديب السيد مهدي الأعرجي

مصاب قد لوى للدين جيداً وهدّ من الهدى ركناً مشيدا
مصاب فلّ من عدنان قضباً ولفّ لهاشم البطحا بنودا
مصاب كوَّرت شمس المعالي به فغدت له الأيام سودا
به بات الهدى ينعى عميداً وفسطاط التقى ينعى عمودا
بمحراب الصلاة قضى عليّ بسيف الفاجر الأشقى شهيدا
قضى أتقى الورى بحسام أشقى الورى طرّاً فيا عينيّ جودا
وبات الروح ينعاه بصوت له الأرض ون كادت أن تميدا
وباتت به الأيتام ثكلى وقد فقدت أباً برّاً ودودا
عجبتُ لمن إذا لاقى جموعاً أبادهم وإن كثروا عديدا
ومن أردى ابن ودٍّ وكان ليثاً يريع ببأسه حتى الأسودا
ومن أفنى الجنود بيوم بدر وأردى الرجس عتبة والوليدا
لدى المحراب يرديه زنيم فيمسي في مهنَّده فقيدا
أشهر الله قد أدميت منّا نواظرنا وأنضجت الكبودا
أشهر الله قد أشمتَّ فينا بقتل الدين جبّارا عنيدا
وفي أحشائنا أضرمت ناراً أبت إلّا الضلوع لها وقودا

ـ القصيدة السادسة: للسيد مهدي الأعرجي.

مصاب دهى الإسلام فانهدّ جانبه ورزٌ بأعلى الأفق قامت نوادبه
وخطب من المعروف غيّب عيلماً وفجّر دمع الدين فانهلّ ساكبه
فهذى نوادي الفخر أطفئ ضوئها وهذا سبيل الحق عفّي لاحبه
قضى المرتضى ليث الشرى علم الهدى إمام الهدى صهر النّبيّ ونائبه
وظلّ عليه الروح جبريل نادباً بنفسي وآبائي من الروح نادبه
وأعولت الأيتام حزناً لفقد من مطاعمه تصفو لهم ومشاربه
عجبت لمن صمصامه قدّ مرحباً وضاقت على عمرو بن ودّ مراحبه
بمحرابه يرديه أكوم أشئم لئيم زنيم لا تطيب مناسبه
فليت حساماً شقّ مفرق رأسه وخضّبه بالدم فلّت مضاربه
بنفسي إماماً لم يخلّف لأهله حطاماً وإن أغنت أناساً مواهبه
لقد عاش في الدنيا غريباً وإن قضى وشيعته وأبنائه وأقاربه
عجبت لدهر خانه بصروفه وأيّ زمان لا تخون نوائبه
غريبٌ بليث الغاب يظفر ثعلب ولا عجب فالدهر كثر غرائبه
ألا قل لذاك العلج وهو ابن ملجم فصمت عرى الإسلام فانثلّ جانبه
عجبت له لِمَ لا تحيّر دهشة وهل كيف ما سدّت عليه مذاهبه
فقد شقّ رأس الدين في شق رأس من به ندب هذا الدين قام واجبه
فكم حاربت أجفانه طيّب الكرى فلا بدع لو ظلّت تنوح محاربه

ـ القصيدة السابعة: للسيد الأعرجي:

سيف أشقى الخلق من أب وجد أيّ ركن للهدى والدين هد
أي بدر غاله الخسف ومن خيمة الدين هوى أيّ عمد
شقّ رأس الدين صمصام الشقا وابن آوى غال بالفتك الأسد
قائماً لله في محرابه ركع السيف عليه مذ سجد

هل درى السيف الذي عمّمه أنّه فلّ لسيف الله حد
بالسيف شجّه لِمَ لا نبا ويمين سلّه لِمَ لا جمد
قل لشهر الله قد أفجعتنا بأبي السبطين والصبر قد نفد
لست أنساه يناجي ربه والدجى مدّ رواقاً وعقد
يرقب النجم ويدعو قائلاً إنّ هذا ما به الهادي وعد
ثُمَّ لمّا أن قضى ليلته ساهر الجفن بطرف ما رقد
جاء يسعى والقضا يرصده إنّ للموت عيوناً ورصد
وترائى الموت بالباب له حين للميزر عند الباب شد
وأتى المسجد مقتولاً وفي وجهه ضوء القناديل خمد
وابتذى الفرض فصلّى السيف في رأسه يهوي على جرح ابن ود
ونعاه جبرائيل قائلاً هدمت والله أركان الرشد
وأقامت بعده الأيتام في مأتم تبكي له طول الأبد
فهي منذ اليوم ضاعت بعده وله من قبل كانت كالولد
يا أبا السبطين يا مولاي خذ بيدي يا عدّتي دون العدد
واشفني يا سيّدي من علّتي واكفني الدهر فأنت المعتمد
أرتجي تدريج حالي هاهنا يا بن عم المصطفى والفوز غد

ـ القصيدة الثامنة: للسيد مهدي للأعرجي

أسمع في الأفق لجبريل ندا تهدمت والله أركان الهدى
ينعى أمير المؤمنين حيدرا ينعى التقي ينعى الحجى ينعى الندى
ينعاه مضروباً على هامته عليه صلّى السيف لمّا سجدا
فكيف يا مردى أبطال الوغى غالك من سيف المرادي الردى
تبّت يد ابن ملجم بقتله خير الوصيّين كما تبّت يدا
أفجعنا بالمرتضى خير الملا وأشمت الحسّد فينا والعدى

عجبت لِمَ لا قصرت يمينه وما به الرعب اضطراباً قعدا
أدماه بالسيف فأدمى ناظر الدين وطرف المكرمات سهّدا
بكاه دين المصطفى وحقّ لو بكاه إذ لولاه ما تشيّدا
يا أيّها المحمول في نعش به قد حملوا الصلاة والتهجّدا
نعش به جسم علي المرتضى لا بل به روح النَّبيّ أحمدا
أفدي الذي عن أهله غاب وما خلّف فيهم فضة أو عسجدا
أفدي الذي من برّه وعطفه كان له كل يتيم ولدا
الله يا شهر الصيام كم لنا قرحت جفناً وأذبت كبدا

ـ القصيدة التاسعة: للأديب محمّد رضا الازري

مصاب رمى ركن الهدى فتصدعا ونادى به ناعي السماء فأسمعا
وضجت له الأملاك في ملكوتها وأوشك عرش الله أن يتضعضعا
ومن يك أعلى الناس شأناً ومفخراً يكن رزؤه في الناس أدهى وأفظعا
مصاب على الإسلام ألقى جرانه وبرقع بالغي الهدى فتبرقعا
فيا ناشد الإسلام قوض سفره وصاح به داعي النفير فجعجعا
وأصبح كالذود الظماء بقفرة من الدو لم تعهد بها الدهر مربعا
ولم تر عقد الدين إلّا مبددا ولم تر شمل الدين إلّا موزعا
وان قتيلا شيد الدين سيفه جدير عليه الدين أن يتصدعا
فيا هل ذرى الإسلام أن زعيمه لقى حوله جبريل ينعى فلا نعى
وان عماد الدين بان عميدها وودعها داعي الهدى يوم ودعا
ويا هل درى المختار أنّ حبيبه بسيف عدو الله أمسى مقنعا
وأقسم لو أنّ النعي لقبره بكاه أسى في قبره وتفجعا
ومن عجب أن ينزل الموت داره وقد كان لا يلقاه إلّا مروعا
لتبك الطوال الغلب من آل هاشم طويل ذرى حك السهى فتصدعا

ليبك التقى منه منار هداية وتنعى الوغى منه كميا سميدعا
وان يبكه الإسلام وجْداً وحسرة فقد كان للإسلام حصنا ومفزعا
وان يبكه البيت الحرام فطالما به كان محمي الجوار ممنعا
وان يبك جبريل له فلشد ما بخدمته جبريل كان ممتعا
وان يبكه بدر السماء فإنّما بكى البدر بدرا منه أسنى وأرفعا
ولو عقلت شمس الضحى يوم دفنه لخطت له في عينها الشمس مضجعا
إمام دعا لله حتى انتهى له ألا هكذا فليدع لله من دعا
ولم يمض حتى أن شأى كل سابق ولم يبق في قوس الفضائل منزعا
وان عد في نسك فلم يبق أورعا وان عد في فتك فلم يبق أروعا
لقد طبق الآفاق بأسا ونائلا فذلت له الأعناق خوفا ومطمعا
كأن مقاليد السماء بكفه فلم يك إلّا ما أراد وأرفعا
أما والهجان القود تدمى نحورها ومن بمنى يرمي الجمار تطوعا
وبالبيت ذي الأستار والنفر الأولى بأرجائه تهوى ركوعا وسجدا
وبالأبطح الأعلى ومروة والصفا وبالحجر الملموس والركن أجمعا
لقد صرع الإسلام ساعة قتله فيا مصرع الإسلام عظمت مصرعا
فكيف ودار الوحي أمست ربوعها خلاء وأمسى منزل الدين بلقعا
أجدك من للدين أبقيت كالئا ومن لعلوم الغيب أصبحت مودعا
ويا ربَّ دمع كان صعبا قياده فأصبح منقادا ليومك طيعا
وان يغد في الأرضين رزؤك مفظعا فقد راح في أهل السموات أفظعا
ويومك في الإسلام ثلم ثلمة وأوسع خرقا في الهدى لن يرقعا
فلا بطشت إلّا بساعد أجذم ولا عطست إلّا بمارن اجدعا

ـ القصيدة العاشرة: للشيخ كاظم البستيّ النجفيّ

خطب ألم بركن الدين فانهارا أورى الغداة بقلب المصطفى نارا

فأي حادثة في الدين قد وقعت فألبسته من الإشجان أطمارا
كرت وقد شمرت عن ساقها فرمت فجدلت بطلا في الحرب كرارا
هذي المحاريب أين القائمون بها مرخ من الظلماء أستارا
جار الزمان عليهم كم بهم ملا الدنيا مصابا وكم أخلى لهم دارا
هذي منازلهم بعد الأنيس فلا ترى بها غير وحش القفر زوارا
أضحى المؤمل للجدوى يجيل بها طرفا وليس يرى في الدار ديارا
بالله يا راكباً حرفاً معودة طي السباسب أنجاداً، وأغوارا
يمّم بها بمنى من غالب فئة وجوهها سطعت في الليل أقمارا
مطعامة الجدب إن كف به بخلت وأسرة الحرب إن نقع لها ثارا
فأي طود هدى من مجدكم مارا وأي بحر ندى من جودكم غارا
هذا علي أمير المؤمنين لقى مضرجاً بدم من رأسه فارا
قد حجب الخسف بدراً منه مكتملاً وغيض الحتف بحرا منه تيارا
أودى ومن حوله للمسلمين ترى من دهشة الخطب إقبالاً وإدبارا
وافت إليه بنوه الغر مسفرة عن أوجه تملا الظلماء أنوارا
تدعوه والعين عبرى تستهل دما والحزن أجج في أحشائها نارا
يا نيراً غاب عن أفق الهدى فأرى أفق الهدى لا يرى للصبح إسفارا
أبكيك في الجدب مطعاماً سواغبها وفي لظى الحرب مقداما ومغوارا
فلا أرى بعد حامي الجار من أحد يجيرنا من صروف الدهر لو جارا
فلا بدا بعده بدر ولا طلعت شمس ولا فلك في أفقها دارا

❁ ❁ ❁

أي رزءٍ أراع شرعة طه فاريعت بصرخة وبكاءِ
أثكل المسلمين يتماً وأدمى كل قلب بطعنة نجلاءِ
حين أهوت شمس الهدى من علاها وتوارى للحق خير ضياءِ
وأصاب ابن ملجم من عليٍّ في مصلاه مفرق العلياءِ

فبكاه المحراب شجواً وحزناً وهو فيه مضرج بالدماء
ونعاه الروح الأمين فأبكى كل عين من القذى رمداء
قتل المرتضى عليٌّ فأوهى عروة الدين أخبث الأشقياء
وتداعى ركن الهدى وتهاوى من منار الإسلام أسمى بناء
ونبا للجهاد خير حسام وانطوى للرشاد خير لواء
وتعالى في ليلة القدر ذكر لحين أهوى للأرض ذكر السماء

ـ القصيدة الحادية عشر: للسيد صالح النجفيّ القزويني

تالله لا أنساه في محرابه لله يسجد في الظلام ويركع
وجلا ابن ملجم والظلام مجلل سيف المنية والبرية هجع
وقضى عليه به وقنع رأسه لله رأس بالحسام مقنع
فهناك أعول جبرئيل مناديا فوق السما من في البسيطة يسمع
اليوم أشقى الأشقياء قد غال أتقى إلّا تقيا وله الجميل مضيع
اليوم منعمر الهدى متهدم اليوم منهمر الندى متقشع
اليوم روض العلم ألوى والتقى أودى وعرنين المكارم أجدع
قتل ابن عم المصطفى قتل الوصي المرتضى قتل الإمام الاورع
يقضي إمام المسلمين مخضباً والمسلمون لهم قلوب هجع
فمن المعزي احمداً بوصيه أرداه صمصام بسم منقع
ومن المعزي فاطماً بحميها قد قُدّ مفرقه الحسام الأقطع
ومن المعزي المجتبى بملمة كادت له السبع العلى تتصدع
ومن المعزي المستضام بفارس الإسلام جرعه الحمام الأوضع
ومن المعزي جبرئيل بمن به جبريل سبّح والملائك أجمع
أفهل درت آل الهدى أنّ الهدى أودى ودك شمامه المترفع
أم هل دري الدين المبين بنكبة نزلت فخذ الدين منها أضرع

عجبا لقلب لا يذوب ومقلة جزعاً له بدمائها لا تدمع
عجبا لأرض لا تمور ولج بحر لا يغور وعأرضلا يقلع
عجبا لبدر ألتمّ يسفر مشرقا لم بالسواد عليك لا يتبرقع
عجبا لعرش الله جل جلاله كيف استقام وركنه متضعضع
عجبا لقبر قد حواك ولم يضق بنداك وهو من البسيطة أوسع
لكن حواك فقر فيك وانه لولاك لهو الخاشع المتصدع
لا كان يومك يا علي فإنه يوم به الدين الحنيف مضعضع
أصمى مصابك قلب كل موحد واصم نعيك كل أذن تسمع
أدري ضريحك كم حوى بك من على سام له انحط الضراح إلّا رفع
مازلت مضطهدا تغض على القذى جفنا وقلبك بالنوائب موجع
وهجرت لله المضاجع قائما فكأنما لك في قيامك مضجع
ورزئت بالطهر البتول وما انقضى رزء الرسول ولم تجف الأدمع
هجموا على بنت الرسول وروعوا قلب البتول وأيّ قلب روعوا
تدعو فيغضي المسلمون كأنها لم تدعهم وكأنهم لم يسمعوا
أتباح حرمتها ويسقط حملها ما بينهم وترض منها الأضلع
لهفي لها غضبي تموت وما لها متوجع منهم ولا متفجّع
ودفنتها سرا كما أوصت وقد هجعوا لكيلا يحضروا ويشيعوا
ومنعتهم عن نبش مرقدها وهم لولاك عما حاولوا لم يرجعوا

ـ القصيدة الثانية عشر: للشيخ سلمان البحراني

أي رزءٍ شجى الرسول النَّبيّا والبتول العذرا وأبكى الزكيّا
ولرند الأحزان فيه حسين قدح الكائنات نعياً شجيّا
يوم جبريل في الملائك نادى في السما ناعياً إليهم عليا
يوم فيه ابن ملجم لقطام غال بالسيف في السجود الوصيّا

كم حباه وكم كساه وربّاه وأدناه حيث كان قَصيّا
لم يزد في العُتُلِّ إلّا عُتُوّاً ونفوراً منه وكان شقيا
لو تراه والليل داجٍ يناجي وسط محرابه الفخيم العليا
قلتَ موسى بطور سينا له الله تجلّى فخرّ يدعو نجيّا
يغسل الأرض بالدموع خشوعاً لو سقت ميت زرعها قام حيّا
يُلبس الليل خِلعة من سناه فيحيل الظلام صبحاً مُضِيّا
والمرادي فيه يختلس الغيلة إذ ذاك بكرة وعِشيا
خضب الشيب منه في عشق رود وأرشفته رضابَها السكّريا
فغشى الخطب أرض كوفان حتى زلزل الحيرة الأسى والغريّا
فار تنور نوحها بزفير فاض فيه طوفان نوح دويّا
ولأهل السماء قام عزاءٌ ودّ عرشُ الإله فيه الهُويّا
غيل شهر الصيام في خير من صام وصلّى به وناجى مليّا
فخلا مِنبرٌ حلا فيه بالوعظ وأضحى بالعطل يكسى حليّا
ونعاه الميمون والدرع والسيف ولدنٌ بالبأس طال الثريّا
واستعدت للكشل عليا قُصَيّ مذ علاها قد كان فيه قَصيّا
غلب الحزن غالبا حيث فيه فقدت حبلها المتين القويا
جدعت فيه أنف فهرٍ بغيّ قتلت هاشماً وأحيت أميّا
فغدت تلطم الوجوه لؤيٌّ ولوت جيدها تنخّ بُكيّا
وأناخت على نزار شجون لفعت بالدموع منها المحيّا
يا سماء ما طاولتها سماء كيف طال الشقيُّ منك الثُّريّا
عجباً كيف شقَّ منك جبيناً ولك السيف كان خِلاً صفيّا
كيف لم تنكفئ عليه سما بأسك سخطاً فلم يكن بعدُ شيّا
جفن كعب قد كان يبخل بالدموع فلمّا فقدت صار سخيّا
كادت الأرض أن تميد بمن فيها وتطوى السَّما لرزئك طيّا

يا بن شيخ البطحاء ومن كان فينا ... الفارس الشهمُ والفتى العبقريّا
كنت باباً إلى مدينة علم ... المصطفى والمهذّب اللّوذَعيا
وبك الله قد تجاوز عن آدم ... واختاره إليه صفيّا
وعلا فيك شأن إدريس حتى ... نال من ربه مكاناً عليّا
وابن متّى لولاك بات ببطن ... الحوت للحشر دائماً سرمديّا
وخليل الرحمن لولاك ما كان ... عليه النيران برداً سرمديّا
ويحيى جبريل بشّر قدماً ... حيث والاك شيخه زكريّا
وبك الروح بكرُ مريم يدعو ... فإذا الطين طار خلقاً سويّاً
طبت في الساجدين صُلباً ورحماً ... فعليك السلام ميتاً وحيّا
كيف تُزوى عن الخلافة يا من ... كان للمصطفى أخاً ووصيّا
فيك قد شُدّ أزر أحمد حتى شدت ... من دينه بناءاً عَليّا
وعجيباً تقاد يا قائد الغرّ ... بحبل وكنت ليثاً جريّا
ما خلا منك منبر الحرب يوماً ... وأرى منبر النَّبيّ خليّا
أدروا في عدولهم عنك أن قد ... قلّدوا عهد أحمد السامريّا
بك باهى الإله في الحجب أملاكاً ... وسمّاك في السماء إليّا
لك علم بكل شيء محيطٌ ... ومزاياً تفوق بالنَّدِّ رِيا
ومعان تجلُّ في الحسن من أن ... يدرك العقل كنهها المعنويّا
أين يا ندبُ راح عنك إباءٌ ... فيك قد شخّص الإبا الهاشميّا
حين بالنار حيط منزلك السامي ... ولا حطت بالعذاب عديّا
ولدى الباب فاطماً أسقطوها ... محسناً فاشتكت ونادت إليّا
يا بن عمي يا كاشف الكرب ... أدركني وأظهر من العجائب شيّا
لم تُغثها مِمّا دهاها به قنفذ ... إذ كنت أنت ذاك الأبيّا

ـ كوكبة من من الشخصيات الإسلامية

وفيما يلي نذكر بعض تراجم أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وبعض الشخصيات الإسلامية مما وردت أسمائهم ضمن البحث بهدف التعرّف على هذه الوجوه المشرقة وهي على الشكل التالي:

أولاً: ترجمة الصحابيّ الجليل ميثم التمّار (رضوان الله عليه):

هو ميثم بن يحيى التمّار الأسدي أبو سالم، صحابيٌ جليلٌ، من أصحاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، والإمامين الحسن والحسين (صلوات الله عليهما).

كان عبداً لإمرأة فاشتراه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) واعتقه، نال ميثماً منزلةً رفيعةً وجليلةً من العلمِ والفضلِ والمعرفةِ، بفضلِ صحبتِهِ لبابِ مدينةِ العلمِ النبوي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) حتى وُصف بأنّه أُوتي علم المنايا والبلايا.

وقد أخبره أميرَ المؤمنين (صلوات الله عليه) بكيفيّة استشهاده، وما يلاقيه في سبيل اللّه، وقد نطق ميثم بهذه الحقيقة العظيمة الواعِظة أمام قاتله الجلّاد الجائر، وأكّد حتميّة تحقّق تلك النبوءة الإعجازيّة بصلابةٍ تامّةٍ.

إنّ رسوخه على طريق الحقّ، وثباته في الدفاع عن الولاية، ومنطقه البليغ في تجلية الحقائق، كلّ ذلك قد استبان مراراً في كلمات الأئمّة (صلوات الله عليهم).

استشهد ميثم على يد الطاغية عبيد اللّه بن زياد قبل استشهاد الإمام

الحسين (صلوات الله عليه) بأيّام، وعدّه الشيخ المفيد رحمه الله في الاختصاص: من أصفياء أصحاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في شرطة الخميس.

وعدّه ابن شهر آشوب من أبواب الحسن بن علي (صلوات الله عليهما) وعن ثابت الثقفي، قال: لمّا مُرَّ بميثمٍ ليصلب قال رجل: يا ميثم لقد كنت عن هذا غنيا..!!.

قال: فالتفت إليه ميثم ثُمَّ قال: والله ما نبتت هذه النخلة إلّا لي، ولا اغتذيتُ إلّا لها.

وروى أبو خالد التمّار، قال: كنتُ مع ميثم التمّار بالفراتِ يوم الجمعة، فهبت ريح وهو في سفينة من سفن الرمان، قال: فخرج، فنظر إلى الريح فقال: شدوا برأس سفينتكم إنّ هذه ريح عاصف، مات معاوية الساعة.. قال: فلمّا كانت الجمعة المقبلة قدم بريد من الشام، فلقيته فاستخبرته، فقلت له: يا عبد الله ما الخبر؟

قال: الناس على أحسنِ حالٍ.. توفي أمير المؤمنين وبايع الناس يزيد.

قال: قلت أي يوم توفي..؟ قال: يوم الجمعة[1].

ثانياً: ترجمة الصحابيّ الجليل مالك الأشتر (رضوان الله عليه):

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي الكوفيّ، المعروف بالأشتر؛ الوجه المشرق، والبطل الذي لا يُقهَر، واللّيث الباسل في الحروب، وأصلب صحابة الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وأثبتهم، وكان الإمام (صلوات الله عليه) يثق به ويعتمد عليه، وطالما كان يُثني على وعيه، وخبرته، وبطولته، وبصيرته، وعظمته، ويفتخر بذلك وليس بأيدينا معلومات تُذكر حول بدايات

(١) أنظر الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث، الجزء (٢) صفحة (١١٠).

وعيه وكان أوّل حضوره الجادّ في فتح دمشق وحرب اليرموك وفيها أُصيبت عينه فاشتهر بالأشْتَر.

وكان مالك يعيش في الكوفة، وكان طويل القامة، عريض الصدر، طلق اللّسان عديم المثيل في الفروسيّة وكان لمزاياه الأخلاقيّة ومروءته ومَنعته وهيبته وأُبّهته وحيائه تأثيرٌ عجيب في نفوس الكوفيّين؛ من هنا كانوا يسمعون كلامه، ويحترمون آراءه، ونُفي مع عدد من أصحابه إلى حِمْص في أيّام عثمان بسبب إصطدامه بسعيد بن العاص والي عثمان ولمّا اشتدّت نبرة المعارضة لعثمان عاد إلى الكوفة، ومنع واليه - الذي كان قد ذهب إلى المدينة آنذاك ـ من دخولها.

اشترك مالك الأشتر في ثورة المسلمين على عثمان، وتولّى قيادة الكوفيّين الذين كانوا قد توجّهوا إلى المدينة، وكان له دور حاسم في القضاء على حكومة عثمان، وبقي مالك الأشتر (رضوان الله عليه) إلى جانب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في جميع المواقف والاستحقاقات وقد شارك مع الإمام في حروبه الداخلية.

ولمّا اضطربت مصر على محمّد بن أبي بكر وصعب عليه أمرها وتمرّد أهلها، إنتدب الإمام (صلوات الله عليه) مالكاً وولّاه عليها وكان قد خَبَر كفاءته، ورفعته، واستماتته، ودأبه، ووعيه، وخبرته في العمل، فكتب إلى أهل مصر كتاباً يعرّفهم به، قال فيه:

... بعثتُ إليكم عبداً من عباد اللّه، لا ينام أيّام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الرَّوع، أشدَّ على الفجّار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مَذْحِج، فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحقّ؛ فإنّه سيف من سيوف اللّه، لا كَلِيل الظُّبَة ولا نابِي الضَّرِيبة؛ فإن أمَركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا؛ فإنّه لا يُقْدِم ولا يُحْجِم ولا يؤخّر

ولا يقدِّم إلّا عن أمري، وقد آثرتُكم به على نفسي لنصيحته لكم، وشدّة شكيمته على عدوّكم.

وكانت تعليماته (صلوات الله عليه) الحكوميّة المشهورة بـ(عهد مالك الأشتر) أعظم وأرفع وثيقة للحكومة وإقامة القسط، وهي وثيقة خالدة على مرّ التاريخ.

وكان معاوية قد عقد الأمل على مصر، وحين شعر أنّ جميع خططه ستخيب بذهاب مالك إليها، قضى عليه قبل وصوله إليها.

وهكذا استُشهد ليث الوغى، والمقاتل الفذّ، والناصر الفريد لمولاه، بطريقةٍ غادرةٍ بعدما تناول من العسل المسموم بسمٍّ فتّاكٍ، وعرجت روحه المشرقة الطاهرة إلى الملكوت الأعلى.

ولمّا جاء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) نبأ استشهاده حزن الإمام لمقتله، حتى عَدّ موته من مصائبِ الدهر وأبّنه فكان تأبينه إيّاه فريداً؛ كما أنّ وجود مالك كان فريداً له في حياته (صلوات الله عليه).

تقول الروايات: ولمّا نُعي مالك الأشتر (رضوان الله عليه) إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وبلغه خبر استشهاده المؤلم، صعد (صلوات الله عليه) المنبر وقال:

ألا إنّ مالك بن الحارث قد قضى نحبه.. وأوفى بعهده.. ولقي ربّه.. فرحم الله مالكاً..! لو كان جبلاً لكان فِنْداً.. ولو كان حَجَراً لكان صَلْداً.. لِلّه مالك..! وما مالك..! وهل قامت النساء عن مِثل مالك!

وهل موجودٌ كمالِك..!

أما معاوية الذي كان فريداً أيضاً في خبث طويّته ورذالته وضَعَته وقتله للفضيلة، طار فرحاً لمّا علم باستشهاد مالك، ولم يستطع أن يخفي سروره،

فقال من فرط فرحه: كان لعليّ بن أبي طالب يدان يمينان، فقُطعت إحداهما يوم صفّين ـ يعني عمّار بن ياسر ـ وقُطعت الأُخرى اليوم، وهو مالك الأشتر[١].

ثالثاً: ترجمة الصحابيّ الجليل محمّد بن أبي بكر:

محمّد بن أبي بكر رجل جليل القدر رفيع الشأن عظيم المنزلة من خواص أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وحواريّيه وكان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بمنزلة الأب له أمه أسماء بنت عميس كانت زوجاً لجعفر بن أبي طالب (رضوان الله عليه) وبعد شهادته تزوجها أبو بكر فولدت له محمّداً في رحلة حجة الوداع وبعد أبي بكر تزوجها أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فلا غرابة في أن يتربّى محمّد في حجر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ويأخذ منه وكان محمّد له منزلة في قلب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقد ورد عنه (صلوات الله عليه) أنّه كان يقول: محمّد ابني من صلب أبي بكر.. شهد محمّد وقعتي الجمل وصفين وبعد صفين عيّنه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) والياً على مصر وفي سنة ثمان وثلاثين بعث معاوية بعمرو بن العاص ومعاوية بن خديج وأبي الأعور السلمي في جيش كبيرٍ إلى مصر وكانوا جميعاً من أنصار عثمان وهناك جمعوا جموعهم وإنبروا لقتال محمّد بن أبي بكر وأخذوه أسيراً ثُمَّ ضرب معاوية بن خديج عنقه وهو ظامئ وقطع رأسه وأدخلوا جثته في جوف حمار وأحرقوه بالنار وكان عمره ثمانٍ وعشرين عاماً.. ولمّا بلغ نبأ استشهاده أمه أسماء كظمت غضبها وغصتها .. وجزعت عليه أخته عائشة جزعاً كبيراً وكانت تدعو على معاوية وابن العاص وابن خديج دبر كل صلاة ..

أمّا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لمّا بلغه نبأ شهادة محمّد بن أبي بكر

---

(١) أنظر، الرئشهريّ، محمّد، موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب في الكتاب والسُّنّة والتاريخ، الجزء (١٦) صفحة (٢٣٢) طبعة دار الحديث قم.

(رضوان الله عليه) حزن عليه حزناً شديداً وكتب إلى ابن عباس (رضوان الله عليه) ينعاه إليه حيث قال: [أمّا بعد.. فإنّ مصر قد افتتحت ومحمّد بن أبي بكر رحمه الله قد استشهد فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً وعاملاً كادحاً وسيفاً قادحاً وركناً دافعاً.. وقد كنتُ حثثت الناس على لحاقه وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة ودعوتهم سرّاً وجهراً وعوداً وبدءاً فمنهم الآتي كارهاً ومنهم المعتلّ كاذباً ومنهم القاعد خاذلاً أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً فوالله لولا طمعي عند لقاء عدوّي في الشهادة وتوطيني نفسي على المنيّة لأحببتُ أن لا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً ولا ألتقي بهم أبداً.. فلمّا تلقى ابن عباس النبأ قدم الكوفة لتقديم التعزية لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وقدم أيضاً أحد عيون أمير المؤمنين من الشام وقال: يا أمير المؤمنين لمّا بلغ معاوية خبر مقتل محمّد بن أبي بكر صعد المنبر وأذّن بقتله وسرّ سروراً عظيماً وما رأيتُ قط سروراً في الشام كالذي رأيته حين قتل محمّد بن أبي بكر.

فقال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): إنّ حزننا على قتله على قدر سرورهم به لا بل يزيد أضعافاً.

وقال: كان لي ربيباً وكنتُ أعدّه ولداً وكان بي برّاً فعلى مثل هذا نحزن وعند الله نحتسبه[1].

رابعاً: ترجمة السيّد صالح الحلي:

هو السيّد صالح بن محمّد بن حسين الحسني الحسيني الحلي، خطيب شهير، وأديب جريء، وأستاذ متبحّر، ولد في مدينة الحلة في العراق عام (١٢٩٠هـ) وبعد أن نشأ وترعرع هاجر إلى دار العلم في النجف الأشرف

(١) أنظر، القميّ، عباس، منتهى الآمال، الجزء (١) صفحة (٢٩٦) طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

لينهل من معين العلوم على أيدي جملة من الأساتذة الأعلام وكان قد بلغ من العمر الثامنة عشرة.

كان السيّد صالح الحلّي يحمل مبدءاً قومياً إسلامياً لا يكاد أن يصفه الواصف، وما زال يناطح رجال الاستبداد والتهور ويسعى في تحطيم عروشهم والقضاء على دعاتهم وهواتهم من الخونة، حتى إذا حببت له نفسه الإقامة في مدينة الكاظمية المقدّسة بجوار مرقد الإمامين موسى بن جعفر الكاظم ومحمّد بن علي الجواد (صلوات الله عليهما) وذلك عام (١٣٢٩هـ) فأقام هنالك ردحاً من الزمن مرموقاً لدى الرأي العام، ومحبوباً في نفوس عامة الجماهير.

وقد وصفه العلّامة الشيخ محمّد السماوي ﵀ في كتابه الطليعة فقال في حقه: فاضل، مشارك في العلوم، شديد العارضة، خطيبٌ بارع في فنّ الخطابة، يتحلّى به المنبر إذا علاه، ويتحلّ به الحفل إذا استملاه، وذاكرٌ يمثل واقعة الطف بألطف وصف، ونائحٌ إذا ذكر الحسين ﷺ أذاب القلب، وأجراه من العين، ومحاضرٌ حسن المحاضرة، لطيف المذاكرة، جميل المعاشرة، لولا أن صاحبه كراكب الأسد أو عائم بحر.

وعلى أي حال تكفيه فخراً شهادة بعض العباقرة فيه بقوله: السيّد صالح الحلّي، خطيب العلماء.. وعالم الخطباء.. وفي (٢٩- شوال ليلة السبت عام ١٣٥٩هـ) التحق السيّد صالح الحلّي ﵀ بالرفيق الأعلى بعد أن علق به داء عضال، وكان قد لازم الفراش زمناً طويلاً، ودفن ﵀ في مقام الهدى بوادي السلام في النجف الأشرف بجوار مرقد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وصيّةً منه في ذلك، وقد أقيمت له مجالس تأبين عدة وكان من أهمها وأعظمها مأتم جمعية الخطباء[1]

(١) أنظر ديوان شعراء الحسين ﷺ الجزء (١) صفحة (٨٤)، طبعة مؤسسة الأعلمي طهران.

خامساً: ترجمة الصحابيّ الجليل حجر بن عدي الكندي:

هو حجر بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثَوْر بن مرتّع بن كِندي.. يلقّب حجر بـ حجر الخير ـ وذكر أصحاب التراجم أن حجر من قوم الأبدال[1] وذكر أهل العلم أن حجراً وفد إلى النَّبيّ الأكرم ﷺ مع أخيه هانئ بن عدي، وكان حجر صاحب راية رسول الله ﷺ وهو بعدُ من الرؤساء والزّهاد، وقد شهد حجر القادسية، وهو الذي افتتح مرج عذرى.

وعن الشيخ البهائي رحمه الله في الكامل أن زهد حجر وكثرة عبادته مشهوران بين العرب، ويقال إنّه كان يصلي في اليوم ألف ركعة.

ويقول ابن عبد البر في الاستيعاب: كان حجر من أفاضل الصحابة مع صغر سنه بين كبارهم وكان مستجاب الدعوة وكانت له إمارة بني كِندة في حرب صفين إلى جانب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وكان أمير جيشه (صلوات الله عليه) يوم النهروان.

ويقول العلّامة الحلي رحمه الله: إن حجراً كان من أصحاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ومن الأبدال، ويذكر الحسن بن داوود رحمه الله أن حجراً كان من عظماء الصحابة، وأصحاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وقد طلب إليه أحد أمراء معاوية أن يلعن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقال: إنّ أمير الوفد أمرني أن ألعن علياً فالعنوا لاعن عليّ.

ويذكر المؤرخون أن سبب قتل حجر (رضوان الله عليه) هو أن المغيرة بن

---

(١) الأبدال، قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم إذا مات واحد أبدل الله مكانه، وفي الرواية أن الأبدال قوم يقيم الله بهم الأرض وهم سبعون صالحاً، أربعون منهم موجودون في بلاد الشام، وثلاثون منهم في غيرها، لا يموت أحدهم إلّا قام مقامه آخر من سائر الناس ـ أنظر القاموس الجامع للمصطلحات الفقهيّة، صفحة (٩) طبعة دار المحجة البيضاء بيروت.

شعبة كان والياً على العراق وكان لا ينام عن شتم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وأصحابه واللعنة بهم والترحم على عثمان وأصحابه وكان حجر بن عدي إذا سمع ذلك يقول: إنّ من تذمون أحق بالفضلِ والتقدّم، ومن تمدحون أولى بالذم.

فلمّا كان في آخر زمان المغيرة، نال من أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وقال في عثمان ما كان يقول، فقام حجر بن عدي وصاح به وقال: إنّك لا تدري بمن تولع أصبحت مولعاً بذمِ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) ومدح المجرمين فقام معه نحو ثلاثين ألفاً يقولون: صدق حجر، فلمّا خلا المغيرة بقومهِ شجعوه على قتل حجر فأبى ذلك لاقتراب أجله، فلمّا ولّى معاوية زياد بن أبيه الكوفة خطب في الناس متوعداً حُجر وجاءه أمر من معاوية بشدّه بالحديد وتيسيره إلى الشام، فوفد زياد إلى معاوية ومعه حُجر بن عدي وتسعة من أهل الكوفة وأربعة من غيرهم، فقالت هند ابنة زيد بن مخرّبة الأنصارية وكانت شيعية، حين سُيّر بحجر إلى معاوية:

ترفّع أيّها القمر المنير ... ترفّع هل ترى حُجراً يسيرُ
يسير إلى معاوية بن حربٍ ... ليقتله كما زعم الخبيرُ
تجبرت الجبابرة بعد حُجر ... وطاب لها الخورنق والسّديرُ[1]
وأصبحت البلاد له محولاً ... كأن لم يحيها يوماً مطيرُ
ألا يا حجر حجرَ بني عدي ... تلقتك السلامة والسرورُ
أخاف عليك ما أرْدى عَدِياً ... وشيخاً في دمشق له زَئيرُ
فإن تهلك فكل عميدِ قومٍ ... إلى هُلكٍ من الدنيا يصيرُ[2]

(١) الخورنق، قصر بالعراق للنعمان ابن المنذر، والسدير اسم لقصر أو نهر، وقيل بناء ذو ثلاث شُعب.
(٢) الزهريّ، محمّد سعد، الطبقات الكبرى، الجزء (٦) صفحة (٢٢٠)، طبعة دار صادر بيروت.

وزاد المسعودي في مروجه:

ويصلبه على بابي دمشق وتأكل من محاسنه النسورُ
ألا يا ليت حجرا مات موتاً ولم ينحر كما نحر البعيرُ[1]

فلمّا وصلوا إلى مرج عذراء على اثني عشر ميلاً من دمشق قال حجر: ما هذه القرية؟. فقيل له: عذراء، فقال: الحمد لله، أما والله إنّي لأوّل مسلم ذكر الله فيها وسجد، وأوّل مسلم نبح عليّ كلابها في سبيل الله، ثُمَّ أنا اليوم أُحمل إليها مصفداً في الحديد..!!!.

ثُمَّ تقدّم البريد بأخبارهم إلى معاوية، فبعث إليهم رجلاً أعور، فلمّا وصل إليهم قال لحجر:

إنّ أمير المؤمنين قد أمرني بقتلك يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولي لأبي تراب، وقتل أصحابك إلّا أن ترجعوا عن كفركم وتلعنوا صاحبكم وتتبرأوا منه[2].

فقال حجر وجماعة ممن كان معه: إنّ الصبر على حدّ السيف لأيسر علينا مِمّا تدعونا إليه، ثُمَّ القدوم على الله وعلى نبيّه وعلى وصيّه أحبّ إلينا من دخول النار..

فلمّا قُدم حجر ليقتل قال: دعوني أصلي ركعتين، فصلّى، ثُمَّ قال: إن كنتَ أُمرتَ بقتل ولدي (همّام) فقدّمه.. فقدمه فضربت عنقه، فقيل له: تعجلت الثكل، فقال: خفتُ أن يرى هول السيف على عنقي فيرجع عن

---

(١) المسعودي، علي حسين، مروج الذهب الجزء (٣) صفحة (١٣) طبعة دار القارئ بيروت. نسب ابن مسعود هذه الأبيات إلى ابنة حجر قال: فلمّا صار على أميال من الكوفة يراد به دمشق أنشأت ابنته تقول ولا عقب له من غيرها..

(٢) المسعودي، علي حسين، مروج الذهب الجزء (٣) صفحة (١٤)، طبعة دار القارئ بيروت.

ولاية أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فلا نجتمع في دار المقامة التي وعدها الله للصابرين[١].

ثُمَّ قدّم حجر للسيف وأرادوا قتله فقال لهم: إدفنوني في ثيابي فإنّي أُبعث مخاصماً[٢].

ثُمَّ قُدم وأصحابه فقتلوا، وكان عددهم ثمانية، ودفنوا في مرج عذراء على بعد فرسخين[٣] من دمشق[٤] وقد كبُر على قلوب المسلمين قتل حجر وأصحابه وقد أكثروا من ملامة معاوية وتوبيخه على فعلته تلك.

ويروى أنّ معاوية قدم على عائشة، فقالت له: ما الذي أكرهك على قتل أهل عذراء حُجر وأصحابه.

قال: يا أم المؤمنين رأيتُ في قتلهم صلاح الأمّة، وفي بقائهم فساد الأمّة، فلا جرم أنّي قتلتهم.

قالت عائشة: سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلّم) يقول: سيقتل من بعدي قوم في عذراء يغضب الله لقتلهم وأهل السماء.

فقال معاوية: يا أم المؤمنين، دعيني وحجراً نلتقي عند ربنا[٥].

ويروى أن الربيع بن زياد الحارثي عامل معاوية على خراسان لمّا سمع

---

(١) بيضون، لبيب، موسوعة كربلاء الجزء (١) صفحة (٣٦٠)، طبعة، مؤسسة الأعلميّ بيروت.

(٢) الزهريّ، محمّد سعد، الطبقات الكبرى الجزء (٦) صفحة (٢٢٠) طبعة دار صادر بيروت. وذكر المسعودي أن حجر ابن عدي هو أول من قتل صبرا في الإسلام المسعوديّ، علي حسين، مروج الذهب الجزء (٣) صفحة (١٣) طبعة دار القارئ بيروت.

(٣) الفرسخ، مقياس قديم من مقاييس الطول يقدّر بثلاثة أميال، ويقدّر الميل (١٦٠٩) أمتار.

(٤) القميّ، عباس، منتهى الآمال الجزء (١) صفحة (٢٧٥) طبعة الدار الإسلاميّة بيروت. وقبره الشريف معروفٌ ومشهور يقصده المؤمنون من كل بقاع الأرض لزيارته والتبرك منه.

(٥) بيضون، لبيب، موسوعة كربلاء الجزء (١) صفحة (٣٦٠) طبعة مؤسسة الأعلميّ بيروت.

بقتلِ حجر دعا الله وقال: اللهم إن كان لربيع عندك قرب ومنزلة إلّا عجّلت بقبض روحه، فلم يتمّ كلامه حتى وقع ميتاً[١].

ويذكر ابن سعد في طبقاته في حقه فيقول: وكان ثقةً معروفاً ولم يرو عن غير عليّ شيئاً[٢].

ويذكر أهل التأريخ أن معاوية لمّا حضرته الوفاة جعل يغرغر[٣] بالموت ويقول: إنّ يومي منك يا حُجر بن عدي لطويل[٤].

سادساً: ترجمة محمّد ابن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

المعروف بابن الحنفيَّة (رضوان الله عليه): ولد محمّد بن الحنفيّة (رضوان الله عليه) أيّام حكومة أبي بكر، وكانت أُمّه في عداد من أسرهم المسلمون في الفتوحات، فصارت من نصيب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وكان محمّد من العلماء المحدّثين أُولي الشأن في آل عليّ (صلوات الله عليه) وكان شجاعاً رابط الجأش، حمل اللواء يوم الجمل وهو ابن تسع عشرة سنة، كما حمله في صفّين، وكان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يحبه حباً شديداً وقد روي عنه أنّه قال: من أحبني فليحب ابني محمّد.

وذكر علماء الرجال والتراجم أن المحمّدين الثلاثة وهم: محمّد بن الحنفيَّة، ومحمّد بن أبي بكر، ومحمّد بن أبي حذيفة، كانوا يساوقون في الدرجة.

ولم يشهد واقعة الطف، وكان معذوراً في تركه النصرة لأخيه وإمامه

---

(١) القميّ، عباس، منتهى الآمال الجزء (١) صفحة (٢٧٥)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

(٢) الزهريّ، محمّد سعد، الطبقات الكبرى الجزء (٦) صفحة (٢٢٠) طبعة دار صادر بيروت.

(٣) غرغر الرجل بالموت، تردد الروح في الحلق، وأصل الغرغرة هو أن يجعل المشروب في الفم ليردده إلى أصل الحلق لا يُبلع، يكون عند أول ما يأخذ في سياق الموت القاموس الجامع للمصطلحات الفقهيَّة صفحة (٣٩٩) طبعة دار المحجّة البيضاء بيروت.

(٤) بيضون، لبيب، موسوعة كربلاء الجزء (١) صفحة (٣٦١)، طبعة مؤسسة الأعلميّ بيروت.

الحسين (صلوات الله عليه) لأنّه كان مبتلى بمرضٍ شديد، وقد ذكرت الأخبار أنّه بكى على فراق أخيه وكانت تحصل له الغشية بعد الغشية، وهذا يكشف عن قوّة إيمانه وعن سرّ ما قاله أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في حقه.

لم يبايع ابن الحنفيّة عبد الله بن الزبير بعد تسلّطه، فعزم ابن الزبير على حرقه هو وعبد اللّه بن عبّاس، لكنّ جيش المختار أنقذهما من مخالبه وكانت للمختار بن أبي عبيدة الثقفي (رضوان الله عليه) صلة وثيقة به، وقد نسّق معه في الثأر من قتلة الحسين (صلوات الله عليه).

توفّي محمّد بن الحنفيّة في المدينة سنة إحدى وثمانين للهجرة، في حكم عبد الملك بن مروان، وله من العمر خمس وستون سنة، واختلف المؤرخون في مكان وفاته فمن قائل في الطائف، وآخر في المدينة، وثالث في أيلة، وتقول الكيسانية[1] بإمامته وكانوا يعتقدون أنّه المهدي.

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن الزهريّ قال: قال رجلٌ لمحمّد بن الحنفيّة: ما بال أبيك كان يرمي بك في مرامٍ لا يرمي فيها الحسن والحسين؟

قال: لأنّهما كانا خدّيه وكنت يده، فكان يتوقّى بيده عن خدّيه[2].

سابعاً: ترجمة الصحابيّ الجليل الأصبغ بن نباتة.

أصبغ بن نباتة التَّميميّ كان من خواص أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ومن الوجوه البارزة بين أصحابه، وأحد ثقاته (صلوات الله عليه) وهو مشهور بثباته واستقامته على حبّه (صلوات الله عليه) وقد بايعه على الموت.

---

(١) الكيسانيّة: هم أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ومذهبهم أن الإمام بعد الحسين (صلوات الله عليه) هو محمّد بن الحنفيّة ويقولون أنّه هو المهدي الموعود وأنّه حي يرزق حتى وقت خروجه، وقد انقرضت هذه الجماعة ولم يبق لها إلّا ذكرها في التاريخ.

(٢) بيضون، لبيب، موسوعة كربلاء، الجزء (١)، صفحة (٤٢١)، طبعة دار التعارف بيروت. القميّ، عباس، منتهى الآمال، الجزء (١) صفحة (٢٦١) طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

وصفته النصوص التاريخيّة القديمة بأنّه شيعيّ، وأنّه مشهور بحبّ عليّ (صلوات الله عليه). وكان من ـ شرطة الخميس ـ ومن أُمرائهم.

عاهد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) على التضحية والفداء والاستشهاد.

وشهد معه الجمل، وصفّين. وكان معدوداً في أنصاره الأوفياء المخلصين. وهو الذي روى عهده إلى مالك الأشتر؛ ذلك العهد العظيم الخالد..!

وكان من القلائل الذين أُذن لهم بالحضور عند الإمام (صلوات الله عليه) بعد ضربته.. وعُدّ الأصبغ في أصحاب الإمام الحسن (صلوات الله عليه) أيضاً.

ثامناً: ترجمة الصحابية الجليلة أم أيمن:

أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ وإسمها بركة الحبشية ورثها النَّبيّ ﷺ من أبيه عبد الله كانت وصيفة لعبد المطَّلب وقيل كانت لآمنة أم رسول الله، كانت أم أيمن إلى النَّبيّ ﷺ أشبه بالأم، حتى بلغ سناً، واستغنى عن خدماتها وتزوجها عبيد بن زيد الخزرمي، فولدت منه أيمن، وقد استشهد أيمن (رضوان الله عليه) في معركة أحد، ثُمَّ مات عنها زوجها، وبعد ذلك تزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسامة، وهزتها أنباء الدعوة وتضحية الصامدين من أصحاب الرسول الأعظم، وبعثت في أعماقها العزم.. فدخلت على الرسول فاستقبلها كعادته استقبالاً حاراً، فكان يقول لها (أمّي) ومدت يدها إليه مبايعة، ونطقت بالشهادتين.. فدعى لها النَّبيّ بالخير.

وإنصهرت أم أيمن في إطار الدعوة، وهي تسمع وتعي مُثُلُ الدعوة، وقيمها الرفيعة، وأخذت تحفظ من القرآن ما تيسر لها.

وأصبح لها أمر رسول الله ﷺ ودعوته الشغل الشاغل ورغم أنّه ﷺ كان

يكتم عن النساء أخبار الاعتداءات عليه وما يفعله جلاوزة قريش به، خاصة بعد وفاة أبي طالب، إلّا أن هذه المرأة الطاهرة كانت تتصيد الأخبار، فهي قد اختصت بخدمة فاطمة الزهراء بنت الرسول ويتيمة خديجة (صلوات الله عليهم أجمعين).

وبعد هجرة النَّبيّ ﷺ لم تستطع أم أيمن البقاء في مكة وشدّت الرحال إلى المدينة للعيش في جوار رسول الله ﷺ وقطعت الطريق مشياً على أقدامها وتعرضت للمخاطر والعطش، ولكن الله سبحانه كان لها عوناً حتى وصلت إلى المدينة، وكان استقبال النَّبيّ لها حاراً لطيفاً، قال لمن حوله، وهو يرحب بمقدمها (أهلاً ببقية أهل بيتي).. وضمتها مدينة الرسول، وشغلتها الأيام الزاخرة بالحوادث وقد روى النَّبيّ ﷺ في حقها وشهد أنّها من أهل الجنّة[1].

تاسعاً: ترجمة العباس بن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

العباس بن علي بن أبي طالب مظهر العشق والإيثار.. ومثال الرجولة والصفاء والوقار.. ورمز الشجاعة والشهامة والكرامة.

وكانت له بين أبطال كربلاء حكايا العزَّة والعنفوان.. وله مع شهداء التاريخ منزلة رفيعة.. ومكانة سامقة، حتى قال سيّد الساجدين زين العابدين (صلوات الله عليه) في حقّه: إنّ للعبّاس عند الله تبارك وتعالى لمنزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة.

ولد أبو الفضل العباس (صلوات الله عليه) في سنة ستٍّ وعشرون للهجرة، من أُمّ عظيمة تنتسب إلى قبيلة بني كلاب، التي أنجبت أشجع الصناديد الأفذاذ

---

(١) ترجمة أم أيمن في معاجم الرواة والمحدثين.

في زمانها، وتربّى في حجرها، ونشأ مع إخوته الذين لا مثيل لهم؛ وعلى رأسهم الحسن والحسين (صلوات الله عليهما).

كانت كنيته: أبا الفضل، والقابه كثيرة منها: السقّاء.. وكان جميل المحيّا، حتى سُمّي: قمر بني هاشم.. وكان مع أبي عبد الله الحسين (صلوات الله عليه) منذ بداية الثورة، وهو صاحب لوائه في واقعة الطف، وتولّى سقاية الجيش والأطفال في ساعة العسرة التي كان فيها الإمام وأصحابه محاصرين.

وعندما طلب الإمام الحسين (صلوات الله عليه) من أصحابه وأهل بيته أن يذهبوا ويتركوه وحده في ليلة العاشر من المحرّم، كان أبو الفضل أوّل من هبّ ليخبره بملازمته إيّاه وتفانيه من أجله عبر كلمات طافحة بالعشق والإيمان والإيثار..

وقد أثنى عليه المعصومون (صلوات الله عليهم) ووصفوه بصاحب الإيثار، والبصيرة النافذة، والثبات على الإيمان، والجهاد العظيم، والبلاء الحسن، والمنزلة التي يُغبَط عليها يوم القيامة.

استُشهد هذا البطل المهيب والعضد الصامد لأبي عبد الله (صلوات الله عليه) عندما عزم على إيصال الماء إلى الأفواه اليابسة الظامئة للنساء والأطفال حين بقي الإمام (صلوات الله عليه) وحيداً فريداً.

فعزّ مصرعه على الحسين (صلوات الله عليه) وجلس عند جثمانه المضرّج بالدماء، ورثاه بحرقة وألم قائلاً: الآن إنكسر ظهري، وقلّت حيلتي.

يقول مولانا الإمام زين العابدين (صلوات الله عليه) في حق عمه العباس (صلوات الله عليه): رحم الله عمي العباس، فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قُطعت يداه، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة كما جعل لجعفر بن أبي طالب.

وإنّ للعبّاس عند الله تبارك وتعالى لمنزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة[١].

عاشراً: ترجمة الصحابيّ الجليل عبد الله بن جعفر:

عبد الله بن جعفر، يكنى أبا جعفر، أمه أسماء بنت عُميس الخثعمية، وهو أول مولود ولد للمسلمين المهاجرين إلى الحبشة[٢] ويروى أنه أول من بايع رسول الله ﷺ من الصبيان بعد الإمامين الحسن والحسين (صلوات الله عليهما)[٣] وقد بقي عبد الله في أحضان والده وأمه بأرض الحبشة حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وفي السنة السابعة للهجرة قدِم جعفر من أرض الحبشة ووصل إلى أرض الإسلام في اليوم الذي فتح النَّبيّ ﷺ خيبراً، استقبل النَّبيّ ﷺ جعفرا وضمّه إليه واعتنقه وقبّله ما بين عينيه، وقال ﷺ:

ما أدري بأيّهما أنا أفرح بقدوم جعفر أو بفتح خيبر[٤] وبعد استشهاد جعفر بن أبي طالب بقي عبد الله وأخوته تحت رعاية وكفالة النَّبيّ ﷺ وينقل عن عبد الله قوله:

أنا أحفظ حين دخل رسول الله ﷺ على أمّي فنعى لها أبي[٥] فأنظر إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تهراقان الدموع حتى تقطّرت لحيته ثُمَّ

---

(١) الكلباسيّ، محمّد، الخصائص العباسية، طبعة دار الحوراء بيروت.

(٢) الزهريّ، ابن سعد، الطبقات الكبرى - الجزء (٤) صفحة (٣٤)، طبعة دار صادر بيروت. المسعودي، علي مروج الذهب، الجزء (٣) صفحة (١٩٢)، طبعة دار القارئ بيروت.

(٣) بيضون، لبيب، موسوعة كربلاء، الجزء (١) صفحة (٩٤)، طبعة دار التعارف بيروت.

(٤) الزهريّ، ابن سعد، الطبقات الكبرى،الجزء (٤) صفحة (٣٥) طبعة دار صادر بيروت.

(٥) جعفر بن أبي طالب الملقّب بجعفر الطيّار هو ابن عمي النَّبيّ ﷺ وأخو أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ذو الهجرتين، وذو الجناحين، استشهد يوم مؤتة وقطعت يداه فأبدله الله عزّ وجلّ بهما جناحين يطير بهما في الجنّة.

قال: اللهم إن جعفراً قد قَدِمَ إليك إلى أحسن الثواب فأخلفه في ذريته بأحسنِ ما خلّفت أحداً من عبادك في ذريته[١].

وفي رواية أنّه ﷺ قال: اللهم أُخلف جعفراً في أهله بخيرِ ما خلفت عبداً من عبادك الصالحين[٢].

يقول عبد الله بن جعفر: وبعد ثلاثة أيام أتانا النَّبيّ ﷺ في بيتنا فعزانا وواسانا ودعا لنا، وقال لأمّي: لا تغتمي فأنا وليّهم في الدنيا والآخرة[٣] وقد تزوج أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من أسماء فبقي أبناء أخيه جعفر تحت رعايته.. بعد أن كانت تزوجت من أبي بكر.

نشأ عبد الله بن جعفر كريماً، جواداً، عفيفاً، وقد بلغ من سخائه أنّه كان يُضرب به المثل، وكان يلقّب بـ (بحر الجود) وذكر المبرد والمدائنيّ والعتبي وغيرهم من الإخباريين أن عبد الله عوتب على كثرة أفضاله، فقال: إن الله تعالى عوّدني أن يفضل عليّ، وعوّدته أن أفضل على عباده فأكره أن أقطع العادة عنهم فيقطع العادة عني[٤].

وفي رواية قال: سخوتُ حتى اعتاد الناس على العطاء، وأخشى إن قطعتُ عنهم عطائي أن يقطع الله عني عطاءه[٥].

وقد اعتاد الناس على كرم عبد الله وجوده، فكان أهل المدينة إذا اقترضوا شيئاً يعدون المقرض بالقول: سنؤدي لك قرضك عند عطاء عبد الله بن جعفر، ويروى أن الناس كانوا يلومونه على كثرة جوده وعطائه فكان يقول:

---

(١) القميّ، عباس، منتهى الآمال، الجزء (١) صفحة (٢٨٤) طبعة الدار الإسلاميّة بيروت. الزهريّ ـ ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ الجزء (٤) صفحة (٤٠) طبعة دار صادر بيروت.

(٢) الزهريّ، ابن سعد، الطبقات الكبرى، الجزء (٤) صفحة (٤٠) طبعة دار صادر بيروت.

(٣) القميّ عباس، منتهى الآمال، الجزء (١)، صفحة (٢٨٤)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

(٤) المسعوديّ، مروج الذهب، الجزء (٣) صفحة (١٩٢)، طبعة دار القارئ بيروت.

(٥) القميّ، عباس، منتهى الآمال، الجزء (١)، صفحة (٢٨٤)، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

لستُ أخشى قلةَ العدمِ ما اتقيتُ الله في ذكري
كل ما أنفقت يخلفه لي ربٌّ واسع النعم[١]

وفي الرواية أن عبد الله بن جعفر وَفَدَ على معاوية بدمشق، فعَلِمَ عمرو بن العاص بذلك قبل دخول عبد الله دمشق، أخبره بذلك مولى له كان قد سار مع عبد الله من الحجاز فتقدّمه بمرحلتين إلى دمشق، فدخل عمرو على معاوية وعنده جماعة من بني هاشم وغيرهم، منهم عبد الله بن الحارث ابن عبد المطلب.

فقال عمرو: قد أتاكم رجل كثير الخلوات بالتمنيّ، والطرقات بالتغنيّ، آخذٌ للسلف، منقادٌ بالسرف.

فغضب عبد الله بن الحارث، وقال لعمرو: كذبت، وأهل ذلك أنت، ليس عبد الله كما ذكرت، ولكنّه لله ذَكور، ولبلائه شكور، وعن الخنا[٢] نفور، ماجدٌ مهذّب[٣]، كريم، سيدٌ، حليم، إن ابتدأ أصاب، وإن سُئل أجاب، غير حصر[٤]، ولا هيّاب[٥]، ولا فحّاش[٦]، ولا سبّاب، كالهزَبر الضرغام[٧]،

---

(١) المصدر السابق، صفحة (٢٨٥).
(٢) الخنا، الفحش من القول ـ مجمع اللغة العربية ـ المعجم الوسيط، مادة خنا.
(٣) ماجد، يقال: رجل مماجد، كريم شريف، ويقال: مفضال كثير الخير شريف... ورجل شريف ماجد له آباء متقدمون في الشرف ـ الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، الجزء (٣) صفحة (١٤٣) ـ مهذّب، يقال: رجل مهذّب، أي مطهّر الأخلاق ـ مجمع البحرين الجزء (٢) صفحة (١٨٤).
(٤) الحصر، العي، يقال: حصر الرجل يحصر حصراً من باب تعب ـ مجمع البحرين الجزء (٣) صفحة (٢٧١) والعي هو الذي لا يستطيع الكلام.
(٥) هيّاب، يقال: رجل هيّاب إذا جبُن، والهيوب هو الجبان الذي يهاب الناس ـ مجمع البحرين الجزء (٢) صفحة (١٨٥).
(٦) فحّاش، فحش الشيء فحشاً مثل قبح قبحاً وزناً ومعنى، وفي لغة، من باب قَتَلَ.. الفاحش ذو الفحش في كلامه وفعاله، والمتفحّش من يتكلّمه ويتعمّده ـ مجمع البحرين الجزء (٤) صفحة (١٤٨).
(٧) الهزبر الضرغام، الأسد ويستعار الضرغام للرجل الشجاع ـ مجمع البحرين الجزء (٣) صفحة (٥١٩) والجزء (٦) صفحة (١٠٤).

الجريء المقدام[١]، والسيف الصمصام[٢]، والحسيب القمقام[٣]، وليس كمن اختصم فيه من قريش شرارها، فغلب عليه جزّارها، فأصبح ألأمها حسباً، وأدناها منصباً، يلوذ منها بذليل، ويأوي إلى قليل.

وليت شعري بأي حسب تتناول..؟!! أو بأي قدم تتعرض..؟!! غير أنّك تعلو بغير أركانك، وتتكلم بغير لسانك، ولقد كان أبر في الحكم، وأبين في الفصل، أن يكفّك ابن أبي سفيان عن ولوعك بأعراض قريش، وأن يكعمك كعام الضبع في وجارها، ولستَ بأعراضها بوفي، ولا لأحسابها بكفي، وقد أتيح لك ضيغم شرس، للأقران مختلس، وللأرواح مفترس.

فهمّ عمرو أن يتكلّم، فمنعه معاوية من ذلك.

وقال عبد الله بن الحارث: لا يُبق المرء إلّا على نفسه.. والله إنّ لساني لحديد، وإن جوابي لعتيد، وإن قولي لسديد، وإن أنصاري لشهود.. فقام معاوية وتفرّق القوم.

توفي عبد الله بن جعفر سنة ثمانين للهجرة بالمدينة المنورة، وصلّى عليه أبان بن عثمان ودفن هناك، وقيل بمكة، وله من العمر تسعون سنة، وأعقب عبد الله بن جعفر عشرين من الأبناء، وقد استشهد منهم مع ابن عمه الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهما) عون، ومحمّد الأصغر في واقعة الطف..[٤].

الحادي عشر: ترجمة الصحابيّ الجليل صعصعة بن صوحان

صعصعة بن صوحان بن حُجْر العبدي، كان مسلماً على عهد النَّبيّ ﷺ

---

(١) المقدام، بكسر الميم الكثير الإقدام على العدو ـ مجمع البحرين الجزء (٦) صفحة (١٣٦).
(٢) الصمصام، السيف القاطع الصارم الذي لا ينثني ـ مجمع البحرين الجزء (٦) صفحة (١٠٣).
(٣) القمقام، كلمة رومية معرّبة، تعني السيّد ـ مجمع البحرين الجزء (٦) صفحة (١٤١).
(٤) المسعودي، علي، مروج الذهب، الجزء (٣)، صفحة (١٩٢)، طبعة دار القارئ بيروت.

ولم يره، وكان من كبار أصحاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ومن الذين عرفوه حقّ معرفته كما هو حقّه، وكان خطيباً بليغاً فصيحاً متديناً، فاضلاً.. ذهب الأديب العربي الشهير الجاحظ إلى أنّه كان مقدّماً في الخطابة وأدلّ من كلّ دلالة استنطاق عليّ بن أبي طالب له (صلوات الله عليه).

أثنى عليه أصحاب التراجم وعلماء الرجال بقولهم: كان شريفاً، أميراً، فصيحاً، مفوّهاً، خطيباً، لسناً، ديّناً، فاضلاً.

روى عهد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لمالك بن الحارث الأشتر النخعي (رضوان الله عليه).

قال الإمام أبو عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) في حقه وفضله: ما كان مع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من يعرف حقه إلّا صعصعة وأصحابه.

نُفي صعصعة أيام خلافة عثمان إلى الشام مع مالك الأشتر ورجالات من الكوفة.. وعندما ثار الناس على عثمان، وإتّفقوا على خلافة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قام هذا الرجل الذي كان عميق الفكر، قليل المثيل في معرفة عظمة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) - وكان خطيباً مصقعاً - فعبّر عن اعتقاده الصريح الرائع بإمامه، وخاطبه قائلاً: واللّه يا أمير المؤمنين! لقد زيّنت الخلافة وما زانتك، ورفعتها وما رفعتك، ولهي إليك أحوج منك إليها.

وعندما أشعل موقدو الفتنة فتيل الحرب على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في الجمل، كان إلى جانب الإمام، وبعد أن استشهد أخواه زيد وسيحان اللذان كانا من أصحاب الألوية، رفع لواءهما وواصل القتال، وفي حرب صفّين هو رسول الإمام (صلوات الله عليه) إلى معاوية ومن أُمراء الجيش وراوي وقائع صفّين.

وقف إلى جانب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في حرب النهروان، واحتجّ على الخوارج بأحقّيّة إمامه وثباته، وجعله أمير المؤمنين (صلوات الله

عليه) شاهداً على وصيّته، فسجّل بذلك فخراً عظيماً لهذا الرجل.. ونطق صعصعة بفضائل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ومناقبه أمام معاوية وأجلاف بني أمية مراراً، وكان يُنشد ملحمة عظمته أمام عيونهم المحملقة، ويكشف عن قبائح معاوية ومثالبه بلا وجل.

وكم أراد منه معاوية أن يطعن في أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، لكنّه لم يلقَ إلّا الخزي والفضيحة، إذ جُوبِه بخطبه البليغة الأخّاذة.

فيروى أنّه لمّا قدم معاوية الكوفة أمر أن يحضر إليه في مجلسه نفرٌ مّمن كان الإمام الحسن (صلوات الله عليه) قد أخذ لهم الأمان منه، وكان صعصعة بينهم، فلمّا دخل المجلس قال له معاوية: أما والله يا صعصعة لم أكن أريدك في أماني.

فقال له: أما والله لم أكن أريد خطابك باسم الخلافة ثُمَّ سلَّم عليه باسم الخلافة.. وجلس.

فقال معاوية: لو كنت صادقاً في قولك فاصعد المنبر والعن علياً فتوجّه صعصعة إلى المسجد، وصعد على المنبر، ثم حمد الله وأثنى عليه، وصلّى على رسول الله ﷺ وقال:

أيّها الناس، قدمت من عند رجل تقدم شره وأبطأ خيره، وقد أمرني بلعنِ علي بن أبي طالب، فالعنوه لعنه الله، فقال أهل المسجد: أمين..

ثُمَّ عاد إلى معاوية وأبلغه بما فعله على المنبر فقال معاوية: أما والله ما قصدت بلعنك سواي، عد إلى المسجد والعن علياً بصراحة، فعاد صعصعة وصعد المنبر وقال: أمرني معاوية أن ألعن علي بن أبي طالب، فأنا ألعن من لعن علي بن أبي طالب، فقال الحاضرون: أمين..

وكان معاوية دائم الامتعاض من بيان صعصعة الفصيح المعبّر وتعابيره

الجميلة في وصف فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يخفِ هذا الامتعاض.

إنّ ما ذكرناه بحقّ هذا الرجل غيض من فيض، وستلاحظون عظمة هذه الشخصيّة المتألّقة في النصوص التي سننقلها لاحقاً.

وكفى في عظمته قول الإمام الصادق (صلوات الله عليه): ما كان مع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من يعرف حقّه إلّا صعصعة وأصحابه، توفّي صعصعة أيّام حكومة معاوية[1].

الثاني عشر: ترجمة الصحابيّ الجليل عبد الله بن عباس (رضوان الله عليه)

عبد الله بن عباس، بن عبد المطّلب (رضوان الله عليهما)، أبو العبّاس، القرشيّ الهاشميّ، وُلِدَ في مكّة المكرمة أثناء حصار النّبيّ صلى الله عليه وآله في شِّعب أبي طالب (رضوان الله عليه)، قبل الهجرة بثلاثِ سنين، وذهب إلى المدينة سنة ثمان للهجرة، عام الفتح.

هو من المفسّرين للقرآن الكريم المعتمدين، والمحدّثين المشهورين في الفقه والتاريخ الإسلاميّ، هو ابن عم المصطفى صلى الله عليه وآله صحابيٌّ جليل، من أجلّة أصحابه صلى الله عليه وآله ملقّب بحبر الأمّة وعالمها، دعا له النّبيّ صلى الله عليه وآله بالفقه والعلم والحكمة والتأويل، شخصية مقبولة مرضية من الطرفين، من أبرز تلامذة مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) حاله في المحبة والإخلاص والموالاة والنصرة له والذب عنه والخصام في رضاه والموازرة، مِمّا لا

(١) المسعودي، علي، مروج الذهب، الجزء (٣) صفحة (٥٣)، طبعة دار القارئ بيروت. زين الدين، حسن، التحرير الطاووسي، صفحة (١٥٧)، رقم الترجمة (٢٠٦)، طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت. القميّ، عباس، منتهى الآمال، الجزء (١)، صفحة (٢٨٠) طبعة الدار الإسلاميّة بيروت. الرشهريّ، محمّد، موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنّة والتاريخ، الجزء (١٦) صفحة (١٣٢) طبعة دار الحديث قم.

شبهة فيه، وقد كان يعتمد ذلك مع من يجب اعتماده معه بعده على ما نطق به لسان السيرة.

كان عمر بن الخطاب يستشيره في أيّام خلافته، وعندما ثار الناس على عثمان، كان مندوبه في الحجّ، ولمّا آلت الخلافة إلى الإمام أمير المؤمنين عليّ (صلوات الله عليه) كان صاحبه، ونصيره، ومستشاره، وأحد ولاته وأُمرائه العسكريّين.

كان على مقدّمة الجيش في معركة الجمل، ثُمَّ ولّي البصرة بعدها، وقبل أن تبدأ حرب صفّين، استخلف الصحابيَّ الجليل أبا الأسود الدؤلي (رضوان الله عليه) على البصرة وتوجّه مع الإمام (صلوات الله عليه) لحرب معاوية، وكان أحد أُمراء الجيش في الأيّام السبعة الأولى من الحرب ولازم الإمام (صلوات الله عليه) بثباتٍ على طول الحرب.

اختاره أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ممثّلاً عنه في التحكيم، بَيْدَ أنّ الخوارج والأشعث عارضوا ذلك قائلين: لا فرق بينه وبين عليّ (صلوات الله عليه).

حاورَ الخوارج مندوباً عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في النهروان مراراً، وأظهر في مناظراته الواعية عدمَ استقامتهم، وتزعزع موقفهم، كما أبان منزلة الإمام الرفيعة السامية، كان والياً على البصرة عند استشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

بايع ابن عباس (رضوان الله عليه) الإمام أبي محمّد الحسن المجتبى (صلوات الله عليه)، وتوجّه إلى البصرة من قِبَله، ولم يشترك مع الإمام أبي عبد الله الحسين (صلوات الله عليه) في واقعة الطف بسبب ذهاب بصره.

لم يبايع عبدَ اللّه بن الزبير حين استولى على الحجاز، والبصرة، والعراق وكذلك فعل محمّد بن الحنفيّة (رضوان الله عليه) لم يبايعه أيضاً، فكَبُرَ ذلك على بن الزبير حتى همّ بإحراقهما.

توفّي ابن عبّاس في منفاه بالطائف سنة ثمان وستين للهجرة في سلطنة عبد الملك وهو ابن إحدى وسبعين سنة وهو يكثر من قوله: اللهمّ إنّي أتقرّب إليك بمحمّد وآله، اللهمّ إنّي أتقرّب إليك بولاية الشيخ عليّ بن أبي طالب.

وفي رواية: لمّا حضرت عبد الله بن عبّاس الوفاة قال: اللهمّ إنّي أتقرّب إليك بولاية عليّ بن أبي طالب.

وصلّى عليه محمّد بن الحنفيّة، وذكر المسعودي في مروجه أنّه قد ذهب بصره لبكائه على عليّ والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) وهو الذي، يقول:

إن يأخُذ اللّه من عينيَّ نورَهُمَا ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي، وعقلي غير مدَخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور

كان خلفاء بني العبّاس من ذرّيّته وقد أخبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بهذا في خطابه لابن عبّاس حيث خاطبه قائلاً: (يا أبا الأملاك)

ورد في مختصر تاريخ دمشق عن المدائنيّ أنّه قال: قال عليّ بن أبي طالب في عبد الله بن عبّاس: إنّه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق لعقله وفطنته بالأُمور.

وفي مختصر تاريخ دمشق أيضاً روي عن سفيان بن عيينة قال: ورد صعصعة بن صوحان على عليّ بن أبي طالب من البصرة، فسأله عن عبد الله بن عبّاس، وكان على خلافته بها.

فقال صعصعة: يا أمير المؤمنين، إنّه آخذ بثلاثٍ وتاركٌ لثلاثٍ: آخذٌ بقلوبِ الرجالِ إذا حدّث، ويحسن الاستماع إذا حُدّث، وبأيسر الأمرين إذا خولف.

تاركٌ للمراءِ، وتاركٌ لمقاربة اللئيمِ، وتاركٌ لما يُعتذر منه[1].

---

(١) زين الدين، حسن، التحرير الطاووسي، صفحة (٣١٢) رقم الترجمة (٢١٣) طبعة مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفيّ - قم المقدسة. الرئشهريّ، محمّد، موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة والتاريخ، الجزء (١٦)، صفحة (١٦١)، طبعة دار الحديث قم.

مصادر الكتاب

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ نهج البلاغة.

ـ كتب الأحاديث والروايات:

٣ ـ **الكافي**: تأليف محمّد يعقوب الكلينيّ، طبعة دار التعارف بيروت.

٤ ـ **من لا يحضره الفقيه**: تأليف محمّد عليّ القميّ (الصدوق)، طبعة دار التعارف بيروت.

٥ ـ **تهذيب الأحكام**: تأليف محمّد حسن الطوسيّ، طبعة دار التعارف بيروت.

٦ ـ **وسائل الشيعة**: تأليف محمّد حسن (الحرّ العامليّ)، طبعة دار إحياء التراث العربي.

٧ ـ **بحار الأنوار**: تأليف محمّد باقر المجلسيّ، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

٨ ـ **مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول**: تأليف محمّد باقر المجلسيّ.

٩ ـ **مستدرك سفينة البحار**: تأليف علي النمازي، طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ.

١٠ ـ **علل الشرائع**: تأليف محمّد علي القميّ (الصدوق)، طبعة المكتبة الحيدريّة النجف.
١١ ـ **الإرشاد**: تأليف محمّد محمّد النعمان (المفيد).
١٢ ـ **مسند الإمام الرضا**: تأليف عزيز الله عطاردي، طبعة مؤسسة أستان قدس رضوي قم.
١٣ ـ **عيون أخبار الرضا**: تأليف محمّد عليّ القميّ (الصدوق)، منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت.
١٤ ـ **قرب الإسناد**: تأليف عبد الله الحميري، طبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم.
١٥ ـ **كامل الزيارات**: تأليف جعفر القميّ، طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين قم.
١٦ ـ **الفضائل**: تأليف شاذان القميّ، طبعة منشورات المطبعة الحيدريّة النجف.
١٧ ـ **مصابيح الأنوار**: تأليف عبد الله شبَّر، طبعة مؤسسة النور بيروت.
١٨ ـ **شرح الأخبار**: تأليف القاضي النعمان، طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدَّرسين.
١٩ ـ **الخصال**: تأليف محمّد عليّ القميّ (الصدوق).
٢٠ ـ **كتاب سُليم**: تأليف سُليم بن قيس الهلاليّ، طبعة دار الحوراء بيروت.
٢١ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**: تأليف المبارك الجزري، طبعة المكتبة العلميَّة بيروت.
٢٢ ـ **صحيح البُخاريّ**: تأليف محمّد إسماعيل، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٣ ـ **صحيح ابن حبّان**: تأليف محمّد حبّان السجستانيّ.

٢٤ ـ **فتح الباري في شرح صحيح البُخاريّ**: تأليف أحمد عليّ العسقلانيّ، طبعة دار المعرفة بيروت.

٢٥ ـ **مسند الإمام أحمد**: تأليف أحمد حنبل الشيبانيّ، مؤسسة قرطبة القاهرة.

٢٦ ـ **الترغيب والترهيب**: تأليف عبد العظيم المنذري، طبعة دار الكتب العلميَّة بيروت.

٢٧ ـ **مسند أبي يعلى**: تأليف أحمدى التميمي، طبعة دار المأمون للتراث دمشق.

٢٨ ـ **السنن الكبرى**: تأليف أحمد البيهقيّ، طبعة دار الفكر بيروت.

٢٩ ـ **السنن الكبرى**: تأليف أحمد الشيبانيّ، طبعة دار الكتب العلمية.

٣٠ ـ **المستدرك على الصحيحين**: تأليف الحاكم النيسابوري.

٣١ ـ **المعجم الكبير**: تأليف سليمان الطبراني، طبعة مكتبة العلوم والحكم، الموصل.

٣٢ ـ **العمدة**: تأليف يحي حسين البطريق، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين قم.

ـ كتب تفاسير القرآن الكريم:

٣٣ ـ **الميزان في تفسير القرآن**: تأليف محمّد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرِّسين قم.

٣٤ ـ **البرهان في تفسير القرآن**: تأليف السيد هاشم البحراني، طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت.

٣٥ ـ **مجمع البيان في تفسير القرآن**: تأليف الفضل بن الحسن الطبرسيّ، طبعة دار الكتب العلميَّة بيروت.

٣٦ ـ **التفسير الكبير**: تأليف الفخر الرازي، طبعة إحياء التراث العربي.

ـ كتب التاريخ والسيرة:

٣٧ ـ **تاريخ الأممَّ والملوك**: تأليف محمّد جرير الطبريّ، طبعة دار الكتب العلميَّة بيروت.

٣٨ ـ **تأريخ دمشق**: تأليف عليَّ بن عساكر، طبعة دار الفكر بيروت.

٣٩ ـ **تأريخ بغداد**: تأليف أحمد علي البغداديّ، طبعة دار الكتب العلميَّة بيروت.

٤٠ ـ **البداية والنهاية**: تأليف إسماعيل عمر بن كثير، طبعة مكتبة المعارف بيروت.

٤١ ـ **الإمامة والسياسة**: تأليف عبد الله الدينوري، طبعة مؤسسة الحلبيَّ القاهرة.

٤٢ ـ **كتاب الفتوح**: تأليف أحمد أعثم الكوفيّ، طبعة دار الأضواء بيروت.

٤٣ ـ **جواهر التأريخ**: تأليف علي الكورانيّ العامليَّ، طبعة دار أنوار الهدى قم.

٤٤ ـ **مقتل علي**: تأليف عبد الله بن أبي الدنيا.

٤٥ ـ **تأريخ الكوفيّ**: تأليف حسين أحمد البراقي، طبعة دار التعارف بيروت.

٤٦ ـ **مروج الذهب**: تأليف علي حسين المسعودي، طبعة دار القارئ بيروت.

٤٧ ـ **تأريخ اليعقوبيّ**، أحمد يعقوب، طبعة دار صادر بيروت.

٤٨ ـ **الغارات**: تأليف إبراهيم محمّد الثقفي.

٤٩ ـ **مصرع الحق**: تأليف رياض الفضلي.
٥٠ ـ **مقاتل الطالبيين**: تأليف أبو الفرج الأصفهاني.
٥١ ـ **موسوعة الإمام عليّ في الكتاب والسنة والتاريخ**: تأليف محمّد الريشهريّ، طبعة دار الحديث قم.
٥٢ ـ **مجموعة وفيّات الأئمّة**: تأليف مجموعة من العلماء، طبعة دار البلاغة بيروت.
٥٣ ـ **لواعج الأشجان**: تأليف محسن الأمين العامليّ، طبعة دار الأمير بيروت.
٥٤ ـ **آمالي المفيد**: تأليف محمّد محمّد النعمان، طبعة لنكره جهاني شيخ مفيد قم.
٥٥ ـ **الأمالي**: تأليف محمّد حسن الطوسيّ، طبعة دار الثقافة قم.
٥٦ ـ **المجالس السنيّة**: تأليف محسن الأمين العامليّ، طبعة دار المرتضى بيروت.
٥٧ ـ **أعيان الشيعة**: تأليف محسن الأمين العامليّ، طبعة دار التعارف بيروت.
٥٨ ـ **السيرة النبويّة**: تأليف عبد الملك بن هشام.
٥٩ ـ **سيد المرسلين**: تأليف جعفر السبحانيّ، طبعة دار البيان العربي بيروت.
٦٠ ـ **الصحيح من سيرة النّبيّ الأعظم**: تأليف جعفر مرتضى العامليّ، طبعة دار الهادي بيروت.
٦١ ـ **الصحيح من سيرة الإمام علي بن أبي طالب**: تأليف جعفر مرتضى العامليّ، طبعة دار الهدى قم المقدسة.

٦٢ ـ **كشف الغمة في معرفة الأئمّة**: تأليف علي بن عيسى الأربلي، طبعة مكتبة الألفين الكويت.

٦٣ ـ **منتهى الأمال في مصائب النَّبيّ والآل**: تأليف عباس القميّ، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

٦٤ ـ **أنصار الحسين**: تأليف محمّد مهدي شمس الدين، طبعة مؤسسة الكتاب الإسلاميّ بيروت.

٦٥ ـ **ثورة الحسين في الوجدان الشعبيّ**: تأليف محمّد مهدي شمس الدين، طبعة الدار الإسلاميّة بيروت.

٦٦ ـ **السيِّدة سكينة**: تأليف عبد الرزاق المقرم، طبعة دار الأضواء بيروت.

٦٧ ـ **أعلام الورى**: تأليف الفضل بن الحسن الطبرسيّ، طبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم.

٦٨ ـ **بين يدي الرسول الأعظم**: تأليف محمّد عليّ بحر العلوم، طبعة دار الزهراء بيروت.

٦٩ ـ **سيرة المصطفى**: تأليف هاشم معروف الحسنيّ، طبعة دار التعارف بيروت.

٧٠ ـ **مثير الأحزان**: تأليف شريف الجواهري، طبعة دار المحجَّة البيضاء ودار الرسول الأعظم.

٧١ ـ **الطبقات الكبرى**: تأليف محمّد سعد الزهريّ، طبعة دار صادر بيروت.

٧٢ ـ **جلاء العيون**: تأليف عبد الله شبَّر، طبعة دار المرتضى بيروت.

٧٣ ـ **سيرة الأئمّة الأثني عشر**: تأليف هاشم معروف الحسني، طبعة دار التعارف بيروت.

٧٤ ـ **موسوعة كربلاء**: تأليف لبيب بيضون، طبعة دار التعارف بيروت.

٧٥ ـ **الخصائص العباسيَّة**: تأليف محمّد الكلباسيّ، طبعة دار الحوراء بيروت.

٧٦ ـ **مجمع مصائب أهل البيت**: تأليف محمّد الهنداوي، طبعة دار المحجَّة البيضاء.

٧٧ ـ **معالي السبطين**: تأليف محمّد مهدي الحائريّ، طبعة مؤسسة النعمان بيروت.

٧٨ ـ **فوائد المشاهد**: تأليف جعفر التستري، طبعة دار الحوراء بيروت.

٧٩ ـ **الإمام عليّ، أحمد الرحمنيّ الهمدانيّ، طبعة دار المنير قم.**

٨٠ ـ **فرحة الغري**: تأليف عبد الكريم ابن طاووس.

٨١ ـ **مقتل الحسين**: تأليف الموفّق بن أحمد الخوارزمي، طبعة دار أنوار الهدى قم.

٨٢ ـ **العباس**: تأليف عبد الرزاق المقرم، طبعة دار الأضواء بيروت.

٨٣ ـ **عبقرية الإمام عليّ**: تأليف أحمد العقّاد.

٨٤ ـ **اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء.**

٨٥ ـ **الإمام علي صوت العدالة الإنسانيَّة**: تأليف جورج جرداق.

٨٦ ـ **حياة الحيوان**: تأليف الدميري.

٨٧ ـ **الفهرست**: تأليف محمّد إسحاق النديم، دار المعرفة بيروت.

٨٨ ـ **الغيبة**: تأليف محمّد إبراهيم النعماني.

٨٩ ـ **كتاب الأربعين**: تأليف سليمان عبد الله البحرانيّ، طبعة منشورات الأمير قم.

٩٠ ـ **خلاصة الوفا بأخبار المصطفى**: تأليف السمهودي.

ـ شروح نهج البلاغة:

٩١ ـ **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة**: تأليف حبيب الله الخوئي، طبعة مؤسسة المطبوعات الدِّينيَّة قم.

٩٢ ـ **شرح نهج البلاغة**: تأليف محمّد عبده، طبعة دار البلاغة بيروت.

٩٣ ـ **بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة**: تأليف محمّد تقي التستريّ، طبعة مؤسسة البلاغة قم.

٩٤ ـ **شرح مئة كلمة**: تأليف ميثم علي البحراني، طبعة منشورات جماعة المدرِّسين قم.

٩٥ ـ **شرح نهج البلاغة**: تأليف ابن أبي الحديد، طبعة دار الكتب العلميَّة بيروت.

٩٦ ـ **نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة**: تأليف محمّد المحمودي، طبعة دار النعمان النجف.

ـ كتب العقيدة

٩٧ ـ **العقيدة الإسلاميّة، جعفر السبحانيّ، طبعة الوكالة العالميَّة بيروت.**

٩٨ ـ **الرد على الوهابيَّة**: تأليف محمّد جواد البلاغي، طبعة مؤسسة آل لبيت لإحياء التراث قم.

٩٩ ـ **الاعتقادات، محمّد بن بابويه القميّ، طبعة آل البيت لإحياء التراث.**

١٠٠ ـ **غاية المرام وحجة الخصام**: تأليف هاشم البحرانيّ، طبعة مركز الأبحاث العقائدية

١٠١ ـ **موسوعة الغدير**: تأليف عبد الحسين الأمينيّ، طبعة دار الكتاب العربي بيروت.

١٠٢ ـ **الاحتجاج**: تأليف أحمد عليّ الطبرسيّ، طبعة مركز الأبحاث العقائدية قم.
١٠٣ ـ **رد علي رد السقيفة**: تأليف محمّد الكاظميّ القزوينيّ، طبعة دار الأمين بيروت.
١٠٤ ـ **مدينة المعاجز**: تأليف هاشم البحرانيّ، طبعة مؤسسة المعارف الإسلاميّة قم.
١٠٥ ـ **النَّصّ والاجتهاد**: تأليف عبد الحسين شرف الدين، طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت.
١٠٦ ـ **الهداية الكبرى**: تأليف الحسين الخصيبيّ، طبعة دار البلاغة بيروت.
١٠٧ ـ **معالم المدرستين**: تأليف مرتضى العسكريّ، طبعة مؤسسة النعمان بيروت.
١٠٨ ـ **المسترشد**: تأليف محمّد جرير الطبريّ، طبعة مؤسسة الثقافة الإسلاميّة قم.
١٠٩ ـ **بشارة المصطفى**: تأليف محمّد الطبريّ، طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين قم.
١١٠ ـ **إرشاد القلوب**: تأليف الحسن الديلمي، طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت.
١١١ ـ **ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى تأليف أحمد بن عبد الله الطبريّ، طبعة مكتبة القدسيّ بالقاهرة.**
١١٢ ـ **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**: تأليف صالح الفوزان، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت.
١١٣ ـ **إحقاق الحق**: تأليف نور الله التستريّ، طبعة منشورات مكتبة المرعشيّ، قم.

١١٤ ـ **الصواعق المحرقة**: تأليف أحمد محمّد الهيتميّ، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت

١١٥ ـ **موسوعة توحيد ربّ العبيد**: تأليف محمّد عبد الوهّاب، طبعة جامعة محمّد سعود الرياض.

١١٦ ـ **سبل الهدى والرشاد، محمّد الصالحيّ الشامي، دار الكتب العلميّة بيروت.**

١١٧ ـ **معارج القبول**: تأليف حافظ أحمد حكمي، طبعة دار ابن القيّم الدمام.

١١٨ ـ **الأسماء والصفات**: تأليف أحمد حسين البيهقيّ، طبعة دار السوادي جدة.

١١٩ ـ **التمهيد لشرح كتاب التوحيد**: تأليف صالح عبد العزيز آل الشيخ، طبعة دار التوحيد الرياض.

١٢٠ ـ **الاستعاب في معرفة الأصحاب**: تأليف ابن عبد البر.

١٢١ ـ **تدوين السنة الشريفة**: تأليف محمّد رضا الحسينيّ الجلاليّ.

١٢٢ ـ **الخرائج والجرائح**: تأليف قطب الدين الراوندي، طبعة مؤسسة الإمام المهدي قم.

١٢٣ ـ **كتب الفضائل والمناقب**

١٢٤ ـ **فضائل الصحابة**: تأليف أحمد حنبل الشيبانيّ، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت.

١٢٥ ـ **مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين**: تأليف محمّد أحمد القميّ.

١٢٦ ـ **مناقب آل أبي طالب**: تأليف محمّد علي شهر آشوب، طبعة دار المرتضى قم.

١٢٧ ـ **المناقب**: تأليف الموفّق الخوارزمي، طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين قم.

ـ كتب الأدعية:

١٢٨ ـ **آقبال الأعمال**

١٢٩ ـ **البلد الأمين**: تأليف إبراهيم عليّ العامليّ.

١٣٠ ـ **مفاتيح الجنان**: تأليف عباس القميّ، طبعة دار التعارف بيروت.

ـ كتب دواوين:

١٣١ ـ **ديوان شعراء الحسين**: تأليف محمّد باقر النجفيّ، طبعة موسسة الأمير طهران.

١٣٢ ـ **ديوان الأزرية**: تأليف كاظم الأزريّ، طبعة دار الأضواء بيروت.

١٣٣ ـ **ديوان الصاحب بن عبّاد**

١٣٤ ـ **ديوان رضا الهندي، طبعة دار الأضواء بيروت.**

ـ معاجم اللغة العربية:

١٣٥ ـ **المحيط في اللغة**: تأليف الصاحب بن عبّاد

١٣٦ ـ **معجم الفروق اللغوية**: تأليف أبو هلال العسكري، طبعة مؤسسة النشر الإسلاميّ قم.

١٣٧ ـ **مجمع البحرين**: تأليف فخر الدين الطريحي، طبعة مؤسسة الوفاء بيروت.

١٣٨ ـ **المعجم الوسيط**: تأليف مجمع اللغة العربية، طبعة المكتبة الإسلاميّة استانبول.

١٣٩ ـ **لسان العرب**: تأليف ابن منظور، طبعة دار الكتب العلميَّة بيروت.
١٤٠ ـ **تاج العروس**: تأليف محمّد الحسني الزبيدي.

ـ معاجم البلدان:

١٤١ ـ **معجم البلدان**: تأليف ياقوت الحموي.

ـ معاجم مصطلحات الفقه:

١٤٢ ـ **مجموع فتاوى ورسائل ابن عيثيمين**.
١٤٣ ـ **الزبدة الفقهيَّة**: تأليف محمّد حسن ترحينيّ، طبعة دار الهادي بيروت.
١٤٤ ـ **معجم لغة الفقهاء**: تأليف محمّد قلعجي، طبعة دار النفائس بيروت.
١٤٥ ـ **القاموس الجامع للمصطلحات الفقهيَّة**: تأليف عبد الله الغديري، طبعة دار المحجَّة البيضاء بيروت.

ـ معاجم رواة الحديث:

١٤٦ ـ **الكنى والألقاب**: تأليف عباس القميّ.
١٤٧ ـ **معجم رجال الحديث، أبو القاسم الخوئي**.
١٤٨ ـ **حلية الأوّلياء وطبقات الفقهاء**: تأليف أحمد الأصفهاني، طبعة دار الكتاب العربي.
١٤٩ ـ **التحرير الطاووسي**: تأليف حسن زين الدين، طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت.
١٥٠ ـ **ميزان الاعتدال**: تأليف محمّد أحمد الذهبيّ، طبعة دار المعرفة بيروت.

الفهرس

الإهداء ٧
شكر وتقدير ٩
كلمةُ لسماحة العلّامة الحجَّة آية اللّه الأستاذ الشيخ عفيف النابلسيّ (حفظه الله) ١١
وقفة مع الكاتب والكتاب ١٣
مقدّمة المؤلّف ١٥
وقفة مع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ١٦
ـ بين يدي الكتاب ٢٢
تقسيم الكتاب ٢٩

القسم الأوّل
مقدمات بحث الكتاب

ـ المبحث الأوّل: منهج البحث في هذا الكتاب ٤٩
ـ المبحث الثاني: مصادر البحث التاريخي ٥٠
ـ أوّلاً: تأريخ الأمم والملوك ٥٠
ـ ثانياً: الطبقات الكبرى ٥٢
ـ ثالثاً: مروج الذهب ومعادن الجواهر ٥٣
ـ رابعاً: كتاب الفتوح ٥٤

ـ خامساً: تاريخ مدينة دمشق ٥٤
ـ سادساً: تاريخ اليعقوبيّ ٥٥
ـ سابعاً: مقاتل الطالبيين ٥٦
ـ ثامناً: الإمامة والسياسة ٥٧
ـ تاسعاً: شرح النهج لابن أبي الحديد ٥٧
ـ عاشراً: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ٥٨
ـ الحادي عشر: إعلامُ الوَرى بأعلام الهُدى ٥٩
ـ الثاني عشر: الكافي ٦١
ـ الثالث عاشر: كتاب سُليم بن قيس الهلالي ٦٢
ـ الرابع عشر: كشف الغمَّة في معرفة الأئمّة ٦٣
ـ الخامس عشر: مناقب آل أبي طالب ٦٣
ـ السادس عشر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار ٦٤
ـ السابع عشر: منتهى الآمال في مصائب النَّبيّ والآل ٦٥
ـ الثامن عشر: جلاء العيون ٦٥
ـ التاسع عشر: مثير الأحزان ٦٦
ـ **المبحث الثالث: الدوافع وراء تأليف هذا الكتاب** ٦٧

القسم الثاني
في الفضائلِ والمناقب

ـ **المطلب الأوّل: إيمان آباء النَّبيّ** ٧١
ـ **المطلب الثاني: التعريف بشيبة الحمد** ٧٤
السقاية ٧٥
على ملة إبراهيم ٧٧
عبد المطَّلب وأبرهة ٧٨
كفالته للنبيّ ٨٠

ـ المطلب الثاني: التعريف بشيخ البطحاء ٨٢
تحقيق حول التسمية ٨٣
كفالته للنبيّ ٨٤
الباب الأوّل: في مناقب وفضائل أبي طالب ٨٧
تمهيد ٨٩
الفصل الأوّل: روايات الحاقدين حول إسلام أبي طالب ٩٣
تمهيد ٩٣
ـ المطلب الأوّل: حديث الضحضاح ٩٣
ـ المطلب الثاني: حديث المشرك الضالّ ٩٥
ـ المطلب الثالث: حديث لأستغفرنَّ الله لك ٩٦
ـ المطلب الرابع: عقيدة تكفيريّة ٩٨
ـ المطلب الخامس: نظرة في أحاديث الحاقدين. ٩٩
الفصل الثاني: الأدلة على إسلام أبي طالب ١٠٢
تمهيد ١٠٢
المبحث الأوّل: الآثار الأدبية لأبي طالب ١٠٢
ـ قصائد الإيمان والإسلام ١٠٣
ـ الشاهد الأوّل: أبيات إلى ملك الحبشة ١٠٣
ـ الشاهد الثاني: لا أخذل النَّبيَّ ١٠٥
ـ الشاهد الثالث: نبياً كموسى ١٠٦
ـ الشاهد الرابع: أنت النَّبيّ محمّد ١٠٧
ـ الشاهد الخامس: أنصر رسول الله ١٠٧
ـ الشاهد السادس: دون نفسك نفسي ١٠٨
ـ الشاهد السادس: ولقد علمتُ بأن دين محمّد ١٠٩
ـ الشاهد السابع: بعض من القصيدة اللامية ١١٠

ـ الشاهد الثامن: رسول الإله ١١١
ـ الشاهد التاسع: نبي أتاه الوحي ١١١
ـ الشاهد العاشر: أفيقوا بني غالب ١١٢
ـ الشاهد الحادي عشر: أوصي بنصر نبي الرحمة ١١٣
المبحث الثاني: نماذج من سيرة أبي طالب ١١٦
تمهيد ١١٦
ـ الموقف الأوّل: من ابن الزبعري ١١٦
ـ الموقف الثاني: موقفه من قضية عثمان بن مظعون. ١١٩
ـ الموقف الثالث: إجارته أبا سلمة المخزومي. ١٢٠
المبحث الثالث: أخبار في إيمان أبي طالب ١٢١
تمهيد ١٢١
الفصل الثالث: سبب كتمان إسلام أبي طالب ١٣٢
ـ السبب الأوّل: بقاء السيطرة على قريش ١٣٢
ـ السبب الثاني: تأمين الحماية لرسول الله ﷺ ١٣٣
الباب الثاني: في مناقب وفضائل فاطمة بنت أسدّ ١٢٥
تمهيد ١٣٧
ـ المطلب الأوّل: فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام ١٣٧
ـ المطلب الثاني: النَّبيّ يبكي فاطمة بنت أسدّ ١٣٨
ـ فضيلة عند القبر الشريف ١٤١
ـ المطلب الثالث: مناقب وفضائل ١٤٢
ـ أوّل من تبارك بنورِ رسول الله ١٤٢
ـ أوّل من بشّرت بولادة النَّبيّ ١٤٢
ـ أم الوصيّ ١٤٣
ـ الكعبة فتحت بابها ١٤٣

ـ أوّل النساء بايعت رسول الله ١٤٤
ـ أوّل النساء هجرة إلى رسول الله ١٤٥
ـ النَّبيّ يهدي إليها خماراً ١٤٦
ـ كفنها عمامة رسول الله ١٤٧
الباب الثالث: في مناقب وفضائل أمير المؤمنين ١٤٩
تمهيد ١٥١
ـ المطلب الأوّل: موجزٌ من سيرة أمير المؤمنين ١٥٢
ـ في ذكر بعض خصائصه ١٥٤
ـ استشهاده ١٥٥
ـ المطلب الثاني: وليد الكعبة المعظمة ١٥٦
تمهيد ١٥٦
حديث الولادة ١٥٦
ـ المطلب الثالث: عليٌّ حُبه جُنَّة ١٦٠
تمهيد ١٦٠
ـ المطلب الرابع: علي أفضل من أنبياء أولي العزم ١٦٦
ـ دليل المماثلة ١٦٩
ـ الأفضل عبادة ١٧٣
ـ حديث المنزلة ١٧٣
ـ المطلب الخامس: فضائله في علمه ومعرفته وحكمته ١٧٤
تمهيد ١٧٤
ـ لولا علي لهلك عمر ١٧٧
ـ المطلب السادس: أمير المؤمنين يتحدث عن علمه ١٧٨
ـ المطلب السابع: بولايته تقبل الأعمال ١٨٤
تمهيد ١٨٤

ـ المطلب الثامن: قسيم الجنّة والنار ١٨٧
ـ المطلب التاسع: فضائله في جهاده ١٨٧
تمهيد ١٨٧
ـ المطلب العاشر: شفاعة أمير المؤمنين ١٩٣
تمهيد ١٩٣
ـ المطلب الحادي عشر: فضائل ١٩٦
ـ أبو تراب ١٩٦
ـ كلام الشمس ١٩٦
ـ أمير المؤمنين يحيي الموتى ١٩٨
ـ خبر الطائر ١٩٩
ـ الاستشفاء بتراب أبي تراب ٢٠٠
ـ أعطى الله لعلي ٢٠٢
ـ المطلب الثاني عشر: أقوال المفكرين في أمير المؤمنين ٢٠٦
تمهيد ٢٠٦
ـ ابن أبي الحديد المعتزلي ٢٠٦
ـ أبو جعفر الحسني ٢٠٧
ـ أبو عَليٍّ سينا ٢١٠
ـ أبوالفَرَجِ الأصفَهاني ٢١١
ـ أبو قَيسٍ الأوْدِي ٢١١
ـ أبو نَعيم الأصفهاني ٢١٢
ـ أحمدُ بنُ حَنبَل ٢١٢
ـ الجَاحِظ ٢١٣
ـ الحسنُ البَصرِي ٢١٣
ـ الخَليلُ بن أحمد ٢١٦
ـ سُفيانُ الثَّوريّ ٢١٧

ـ الشافِعيّ ٢١٧
ـ الشَّعبيّ ٢١٨
ـ عامرُ بن عَبدِ اللّهِ بن الزُّبَير ٢١٨
ـ الفَخرُ الرَّازيّ ٢١٨
ـ المأمونُ العَبّاسيّ ٢١٩
ـ المَسعودي ٢٢٠
ـ النَّسائيّ ٢٢٣
ـ النَّظّام ٢٢٣
ـ الواقِدي ٢٢٣
ـ محمّد عبده ٢٢٤
ـ عباس العقاد ٢٢٥
ـ جبران خليل جبران ٢٢٦
ـ الفيلسوف كارليل ٢٢٧
ـ المطلب الثالث عشر: أمير المؤمنين على لسان الشعراء ٢٢٧
تمهيد ٢٢٧
ـ الكميت بن زيد الأسديّ ٢٢٨
ـ السيّد الحِمْيري ٢٢٨
ـ الشافعي ٢٣١
ـ دعبل الخزاعي ٢٣١
ـ ابن الرومي ٢٣٢
ـ المتنبيّ ٢٣٢
ـ أحمد الصنوبري ٢٣٢
ـ أبو الفتح محمود بن محمّد كشاجم ٢٣٣
ـ أبو فراس الحَمْداني ٢٣٤
ـ الناشئ الصغير ٢٣٥

ـ أبو عليّ تميم ٢٣٦
ـ ابن الحجّاج البغدادي ٢٣٦
ـ أبو محمّد العوني ٢٣٧
ـ السيد رضا الهندي ٢٣٧
ـ السيد صالح الحلي ٢٤٠

القسم الثالث
أحاديث في شهادة أمير المؤمنين

تمهيد ٢٤٥
المبحث الأوّل: النَّبيّ يخبر باستشهاد أمير المؤمنين ٢٥٤
تمهيد ٢٥٤
ـ المطلب الأوّل: الشهادة من ورائك ٢٥٤
ـ المطلب الثاني: إنّك مقتولٌ ٢٥٥
ـ المطلب الثالث: بأبي الوحيد الشهيد ٢٥٧
ـ المطلب الرابع: قاتله أشقى الآخرين ٢٥٧
ـ المطلب الخامس: قاتله أشقى هذه الأمّة ٢٥٨
ـ المطالب السادس: قاتله أشقى الناس ٢٦٠
ـ المطلب السابع: قاتلك أشقى الأوّلين والآخرين ٢٦١
ـ في سلامة من دينك ٢٦٣
ـ المطلب الثامن: كليم الله يخبر بشهادة أمير المؤمنين ٢٦٣
المبحث الثاني: أمير المؤمنين يخبر بشهادته ٢٦٥
تمهيد ٢٦٥
ـ المطلب الأوّل: هذا قاتلي ٢٦٥
ـ المطلب الثاني: ما ينتظر أشقاها؟ ٢٧١

ـ المطلب الثالث: يقتلني رجل خامل الذكر ٢٧٥
ـ المطلب الرابع: معرفة الإمام بقاتله ٢٧٥

القسم الرابع
خيوط المؤامرة

المبحث الأوّل: لمحة حول معركة صفين ٢٨١
تمهيد ٢٨١
ـ هزيمة أهل الشام ٢٨٣
ـ نص وثيقة التحكيم في صفين ٢٨٩
المبحث الثاني: لمحة حول معركة النهروان ٢٩٣
ـ المطلب الأوّل: اتفاق الخوارج في مكة ٢٩٧
ـ المطلب الثاني: عبد الرحمن بن ملجم في الكوفة ٢٩٩
ـ المطلب الثالث: ابن ملجم وقطام ٣٠٠
قطام تطلب معاوناً لابن ملجم ٣٠٢
ـ المطلب الرابع: حوار بين ابن ملجم وشبيب ٣٠٣
ـ المطلب الخامس: ابن ملجم يلتقي بأمير المؤمنين ٣٠٤
ـ المطلب السادس: قطام معتكفة في المسجد الأعظم ٣٠٦

القسم الخامس
شركاء الجريمة

القسم الأوّل: شركاء مباشرين ٣٠٩
تمهيد ٣٠٩
ـ المبحث الأوّل: مهمة البرك بن عبد الله التميمي ٣١٠

ـ المبحث الثاني: مهمة عمرو بن بكر التميميّ ٣١١
ـ المبحث الثالث: مهمة عبد الرحمن بن ملجم المراديّ ٣١٢
القسم الثاني: شركاء غير مباشرين ٣١٣
تمهيد ٣١٣
المبحث الأوّل: معاوية المخطط الأوّل ٣١٤
تمهيد ٣١٤
ـ المطلب الأوّل: حقائقٌ وقرائن ٣١٥
أوّلاً: اغتيال عبد الرحمن بن خالد ٣١٦
ثانياً: اغتيال عبد الرحمن بن أبي بكر ٣١٧
ثالثاً: اغتيال سعد بن أبي وقاص ٣١٧
رابعاً: اغتيال الإمام أبي محمّد الحسن ٣١٧
ـ المطلب الثاني: مشروعية الحراسة في الإسلام ٣٢١
ـ المطلب الثالث: وثيقة تاريخية ٣٢٣
ـ المطلب الرابع: شبهة ورد ٣٢٤
المبحث الثاني: شراكة الأشعث بن قيس ٣٢٥
تمهيد ٣٢٥
ـ المطلب الأوّل: ترجمة الأشعث بن قيس ٣٢٦
ـ المطلب الثاني: الأشعث يفرض التحكيم ٣٢٨
ـ المطلب الثالث: أمير المؤمنين يلعن الأشعث ٣٢٩
ـ المطالب الرابع: الأشعث والبيت المشؤوم ٣٣٠
المبحث الثالث: دور قطام في اغتيال أمير المؤمنين ٣٣٣
ـ المطلب الأول: قطام أحقادٌ وضغائن ٣٣٣
ـ المطلب الثاني: مبالغات في دور قطام ٣٣٤

المبحث الرابع: الخوارج.. كفرٌ ونفاق ٣٤١
ـ بعض أخبار ابن ملجم ٣٤٣
ـ ابن ملجم يشرب الخمر ٣٤٦
ـ ابن ملجم ينتهك حرمات الله ٣٤٦
المبحث الرابع: هل انتصر معاوية على أمير المؤمنين ٣٤٧

القسم السادس
أحداث شهادة أمير المؤمنين

الفصل الأوّل: أحداث الليلة التاسعة عشر من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة ٣٥٩
ـ المطلب الأوّل: أمير المؤمنين ضيف عند الحوراء ٣٥٩
موعظةُ أمير المؤمنين عند الإفطار ٣٦١
أمير المؤمنين على مائدة الإفطار ٣٦٣
ـ المطلب الثاني: أمير المؤمنين في محراب العبادة ٣٦٣
ـ رؤيا أمير المؤمنين ٣٦٤
ـ مناجاة مع الله ٣٦٧
ـ رؤيا أمير المؤمنين لرسول الله ٣٦٩
ـ أمير المؤمنين في محراب العبادة ٣٧٠
ـ المطلب الثالث: حديث بين أمير المؤمنين وابنته زينب ٣٧١
ـ صوائح تتبعها نوائح ٣٧٢
ـ توضيح ٣٧٣
ـ ولا تجزع من الموت ٣٧٥
ـ رؤيا أمير المؤمنين ٣٧٧
ـ المطلب الرابع: الدخول إلى مسجد الكوفة ٣٨٠

ـ أمير المؤمنين في المسجد الأعظم ٣٨١
ـ **المطلب الخامس: الفجر يأذن بالصلاة** ٣٨٣
ـ أمير المؤمنين في محراب الشهادة ٣٨٥
ـ ملاك الوحي يعلن شهادة أمير المؤمنين ٣٨٦
ـ زينب تنعى أباها ٣٨٦
ـ الناس تنعى أمير المؤمنين ٣٨٧
ـ أبناء أمير المؤمنين في المسجد الأعظم ٣٨٧
ـ توجيه بعض النصوص ٣٨٨
ـ **المطلب السادس: الإمام الحسن يصلّي بالناس** ٣٩٢
ـ الناس في المسجد الأعظم ٣٩٣
ـ أمير المؤمنين يخبر بمصيبة الحسنين ٣٩٣
ـ رواية ثانية حول ضرب أمير المؤمنين ٣٩٤
ـ رواية ثالثة حول ضرب أمير المؤمنين ٣٩٥
ـ **المطلب السابع: فرار ابن ملجم ومعاونَيه** ٣٩٦
ـ *إلقاء القبض على ابن ملجم* ٣٩٦
ـ أمير المؤمنين يتحدث مع ابن ملجم ٣٩٨
ـ حذيفة النخعي يروي ٣٩٩
ـ رفقاً بابن ملجم ٤٠١
الفصل الثاني: أحداث اليوم التاسع عشر من شهر رمضان ٤٠٤
ـ **المطلب الأوّل: أمير المؤمنين يُحمل إلى داره** ٤٠٤
ـ فضة تريد الانتقام من ابن ملجم ٤٠٥
ـ زينب وأم كلثوم في محضر أمير المؤمنين ٤٠٦
لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين ٤٠٧
ـ **المطلب الثاني: الأصبغ بن نباته في عيادة أمير المؤمنين** ٤٠٩
حديثُ أمير المؤمنين مع الأصبغ ٤١٠

رواية ثانية لحديث أمير المؤمنين مع الأصبغ ٤١١
ـ المطلب الثالث: إعهد عهدك يا أمير المؤمنين ٤١٤
توضيح ٤١٦
الجواب ٤١٧
ـ المطلب الرابع: الوصيَّة العامة ٤١٨
النَّص على الأئمّة وتسليم ودائع الإمامة ٤١٨
نص الوصيَّة ٤١٩
وتعاونوا على البر والتقوى ٤١٩
في الأرحام ٤٢٠
في الأيتام ٤٢٠
في القرآن ٤٢٠
في الجيران ٤٢٠
في المسجد ٤٢١
في الصلاة ٤٢١
في الزكاة ٤٢٢
في الصيام ٤٢٢
في الحج ٤٢٢
في الفقراء والمساكين ٤٢٢
في الجهاد ٤٢٢
في ذرية رسول الله ٤٢٢
في أصحاب رسول الله ٤٢٣
في النساء ٤٢٣
الصلاة خير العمل ٤٢٣
واعتصموا بحبل الله ٤٢٤
ـ المطلب الخامس: إنّها والله الجنّة ٤٢٥

أمير المؤمنين يعزي ابنته زينب ٤٢٦
ـ المطلب السادس: الأشعث يتأكّد من قتل أمير المؤمنين ٤٢٧
ـ المطلب السابع: لا تبغيا الدنيا ٤٢٨
وصيّته إلى محمّد بن الحنفية ٤٢٩
توضيح ٤٢٩
وصيّته للحسنين بابن الحنفيَّة ٤٢٩
توضيح ٤٣٠
توضيح ثاني ٤٣٠
عمر بن علي بن أبي طالب ٤٣١
ـ المطلب الثامن: وصيّة أمير المؤمنين لولده الحسن ٤٣٢
توضيح ٤٣٤
الفصل الثالث: أحداث الليلة العشرين من شهر رمضان ٤٣٧
ـ المطلب الأوّل: سلوني قبل أن تفقدوني ٤٣٧
حجر بن عدي يرثي أمير المؤمنين ٤٣٨
ـ المطلب الثاني: خففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم. ٤٣٩
أمير المؤمنين يتحّدث ٤٤٠
وصيّةُ أمير المؤمنين بابن ملجم ٤٤٢
ـ المطلب الثالث: إسلام جماعة من اليهود ٤٤٤
ـ المطلب الرابع: مجددا مع الأصبغ ٤٤٥
الفصل الرابع: أحداث يوم العشرين من شهر رمضان ٤٤٦
ـ المطلب الأوّل: زينب تسأل عن حديث أم أيمن ٤٤٦
ـ المطلب الثاني: حديث أم أيمن كاملاً ٤٤٧
ـ المطلب الثالث: زينب تطلبُ كفيلاً من أبيها ٤٥٣
الفصل الخامس: أحداث ليلة الواحد والعشرون من شهر رمضان ٤٥٥

ـ المطلب الأوّل: وصيّةُ أمير المؤمنين لولده العباس ٤٥٥
ـ المطلب الثاني: وصيّة التجهيز والدفن ٤٥٦
أمير المؤمنين يوصي بإخفاء قبره ٤٥٧
أمير المؤمنين يعزّي الحسنين بمصائبهما ٤٥٨
المطلب الثالث: أمير المؤمنين في ذمة الله ٤٥٩
يومٌ كيومِ وفاة رسول الله ٤٦١
ـ المطلب الرابع: بكاء الأرض والسماء ٤٦٢
نوح الملائكة والجن على أمير المؤمنين ٤٦٤
ـ المطلب الخامس: أمير المؤمنين على المغتسل ٤٦٦
توضيح ٤٦٧
حنوط أمير المؤمنين ٤٦٨
التكفين ٤٦٨
الصلاة ٤٦٨
ـ المطلب السادس: الخضر يرثي أمير المؤمنين ٤٦٩
ـ المطلب السابع: موكب التشييع ٤٧٣
توضيح ٤٧٥
فرحة الغريّ ٤٧٥
جمعٌ من الأنبياء والملائكة يحضر التشييع ٤٧٧
ـ المطلب الثامن: رثاء صعصعة بن صوحان ٤٧٨
ـ المطلب التاسع: رثاء عبد الله بن عباس ٤٨١
عبد الله بن عمر يرثي أمير المؤمنين ٤٨٣
الفصل السادس: أحداث اليوم الواحد والعشرون من شهر رمضان ٤٨٤
ـ المطلب الأوّل: بروحك إنني علّقتُ روحي ٤٨٤
ـ المطلب الثاني: خطبة رثائية للإمام الحسن ٤٨٦

ـ المطلب الثالث: أخذ البيعة ٤٨٨
خطبة البيعة ٤٨٨
رثاء الإمام الحسن لأمير المؤمنين ٤٩٠
ـ المطلب الرابع: فقد جعلنا لوليه سلطانا ٤٩٠
ـ المطلب الخامس: السيّدة زينب تندب أباها ٤٩٣
ـ المطلب السادس: إسلام راهب من اليهود ٤٩٥

القسم السابع
فرح الخوارج بمقتلِ أمير المؤمنين

ـ المطلب الأوّل: معاوية يفرح بمقتل أمير المؤمنين ٤٩٩
ـ المطلب الثاني: عائشة تفرح بمقتل أمير المؤمنين ٥٠٠
ـ المطلب الثالث: الخوارج يفرحون بمقتل أمير المؤمنين ٥٠١

القسم الثامن
ظهور القبر المطهّر

ـ المطلب الأوّل: روايات في فضل الغريّ ٥٠٧
ـ المطلب الثاني: أمير المؤمنين في مدفن نوح ٥٠٩
ـ المطلب الثالث: سبب إخفاء القبر الشريف ٥١٠
الاختلاف في مكان القبر ٥١٣
ـ المطلب الرابع: ظهور القبر الشريف ٥١٥
زيارات الإمام الصادق (صلوات الله عليه) للقبر الشريف ٥١٥
الشيعة تزور القبر المطهّر ٥١٨
الرشيد يزور القبر المطهر ٥١٩

القسم التاسع
زيارة أمير المؤمنين

تمهيد ٥٢٣
ـ المطلب الأوّل: مشروعيّة الزيارة ٥٢٤
آراء أصحاب المذاهب الإسلاميّة. ٥٢٧
أخبارٌ في فضل الزيارة ومشروعيتها ٥٣١
ابن تيميّة يحرّم زيارة القبور ٥٣٤
ـ المطلب الثاني: أحاديث في فضل زيارة أمير المؤمنين ٥٣٩
ـ المطلب الثالث: أفضل من زيارة الحسين ٥٤٣
ـ المطلب الرابع: كلمة للشيخ المظفّر ٥٤٧
من فوائد الزيارة ٥٤٨
الأدب الروحي ٥٤٨
ـ المطلب الخامس: آداب آداء الزيارة ٥٥٠
ـ المطلب السادس: أهداف آداب الزيارة ٥٥٦
ـ المطلب السابع: أوقات الزيارة ٥٥٩

القسم العاشر
في رثاء أمير المؤمنين

تمهيد ٥٦٥
ـ القصيدة الأولى: للأديب السيّد حيدر الحليّ ٥٦٧
ـ القصيدة الثانية: للأديب السيد حيدر الحلي ٥٦٩
ـ القصيدة الثالثة: للأديب السيد جعفر الحلي ٥٧٣
ـ القصيدة الرابعة: للأديب السيّد مهدي الأعرجيّ ٥٧٤

ـ القصيدة الخامسة: للأديب السيد مهدي الأعرجي ٥٧٥
ـ القصيدة السادسة: للسيد مهدي الأعرجي. ٥٧٦
ـ القصيدة السابعة: للسيد الأعرجي ٥٧٦
ـ القصيدة الثامنة: للسيد مهدي للأعرجي ٥٧٧
ـ القصيدة التاسعة: للأديب محمّد رضا الازري ٥٧٨
ـ القصيدة العاشرة: للشيخ كاظم البستيّ النجفيّ ٥٧٩
ـ القصيدة الحادية عشر: للسيد صالح النجفيّ القزويني ٥٨١
ـ القصيدة الثانية عشر: للشيخ سلمان البحراني ٥٨٢
كوكبة من من الشخصيات الإسلامية ٥٨٥
مصادر الكتاب ٦١٠
ـ كتب الأحاديث والروايات. ٦١٠
ـ كتب تفاسير القرآن الكريم. ٦١٢
ـ كتب التاريخ والسيرة. ٦١٣
ـ شروح نهج البلاغة ٦١٧
ـ كتب العقيدة ٦١٧
ـ كتب الأدعية ٦٢٠
ـ كتب دواوين ٦٢٠
ـ معاجم اللغة العربية ٦٢٠
ـ معاجم البلدان ٦٢١
ـ معاجم مصطلحات الفقه ٦٢١
ـ معاجم رواة الحديث ٦٢١

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٢٥٧٩٨٤/٠٣ - فاكس: ٤٦٣٢٠٧/٠٥ - ص.ب: ٣٥٥/٢٥ - غبيري - بيروت

E-mail :daralkatebalarabi@hotmail.com